خطابُ المرحلة

توثيق لرؤى سماحة
المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي

حول قضايا الدين والانسان والأمة والوطن
ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق بعد
استشهاد استاذه
السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عام ١٩٩٩

الجزء الرابع عشر

٢٠٢٣/٩ – ٢٠٢٥/٦

هوية الكتاب

اسم الكتاب:.....خطابُ المرحلة / الجزء الرابع عشر

تأليف:.....توثيق لخطابات وبيانات سماحة

.....المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي

الطبعة:.....الأولى

السنة: ..... ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

الناشر:..... دار الصادقين للطباعة والنشر والتوزيع

النجف الاشرف/ شارع الرسول (ﷺ)

بسم الله الرحمن الرحيم

خطاب المرحلة
(٧٢٦)

البيان الختامي[١] للزيارة الاربعينية عام ١٤٤٥هـ

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (ما ضعف بدن عما قويت عليه النية)[٢] أي إن الإنسان يمتلك طاقة وقدرة فائقة لإنجاز أعمال كبيرة إذا كان صادقاً في عزمه مخلصاً في نيته محبّاً لما يريد أن يعمله، وإذا فشل في إنجاز عمل فليس الخلل في قدراته التي أودعها الله تعالى في بدنه وإنما في خموله وكسله وضعف همته وعدم صدق نيّته.

لقد كانت الأعمال الكبيرة المتنوعة التي قام بها المؤمنون الموالون لأهل البيت (عليهم السلام) من مختلف دول العالم خلال الزيارة الأربعينية شاهداً واضحاً على صدق هذا الحديث، لأنهم أشربوا عشق الإمام الحسين (عليه السلام) وذابوا في مودة أهل البيت (عليهم السلام)، فهل يستطيع غير العاشق أن يسير مشياً على الأقدام مئات الكيلومترات تحت لهيب الشمس الحارقة وقد تجاوزت الحرارة نصف درجة الغليان؟ وهل يستطيع غير الواله أن يتنازل عن أنانيته وحب ذاته فيتواضع ويقوم

(١) القاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بمناسبة ختام مراسم الزيارة الأربعينية لسنة ١٤٤٥هـ- التي تصادف ٢٠٢٣/٩/٦م.

(٢) من لا يحضره الفقيه- الشيخ الصدوق: ٤/ ٤٠٠/ ح٥٨٥٩.

بأعمال يستنكف عن فعلها في غير هذه المناسبة العظيمة فتراه يغسل أرجل الزائرين ويصلح أحذيتهم، ويقف في الشمس ليكون ظلاً لزائر يريد أن يرتاح ويفترش الأرض في أمكنة غير مناسبة؟ وهل نتوقع حافزاً غير الحب والتقرب من المحبوب يدفعه نحو بذل كل ما لديه من مال في ضيافة الزائرين مجنّداً عائلته حتى الأطفال الصغار في خدمة الزوار؟ والإمام الحسين (عليه السلام) جدير بكل ذلك لأنه فني في حب الله تعالى وتجرّد عما سواه وبذل كل ما عنده فيه تبارك وتعالى.

وقد أضافت المؤمنات اللواتي سرن على نهج السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) والطاهرة خديجة الكبرى والعقيلة زينب بنت علي (عليهما السلام) رونقاً من الهيبة والجلال والبهاء على هذه المسيرة المباركة بعفافهن وحجابهن، وجسَّدن الفضيلة والطهر والنجابة والكمال بسمو سلوكهن، وأظهرن جلل المصاب وفداحة الخطب بلوعتهن وصرختهن، وحضورهن الفاعل الكثيف في المجالس والمواكب والشعائر.

كما كان للمبلّغات الرساليات الدور الكبير في تحقيق الأهداف المرجوّة من القيام الحسيني وإحياء الشعائر الإلهية العظيمة، بنشر الوعي والبصيرة وتعليم الأحكام الشرعية والتحذير من مكائد الأعداء وفخوخ شياطين الجن والإنس، من خلال حضورهنَّ المستمر في مواكب الوعي والإصلاح على طول الطرق المؤدية الى كربلاء عدة أيام.

وقام بنفس الدور الإخوة فضلاء الحوزة العلمية الذين غذّوا الأمة بالعقيدة السليمة والفكر الصحيح في مواكب الوعي والإصلاح والتبليغ.

فأسال الله تعالى أن يتفضل على كل مَن قصد أبا عبد الله الحسين (عليه السلام) بالزيارة من شرق الأرض وغربها، وكل من شارك في هذه الزيارة بالمشي أو استضافة الزوار أو التوعية والإرشاد أو تقديم الخدمات الأمنية والطبية والنقل وسائر الأمور الضرورية لإنجاح المسيرة، بالقبول وحسن الجزاء، وأن يسرّهم يوم يلقونه بما أدخلوا من السرور على قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء (صلوات الله عليهم أجمعين)، وأن يشملهم بدعاء الإمام الصادق (عليه السلام) الذي كان يناجي به ربه وهو ساجد بعد الصلاة: (يا من خصنا بالكرامة، ووعدنا الشفاعة وحملنا الرسالة، وجعلنا ورثة الأنبياء، وختم بنا الأمم السالفة وخصنا بالوصية وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي الحسين بن علي صلوات الله عليهما الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم، رغبة في برّنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك محمد صلى الله عليه وآله، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضوانك. فكافهم عنا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلّفوا بأحسن الخلف، واصحبهم واكفهم شرّ كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك أو

شديد، وشرّ شياطين الإنس والجن وأعطهم أفضل ما أمّلوا منك في غربتهم عن أوطانهم وما آثرونا على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم.

اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص إلينا خلافاً عليهم، فارحم تلك الوجوه التي غيّرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلّب على قبر أبي عبد الله عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى ترويهم من الحوض يوم العطش)[1].

ومن خلال ذلك كله وغيره مما لا يمكن إحصاؤه صدع ملايين الزوار بهويتهم التي لا يتنازلون عنها، ويقفون في وجه من تسوّل له نفسه المساس بها، فكان هذا الحضور المليوني ردّهم الحازم والفاعل على ما يسعى إليه الأعداء من تخريب فكري وأخلاقي ومسخٍ للهوية الدينية والاجتماعية والوطنية التي تجمع كل أطياف الأمة، والحمد لله الذي جعل أعداءنا من الحمقى الذين كلما ازدادوا كيداً لديننا وأخلاقنا زادونا تمسكاً بهما وثباتاً عليهما حتى يتحقق وعد الله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢).

(١) ثواب الأعمال - الشيخ الصدوق: ٩٥.

فالأعداء بخططهم هذه يجنون على أنفسهم ويحفرون قبورهم بأيديهم، فيكون حتفهم فيما أعدّوا ودبّروا، مصداقاً لقول الإمام علي (عليه السلام): (تذِلّ الأمور للمقادير، حتى يكون الحتف في التدبير)[1] أي أن الله تعالى إذا قدّر شيئاً هيّأ أسبابه حتى يكون تحقيقه بنفس التدابير التي اتخذها الشخص لمنع وقوع القدر عليه فإن المقادير بيد الله تعالى و﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس:٨٢) فيكتب نصره لعباده المؤمنين بنفس خطط الأعداء التي ظنّوا أنهم سيقضون بها على دين الله تعالى، ويسلخون المؤمنين من أخلاقهم ودينهم ويفقدونهم ثقتهم بأنفسهم.

خذوا مثالاً على ذلك ما فعله اللعين يزيد فإنه توهم إذلال حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بسوقهن أسارى بين البلدان وإيقافهن في الاجتماعات العامة في عواصم السلطة الظالمة وتقريعهن بالكلمات القاسية والتشفي منهن، لكن الإمام السجاد (عليه السلام) والعقيلة زينب (عليها السلام) وبقية الفاطميات حولوا هذه المجالس إلى منصات إعلامية واسعة كشفت زيف السلطة الحاكمة وظلمها وخروجها عن مبادئ الإسلام، وعرّفت الناس المغفلين حقيقة البيت النبوي والمقام السامي الذي رفعهم الله تعالى إليه وانتشرت هذه الكلمات في البلدان وأقضّت مضاجع الطغاة وزلزلت عروشهم.

---

(١) نهج البلاغة: ج١/ ص٧٧١.

أيها الأحبة:

إن هذه المنح الإلهية التي منَّ الله تعالى بها علينا ببركة الإمام الحسين (عليه السلام) مما ذكرته الأحاديث الشريفة التي لا يمكن استقصاؤها: لا بد من إدامتها والثبات عليها واتخاذها زاداً ينير لنا الدرب طول حياتنا بإذن الله تعالى، وأن نجعل الإمام الحسين (عليه السلام) نصب أعيننا في كل حياتنا فلا نفعل إلا ما يرضي الله تعالى ويرضيه (رضا الله رضانا أهل البيت)[1] ونتجنب كل ما يبغض الله تعالى والإمام الحسين (عليه السلام) حتى ندخل اليأس إلى قلوب أعدائنا الذين يراهنون على أن تكون هذه المسيرة فورة عاطفية ينتهي تأثيرها بانتهاء الزيارة فعلينا أن لا نكون ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ (النحل:٩٢) والحمد لله بجميع محامده كلها على جميع نعمه كلها.

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤/ ص٣٦٧.

خطاب المرحلة
(٧٢٧)

تيه الامة بسبب عصيانها القيادة الربانية

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (المائدة:٢٦).

تتحدث الآية الكريمة عن التيه الذي قضى الله تعالى به على بني إسرائيل أربعين سنة بسبب عصيانهم لأوامر نبيهم (عليه السلام) بالدخول إلى الأرض المقدسة قال الله تبارك وتعالى ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

وفيها عدة دروس منها:

١- كشف حقيقة بني إسرائيل وتديّنهم المزيّف وتآمرهم على الدعوات الإلهية.

٢- تحذير الأمة من الوقوع في أخطاء الأمم السابقة، وتحمل نتائجها الكارثية.

٣- إطلاع قادة المسلمين على التجارب السابقة والاستفادة منها في تحديد المواقف الحاسمة.

٤- تسلية أئمة الإسلام بسرد هذه المصائب والبلاءات، ليروا أن ما يتعرضون له ليس بدعاً من البلاء فقد تعرض له القادة الربانيون من قبل.

ولبيان أجواء القضية وملخص الواقعة نقول: إن بني إسرائيل لما نجّاهم الله تعالى من فرعون وجنوده وعبروا سالمين إلى الجهة الأخرى وغرق فرعون وجنوده، وإذا بهم يطالبون النبي موسى (عليه السلام) بأصنام ليعبدوها ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف:١٣٨) ثم وقعوا في فتنة عبادة العجل الذي صنعه السامري وعالجها موسى (عليه السلام) وتاب الله تعالى على قومه، ثم أغدق عليهم النعم وآتاهم ما سألوه بعدما شكوا الجوع والعطش والحر ففجّر موسى (عليه السلام) من الأرض عيون ماء وأنزل الله تعالى لهم من السماء حلوى ولحم طير وظللهم بالغمام ليقيهم حر الشمس، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف:١٦٠).

ثم ذكّرهم الله بالنعم الكثيرة التي أنعمها عليهم ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة:٢٠) من بعثة موسى (عليه السلام) إليهم وإنزال التوراة ونجاتهم من بطش فرعون وغيرها، وكذا بما اختصهم من النبوة والملك أي ما جمع لهم من الهداية إلى

التوحيد، وجعلهم ملوكاً وهو إن كان خطاباً للجميع فهو يعني استقلالهم بعد التخلص من استعباد الفراعنة حتى ملكوا أمورهم وصارت لهم الزعامة الدينية التي تتضمن القيادة الاجتماعية ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٥٤) وإن صح قصد البعض من خطاب الجميع فإن من بني إسرائيل من آلت اليه السلطة ايضاً مثل يوسف وسليمان (صلوات الله عليهم اجمعين).

وروى في الدر المنثور في تفسير جعلهم ملوكا عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): كانت بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وامرأة كتب ملكاً).

أقول: هذا المعنى داخل فيما ذكرناه لأن من ملك هذه استقل بنفسه، وأُشكل عليه بان هذه النعمة لا تختص ببني إسرائيل فما وجه الامتنان عليهم؟ وأجاب بعضهم بان بني إسرائيل اول من اتخذ الخدم، وهو مخالف للوقائع التاريخية، ويمكن الإجابة بان وجه الامتنان بلحاظ حالتهم السابقة حيث كانوا عبيداً مستخدمين أذلاء عند الفراعنة، ويؤيد ذلك ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: (من أصبح آمنا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)[1].

وقد ذكّرهم تعالى بهذه النعم التي ذكرناها آنفاً وهي متضمنه معجزات وآيات باهرات لم تتحقق لأي من الأمم السابقة ليحثَّهم على

(١) الأمالي – الشيخ الطوسي: ٤٢٨، مجمع البيان: ١٨١/٣.

طاعة أوامر الله تعالى ونبيهم العظيم ويحبّبها إليهم، مضافاً الى ابتداء خطابه بـ(ياقوم) ليذكّرهم بانه منهم وانه يريد الخير لهم، وهذا درس يستفيد منه الوعاظ والمبلغون بإثارة الارتباط الروحي بالله تعالى قبل أن يدعوهم إلى الطاعة.

وبعد هذا كله أمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة وهي ارض الميعاد التي وعدوا بإقامة دولة الحق فيها ويكونون فيها ملوكاً ويبعث فيهم الأنبياء، ليثبتوهم على طريق الهدى والاستقامة، والمقصود بها القدس وما حولها وهو ما ورد في بعض الروايات[1] بقرينه قوله تعالى ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ (الإسراء:١) وقوله تعالى ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ (الأعراف:١٣٧).

إذ ان البركة تعني الخير الكثير، واعظم مصاديقه إقامة الدين فيها وتخليصها من رجس الكفر والشرك التي توجهوا إليها بعد خروجهم من مصر ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة:٢١)، وتتضمن دعوتُه (عليه السلام) وعدا صادقاً ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ بانها ستكون لهم ليحفزّهم ويطمئنهم، ويدلُّ التحذير في نهاية الآية على أنه (عليه السلام) كان يتوقع منهم العصيان

(١) في (بحار الانوار: ١٧٨/١٣) (فانطلقوا يؤمّون الأرض المقدسة وهي فلسطين، وإنما قدسّها لأن يعقوب (عليه السلام) ولد بها، وكانت مسكن أبيه إسحاق ويوسف (عليهما السلام)).

والتمرد والنكوص على الاعقاب والخمول وإدارة ظهورهم لنبيهم الكريم (عليه السلام)، فهم هم الذين رافقوه من مصر وجرّعوه الغصص والآلام ووقعوا في الفتن العظمى التي أشرنا إلى بعضها.

وقد صدق ظنه (عليه السلام) عليهم إذ كان جوابهم بعد كل تلك النعم والمكانة والتفضيل أن أعلنوا تمردهم على أمر نبيهم (عليه السلام) معتذرين بوجود قوم اولي ضخامة بدنية وشدة وبأس، وهم طغاة[1] يجبرون الناس على طاعتهم، واشترطوا لتنفيذ الأمر خروج أولئك من الأرض المقدسة وهم يعلمون إن الجبارين لا يخرجون ولا يتخلون عن سلطتهم من تلقاء أنفسهم ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (المائدة:٢٢).

ولم يطع الأمر إلا قلة قليلة ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة:٢٣).

فهما من الذين يخافون الله تعالى، والخوف من الله تعالى هو المحرك الرئيسي لكل عمل صالح وقد يكون عندهما خوف من الجبارين المتسلطين في الأرض المقدسة إلا إن خوفهما من الله تعالى

(١) في (تفسير النور: ٢٥٢/٢) عن موسوعة فريد وجدي ((الجبارون هم قوم العمالقة من الساميين عاشوا في شمال شبه الجزيرة العربية بالقرب من صحراء سيناء، هاجموا مصر واستولوا عليها لفترات طويلة، ودام حكمهم هناك ما يقرب من خمسة قرون)).

كان أعظم وهو الغالب عليهما، فأذهب الله تعالى عنهم ذلك الخوف، إذ أنعم الله تعالى عليهما بالإخلاص له فجعلهم من أوليائه ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس:٦٢) فهم داخلون في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء:٦٩).

وذكرت الروايات أن أحدهما يوشع بن نون وصي موسى (عليه السلام) وآخر وهما من أبناء عمومته[١] وكانا من نقباء بني إسرائيل الأثني عشر، وقالا إن الغلبة ستتحقق لكم بمجرد اقتحامكم لأول مدينة من مدن الجبابرة وهي أريحا على ما قيل[٢] تصديقاً لقول امير المؤمنين (عليه السلام) (وما غزي قوم في عقر دارهم الا ذلّوا)[٣]، وقطعاً بالوعد لأنهما تلقياه من موسى (عليه السلام)، ولأن الله تعالى كافٍ من يتوكل عليه، فأمرا قومهما بالتوكل على الله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق:٣).

وفي الآية درس عظيم وهو انه إذا عرض عليك أمر فيه رضا الله تعالى وكان محفوفاً بصعوبات فلا تتهيّبه ولا تتردد وأقدم عليه وحينئذ سييّسره الله تعالى ويجعله هيناً وهو قول امير المؤمنين (عليه السلام) (إذا هبت

(١) تفسير العياشي: ٣٠٣/١ /٦٨ ، البرهان :٢١١/٣.

(٢) الدر المنثور: ٤٨/٣ ط. دار الفكر.

(٣) نهج السعادة: ٢/ ٥٢٧، ميزان الحكمة: ١/ ٥٦٢.

امراً فقع فيه)[١] فان التردد والخوف يؤدي الى الفشل وضياع فرص التوفيق، قال (عليه السلام) (قرنت الهيبة بالخيبة)[٢]، لذا حثت الأحاديث الشريفة على الإسراع الى عمل الخير لان التواني يؤدي الى ضعف العزيمة وترك العمل، قال الامام الباقر (عليه السلام) (من همَّ بشيء من الخير فليعجله فان كل شيء فيه تأخير فان للشيطان فيه نظرة)[٣].

ورغم هذه الفرصة العظيمة للنصر التي لا تتطلب أزيد من عقد العزم وإخلاص النية، والإقدام على العمل من دون تقاعس، ومباغتة الخصم، وحينها يُنزِل الله تعالى عليهم نصره وتأييده وسكينته، إلا أنهم أصرّوا على التمرد والعناد، وإدخال اليأس من استجابتهم على قلب موسى (عليه السلام) حتى يتوقف عن دعوتهم إلى الطاعة ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة:٢٤) و﴿لَنْ﴾ تفيد التأييد مع المجيء بلفظ ﴿أَبَدًا﴾ للتأكيد.

قولهم ﴿وَرَبُّكَ﴾ فكأن الله تعالى هو رب موسى دونهم فالقضية لا تعنيهم، وانهم لا يريدون ربّاً يكلّفهم بمواجهة الأعداء وتحمّل المصاعب، فهم يريدون أن تتحقق النتائج من دون عمل يقدّمونه وإنما

(١) نهج البلاغة: ج٤/ ص٤٢/ ح١٧٥.

(٢) نهج البلاغة: ج٤/ ص٦/ ح٢١.

(٣) وسائل الشيعة: ١١٣/١، أبواب مقدمة العبادات، باب٢٧/ ح١٠.

يكفيهم الله ورسوله وهم قاعدون، وقد تملكتهم صفة الجبن والاستسلام والضعف نتيجة لطول استعبادهم من فرعون، وهذه نظرية اجتماعية ينبغي الالتفات اليها، لذا استنهضهم موسى (عليه السلام) وعمل على إعادة الثقة لأنفسهم بتذكيرهم بنعم الله تعالى الكثيرة والعظيمة وما تحقق لهم من أسباب القوة.

وحينئذ شعر النبي موسى (عليه السلام) بالإحباط والياس المؤلم القاسي من صلاح هذه الجماعة رغم كثرة ما أغدق الله تعالى عليهم من النعم وأراهم من المعجزات وأظهر (عليه السلام) استسلامه لله تعالى وايمانه الراسخ بصدق وعده، وناداه بصفة الربوبية، لان الله تعالى ربّاه ورعاه وصنعه من أول أمره ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة:٢٥) فإنه ليس له سلطة عليهم ولا يستطيع إجبارهم وإكراههم على الطاعة والهداية والصلاح، وان كان يوجد صالحون في قومه كالرجلين الا انه لا يملك منهم مثلما يملك من اخيه هارون النبي فإنه طيّع له ومسلِّم لأمره ولديهما من التأييد الإلهي ما ليس لغيرهما، فان ملك النفس والتسلط عليها بتمام السلطنة لا تكون الا للمخلصين من عباد الله تعالى الذين استخلصهم الله تعالى لنفسه ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر٣٩-٤٠) ويمكن ان يكون معناها اني لا املك الا نفسي واخي كذلك لا يملك الا نفسه،

ومؤداهما واحد فان من تمام ملك هارون نفسه تسليمه لأخيه موسى (عليه السلام).

ومن أدبه (عليه السلام) مع ربّه فإنه أوكل أمر تحقيق الوعد الإلهي بالتمكين في الأرض ووراثتها إلى الله تعالى، ولم يطلب من ربه عقوبة معينة على قومه ولا اتخذ قراراً محدداً، كيف وقد كرّس حياته لصلاحهم وانقاذهم، وإنما أوكل أمر الفصل بينه وبين قومه العاصين المتمردين إلى ربِّه، فانه اشفق عليه واولى بتدبير شؤونهم، وإنما وصفهم بالفاسقين واستحقاقهم المباينة مع عباد الله الصالحين لتكرّر عصيانهم مرات عديدة، فأنهم بعد أن رأوا معجزة فلق البحر وإغراق فرعون وجيشه ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف:١٣٨) حتى عبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري، وبلغت بهم الوقاحة حداً عظيماً ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة:٥٥) وفي كل مرة يتوب الله تعالى عليهم ويفيض عليهم نعماً خاصة لكم ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة:٥٦) ويعودون هم إلى عصيانهم وتمرّدهم.

وهنا شاءت الإرادة الإلهية نوعاً من التربية والإصلاح لبني إسرائيل فيه مشقة ضرورية لهم فهو رحمة وان كان ظاهرة العذاب، وذلك بأن

يقعوا في التيه والحيرة التي اختاروها لأنفسهم أربعين سنة، ومن المعلوم تأثير عدد الأربعين في موجبات التكامل، وقد استحقوا هذه القسوة بتمردهم على قيادتهم الربانية المعصومة يتيهون في الأرض ليس لهم حياة مستقرة ولا مستقبل مضمون، ولا يستطيعون دخول الأرض المقدسة ولا الرجوع إلى بلدهم الأصلي مصر، وكان معهم موسى وهارون (عليهما السلام) والوصي يوشع ألا انهم لم يُمنَعوا من دخول الأرض المقدسة فكانوا يزورونها، وتوفي موسى (عليه السلام) خلال هذه الفترة[1] وأخوه قبله، ونشأت أجيال جديدة من بني إسرائيل من رحم المعاناة والايمان، تحلَّوا بالعزة والثبات والشجاعة فقدَّر الله تعالى لهم الخروج من التيه بقيادة الوصي يوشع بعد انتهاء مدة التيه[2] ودخلوا الأرض المقدسة مع طالوت ببركة فئة قليلة ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ (البقرة:٢٥٠-٢٥١) وتحقق قوله تعالى ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة:٢١) لكن ليس للمخاطبين المباشرون لعصيانهم، إذ إن الوقت غير معين فيها ولا الأشخاص لأن الخطاب موجه إلى الأمة جميعاً، فصدق الوعد الإلهي في أبناء المخاطبين.

(١) سفينة البحار: ١/ ٤٨٣.

(٢) الدر المنثور: ٣/ ٥٢.

وقد وعدهم الله تعالى بوراثة الأرض والتمكين فيها إذا صبروا على الطاعة والاستقامة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ (الأعراف:١٣٧).

يسرد القرآن الكريم هذه القصة على المسلمين في أوائل تشكيل الدولة الإسلامية بعد الهجرة والظاهر إن نزولها قبل معركة بدر بقرينة ذكر المقداد لها في كلمته الآتية ليعلّمهم أن أساس الإيمان الطاعة، وليحذرهم مغبّة عصيان القائد الرباني العظيم ويحذرهم من الثمن الباهظ الذي يدفعونه، لكنهم لم يستوعبوا هذا الدرس ولا غيره مما حكاه القرآن الكريم وأعادوا نفس أخطاء بني إسرائيل، وقد أخبرهم النبي (صلى الله عليه وآله) باقتصاصهم آثار بني إسرائيل، فقد روى الامام الباقر (عليه السلام) عنه (صلى الله عليه وآله) قوله: (والذي نفسي بيده لتركبُنّ سنن من كان قبلكم، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لا تخطئون طريقهم ولا تخطئكم سنة بني إسرائيل)[1].

فوقعت الأمة في حيرة وتيه بسبب انقلابها على أعقابها بعد رحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٤).

(١) تفسير العياشي: ١/ ٣٠٣/ ٦٨، البرهان: ٢١١/٣، بحار الأنوار: ٢٨/ ٨.

حيث نكثت بيعة الغدير وخلّفت عترته وراء ظهورهم، وازاحوهم عن مقامهم السامي الذي رفعهم الله تعالى، فأضاعوا القرآن بتضييعهم للعترة لأنهما صنوان لا يفترقان بنص حديث الثقلين المشهور.

وقد عبّر أمير المؤمنين (عليه السلام) عن هذا الضياع والتيه الذي وقعت فيه الأمة بقوله (عليه السلام): (أيها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق، ولم تهنوا عن توهين الباطل. لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، ولم يقو من قوي عليكم. لكنكم تهتم متاه بني إسرائيل. ولعمري ليضعفن لكم التيه من بعدي أضعافا بما خلفتم الحق وراء ظهوركم، وقطعتم الأدنى ووصلتم الأبعد)[1] وهكذا ضاعت الأمة في تيه طويل لا زالت تتخبّط فيه.

روى العياشي في تفسيره عن الامام الباقر (عليه السلام) قال: (ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما قُبض لم يكن على امر الله الا علي والحسن والحسين وسلمان والمقداد وأبو ذر فمكثوا حتى قام علي (عليه السلام) فقاتل من خالفه)[2].

أقول: هؤلاء أكمل من ثبت على الامر ولا ينفي وجود الصلحاء الاخرين كعمار وذي الشهادتين وابن التيهان وابي أيوب ونظرائهم.

(١) نهج البلاغة: ٧٩/٢، نور الثقلين: ٦٠٩/١.

(٢) تفسير العياشي: ١/ ٦٨/٣٠٣.

وقد ثبت على الحق في المفاصل الحاسمة عبر التاريخ ثلة من الأفذاذ، كالمقداد الذي خاطب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن تخاذل فلان وفلان عن مواجهة قريش، حينما أفلتت قافلتهم ووجد المسلمون أنفسهم في قبال جيش أكثر عدداً وأقوى تسليحاً فقال: (لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبّادها إلى برك الغماد لاتبعناك)[1] فسُرَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأشرق وجهه ثم تبعه الأنصار بمثل هذه الكلمات.

إن إنقاذ الناس من التيه والحيرة المؤديين إلى الضلال والانحراف الذي أوقعت الأمة نفسها فيه لمخالفتها لوصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أمير المؤمنين (عليه السلام) وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين)، كان هو الدافع لقيام الإمام الحسين (عليه السلام) بحركته المباركة، فقد ورد في زيارة الامام الحسين (عليه السلام) يوم الأربعين (وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة)[2] وهكذا على طول الزمان يكلّفنا عصيان العاصين وتمرد الفاسقين وخبث الماكرين من طلاب الدنيا هذه التكاليف الباهظة، ولا تنتبه الأمة من غفلتها إلا بعد فوات الأوان، ولا

(١) الدر المنثور: ٣/ ٢٧١.

(٢) مفاتيح الجنان: ٥٤٣.

يوَّفق إلا قلة ممن أكرمهم الله تعالى بالوعي والبصيرة فيتخذون الموقف اللائق بهم كأصحاب الإمام الحسين(عليه السلام).

فالنداء الذي أطلقه الامام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء (هل من ناصر ينصرنا)[1] ليس مختصاً بالقوم الموجودين على ارض المعركة بل هو موجَّه الى كل الأجيال حتى قيام يوم الساعة يدعوهم (عليه السلام) لنصرته على تحقيق الأهداف التي خرج من اجلها، فالحرب مستمرة وان تنوعت أساليب المواجهة وادواتها.

نسأل الله تعالى الثبات على الحق وأن نكون على بصيرة من أمرنا.

(١) شجرة طوبى- الشيخ الحائري: ٢/ ٣٣٨.

خطاب المرحلة
(٧٢٨)

المواجهة مستمرة لحروب أعداء الإسلام[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة:٢١٧).

﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ إن أعداء الإسلام - بتشكيلاتهم المختلفة فكرياً وعقائدياً - مستمرون بشنّ الحروب عليكم بلا هوادة، وإن تظاهروا بالسلام أحياناً وبالصداقة أخرى أو بالتحالفات السياسية والأمنية والاقتصادية وغير ذلك، فلا تغفلوا واحذروا أن يخدعوكم أو يستدرجوكم.

﴿حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ هذا هو جوهر الصراع مع أعداء الإسلام، وسرّ استمرارهم الدائب على شنّ الحروب عليكم في كل زمان ومكان، إنهم يريدون انتزاع الدين منكم، لأنه يغيظهم ويثير حسدهم ويكشف انحطاطهم، ويرعبهم ويفشل مشاريعهم، فلا يستقر لهم قرار حتى يحرموكم من هذه الجوهرة الثمينة التي هي اعظم نعم الله تعالى على الناس، وإعادتكم إلى حياة الجاهلية المنافية للمبادئ السامية

(١) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في المؤتمر السنوي الثالث لأئمة المساجد في محافظات العراق الذي عقد تزامناً مع ذكرى المولد النبوي الشريف يوم الخميس ١٩/ربيع الأول/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٣/١٠/٥م.

والفطرة الإنسانية النظيفة، وهذه هي الفتنة الكبرى التي تزيد على قتل النفس، وقد أشارت إليها الآية الكريمة في جزئها السابق ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ لأن فيها إزهاقاً للحياة الباقية الخالدة، وحرماناً من جنات النعيم، وهي شاملة لكل فتنة تبعد عن الدين سواء كانت فكرية أو أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية حتى لو غُلِفت بغطاء ديني لخداع الناس.

وهذه الحقيقة نبّه عليها القرآن الكريم في مواضيع عديدة كقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة:١٢٠) وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ (البقرة:١٠٩) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (آل عمران:١٠٠) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران:١٤٩) وقوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (النساء:٨٩).

وهم مهما غلّفوا خططهم بعناوين مغرية كالحرية والتقدم والديمقراطية وحقوق الإنسان، وتمكين المرأة ورعاية الطفل ومكافحة العنف الأسري وغير ذلك، بل حتى لو أعلنوا إن حربهم اقتصادية أو سياسية أو ثقافية أو استعمارية أو لضرورة الأمن القومي ومكافحة الإرهاب أو تحرير الأراضي او البحث عن أسلحة الدمار الشامل أو

إزالة الأنظمة الاستبدادية، وغير ذلك، فإن هدفهم واحد وهو إطفاء نور الإيمان في قلوبكم والاستقامة في سلوككم وتحويل الناس إلى قطيع من البهائم همّها شهواتها ليسوقوهم بلا وعي ولا بصيرة إلى ما يريد هؤلاء الشياطين وهو ما أوصلوا إليه الشعوب الغربية.

وفي الآية دلالة واضحة على أنهم هم من يبدؤون الحرب ويريدون استمرارها، وليس الإسلام دين حرب وإكراه كما يتقولون لتشويه صوره الإسلام، لأن همّ الإسلام هو تحرير الإنسان وفكّ قيود الجاهلية التي تكبِّل عقله وتقسي قلبه وتلوث فطرته ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف:١٥٧).

وحروبهم لا تقتصر على العسكرية وإرسال الجيوش وآلات القتال، وإنما يشنّون عليكم حروباً أخطر وأخفى وأعقد وهي الحرب الناعمة بأشكالها العديدة التي أشرنا إليها في قبس سابق[1]، فبالخمر والنساء والحفلات الماجنة وإلقاء الخلافات والمنازعات بين الحكام قضوا على وجود الإسلام في بلاد الأندلس الذي أستمر ثمانمائة عام، ومن أساليبهم الناعمة غسيل الدماغ والتخريب الثقافي والأخلاقي وتحريف الدين وتحويله إلى طقوس شكليه لا أثر لها في سلوك المجتمع وتسويق صورة جديدة له تلائم رؤيتهم والترويج لها ودعم مؤيديها،

(١) راجع قبس قوله تعالى ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ (المائدة:٦٤)، في تفسير من نور القرآن.

كمشروع الدين الابراهيمي مثلاً، أو الإسلام على طريقة الفاتيكان، لأن خصمهم الذي يخشونه هو الإسلام المحمدي الأصيل الذي تقوم حياة الناس على أساسه ويزيد في وعيهم وبصيرتهم لا دين الجهل والخرافات والدجل.

وقد طوروا أدواتهم وأساليبهم اليوم بشكل مذهل وخطير ومؤثر وأوصلوا مكرهم وشيطنتهم إلى كل دار وأصبحت أجهزتهم الفتّاكة وبرامجهم السامة في متناول الطفل الصغير قبل الشخص الكبير.

﴿إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة:٢١٧) تحذير للمسلمين لغلق أي فرصة تمكنّهم من تحقيق أغراضهم، وبنفس الوقت فانه تعبير لا يخلو من تحدٍّ للأعداء وتعجيز لهم عن بلوغ مرامهم، كقول الحمزة لأبي جهل بعد أن صفعه (ردَّها علي إن استطعت)[1] وإنهم مهما شنوا من حروب ظالمة فإنهم لا يستطيعون إطفاء نور الحق، وزعزعة المؤمنين الذين ذاقوا حلاوة الإيمان وأشربوا حب الله تعالى في قلبوهم ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود:٤٩) ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة:٣٢).

ثم بيّنت الآية الكريمة في جزئها اللاحق عاقبة من تغريه الدنيا ويخضع للشهوات ويبتعد عن دينه فإنه يخسر دنياه لأنه سيُنبذ من المجتمع ويحرم من الحقوق والامتيازات المادية والمعنوية التي يتمتع

(١) بحار الأنوار: ٧/ ٢٨٦.

بها المؤمنون، ويخسر آخرته أكيداً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:٢١٧) فلينتبه إلى هذه الآية الكريمة الذين تغريهم الحياة في الغرب فيذوبوا في انحطاطهم، أو من تفتنهم الأموال والمناصب والشهرة فيتخلوَنّ عن دينهم، وغيرهم كثير ممن يتّبعون شهواتهم ويزيّن لهم الشيطان قبيح الأفعال.

وتذكر الآية التالية الفئة المقابلة وهم المؤمنون الصالحون الثابتون على الإيمان والاستقامة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة:٢١٨).

فأشحذوا هممكم أيها الأحبّة، وأنهضوا بحركة دؤوبة تقاوم حركة الأعداء وتتغلب عليها لنصرة الإسلام وإنقاذ أهلكم من مخالب الشياطين التي غرزوها في عقولهم ونفوسهم، ولا يشغلكم شيء عن هذه المنازلة الكبرى وأنتم تشغلون مواقع القيادة في الأمة، وتجعلون من المساجد التي هي بيوت الله تعالى منطلقاً لحركتكم ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ (النور:٣٦)، كما نهض العلماء الواعون المخلصون بعد أن أدركوا حيل الشياطين ووعوا أهدافهم في إبعاد الناس عن دينهم وقادتهم الحقيقيين، وفي ذلك نظم المرحوم السيد صدر الدين الصدر (قدس سره) بيتين شطرهما عدد من الأعلام ومنهم الشيخ جعفر نقدي (رحمه الله تعالى):

(فوّقت الأعـداءُ سـهم حقـدهِا) على الهدى والحقدُ في القوم مرض

وبالجديـــد ســـترت أغراضّـــها (وقلبُ دين المصطفى هو الغرض)

(فيا حمـاةَ الـدين حولـوا بينـه) وبـين مَـن بغيـاً عليـه قـد نهـض

وأبلغوهـــا يـــا حمـــاة حينَهـــا (وبينهـا قبـل بلوغهـا الغـرض)[1]

(١) السيد صدر الدين الصدر، حياته وسيرته بقلم الشهيد السعيد السـيد محمـد الصـدر (قدس سره) وهو عمّ أبيه، ص١٠٤، والسيد صدر الدين الصدر أحد كبار مراجع الـدين فـي قـم المقدسـة، توفي عام ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م.

خطاب المرحلة
(٧٢٩)

لا مكان للتفاهة في حياة الإنسان[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون:١١٥).

آية جليلة القدر عظيمة البركات، روى في الدر المنثور ان عبد الله بن مسعود قرأها في إذن مصاب مع الآيات الثلاثة التالية حتى نهاية السورة فبرأ لأنه سمع من رسول الله (ﷺ) قوله: (والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال).

وفيه أيضاً عن أحد أصحاب النبي (ﷺ) قال: (بعثنا رسول الله (ﷺ) في سرية وأمرنا أن نقول إذا نحن امسينا وأصبحنا ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ فقرأناها فغنمنا وسلمنا)[٢].

يظنّ كثير من البشر أنه لا توجد حياة أخرى بعد الموت ولا بعث ولا نشور ولا حساب ولا جنة ولا نار، وهو وهم باطل يريد به هؤلاء أن يخدعوا أنفسهم، حتى يطلقوا العنان لشهواتهم وأهوائهم ليفعلوا ما يشاؤون ما داموا لا يتعرضون للحساب.

---

(١) ألقي هذا القبس القرآني على طلبة البحث الخارج ضمن درس التفسير الأسبوعي يوم الأربعاء ٢٥/ربيع الأول/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٣/١٠/١١م.

(٢) الدر المنثور: ١٢٢/٥، ط. دار الفكر.

فالآية الكريمة توجِّه لهم استفهاماً استنكارياً فيه توبيخ على هذا الاعتقاد ممزوجاً بالحسرة والأسف، وهكذا في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة:٣٦)، فإن ظنَّكم بعدم وجود يوم القيامة الذي ترجعون فيه إلى خالقكم ليحاسبكم على أعمالكم، يلزم منه أنَّ خلقكم وايجادكم في الدنيا عبث وليس وراءه هدف صحيح، ولا يثاب المحسن على إحسانه ولا يعاقب المسيء على إساءته ولا ينتصف المظلوم من الظالم، وفي كل هذا ظلم لله سبحانه وتعالى ووصفه بغير الحكمة والعدالة والقدرة، لذا جاءت الآية التالية حاسمة في التنزيه ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون:١١٦).

فهذا الظن وهم باطل لا يليق بالخالق الحكيم الرحيم ولا يستند إلى دليل، بل هو على خلاف الحق والبرهان الساطع الذي يذعن له العقل السليم، فإن الله تعالى لم يخلقكم عبثاً من دون غرض صحيح، وهذه الغاية هي التي تجعل للحياة معنى وقيمة ولولا وجود يومٍ يكافئ به المحسنون ويعاقب فيه المسيئون لما كان أي حافز لفعل الخير ولا رادع عن فعل الشر، وهذا أحد الأدلة على وقوع المعاد والحساب، وهو دليل نفي العبثية في الخلق، فالبعث وما يليه من الحساب والجزاء هو الحلقة الأخيرة في النشأة لتبلغ به كمالها وتمامها، ولا يغفل عن هذه الحقيقة المتجلية في صفات الكون إلا من عَمِي قلبه عن رؤية الحق.

وهكذا تكشف الآية عن أنَّ كثيراً مما يظنه الأنسان ويعتقد بـه هـو وهم باطل، لأنه لم يأخذه من المعين الصافي.

فعلى الإنسان أن يستشعر مسؤوليته عن وجوده في هذه الدنيا، وأن يستعد للحساب عند رجوعه إلى الله تعالى يوم القيامـة ومـن يستسـلم للغفلة سيفاجأ بما يجد في كتاب أعماله ﴿وَبَدَا لَهُـمْ مِـنَ اللَّـهِ مَـا لَـمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (الزمر:٤٧) فإنه مخلوق للآخرة وهي الحيـاة الباقيـة ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت:٦٤) والدنيا دار ممر لهـا، يتزود منها الإنسان بما يضمن له السعادة والفوز في الآخرة، وليست هي هدفاً بنفسها حتى تكون كل همَّه، قـال أميـر المـؤمنين (عليه السلام): (الـدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها)[1].

وقد أكّدت عدة آيات قرآنية على هذه الحقيقة وهي نفي العبثية في خلق الكون والإنسان بألفاظ متعددة كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ (الدخان:٣٨) واللعب كالعبث يطلـق علـى الفعل الذي يخلو من الغرض الصحيح، وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَـى الْبَاطِـلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء:١٦-١٧) واللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمّه، وكل ذلك باطل نقيض الحق ﴿وَمَـا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَـنُّ الَّـذِينَ كَفَـرُوا فَوَيْـلٌ

(١) نهج البلاغة: الحكمة: ٤٦٣.

لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (ص:٢٧) ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّـهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران:١٩١).

فلا يضيّع الإنسان أي جزء من وقته من دون اكتساب ما ينفعه في آخرته، فإن عمره رأسماله الذي سُلِّم إليه ليستثمره في الخيرات والحسنات.

وأشارت عدة آيات كريمة إلى الغرض من خلق الإنسان، بعضها على نحو الغرض النهائي كقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود:١١٩) فقد خلقهم الله ليتنعموا برحمته ويسعدوا برضوانه، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء:٧٠) فالغرض تكريمه وبيان أفضليته ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠)، وبعضها على نحو الوسيلة للوصول إليه كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦) روي عن الإمام الحسين (عليه السلام) قوله: (أيها الناس، إن الله جلَّ ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه)[1]، فخروجه إلى الدنيا لخوض هذه التجربة والاختيار حتى يتأهل لنيل الكرامة والسعادة، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك:٢).

(١) بحار الانوار: ٣١٢/٥.

روى الشيخ الصدوق في العلل بسنده عن جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه قال: (سألت الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) فقلت له: لم خلق الله الخلق؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى لم يخلق الخلق عبثاً ولم يتركهم سدى، بل خلقهم لإظهار قدرته، وليكلفهم طاعته، فيستوجبوا بذلك رضوانه، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرّة، بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى النعيم)[1].

وفي الآية تقريع وزجر للعابثين في هذه الحياة الغافلين عمّا خلقوا لأجله والمهوسين بالتفاهات، حتى أصبحت (صناعة التفاهة) كما يسمونها رائجة، وكلما كان المحتوى هابط للمنشور أو المقطع الفيديوي أكثر تفاهة وانحطاطاً كان أكثر رواجاً ويلقى إعجاب الملايين، فتسابق طالبو الشهرة والمال لابتكار التفاهات، بينما المواقع التي تبني الإنسان وتغذّي الفكر وتنمّي القدرات الإيجابية لا يرتادها إلا القلة.

إن صناعة التفاهة ونشرها بين الناس ليست وليدة اليوم، بل هي سياسة تتبعها الحكومات الجائرة الظالمة لإلهاء الشعوب عن قضاياها الأساسية، وإشغالهم عن محاسبة الحكام الظلمة والالتفات إلى جرائمهم، ولتسطيح عقول الناس وتجهيلهم حتى يكونوا كالقطيع الذي يقاد بلا وعي كالشعوب الغربية اليوم، حتى تشبّه الآلاف منهم بالكلاب في نباحهم وسلوكهم ومشيهم على أربع، وآخرون بالخراف كذلك ولهم

(١) علل الشرائع - الشيخ الصدوق: ج١/ ص٩/ ح٢.

حظائر يأوون إليها، أما تغيير الجنس والمثلية والشذوذ فحدّث ولا حرج، حتى قالوا إن الإنسان حينما يولد يكون منقسماً بايولوجياً إلى ذكر وانثى أما بعد ذلك فان النوع الاجتماعي أو الجندر لا حدود له فيمكن أن يكون حماراً أو خشبة أو وحشاً أو غير ذلك حسبما يشتهيه ويميل إليه، ويجري كل ذلك باسم الحرية الزائفة.

وكان حكام بنو أمية نشطين في صناعة التفاهة خصوصا في الحرمين المقدسين مكة والمدينة، لأن فيها بقايا أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والفقهاء والصلحاء وعلى رأسهم أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، فتعمدوا إسقاط قدسية هاتين المدينتين والقضاء على الأخلاق الكريمة والعفة والشرف بنشر الخلاعة والمجون، فكان شاعرهم عمر بن أبي ربيعة المخزومي يتجول في شوارع المدينة المقدسة وينشد في الغزل شعراً خليعاً وحوله الفاسقات يغنين ويضربن بالدفوف ((وكان يتعرض لنساء الحاج ويشبّب بهن))[1].

وانتشر المهرجّون الذين يضحكون الناس بالمقالب التي ينصبونها لأهل الصلاح والشرف أو عامّة، الناس، وتطورّت الحالة في العصر العباسي حيث نشأت مجاميع من يُسمَّون بالشطّار والعيّارين، وأغرت هذه الحرفة كثيرين مما دفعهم إلى ترك طلب العلم لأنهم وجدوا سوقه كاسداً، فاتجهوا إلى صناعة

(١) الاعلام للزركلي: ٥/ ٢١١، ط/٣ عن مصادره.

التفاهة طلباً للدنيا، وقد عبَّر بديع الزمان الهمداني (ت:٣٩٨ هـ) في المقامة القردية من مقاماته، عن دافع هؤلاء مع اعترافهم بدناءة فعلهم بعد أن وصف ازدحام الناس على قَرَّادٌ يُرْقِصُ قِرْدَهُ بما ورد..... فَقُلتُ: مَا هَذِهِ الدَّنَاءَةُ وَيْحَكَ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

الـــذَّنْبُ لِلْأَيَّـــام لاَ لِـــي فَاعْتِـــبْ عَلَـــى صَـــرْفِ اللَّيَـــالِي
بِـــالحُمْقِ أَدْرَكْـــتُ المُنَـــى وَرَفَلْـــتُ فِـــي حُلَـــلِ الجَمَـــالِ[1]

ويعلمنا الإمام[2] السجاد (عليه السلام) في أدعيته التي تمثل مدرسة متكاملة للمعارف الإلهية والأخلاق الفاضلة وأسس الحياة السعيدة، يعلمنا الهدفية في الحياة وألا نصرف اوقاتنا إلا فيما ينفعنا، ومن ذلك قوله: (وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْهُ وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ)[3].

أي كرّس أعمالي لما تطلبه مني يوم القيامة كالصلوات في أوقاتها وصيام شهر رمضان وتلاوة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب المحارم والبر بالوالدين والإحسان إلى الناس وعدم الظلم ونحو ذلك.

---

(١) مقامات بديع الزمان للهمداني: ١/ ١٠٦.

(٢) تحدث سماحة المرجع (دام ظله) بملخّص هذا القبس تزامناً مع ذكرى استشهاد الإمام السجاد (عليه السلام) مع حشد كبير من الشباب والطلبة الجامعيين في نهاية الدورة الصيفية المكثفة التي يتلقونها في النجف يوم ٢٧ محرم ١٤٤٥هـ - الموافق ٢٠٢٣/٨/١٥م.

(٣) الصحيفة السجادية: الدعاء العشرون: مِنْ دُعَائِهِ (عليه السلام) فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ومَرْضِيِّ الْأَفْعَالِ.

وكان لأئمة المسلمين (عليهم السلام) المواقف الصارمة في مواجهة هذه التفاهات كصنع المقالب والقيام بحركات لإضحاك الناس، فقابلوها بالتوهين والتحقير، تارة وبالموعظة والنصيحة وبالتحذير من سوء العاقبة تارة أخرى، روى الشيخ الصدوق في الأمالي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (كان بالمدينة رجل بطّال يضحَكُ الناسُ منه، فقال: قد أعياني هذا الرجل أن أُضحِكه -يعني علي بن الحسين (عليهما السلام) - قال: فمّر عليٌّ وخلفه موليان له فجاء الرجل حتى انتزع رداءه من رقبته ثم مضى، فلم يلتفت إليه علي (عليه السلام)، فاتبعوه -أي الموليان- وأخذوا الرداء منه، فجاءوا به فطرحوه عليه، فقال لهم: من هذا؟ فقالوا له: هذا رجل بطّال يضحك منه أهل المدينة، فقال (عليه السلام): قولوا له: إن لله يوماً يخسر فيه المبطلون)[1].

أقول: يشير (عليه السلام) بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ (الجاثية:٢٧). هذه الخسارة التي تحدثت عنها الآيات عديدة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ (الشورى:٤٥) لأنهم خسروا كل رأسمالهم فيما يضرُّهم ولا ينفعهم.

وكان الإمام السجاد (عليه السلام) يحذّر الناس من هذه الأفعال ويعتبرها من الكبائر، روى أبو خالد الكابلي عن سيد الساجدين (عليه السلام) في تفسير

(١) أمالي الصدوق: ٢٨٩.

(الذنوب التي تهتك العصم) بأنها (شرب الخمر ولعب القمار، وتعاطي ما يضحك الناس من اللغو والمزاح وذكر عيوب الناس)[١].

ويزداد قبح الفعل إذا تضمّن كذباً أو إيذاءً للناس واستهزاءً بهم، وهو ما يحصل عادة في المقالب أو الكاميرا الخفية أو كذبة نيسان وامثالها، (روى في الترغيب والترهيب: عن أبي الحسَنِ - وكانَ عَقَبيّاً بَدْريّاً -: كُنّا جُلوساً معَ رسولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله)، فقامَ رجُلٌ ونَسِيَ نَعلَيهِ، فأخَذَهُما رجُلٌ فوَضَعهُما تَحتَهُ، فرَجعَ الرّجُلُ فقالَ: نَعْلَيَّ، فقالَ القَومُ: ما رأيناهُما، فقالَ: هُوَ ذَه، فقالَ رسولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله): فكيفَ برَوعَةِ المؤمنِ؟! فقالَ: يارسولَ اللَّهِ، إنّما صَنعتُهُ لاعِباً، فقال: فكيفَ برَوعَةِ المؤمنِ؟! - مَرَّتينِ أو ثلاثاً)[٢]، فأين مجتمعنا الذي يتبجح بانتقاص الآخرين والسخرية منهم من هذه الأخلاق الكريمة.

لذا ورد التحذير منه والوعيد بأشد العقوبات، - من وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر (ويل للذي يحدِّث فيكذب ليضحك القوم، ويل له ويل له ويل له)[٣] وفي رواية أخرى (إن الرجل ليتكلم بالكلمة في المجلس ليضحكهم بها فيهوي في جهنم ما بين السماء والأرض)[٤].

(١) معاني أخبار للصدوق: ٢٧١/٢٧٠، وسائل الشيعة: ٢٨٢/١٦، ط. مؤسسة آل البيت (عليهم السلام).

(٢) الترغيب والترهيب- المنذري: ٣/ ٥/٤٨٤.

(٣) وسائل الشيعة: ٢٥١/١٢ ط. (آل البيت) (عليهم السلام).

(٤) وسائل الشيعة (آل البيت): ٢٥١/١٢.

روى سيف بن عميرة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (كان يقول علي بن الحسين (عليهما السلام) لولده: اتقوا الكذب، الصغير منه والكبير، في كل جد وهزل، فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير، أما علمتم إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صدّيقاً، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذابا)[1].

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (وإياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكاً وإن حكيت ذلك عن غيرك)[2]، فالتبرير بمقولة (ناقل الكفر ليس بكافر) يحتاج إلى وقفة تأمّل ومراجعة.

وفي نهج البلاغة (ما مزح أمرؤ "رجل" مزحةً إلا مجّ من عقله مجة)[3].

وفي أمالي الصدوق: عن الصادق عليه السلام قال: (لا تمزح فيذهب نورك ولا تكذب فيذهب بهاؤك).

وروى صاحب السرائر في وصيّة الكاظم عليه السلام لبعض ولده: (إيّاك والمزاح فانّه يذهب بنور إيمانك ويستخف مروّتك)[4].

---

(١) وسائل الشيعة: ٢٥٠/١٢ ط. مؤسسة آل البيت (عليهم السلام).

(٢) نهج البلاغة: ٣/ ٥٦.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٤٥٠.

(٤) مستطرفات السرائر- ابن إدريس الحلي: ٥٩١.- تحف العقول- ابن شعبة الحراني: ٤٠٩.

وهذ النهي لا يشمل المزاح مع المؤمنين وملاطفتهم وإدخال السرور عليهم فإنه مستحب إذا خلا من الكذب والباطل وإيذاء الآخرين والاستهزاء بهم ومن كل ما يوجب عداوتهم وتخجيلهم وأمثالها، ففي الكافي بسنده عن يونس الشيباني قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): (كيف مداعبة بعضكم بعضاً؟ قلت: قليل، قال: فلا تفعلوا[1] فإن المداعبة من حسن الخلق، وإنك لتُدخِل السرور على أخيك، ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يداعب الرجل يريد أن يسرّه)[2] وروي (أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يمزح ولا يقول إلا حقاً ولا يؤذي قلباً ولا يفرط فيه)[3].

ومما نُقل[4] في مزاح النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه كان يأكل تمراً مع علي (عليه السلام) وكان يضع النوى قدّام علي (عليه السلام) فلمّا فرغا قال: يا علي هذا النوى كلّه أمامك انّك لأكول، فقال يا رسول اللّه الأكول الّذي يأكل التمر ونواه يعني به النبي (عليه السلام) لأنّه لم يكن عنده نوى التمر[5].

---

(١) أي لا تقللّوا من المداعبة، وفي (مكارم الأخلاق:٥٨/١/ ح٤٧) (هلّا) وهو الأنسب.

(٢) الكافي: ٦٦٣/٢/ ح٣.

(٣) بحار الأنوار: ٢٣٥/٦٩.

(٤) ((هكذا نقله جدّنا الأعلى، ولم يذكر له مدركا، لكنّنا لمّا كنّا في مقام البحث والتنقيب عند تسطير هذه السطور، وجدناه مع تفصيل أكثر، وهو على ما يلي، لكنّ النقل بالمعنى، لأنّ الكتاب الذي نقلنا منه (كوكب درّى في فضائل علي (عليه السلام)) بالأردوية)) (أنظر: كشف الأسرار في شرح الاستبصار- السيد نعمة الله الجزائري: ١٦٥/١).

(٥) الأنوار النعمانية - السيد نعمة الله الجزائري: ٧١/٤.

وروي أن رجلاً أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: (يا رسول الله أحملني، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إنّا حاملوك على ولد ناقة، قال: وما أصنع بولد ناقة؟ - وكأنه ظنّ أنه يعطيه ولد الناقة الصغير فلا ينفعه بالحمل وغفل عن أن الناقة الكبيرة تلدها الناقة أيضاً- فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): وهل تلد الأبلَ إلا النوق)[1].

وفي الكافي عن معمر بن خلاد سألت أبا الحسن (عليه السلام) فقلت: (جعلت فداك الرجل يكون مع القوم فيجري بينهم كلام يمزحون ويضحكون؟ فقال: لا باس ما لم يكن، فظننت أنه عنى الفحش، ثم قال إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يأتيه الاعرابي فيهدي له الهدية ثم يقول مكانه: أعطنا ثمن هديتنا فيضحك رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان إذا اغتم يقول: ما فعل الاعرابي ليته أتانا)[2].

نسأل الله تعالى أن يوقظنا من نومة الغافلين المبعدين (وَعَمِّرْنِي مَا كَانَ عُمْرِيْ بِذْلَةً فِي طَاعَتِكَ)[3].

(١) مناقب آل أبي طالب- ابن شهر آشوب: ١/ ١٢٨، سنن أبي داوود: ٤/٢٠٠/ ح٤٩٩٨.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني: ٢/ ٦٦٣/ ح١.

(٣) من دعاء مكارم الأخلاق للإمام السجاد (عليه السلام).

خطاب المرحلة

(٧٣٠)

الفتح السلمي[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (الفتح:١).

وردت في فضل قراءة سورة الفتح أحاديث عديدة، كالذي رواه أبي بن كعب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (من قرأها فكأنما شهد مع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فتح مكة)، وفي رواية أخرى (فكأنما كان مع من بايع محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) تحت الشجرة)[٢]، وروى الشيخ الصدوق بسنده عن عبد الله بن بكير عن أبيه قال: قال أبو عبد الله: (حصنوا أموالكم ونساءكم وما ملكت إيمانكم من التلف بقراءة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ فإنه إذا كان ممن يدمن قراءتها ناداه منادٍ يوم القيامة حتى يسمع الخلائق: أنت من عبادي المخلصين ألحقوه بالصالحين من عبادي، فأسكنوه جنات النعيم، وأسقوه الرحيق المختوم بمزاج الكافور)[٣] وفي صحيح البخاري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما

---

(١) قبس قرآني ضمن محاضرات تفسير (من نور القرآن) التي تلقى كل يوم اربعاء على طلبة البحث الخارج وتاريخ القبس ١٦/ربيع الثاني/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٣/١١/١م.

(٢) مجمع البيان: ٩٨/٩. البرهان في تفسير القرآن: ٩/ ٦١.

(٣) ثواب الأعمال: ١١٥.

طلعت عليه الشمس)[١]، وفي كتاب طب الأئمة (عليهم السلام) بإسناده عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (كنت عند علي بن الحسين (عليهما السلام) إذ أتاه رجل من بني أمية من شيعتنا فقال له: يا ابن رسول الله ما قدرت أن أمشي إليك من وجع رجلي، قال (عليه السلام): أين أنت من عوذة الحسين بن علي (عليهما السلام)؟ قال: يا ابن رسول الله وما ذاك؟ قال: ثم ذكر الآيات السبع الأولى من السورة، قال: ففعلت ما أمرني به، فما حسست بعد ذلك بشيء منها بعون الله تعالى)[٢].

وقد نزلت السورة في صلح الحديبية والاتفاق الذي جرى بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومشركي قريش وبيعة الرضوان تحت الشجرة ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (الفتح:١٨) في السنة السادسة للهجرة على ما تشهد به آيات السورة، والروايات الواردة في سبب نزولها، فما ورد في بعض الروايات من أنها نزلت في فتح مكة كقول الإمام الرضا (عليه السلام): (فلما فتح الله على نبيه مكة قال يا محمد ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾)[٣] ورواية عائشة في الدر المنثور عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

(١) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، سورة الفتح، باب إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا، ص٤٤٥.

(٢) طب الأئمة - ابن سابور الزيات: ٣٣.

(٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام)- الشيخ الصدوق: ١٨٠/٢.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾): قال فتح مكة)[١] يُحمل على ما ورد فيها من الوعد بفتح مكة ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح:١٨)، أو لأن صلح الحديبية مهّد لفتح مكة بعد سنتين، وقبله فتح خيبر وإنهاء الوجود اليهودي الخبيث في جزيرة العرب، أو لأن فتح مكة قد بدأ تحقيقه فعلاً من يوم الحديبية باقتحام عقيدة الإسلام مكة وإذعان قريش بعجزهم عن مواجهة الإسلام، أو قل إن فتح مكة سياسياً وعقائدياً واجتماعياً قد تحقق في صلح الحديبية وإن تأخّر عسكرياً إلى السنة الثامنة للهجرة.

والآية قابلة للانطباق على الفتوحات المادية والمعنوية إلى يوم القيامة ومنها ما يحصل اليوم من تفوق الإسلام على سائر الأديان والأيديولوجيات والأنظمة والقوانين بالبراهين والحجج والقوانين المحكمة والمبادئ السامية، وانتشاره السريع في الدول الغربية المادية وإقبال الناس أفواجاً وجماعات على اعتناقه، فهذه كلها فتوحات مستمرة بفضل الله تعالى، إلى أن يحصل الفتح الأعظم بظهور قائم آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) (وأعِنا على ذلك بفتح منك تعجلّه)[٢].

(١) الدر المنثور: ٥١٠/٧ ط.دار الفكر.

(٢) من دعاء الافتتاح الذي يتلى في ليالي شهر رمضان المبارك.

وخلاصة الواقعة[1]: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج من المدينة في ذي القعدة من السنة السادسة معتمراً لا يُريد حرباً وساق معه الهدي سبعين بدنة وأحرم بالعمرة ليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له وليس غازياً، وخرج معه ألف وأربعمائة على أكثر الأقوال وتخلّف عنه كثيرٌ من الأعراب ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ (الفتح:١١) وهم كاذبون في دعواهم، وإنما تخلّفوا خوفاً من بطش قريش، لأنهم اعتقدوا جازمين أن هذه السفرة عملية انتحارية إذ كيف يجازف النبي (صلى الله عليه وآله) ويخرج بهذا العدد من المعتمرين المسالمين ويقدِّم نفسه وأصحابه لقمه سائغه لقريش المتجبرة ذات العدة والعدد التي حشدت لقتاله قبل عام واحد عشرة آلاف مقاتل حاصروا المدينة في واقعة الأحزاب ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً﴾ (الفتح:١٢).

ولما علمت قريش بتوجهه (صلى الله عليه وآله) دفعت بجيش مدجج بالسلاح لمواجهته وتقدمتهم كتيبة من الفرسان على رأسها خالد بن الوليد، ولكن النبي (صلى الله عليه وآله) سلك طريقاً غير المتعارف فوصل

(١) عن تفسير علي بن إبراهيم: ٢/ ٣٠٩، الكافي: ٨/ ٣٢٢، مجمع البيان: ٩/ ١٠٥، البرهان في تفسير القرآن: ٩/ ٦١-٦٤، سيرة ابن هشام: ٣/١٩٦-٢٠٤.

حدود مكة من أسفلها وليس من شمالها كما هو المفروض للقادم من المدينة وتجنّب ملاقاتهم، ففوجئت قريش بالنبي (صلى الله عليه وآله) والمسلمين ينزلون في الحديبية على مشارف مكة على حد الحرم الآمن ولا يستطيعون قتاله، وأسقط ما في أيديهم وعلاهم الذل والهوان، وحينما وصل النبي (صلى الله عليه وآله) الحديبية أسفل مكة بركت ناقته (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال الناس: خلأت الناقة -أي حرنت عن المشي- فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها) ثم أمر الناس بالنزول، وأرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) من يطمئن قريشاً بأنه جاء زائراً ولم يأتِ لقتال، لكنهم أصرّوا على عدم دخوله وقالوا: ((وإن كان جاء ولا يريد قتالاً، فوالله لا يدخلنّها علينا عنوةً أبداً، ولا تحدث بذلك عنّا العرب)) وتبادلوا الرسائل، حتى تدخّل عروة بن مسعود الثقفي[1] والتقى بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورأى الأخلاق العظيمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتفاني أصحابه بين يديه، فعاد إلى قريش وقال لهم: ((يا معشر قريش: إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً

(١) الذي روي أنه المقصود في الآية الكريمة ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَـذَا الْقُـرْآنُ عَلَى رَجُـلٍ مِـنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف:٣١).

في قوم قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلّمونه لشيء أبداً، فروا رأيكم)).

فأرسلت قريش سهيل بن عمرو إلى رسول الله (ﷺ) وقالوا له: ((ائت محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدّث العرب عنّا أنه دخلها علينا عنوة أبداً)) فوافق النبي (ﷺ) على الصلح، وكتبا بذلك كتاباً رفض سهيل افتتاحه بالبسملة والاكتفاء بما تعارفوا عليه في الجاهلية وهو قول (باسمك اللهم)، كما رفض أن يذكر إلى جنب أسم محمد وصفه بأنه رسول الله ووافق النبي (ﷺ) وجاء فيه: (هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكفّ بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردّوه عليه، وأن بيننا عيبة مكفوفة -أي صدور منطوية على ما فيها- وأنه لا إسلال ولا إغلال- أي لا سرقة خفية ولا خيانة- وأنه من أحبَّ أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وإنك ترجع عنّا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل، خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح

الراكب، السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها)) وكان كاتب الصحيفة علي بن أبي طالب[١] (عليه السلام).

وقد اعترض عمر بن الخطاب على قبول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بشروط الصلح وقال له: ((علامَ تعطي الدنية في ديننا)) وكأنه يريد أن يدفع الصحابة نحو قتال قريش بإثارة العصبية فيهم[٢]، ووافقه على ذلك جماعة رغبة في القضاء على المسلمين لأنهم قلّة ومسالمون وفي قبضة قريش وقال تعالى فيهم ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ (الفتح:١٢) ولعلهم المقصودون بقوله تعالى ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الفتح:٢٦) والمراد بالكفر هنا كفران النعمة

(١) في تفسير القمي: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا علي إنك أبيت أن تمحو اسمي من النبوة، فوالذي بعثني بالحق نبياً، لتجيبنّ أبناءهم إلى مثلها وأنت مضيض مضطهد. فلما كان يوم صفين ورضوا بالحكمين، كتب: هذا ما اصطلح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، فقال عمرو بن العاص: لو علمنا أنك أمير المؤمنين ما حاربناك، ولكن اكتب: هذا ما اصطلح عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): صدق الله وصدق رسوله، أخبرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك، ثم كتب الكتاب) (البرهان: ٩/ ٦٤).

(٢) ولا أدري من أين أتته الشجاعة في مواجهة قريش وهو القائل بكل جبن ووقاحة قبل معركة بدر حينما استشار النبي (صلى الله عليه وآله) أصحابه في قتال قريش بعد ان أفلتت القافلة ((إنها قريش وخيلاؤها ما آمنت منذ كفرت، ولا ذلت منذ عزت، ولم نخرج على أهبة الحرب))، بحار الأنوار: ١٩/ ٢١٧.

وحق الطاعة وليس المشركين الذين ما فارقوا الجاهلية حتى يُعيَّروا بها أو تحتاج الحمية الجاهلية إلى جعل جديد فقال له النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): (أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني).

وأخرج البيهقي عن عروة قال: (أقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الحديبية راجعا فقال رجلٌ - لم يسمِّه- من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله): والله ما هذا بفتح لقد صُدِدنا عن البيت وصُدَّ هَديُنا وعكف رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالحديبية ورد رجلين[1] من المسلمين خرجا فبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قول رجال من أصحابه - ممن هم على شاكلة ذلك الرجل-: إن هذا ليس بفتح فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): بئس الكلام، هذا أعظم الفتح، لقد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويسألونكم القضية

(١) وهما أبو جندل ابن سهيل بن عمرو وكان معتقلاً في مكة ومكبلاً بالحديد فأفلت وقدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) مستجيراً وأبوه سهيل لا زال عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) يكتب الوثيقة ويوقعها نيابة عن قريش، والآخر هو أبو بصير عتبة بن أسيد الثقفي لجأ إلى النبي (صلى الله عليه وآله) بعد وصوله المدينة، فردّهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى قريش التزاماً ببنود الاتفاقية، ولما كبر هذا الشرط على المسلمين قال (صلى الله عليه وآله): من جاءهم منا فأبعده الله ومن جاءنا منهم رددناه إليهم، فلو علم الله الإسلام في قلبه جعل له مخرجاً، (مجمع البيان: ٩/ ١٠٦). وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يطمئنهم بأن الله سيجعل لهم مخرجاً وهذا ما حصل فقد قام هؤلاء بحرب عصابات ضد قريش من كمين اتخذوه مما اضطر قريش إلى إلغاء هذا الشرط وأن يقبلهم رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ويرغبون إليكم في الإياب، وقد كرهوا منكم ما كرهوا، وقد أظفركم الله عليهم وردّكم سالمين غانمين مأجورين، فهذا أعظم الفتح، أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم؟ أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا؟ قال المسلمون: صدق الله ورسوله هو أعظم الفتوح والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولأنت أعلم بالله وبالأمور منا، فأنزل الله سورة الفتح)[1].

أقول: الرجل الذي لم يسمِّه هو عمر بن الخطاب بقرينة ما أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وآخرين عن عمر أنه سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن شيء ثلاث مرات فلم يجبه حتى ذهب ثم دعاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال له: (لقد انزلت عليَّ الليلة سورة أحبّ إليَّ من الدنيا وما فيها) وقرأ سورة الفتح.

لقد تحقق بصلح الحديبية فتح ظاهر بيِّن للنبي (صلى الله عليه وآله) والمسلمين لمسوا بركاته عاجلاً، ولعظمة هذا الفتح فقد نسبه الله تعالى إليه مباشرة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِيناً﴾ (الفتح:١)، وفي هذه النسبة ﴿إِنَّا﴾ موعظة للمؤمنين بأن الله تعالى حاضر في كل

(١) الدر المنثور: ١٣/ ٤٥٩.

شيء ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (الحديد:٤)، فعلى المؤمنين أن يلتفتوا إلى رعاية الله تعالى المباشرة لهم، وأن يتيقنوا أنه ما مِن نصر بل كل توفيق يحصل إلا بلطفه وتأييده تبارك وتعالى.

وكان من مظاهر هذا الفتح:

١- توقف الحرب مع قريش وحصول المسلمين على الأمن من ويلات الحروب المتكررة التي أشار النبي (صلى الله عليه وآله) إلى بعضها في كلمته الآنفة، قال تعالى: ﴿أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (التوبة:١٢٦)، وعاد النبي (صلى الله عليه وآله) والمسلمون سالمين منتصرين إلى المدينة ومعهم عهد بدخول مكة آمنين العام المقبل بعد أن كانوا يظنون أن قريشاً ستبيدهم في الصحراء، كما في الآية (١٢) المتقدمة.

٢- توفر الأجواء المناسبة لانتشار الدعاة والمبلغين والانفتاح على قبائل العرب وإقناعهم بالإسلام، بعد أن رفعت الغشاوة عن أعينهم، وكُسِر الحصار الإعلامي على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالتشويه والافتراء والتسقيط، وعرفوا سموا أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإنه جاء بالعدالة والكرامة والسلام والأخلاق الحميدة وقد نجحت الخطة، حتى خرج مع النبي (صلى الله عليه وآله) إلى مكة بعد سنتين لفتحها عشرة آلاف مقاتل بينما لم يزيدوا في الحديبية عن

ألف وأربعمائة، وهذا يعني أن عدد المسلمين تضاعف خلال سنتين عدة أضعاف عددهم خلال تسعة عشر عاماً من عمر الرسالة، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (فما انقضت تلك المدة حتى كاد الإسلام يستولي على أهل مكة)[1].

٣- انتزاع اعتراف قريش بالوجود الإسلامي كأمر واقع فأذعنوا له وجاؤوا طالبين الصلح وهم أكثر عدة وعدداً ومعهم حلفاؤهم من قبائل العرب، وبذلك انقلبت موازين الحرب لصالح رسول الله (صلى الله عليه وآله).

٤- التمهيد للفتح الأعظم وهو فتح مكة بعد سنتين، بسبب خرق قريش لبنود الصلح بعد أن أدركت أنه ليس لمصلحتها وأنه أدى إلى عزل قريش وتفككها حيث اقتنع عدد كبير من رموزهم بالإسلام والتحقوا بالنبي (صلى الله عليه وآله) في المدينة كخالد بن الوليد قائد الفرسان.

٥- تفرّغ النبي (صلى الله عليه وآله) لتقوية جبهته الداخلية عقائدياً وأمنياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً، ومعالجة الأخطار الكامنة فيها الآتية من المنافقين في المدينة ومن اليهود في خيبر خارج المدينة، حيث استأصل وجودهم في السنة التالية ودعم اقتصاده الفتي الضعيف بما غنم من أموالهم في الحروب المتعددة معهم

(١) بحار الأنوار: ٢٠/ ٣٦٣.

وتوجّه إلى خارج الجزيرة لقتال الروم في مؤتة، ووجه رسائل إلى ملوك الفرس والروم والحبشة يدعوهم إلى الإسلام.

ومن الدروس المستفادة من هذا الفتح أن من الممكن تحقيق النصر والفتح سلماً وبدون قتال من خلال معاهدات الصلح، وأنَّ الشعوب يمكنها أن تحقق النصر على العدو الظالم المستبد وتقنع الدنيا بقضيتها العادلة بمسيرات سلمية تحرج العدو وتسلب منه كل الذرائع لاستعمال العنف ضدهم فيذعن لمطالبهم، والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة ذكرتُها في بيان عن جدوى المسيرة المليونية في زيارة الأربعين والنتائج المباركة المترتبة عليها[1].

وبذلك لا نستبعد ما ورد في الدعاء للإمام المهدي الموعود (عجل الله تعالى فرجه الشريف) (حتى تسكنه أرضك طوعا) وهو ما تناولته مفصلاً في حديث سابق[2].

(١) موسوعة خطاب المرحلة: ٢٨٠/٤ و٣٥٣.

(٢) موسوعة خطاب المرحلة: ١٨٧/١٣.

خطاب المرحلة
(٧٣١)

اللّه تعالى يتكفل بمعالجة تبعات العمل الرسالي[1]

قال تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح:٢)

جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (الفتح: ١) والظاهر أن اللام للغرض، أي أن الله تعالى أنجز لنبيه (صلى الله عليه وآله) هذا الفتح لتحقيق عدة بركات، قال تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً * وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾ (الفتح:٢-٣)، ومحل البحث الفقرة الأولى.

وعلى المعنى المعروف من الذنب وهو معصية الله تعالى وأن المغفرة رفع استحقاق المؤاخذة والعقاب، فإن الآية لا يمكن فهمها على ظاهرها، لأنها تنسب صدور الذنوب من النبي (صلى الله عليه وآله)، ونحن نعتقد أنه (صلى الله عليه وآله) معصوم منها على جميع المستويات الصغيرة والكبيرة قبل النبوة وبعدها بحسب الأدلة العقلية والنقلية، وقد أدّبه ربه بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأنعام:١٥) فكيف يرتكب ما يخاف منه؟، كما أنه على هذا المعنى لا يبدو الارتباط بين الفتح وغفران الذنوب الذي يقتضيه التعليل واضحاً، مع ما يمكن أن

(١) كلمة ألقيت على طلبة البحث الخارج ضمن الدرس الأسبوعي لتفسير القرآن يوم الأربعاء ٢٣/ربيع الثاني/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٣/١١/٨م.

يقال بأن التعهد بمغفرة ما تأخّر من الذنوب أي المستقبلية التي لم تقع بعد فيه إغراء بالمعصية، فهذه إشكالات ثلاث تأتي على هذا المعنى من الذنب.

وبناءً على المعنى المعروف للذنب فقد ذكر مفسّرو العامة وجوهاً لتفسير الآية لا تنسجم مع عقيدتنا الحقة في سعة عصمته (صلى الله عليه وآله) التي لا يوافقنا عليها العامة، قال الطبرسي (رضوان الله عليه) ناقلاً عنهم: ((فمنها: أنهم قالوا: معناه: ما تقدم من معاصيك قبل النبوة وما تأخر عنها. ومنها: قولهم: ما تقدّم قبل الفتح وما تأخّر عنه.

ومنها: قولهم: ما وقع وما لم يقع، وعلى الوعد بأنه يغفر له إذا وقع))[1].

أقول: لا يمكن قبول مثل هذه الوجوه المخالفة للعقيدة الحقة، مضافاً إلى أنها غير واضحة التفرع عن الفتح المبين كما يظهر من لام الغرض، قال السيد الطباطبائي (قدس سره): ((اللام في قوله ﴿لِيَغْفِرَ﴾ للتعليل على ما هو ظاهر اللفظ، فظاهره أن الغرض من هذا الفتح المبين هو مغفرة ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ومن المعلوم أن لا رابط بين الفتح وبين مغفرة الذنب ولا معنى معقول لتعليله بالمغفرة))[2].

لذا فيجب تفسير الآية بما لا يتنافى مع عقيدتنا في عصمة الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين)، قال الطبرسي: ((ولأصحابنا فيه وجهان

(١) مجمع البيان: ٩٩/٩.

(٢) الميزان: ١٨/ ٢٥٧. ط. الأعلمي – بيروت.

من التأويل أحدهما: إن المراد ليغفر لك الله ما تقدم من ذنب أمتك، وما تأخر بشفاعتك، وأراد بذكر التقدم والتأخر ما تقدم زمانه، وما تأخر، كما يقول القائل لغيره: صفحت عن السالف والآنف من ذنوبك.

وحسنت إضافة ذنوب أمته إليه للاتصال والسبب بينه وبين أمته.

ويؤيد هذا الجواب ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق (عليه السلام) قال: سأله رجل عن هذه الآية فقال: والله ما كان له ذنب، ولكن الله سبحانه ضمن له أن يغفر ذنوب شيعة علي (عليه السلام) ما تقدم من ذنبهم وما تأخر[1]. وروى عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) عن قول الله سبحانه ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قال: (ما كان له ذنب، ولا هم بذنب، ولكن الله حمّله ذنوب شيعته، ثم غفرها له)))[2].

أقول: إن كان يقصد ثبوت أصل الشفاعة للنبي وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) فهذا ثابت بالكتاب والسنة وهو صحيح في نفسه فقد أكرم الله تعالى نبيه بالشفاعة، وقد روي أنها المقام المحمود الذي وعده الله تعالى، لكن التعليل والتفريع على الفتح غير واضح، مضافاً إلى أنه معنى لا يصح على إطلاقه لمخالفته لصريح القرآن ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا

(١) مجمع البيان: ٩/ ١٨٤، ط. الأعلمي – بيروت. هكذا رواها الطبرسي مرسلة في مجمع البيان، والموجود في (البرهان: ٩/ ٦٧) عن تأويل الآيات رواية عن مجاهيل ولا تنتهي إلى المعصوم إذ فيها محمد بن سعيد المروزي - وهو غير مذكور في معجم الرجال- قال: (قلت لرجل.. إلى آخره).

(٢) علل الشرائع: ١٧٣، ح١.

لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (الأنبياء:٢٨)، ولا نقبل بسريان عقيدة النصارى إلينا بأن المسيح صُلب ليفتدي أتباعه إلى يوم القيامة، فإن فيه إغراء الأمة بالمعاصي.

وأما رواية عمر بن يزيد فإنها لا تصلح شاهداً على ما ذكر من المعنى، وإنما تعني أن الأفعال السيئة لأمته التي تلحقه تبعتها والمسؤولية الأخلاقية عنها باعتباره القائد الأعلى لهم، قد غفرها الله تعالى له وهذه التبعات وابتلاء النبي (صلى الله عليه وآله) بأمته مستمرة حتى بعد وفاته، وهذا أحد الوجوه التي يمكن حمل استغفار المعصومين (عليهم السلام) من الذنوب عليها.

ثم قال (قدس سره): ((والثاني: ما ذكره المرتضى، (قدس الله روحه)، أن الذنب مصدر والمصدر يجوز إضافته إلى الفاعل والمفعول معاً، فيكون هنا مضافاً إلى المفعول، والمراد ما تقدم من ذنبهم إليك في منعهم إياك عن مكة، وصدّهم لك عن المسجد الحرام، ويكون معنى المغفرة على هذا التأويل الإزالة، والنسخ لأحكام أعدائه من المشركين عليه أي: يزيل الله تعالى ذلك عنك، ويستر عليك تلك الوصمة، بما فتح لك من مكة، فستدخلها فيما بعد. ولذلك جعله جزاءً على جهاده، وغرضاً في الفتح، ووجهاً له قال: ولو أنه أراد مغفرة ذنوبه، لم يكن لقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ﴾ معنى معقول، لأن المغفرة للذنوب لا تعلق لها بالفتح، فلا يكون غرضاً فيه.

وأما قوله: ﴿مَا تَقَدَّمَ ... وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فلا يمتنع أن يريد به ما تقدم زمانه من فعلهم القبيح بك وبقومك)).

أقول: هذا وجه حسن ومنسجم مع ما سنختاره إن شاء الله تعالى لأن إضافة المصدر إلى مفعوله سائغ كقولك: (جئت طالباً وعظك) فإنه قابل للحمل على وعظه للمقابل ووعظ المقابل له فيكون اللفظ مجملاً وحمالاً لوجوه لكنه غير مخلٍّ لأن المراد يعرف من القرائن، نعم قد يشكل على هذا الوجه بأن الذنب هنا اسم مصدر وليس مصدر.

قال (قدس سره): ((وقيل أيضاً في ذلك وجوه أخر:

منها: أن معناه: لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه لك - أي أن الوعد افتراضي، وفيه: أنه خلاف الظاهر من الامتنان بمغفرة ذنوب فعلية-.

ومنها: أن المراد بالذنب هناك ترك المندوب، وحَسُنَ ذلك، لأن من المعلوم أنه ممن لا يخالف الأوامر الواجبة، فجاز أن يسمى ذنباً منه، ما لو وقع من غيره لم يسم ذنباً، لعلو قدره ورفعة شأنه)).

وفيه: عدم وضوح الارتباط بينه وبين الفتح ليكون غرضاً له.

ثم قال (قدس سره) ((ومنها: أن القول خرج مخرج التعظيم، وحسن الخطاب كما قيل في قوله: ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ﴾ وهذا ضعيف، لأن العادة جرت في مثل هذا أن يكون على لفظ الدعاء))[1].

(١) مجمع البيان: ٩/ ٩٩-١٠٠. ط. مؤسسة التأريخ العربي- بيروت.

أقول: يمكن أن يكون الذنب مشيراً إلى ما تقتضيه الطبيعة البشرية المتضمنة للجسد من القصور في أداء وظائف العبودية لله تعالى لابتلائها بالحاجات الحياتية كالنوم والأكل وشؤون العائلة، وتكون المغفرة - التي تعني الستر ومحو الآثار - بمعنى تكميل هذا النقص الذاتي الذي تقتضيه الطبيعة البشرية ليكون في أكمل الصفات التي تناسب حمل الرسالة الإلهية، وقد يشكل عليه بأنه غير واضح الارتباط بالفتح بحسب إفادة اللام للتعليل، ويجاب بالمعنى الواسع للفتح الذي ذكرناه في تفسير الآية الأولى، وبانسجام هذا المعنى مع النعم المذكورة في بقية الآية.

ويمكن أن نذهب في اتجاه آخر لمعالجة الإشكال ونقول: إن أصل الإشكال قد يكون لا موضوع له، لأن معنى الذنب أوسع من معصية الله تعالى وإنما هي مما استعمل فيها لفظ الذنب لأنها من مصاديقه ولا يقتصر معناه عليها، فإنه لغةً ((كل فعل يستوخم عقباه اعتباراً بذَنبَ الشيء، ولهذا يسمى الذنب تبعة اعتباراً لما يحصل من عاقبته))[1].

أقول: فيمكن أن يطلق على ترك الأمور الراجحة عقلائياً أو شرعياً وإن لم تكن من المعاصي، كما يطلق الذنب على التبعة وفق نظر المجتمع أو القوانين الوضعية، كقول النبي الكريم موسى ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ

(١) مفردات الراغب، مادة الذنب.

ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (الشعراء:١٤) ولم يصدر منه ذنب بالمعنى المعروف وهو مخالفة التكليف الشرعي؛ لأنه انتصر لمظلوم ولكنه كان يُعدَّ مذنباً بحسب قانون الظلمة.

ومن مصاديق هذه الفكرة ما روي من وجه يناسب جعل المغفرة غرضاً مترتباً على الفتح ومرتبطاً به من دون أن يلزم منه مخالفة التكاليف الشرعية، وهو ما لحقه من تبعات سيئة عند المشركين والكفار من قومه وغيرهم بسبب دعوته المباركة وخروجه عن تقاليد قومه وتمرّده عليهم فهم يعدّونه مذنباً، بل أن بعض أصحابه كان يعدُّ النبي (صلى الله عليه وآله) مذنباً بتوقيع عقد الصلح مع مشركي قريش واعتقدوا إن فيه حيفاً على المسلمين وجابهوه بقولهم: ((لماذا نعطي الدنية في ديننا))[1] وكانوا يدفعون باتجاه القتال، فمنَّ الله تعالى عليه بمغفرة هذه الذنوب أيضاً، وأزالها من نفوسهم بظهور بركات الفتح.

ففي العيون بسنده إلى علي بن محمد بن الجهم قال: (حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى (عليهما السلام) فقال له المأمون: يا ابن رسول الله، أليس من قولك: الأنبياء معصومون؟ قال: بلى.. إلى أن قال: فأخبرني قول الله عز وجل: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾؟

(١) أنظر: صحيح البخاري: ٣/ ١٨٢،- تفسير القرطبي: ١٦/ ٢٧٧،- صحيح ابن حبان: ١١/ ٢٢٤.

قال الرضا (عليه السلام): لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلما جاءهم (صلى الله عليه وآله) بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ (ص:٥-٧) فلما فتح الله عز وجل على نبيه (صلى الله عليه وآله) مكة قال له يا محمد: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ- مكة- فَتْحًا مُبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر؛ لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقى منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم ذلك مغفوراً بظهوره عليهم. فقال المأمون: لله درك أبا الحسن)[1].

أقول: هذا الوجه يظهر بوضوح المناسبة بين الفتح ومغفرة الذنب وهو مبني على المعنى الواسع للذنب الذي أشرنا إليه، فإن المستكبرين وأصحاب الامتيازات يعتبرون خروج النبي (صلى الله عليه وآله) على نظامهم الاجتماعي، وسعيه الدؤوب لتحرير الناس من استعبادهم وما تسبّب من قتل سادتهم وإذلالهم، من أعظم الذنوب لذلك فقد شنّوا عليه الحروب بكل أشكالها العسكرية والاقتصادية والإعلامية والاجتماعية، ومارسوا

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ١/ ١٧٤- ١٨٠، باب ١٥، ح١، ط. الأعلمي- بيروت.

أقذر أساليب التشويه والتسقيط والافتراء لإبعاد الناس عنه، فلما فتح الله تعالى لنبيه في الحديبية وما تلاه من فتح مكة تلاشت كل تلك الحروب، وظهر زيف الادعاءات، وقلت قيمة تلك المؤاخذات بانقلاب الموازين واتضاح المصلحة، وانكشفت حقيقة الإسلام ونبيّه العظيم لكل المغفَّلين المضلَّلين ومحا الله تعالى عنه آثار كل تلك الذنوب التي نُسبت إليه (صلى الله عليه وآله) وفق القوانين الظالمة للمشركين، فهذا هو المعنى الأقرب للآية الكريمة[1].

والظاهر أن هذه المغفرة على نحو الوعد وليس الحتم والإلزام، أي على نحو شرط الفعل وليس شرط النتيجة لحاجتها إلى الاستغفار المستمر، وإلا لا يبقى موضوع لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (محمد:١٩) وبذلك يندفع إشكال الإغراء بالمعصية.

والمراد بما تأخّر: التبعات الاجتماعية اللاحقة التي تحصل بسبب استمرار الرسالة المباركة في الدعوة إلى الله تعالى، ونبذ عبادة الطواغيت وسائر ما يُتبَّع ويطاع من دون الله تعالى، واتساع

(١) وهو معنى جارٍ في غير المسلمين كما نراه اليوم حين نقرأ لبعض الغربيين مؤاخذاتهم لما نُقل لهم من أفعال نبي الإسلام ومعاركه (صلى الله عليه وآله) ثم حين يتعمقون أكثر ويصححون موازين التفكير عندهم ويدققون في النقولات المزيفة يصحح الله تعالى نظرتهم لنبي الإسلام كما صححه لمشركي مكة ومسلمي يوم الحديبية.

الدعوة المباركة وإصرارها على إصلاح الواقع الفاسد فتحصل تلقائياً تبعات جديدة.

وفي الآية الكريمة أكثر من درس وموعظة:

١- أننا إذا عملنا لله تعالى مخلصين فإن الله تبارك وتعالى يتكفل بالدفاع عنّا وإحباط كل محاولات الأعداء للنيل منّا بالتشويه والتسقيط والافتراء وإزالة آثارها وتغيير قناعات المضلّلين.

٢- إن على القيادات الرسالية أن تنتبه إلى ما تسبّبه حركتهم الرسالية من تبعات اجتماعية لدى القريب والبعيد وتسعى إلى علاجها؛ لأن بقاءها يعيق تقدم المشروع الرسالي وانتشاره.

وينبغي الالتفات إلى أن الأجوبة المتقدمة كانت بلحاظ ما ورد من الإشكال على هذه الآية الكريمة، ويكون الإشكال أوسع وأوضح ويحتاج إلى أجوبة أخرى في موارد إقرار المعصومين (عليهم السلام) واعترافهم الوارد في الأدعية والمناجاة وقد قدمنا في محاضرة سابقة[1] عشرة أجوبة لفهم مثل هذه الكلمات.

(١) راجع قبس قوله تعالى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح:٢) في تفسير من نور القرآن.

خطاب المرحلة
(٧٣٢)

السيدة الزهراء (عليها السلام) تذكّر الأصحاب بنعمة النبي (صلى الله عليه وآله)[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران:١٦٤).

(المنّ) ما يوزن به للأثقال الكبيرة، وأشير به إلى ثقل هذه النعمة، وهي بعثة النبي (صلى الله عليه وآله) بالرسالة الإلهية، والمنّ من الله حسن لأنه إنعام فعلي، وكذا يحسن من الانبياء (صلوات الله عليهم اجمعين) ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (ص:٣٩)؛ لان عطاءهم بغير جزاء، وإنما قبح المنّ من الناس لأنه بالقول والكلام مما يسيء للآخر ويوجب مهانته ﴿لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى﴾ (البقرة:٢٦٤) وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (والمَنّ مفسدة للصنيعة)[٢].

ففي الآية تذكير مؤكّد باللام و(قد) بالمنّة العظيمة التي وهبها الله تعالى لعباده المؤمنين جميعاً من أول الإسلام إلى نهاية الدنيا لأن لفظ

---

(١) قبس من نور القرآن ضمن درس التفسير الأسبوعي الذي ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على فضلاء وطلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف يوم الأربعاء ٧/جمادي الأولى/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٣/١١/٢٢م.

(٢) الإرشاد: ١/ ٣٠٧، بحار الأنوار: ٧٤/ ٤٢١.

المؤمنين عام، ولا تختص هذه المنّة بمن كانوا على عهد النبي (ﷺ) وإن كانوا هم المخاطبين لوضوح أثر هذه النعمة في حياتهم، بل لا تختص المنّة بالمؤمنين وإنما تعمّ جميع البشر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧) ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ (الفرقان:١)، وإنما ذكر المؤمنون خاصة لأنهم شكروا هذه النعمة قولاً وعملاً فتنعموا بها فعلاً حينما حَرَم الآخرون أنفسهم منها بالتمرد والعصيان.

وهذه المنة العظيمة هي ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ﴾ هذا النبي العظيم بالرسالة الإلهية الخاتمة، فصفة هذا الرسول أنه يعيش في أوساطهم، يأكل الطعام مثلهم ويمشي في الطرقات معهم ويشاركهم في شؤون حياتهم، ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (يونس:١٦) ليكون مثالاً عملياً، وأسوة حسنة لهم، ولو كان من غير جنس البشر ويعيش في غير عالمهم لاستوحشوا منه وأنكروه، وما تأثروا به حيث يدَّعون أن له خصوصية كالملائكة مثلاً.

كما أنه ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ وليس فقط منهم ومثلهم في طبيعته البشرية ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ (الكهف:١١٠) فصِلته بكم وثيقة وارتباطه النفسي بكم عميق، وفي ذلك تحفيز للمؤمنين أن يطيعوه ويعملوا بشريعته أكثر حتى تتعمق هذه الصلة النفسية به (ﷺ).

وذكرت الآية الكريمة مظاهر هذه المنّة العظيمة، فهو (ﷺ) ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ التي تنزل من ربه، فهو واسطة الوحي الإلهي والفيض

الرباني بين الناس وخالقهم ويوصل إليهم رسائله تعالى متتابعة حسبما تصل إليه.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويطهّر قلوبهم من الامراض المعنوية كالغلّ والحقد والانتقام ويهذّب نفوسهم من رذائل الشهوة والغضب والحرص والاستكانة والعبودية، ويحسِّن أخلاقهم بالعلاجات الروحية التي يفيضها الله تعالى عليه فهو (طبيب دوار بطبه)[1] كما وصفه أمير المؤمنين (عليه السلام).

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يشرح لهم هذا القرآن العظيم المنزل ويفسّر آياته ويبين أسراره بالسنة الشريفة، فالحكمة إما من باب ذكر الخاص بعد العام لأن من صفات الكتاب أنه حكيم، أو أنها السنة مقابل الكتاب، حيث يفتح لهم من كنوز العلوم والمعارف ما فيه سعادتهم وهدايتهم واستقامتهم وحمايتهم من الضلال والانحراف، وصلاح أمورهم في الدنيا والآخرة ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق:٥) ﴿الرَحمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ (الرحمن:٢).

﴿وإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فقد كانوا قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وآله) في جاهلية ظلماء، تفتك بهم الحماقات والأهواء والخرافات والحروب والصراعات، وهذا الفرق بين حال الضلال المبين الذي كانوا

(١) نهج البلاغة: ١/ ٢٠٧، الخطبة (١٠٨).

عليه وحالهم في الإسلام من الوحدة والتآلف والسمو والسعادة واضح لمن قارن بين الوضعين.

ووقوع هذه الآية في سياق الآيات التي تتحدث عن القرح الذي أصاب المؤمنين في أُحُد فقتل من قتل وجرح من جرح، وما أعقبه من الهزيمة النفسية والشكوك التي سرت إلى عقيدتهم ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:١٦٥-١٦٦) فيه تخفيف على المسلمين وتسلية عن مصائبهم، بأنهم مهما أصيبوا في أموالهم وأنفسهم وسائر أحوالهم الدنيوية فعليهم أن يصبروا ويحتسبوا ويتساموا على الجراح والمصائب بالتفاتهم إلى هذه النعمة العظيمة التي حباهم الله تعالى بها فتهون عليهم مصائبهم.

هذه النعمة وهي الإسلام وكمالها وتمامها ولاية أهل البيت (عليهم السلام) بحسب آية التبليغ في سورة المائدة وقوله تعالى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1] (لقمان:٢٠)، يلفت الإمام الصادق (عليه السلام) إليها نظر أحد المعدمين ليخفّف عنه شعوره بالحرمان، روى الشيخ الطوسي (رضوان الله تعالى عليه) في كتابه الأمالي بسنده عن الإمام الهادي (عليه السلام) عن آبائه عن موسى بن جعفر (صلوات الله عليهم أجمعين) قال

(١) راجع قبس قوله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى:١١) في تفسير من نور القرآن.

(إن رجلاً جاء إلى سيدنا الصادق (عليه السلام) فشكا إليه الفقر، فقال (عليه السلام): ليس الأمر كما ذكرت وما أعرفك فقيراً. قال - الفقير ظناً منه أن الإمام (عليه السلام) يكذبّه في ما ادعى من الفقر-: والله يا سيدي ما استبنتَ - أي ما حقّقتَ في حالي وما استوضحتها لتتأكد من صدق كوني فقيراً- وذكر من الفقر قطعة والصادق (عليه السلام) يكذّبه، إلى أن قال (عليه السلام) له: خبّرني لو أعطيت بالبراءة منّا مائة دينار - والدينار يساوي مثقالاً من الذهب - كنت تأخذ؟ - أي تتبرأ من الإسلام وولاية أهل البيت (عليهم السلام) بهذا الثمن - قال: لا - وبدأ الإمام يزيد المبلغ - إلى أن ذكر الإمام (عليه السلام) ألوف الدنانير والرجل يحلف أنه لا يفعل، فقال (عليه السلام) له: مَن معه سلعة يعطى بها هذا المال وهو لا يبيعها هل هو فقير؟)[1].

لقد كان النبي (صلى الله عليه وآله) سبباً لإفاضة نعم عظيمة على البشرية لا تعدّ ولا تحصى:

١-به (صلى الله عليه وآله) هدانا الله للإيمان والتوحيد وأخرجنا من ظلمات الكفر والإلحاد وظلم الشرك وذلّ عبادة الآلهة المزيفة ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة:٢٥٧) ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ (الحجرات:١٧) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ (النور:٢١) ﴿... وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ

(١) الأمالي، للشيخ الطوسي: ٢٩٨، المجلس (١١)، ح٥٨٤.

مَا فِـي السَّـمَاوَاتِ وَمَـا فِـي الْـأَرْضِ أَلَـا إِلَـى اللَّـهِ تَصِـيرُ الأُمُـورُ﴾ (الشورى:٥٢-٥٣).

٢-علّمنا (ﷺ) الشريعة السـمحاء التـي تكفـل كرامـة الإنسـان وسعادته وتضمن العدالة الاجتماعية لكل الناس ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء:٧) ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد:٢٥) ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُـرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّـمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَـذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف:٩٦)، وكلما ابتعد النـاس عـن القانون الإلهي ووضـعوا لأنفسـهم قـوانين وقعـوا فـي التيـه والتخـبّط والانحطاط وجرّوا الويلات على البشرية ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَـإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه:١٢٤).

٣-إنه وحّد الأمة وألّف بين قلوبهم بعد أن كانت الفرقة والتشـتت والتنازع والتخاصم يفتك بهم ويفنيهم ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانـاً وَكُنـتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُـمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران:١٠٣) ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّـا أَلَّفَـتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال:٦٣).

٤-إنه (ﷺ) خلّف لنـا الثقلـين كتـاب الله وعترتـه أهـل بيتـه المعصومين المطهرين (سلام الله عليهم) ليواصلوا أداء رسالته الإلهيـة حتى تترسخ في عقول وقلوب ونفوس الناس؛ لأن عمر النبـي (ﷺ)

القصير وعدم الاستعداد الكافي للأمة حتى تتكامل بسرعة لم يسمحا بحصول التحول الكامل.

٥-اقتلع من المجتمع الأغلال الفكريّة والانحرافات العقائدية والتقاليد الاجتماعية البالية التي كانت تكبّل عقول الناس وتعيق تكامل المجتمع وتوجّه سلوكه نحو الدمار والفناء كالعصبية والجهل والتخلف والانتقام والظلم ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف:١٥٧).

٦-هذّب النفوس بالأخلاق الفاضلة وطهر القلوب من الرذائل والأمراض المعنوية التي كانت تجلب الشقاء والنكد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس:٥٧)، وضرب لهم مثلاً أعلى في الأخلاق الحميدة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤) وأسوة حسنة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب:٢١) قال (ﷺ): (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[1].

(١) كنز العمال - المتقي الهندي: ١٦/٣/ ح٥٢١٧.

٧-إنه (ﷺ) الرحمة الواسعة المهداة إلى جميع المخلوقات ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

٨-أكرمه الله تعالى بالشفاعة في أمته وهي من بركات المقام المحمود الذي وعده ليساعد الذين خلطوا أعمالهم الصالحة بأخرى سيئة حتى تُغفر لهم فيدخلون الجنة بلا منغصّات ولا عوائق؛ روى الشيخ الطوسي في أماليه عن أنس بن مالك قال: (رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً مقبلاً على علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يتلو هذه الآية ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾ (الإسراء:٧٩) فقال: يا علي إن ربي عز وجل ملّكني الشفاعة في أهل التوحيد من أمتي وحظر ذلك على مَن ناصبك أو ناصب ولدك من بعدك)[1].

٩-ما ورد عنه (ﷺ) في تفسير قوله تعالى ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:١٠٥) أنه (ﷺ) قال: (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم، قالوا: يا رسول الله وكيف ذلك؟ فقال (صلى الله عليه وآله): أما حياتي فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ (الأنفال:٣٣) وأما مفارقتي إياكم فإن أعمالكم تعرض عليَّ كل يوم فما كان من حسن استزدت الله لكم، وما كان من قبيح استغفرت الله لكم، قالوا: وقد رممت يا رسول الله؟ يعنون صرت رميماً

(١) أمالي الطوسي: ٤٥٥/ ح٢٣.

فقال: كلا إن الله تبارك وتعالى حرّم لحومنا على الأرض أن تطعم منها شيئاً)[١].

١٠- أنه سبب لمغفرة الذنب ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (النساء:٦٤).

لقد ذكّرت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أصحاب أبيها بهذه المنّة العظيمة واحتجّت بها عليهم لتحثَّهم على الالتزام بوصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي بلّغها عن الله تعالى في أمير المؤمنين (عليه السلام) ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة:٦٧)، ولكي يفوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بأجر رسالته في أهل بيته ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى:٢٣) فقالت (عليها السلام) بعد أن وصفت أحوالهم في الجاهلية: (فأنار الله بأبي محمد (صلى الله عليه وآله) ظُلَمَها، وكشف عن القلوب بُهَمها، وجلّى عن الأبصار غُمَمها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصّرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الصراط المستقيم)[٢].

وقالت (عليها السلام): (وكنتم على شفا حفرة من النار، أذلّة خاسئين،

(١) من لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق: ١٩١/١.

(٢) الاحتجاج: ١/ ١٢٧.

تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (صلى الله عليه وآله) بعد اللتيا والتي)[١].

لكن القوم صمّوا أسماعهم عن نداء الحق ومضوا إلى تنفيذ إرادة شياطين الجن والإنس وزعيمهم يقول بنصّ العبارة: (اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت)[٢] متحدياً قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (القصص:٦٨) ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾ (الأحزاب:٣٦).

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الشاكرين لنعمه المتبّعين للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله).

---

(١) الاحتجاج: ١/ ١٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ٢٨/ ٤٠٨، عن تأريخ الطبري وغيره.

خطاب المرحلة

(٧٣٣)

السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تكشف سبَب معاداة الحق[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (البروج:٨).

الآية من سورة البروج التي روى الشيخ الصدوق في فضلها بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (من قرأ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ في فريضة، فإنها سورة الأنبياء، كان محشره وموقفه مع النبيين والمرسلين والصالحين)[٢].

وتصف السورة موقفاً بطولياً تتجلى فيه أسمى درجات الصبر والتمسك بالعقيدة في مواجهة أساليب التعذيب الوحشي والقتل الذي يمارسه الطغاة المستكبرون ضد المؤمنين الثابتين على الحق، فتحكي السورة قصة جماعة من الموحدين قبل الإسلام أكرههم الملك المتسلط بقوة السلاح على ترك دينهم، فرفضوا وتمسكوا بالحق الذي هم عليه، فحفر لهم شقاً عظيماً

(١) الخطاب الفاطمي السنوي في نسخته التاسعة عشرة ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على حشود الزوار المعزّين في ساحة ثورة العشرين في النجف الأشرف يوم السبت ٢/جمادي الثانية/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٣/١٢/١٦م.

(٢) ثواب الأعمال: ١٢٢.

طويلاً في الأرض يسمى الأخدود وملأه حطباً وأضرم فيه النار حتى أصبح الأخدود ناراً ملتهبة، قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحٰابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ (البروج:٤-٥) فالنار هنا بدل عن الأخدود الذي تحوّل إلى لهيب من النار، ثم ألقى فيه جميع المؤمنين والمؤمنات وأبناءهم، وقتلهم بهذه الطريقة القاسية المؤلمة، ومن لم يمت بالنار قتل بالسيف ومثّل به، وكان النبي (ﷺ) يستعظم هذه الحادثة ويستفظعها، روى في الدر المنثور عن رسول الله (ﷺ) قال: (فما ذكرت أصحاب الأخدود إلا تعوّذت بالله من جهد البلاء)[1].

ومن تفاصيل هذه الحادثة ما رواه البرقي في المحاسن والطبرسي في مجمع البيان وغيرهما إن المؤمنين كانوا يسارعون إلى إلقاء أنفسهم في النار الملتهبة (فجاءت امرأة معها صبي لها ابن شهر، فلما هجمت على النار هابت ورقَّت على ابنها، فناداها الصبي: لا تهابي وارميني ونفسك في النار، فإن هذا والله في الله قليل، فرمت بنفسها في النار وبصبيَّها، وكان ممن تكلَّم في المهد)[2].

---

(١) الدر المنثور: ٨/ ٤٦٧.

(٢) المحاسن: ٢٤٩/ ح٢٦٢، مجمع البيان: ١٠/ ٧٠٦، قصص الأنبياء للراوندي: ٢٤٦/ ح٢٩، الدر المنثور: ٨/ ٤٥٦، البرهان: ١٠/ ١٣٧/ ح٢-٣.

ثم يخبر الله تعالى عن مصير القائمين بهذه الجريمة البشعة بلسان الدعاء عليهم بالقتل والانتقام ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ (البروج:٤) الذين عرّفهم بعد ذلك بقسوة القلب والتلذذ بتعذيب الأبرياء، حيث أقاموا حفلاً واسعاً للإعدام الجماعي وساقوا الناس إلى الحضور بالقوة كالذي كان يفعله المقبور صدّام، وألقوا في النار أبرياء لم يرتكبوا ذنباً ولم يفسدوا في الأرض، وفيهم الشيخ الكبير والمرأة الضعيفة والطفل كالزهرة اليانعة، قال تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ (البروج:٧)، ومثل هذا الدعاء على الكافرين ورد في آيات أُخَر كقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ (عبس:١٧) وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ (الذاريات:١٠).

وتكشف الآية الكريمة محل البحث سرِّ نقمة أولئك الطغاة المستكبرين من المؤمنين ومعاداتهم لهم، وهو ثبات إيمانهم بالله تعالى وتمسكهم بشريعته والتزامهم بالمنهج الرباني القويم في حياتهم، فلم يقتلوهم لجريمة ارتكبوها أو بدعة أحدثوها أو فساد نشروه وهم أبرأ الناس من كل ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (البروج:٨-٩)

وجاء بفعل المضارع ﴿يُؤْمِنُوا﴾ للدلالة على استمرار صمودهم مما أغاظ الكفار ولم يقل (آمنوا).

وذكر هذه الأسماء الحسنى إلى جنب لفظ الجلالة لتأييد هؤلاء المؤمنين والشهادة لهم بأنهم على الحق لأنهم آمنوا بإله له هذه الأوصاف الدالة على العزة والغلبة وجميل الأفعال ومالكية السماء والأرض فلا يستحقون الإيذاء فضلاً عن القتل، لأن حجتهم قوية وإنما على غيرهم أن يتبعوا الحق الذي هم عليه.

وحينما تحكي السورة هذه المشاهد المؤلمة فإنها تدعو المؤمنين والمؤمنات في كل زمان ومكان إلى الصبر والثبات على ما يعانونه في سبيل الله، وتقول لهم إن البلاء الذي ينزل بهم نتيجةُ طبيعية للصراع الدائم داخل النفس الإنسانية بين جند العقل وجند الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء الميّالة إلى الشهوات، والصراع المستمر بين الحق والباطل، ولا تختص بأصحاب الأخدود، وإن ما ترونه من بلاء هو أخفّ مما نزل بالمؤمنين في الأمم السابقة رحمة بكم وشفقة عليكم، روى الشيخ الكليني في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (وقد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض برحبها، فما يردّهم عمّا هم عليه شيء مما هم فيه، من غير تِرَةٍ وَتَروا من فعل ذلك بهم ولا أذى، بل ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ

يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ فاسألوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم)[1].

وفي السورة إنذار شديد للطغاة والمستكبرين الذين يحاربون المؤمنين ويعذبونهم ويقتلونهم ويسعون إلى إبعادهم عن دينهم، سواء في ذلك مشركو قريش أو غيرهُم على مدى العصور، بأن العاقبة السيئة ستلحق بكل من قام بمثل هذا الفعل الظالم ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (البروج:١٠).

والآية تشمل كل مثيري الفتن ومسبيها باتجاهاتها المتنوعة كالشبهات العقائدية والمفاسد الأخلاقية والانحرافات الفكرية والاجتماعية والاغراءات المالية والخدع السياسية وغيرها.

وكم هي سعة رحمة الله تعالى وعفوه إذ أبقى باب التوبة مفتوحاً حتى لمثل هؤلاء المجرمين، واستعمال ﴿ثُمَّ﴾ قبل ﴿لَمْ يَتُوبُوا﴾ يشير إلى استمرار هذه الفرصة وليس أنها ممنوحة على الفور فقط.

ولم تغفل الآية عن الإشادة بصمود النساء المؤمنات ودورهن في تعزيز قدرة الرجال على الثبات، فخصَّهن بالذكر وإن كان لفظ المؤمنين يشملهن بعمومه.

---

(١) الكافي: ٨/ ٢٤٧/ ح٣٤٧.

كما أن في السورة بشرى للمؤمنين ووعد صادق لهم بأحسن الجزاء على تمسّكهم بالحق وتضحيتهم من أجله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (البروج:١١).

تُرى ما الذي صبّر الإنسان الضعيف ذا الجلد الرقيق الذي تؤلمه البقّة كما وصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) ودفعه إلى الإقدام على الاحتراق بالنار؟ إنه إيمانه الراسخ بالحق الذي هو عليه، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما ضعف بدن عما قويت عليه النية)[1] وأعانه الله تعالى على ذلك بأن كشف له الجنة ونعيمها فهو منشغل بالتلذذ بها، فوقته الوقوع في أسر الشهوات وعصم نفسه من المعاصي، وأراه جهنم فهانت عليه نار الدنيا ومصائبها ومشاكلها، كالمروي أن أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) لم يذوقوا حرّ السيوف لأجل هذه الرؤية لما وراء الغيب، وقد وصفهم أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته (فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون)[2].

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ٤٠٨/ ح٦.

(٢) نهج البلاغة: ٢/ ١٦١، خطبة ١٩٣، في وصف المتقين.

وكانت حقيقة هذا الصراع واضحة للمؤمنين عبر الأجيال ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ (المائدة:٥٩) لذا فإنهم لم يتنازلوا عن عقيدتهم ومبادئهم السامية وإنما توجهوا إلى الله طالبين الصبر والثبات ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف:١٢٦).

وأولئك الطغاة مهما قدّموا من مبررات لحرب المؤمنين وعدائهم وتسويقها إعلامياً فإن غرضهم هو هذا ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة:٢١٧)، كما يغلّفون اليوم حربهم على الإسلام بمكافحة الإرهاب، ونشر الديمقراطية وحقوق الإنسان، ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل، وإسقاط الأنظمة المستبدّة الفاسدة وغيرها، وهذه الجرائم التي يتحدثون عنها هم من زرعها وقطف ثمرتها.

فعلينا أن نتمسك بإسلامنا مهما كان الثمن، وأن نبرأ من أعداء الله ورسوله ونرفض أفعالهم الظالمة ونحذّر منها، وأن نكون يقظين فطنين لخُدع الأعداء ومكرهم وخططهم الخبيثة، للقضاء على الإسلام المحمدي النقي خصوصاً نحن أتباع أهل البيت (عليهم السلام) الذين حملنا رسالة الثقلين كتاب الله وأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله)، وقد روى بعض المفسرين عن الإمام الصادق

(عليه السلام) في الآية السابقة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (هو علي (عليه السلام) وشيعته)[1]، وروي عن أم سلمة عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (علي وشيعته الفائزون يوم القيامة)[2].

أيها الأحبة:

لقد كشفت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ربيبة القرآن والعارفة بأسراره وتأويل آياته عن هذه الحقيقة، وأحرجت المتآمرين المخالفين لوصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أمير المؤمنين (عليه السلام)، واستعارت نفس اللفظ القرآني في خطبتها على نساء المهاجرين والأنصار فقالت: (وما الذي نقموا من أبي الحسن (عليه السلام) نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدّة وطأته ونكال وقعته، وتنمّره - أي تشدّده - في ذات الله، وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردّهم إليها وحملهم عليها)[3].

فهم يعلمون علم اليقين بمؤهلات أمير المؤمنين (عليه السلام) لقيادة الأمة وولاية أمورها، ونصّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) على خلافته،

(١) البرهان: ١٣٧/١٠.

(٢) كشف الغمة – الإربلي: ١٣٥/١.

(٣) الاحتجاج: ١/ ١٣٨.

وقد بايعوه يوم الغدير على ذلك، إلا أنهم كرهوا فيه أنه يحملهم على الحق المبين والصراط المستقيم ويقوّم الانحراف ويدفع الظلم، ويساوي بين الناس ويحكم بالعدل وليس عنده أحدٌ فوق القانون، فلا يُجامل ولا يُداهن ولا يدخل في مساومات على حساب الحق، ولا يعقد الصفقات المشبوهة مع أصحاب الامتيازات أو الزعامات، قال الإمام امير المؤمنين (عليه السلام): (لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع)[1] وهم يريدون شخصاً يحفظ لهم مصالحهم وكبرياءهم وأنانيتهم، ولا يحاسبهم على انحرافهم وظلمهم وتجاوزهم، ويسيِّر الناس على هواهم وهذا ما يرفضه أمير المؤمنين (عليه السلام) رفضاً قاطعاً قال: (لا أصلحكم بفساد نفسي)[2].

إن الآيات الكريمة التي حكت حادثة الأخدود توصل للأجيال عدة رسائل واضحة:

أولها: عظمة دين التوحيد والإسلام وما أنعم الله تعالى به من المنّة بحيث يستحق أن يقدِّم الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) والصالحون من عباد الله الغالي والنفيس وكل

(١) نهج البلاغة: ٤/ ٢٦، قصار الكلمات رقم ١١٠، أي لا يجامل في الحق، ولا يشابه أهل الباطل في أفعاله، ولا يتبع أهواءه وأطماعه على خلاف الحق.

(٢) نهج البلاغة: ١/ ٣٠٣.

هذه التضحيات الجسيمة بالأرواح والأعزّاء والأموال والمكانة الاجتماعية من أجله.

ثانيها: حثّ غير المسلمين على التأمل في هذا الدين بإنصاف وموضوعية ليعرفوا كيف يربّي أبناءه على رفض الظلم والاستعباد ونصرة الحق، ويمنحهم الطمأنينة وسكون القلب وسمو النفس التي تبحث أكثر شعوب الغرب رفاهية عنها فلا تحصلها، بل تجد القلق والاضطراب والنكد، بينما يجعل الإسلام أتباعه في أرقى حالات الرضا والتسليم وهم يتعرضون لأشد ألوان المحن والمصائب.

علينا أن نصور لهم السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) البنت الوحيدة لنبي الإسلام وهي في عمر الزهور ثمانية عشر عاماً كيف تخفي آلامها وجراحها وهي مسقطة الجنين، مكسورة الضلع، محاصرة من قبل جيش لا يتورع عن حرق دارها، تعض على كل هذه الجراح وتنطلق لنصرة إمامها وتقويم انحراف الأمة.

وعلينا أن نصور لهم الإمام الحسين (عليه السلام) وهو يحمل رضيعه الذي ذبحه السهم ويرمي بدمه إلى السماء ويقول: خُذْ يا ربّ حتى ترضى، أو يقف على ولده علي الأكبر ذي العشرين

عاماً وهو مقطع بالسيوف والرماح، وهو يقول: هـوَّنَ مـا نـزل بـي أنـه بعين الله تعالى.

وعلينا أن نصـوّر لهـم العقيلـة زينـب (عليها السلام) وهـي تضـع يـديها تحت جسد أخيهـا سـيد شـباب أهـل الجنـة الإمـام الحسـين (عليه السلام) الشهيد المـثخن بمئـات الجراحـات وهـي تقـول: (اللهـم تقبـل منـا هذا القربان)[1].

هذه المواقف السـامية كلهـا لا يعرفهـا العـالم، لكنـه شـاهد مـا حصل للشعب الفلسطيني المسـلم فـي أحـداث غـزة الأخيـرة وتـأثّر بها أي تأثير، فـإن المشـاهد العاطفيـة للمفجـوع الـذي يـودِّع طفلتـه بهدوء وتسـليم وهـو يقبّلهـا ويصـفها بأنهـا روح الـروح، والأم التـي تنعـى وحيـدها الـذي انتظرتـه سـنين وأنفقـت الأمـوال الطائلـة لمعالجة العقم حتـى رُزقـت بـه، والأطفـال الـذين يُطمئِنـون آبـائهم وأمهاتهم وهم تحت الأنقاض الثقيلة بين الحياة والموت.

هـذه المشـاهد العاطفيـة الإنسـانية المـؤثرة ومـا صـاحبها مـن حـالات الصـبر والثبـات والإصـرار علـى نيـل الحـق هـزّت ضـمير العـالم، ودفعـت غيـر المسـلمين إلـى البحـث للتعـرّف علـى ديـن الإسلام الذي ألهـم أتباعـه هـذه الطمأنينـة والرضـا والسـلام، وهـذا

(١) شجرة طوبى- الشيخ الحائري: ٢/ ٣٩٣.

الإصرار على نيل الحقوق المشروعة والسلوك السامي، واعتنق الإسلام عدد منهم.

إذن علينا أن نبيّن للعالم تضحيات أهل البيت (عليهم السلام) الجسيمة وصبرهم واحتسابهم في سبيل الله تعالى ونصرة الحق، خصوصاً ما جرى على السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وولدها الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء، فإن ما لاقوه أفظع وأشدّ إيلاماً لكل ضمير حي مما شاهدوه في غزة، وحينئذٍ ستكون هذه أبلغ دعوة للإسلام المحمدي الأصيل الذي حفظه أهل البيت (عليهم السلام) وأوصلوه إلى الأجيال.

من هنا تبرز أهمية إحياء الشعائر الدينية وأثرها الكبير في حفظ وإدامة الحق، فكما نقل الله تعالى لنا مظلومية المؤمنين في العصور السابقة كشهداء حادثة الأخدود لنتفاعل معها ونتبرأ من الظالمين أعداء الله تعالى ورسوله، وننشر عقيدة العدالة والاستقامة والسلام وتكريم الإنسان، فعلينا أن نؤدي نفس هذه الرسالة في تعظيم شعائر أهل بيت العصمة (سلام الله عليهم) والتذكير بمظلوميتهم، ولا ننظر إليها على أنها مجرد حوادث تاريخية انقضى زمانها، فجزاكم الله خير الجزاء أيها المتفجعّون لمصاب السيدة الزهراء (عليها السلام) على حضوركم لنصرتها في إقامة الحق الذي استشهدت من أجله.

خطاب المرحلة
(٧٣٤)

الغرض من بعثة الأنبياء هو صنع الإنسان الربّاني[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران:٧٩).

الربانيون جمع ربّانيّ نسبة إلى الربّ، الذي هو مصدر يفيد معنى الفاعل أي المربّي، ويدلّ على المبالغة في الاتصاف وثبوت صفة الربّانيّة فيه، وهي هنا التعلّق بالربّ وشدّة معرفته وإخلاص الطاعة له، والنون زائدة كقولنا جسماني نسبة إلى الجسم ولحياني لكثيف اللحية، وأضيفت لإفادة المبالغة في النسبة، وقال سيبويه: زادوا ألفاً ونوناً في الرباني إذا أرادوا تخصيصاً بعلم الربِّ دون غيره من العلوم[٢]، وقد وردت النسبة من دون زيادة النون في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ (آل عمران:١٤٦)، وقرأت بالفتح أيضاً.

---

(١) قبس قرآني من درس التفسير الأسبوعي يوم الأربعاء ١٣/جمادي الثانية/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٣/١٢/٢٧م.

(٢) لسان العرب، مادة (ربب).

ولا يُقال الرَبّ مطلقاً من دون إضافة إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات، لأن اللام تفيد العموم، والمخلوق لا يملك جميع المخلوقات، نعم يطلق على المخلوق على نحو محدود بإضافته إلى شيء فيقال ربّ الأسرة وربّ المال وربّ العبد لأنه يقوم بتدبيرهم وإصلاحهم وكذا ربّة البيت قال تعالى: ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ (يوسف:٤١) وفي حديث أشراط الساعة: (أنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبّتَها)[١] وفي رواية (ربّها)[٢]، أي تلد لسيدها وسيدتها، والله تعالى هو ربّ الأرباب ومالك المخلوقات.

و(رَبَّ) الشيء إذا ساسه وقام بتدبيره وإصلاحه، والتربية مأخوذة من المصدر (الرَبّ) فهي ممارسة عملية فاعلة ومستمرة وليست علمية لاكتساب المعارف فقط، وتتضمن رعاية المُربَّى وتدبير أموره وترشيد نموه وضبط مشاعره وميوله ورفع نقائصه بالتخلية من الرذائل والتحلية بالفضائل والارتقاء به في سُلّم الصلاح والكمال اللائق به؛ لأن البشر على مراتب ومستويات، واستعداداتهم مختلفة ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ (الرعد:١٧)، ويشهد المربّى من خلال التربية تحولاً في جميع جوانبه وتقلّباً في أحواله حتى يصل إلى الغاية المنشودة.

---

(١) شرح سنن النسائي، جلال الدين السيوطي: ١٠٠/٨.

(٢) لسان العرب، مادة (الربب).

فالربّانيّ هو العالِم الراسخ في المعرفة بالله تبارك وتعالى وعلوم الدين، ولا يطلب بذلك إلا وجه الله تعالى، لذا فإنه يكون شديد الارتباط بالربّ بحيث يكون همّه وعمله مكرساً لرضا ربِّه فيحظى بعناية خاصة من ربِّه تُربِّيه على طريق الكمال.

والآية محل البحث ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ تشير إلى أن الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين) لم يُبعثوا لتحصيل امتيازات دنيوية ولم يطلبوا بدعوتهم زعامة على الناس ولا استعبادهم كما يفعل الطواغيت، ولا من شأنهم ذلك، بل كان الغرض من بعثتهم أن يعلّموكم ويربّوكم لتكونوا علماء وحكماء ربانيين، فالهدف الذي يسعون من أجله هو تربية الإنسان والأخذ بيده في طريق الكمال والسعادة، وقد لهجت بهذا آيات كثيرة كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران:١٦٤) وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة:٢).

﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ وتستمر هذه التربية حتى يصبح الإنسان ربانياً، واستخدام لفظ منسوب إلى المصدر (الربّ) الذي

يعني الرعاية والتدبير حتى الإيصال إلى الهدف المنشود، يتطلب وجود مربوب، وهذا يعني أن الربّاني لا يكتفي بإصلاح نفسه وتكميلها، بل يسعى إلى تربية الآخرين والأخذ بأيديهم ليكونوا ربانيين، وهو الذي يستحق أن يربّي الناس، وهو القائد الرسالي البصير بأمور الناس وأحوالهم، وقد أشار إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: (الناس ثلاثة: فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق)[1].

ثم تذكر الآية وجه أولويتكم أيها العلماء والحوزة العلمية من غيركم في أن تكونوا ربّانيين ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران:٧٩)، والباء هنا سببية وما مصدرية، أي كونوا ربانيين بسبب استمراركم - حيث استعمل فعل المضارع- في تعليم الناس الكتاب، ودراستكم إياه فيما بينكم، لأن هذا يدعوكم لأن تلتزموا بما في الكتاب وتتحلَّوا بالأخلاق الفاضلة التي تدعون إليها مما يؤدي إلى ارتقائكم وانقطاعكم إلى ربكم فتكونون بذلك علماء ربانيين.

وكأنَّ في الآية إشارة إلى أن هذا هو الطريق المنحصر للوصول إلى الله تعالى وليس ما يبتدعه المتصوفة وأمثالهم من طرق، كما أن فيها إشارة إلى أن العلم الذي لا يوصل صاحبه

(١) نهج البلاغة: ٤/ ٣٥.

إلى الربّانيّة ليس بعلم لأنه غير نافع، ومن نتائج ذلك أن العلماء الربانيين مؤهلون لفهم أسرار القرآن وتدبّر معانيه وتفسيره وبيانه للناس.

وقد فضل الله تعالى العلماء الربّانيّين على العلماء الذين لا يقومون بهذه الوظيفة، في آيتي سورة المائدة الآتيتين، وروى العياشي في تفسيره عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (فهذه الأئمة دون الأنبياء الذين يربّون الناس بعلمهم وأما الأحبار فهم العلماء دون الربانيين)[1].

فالرباني مرّبي لا يكتفي بإراءة الطريق الموصل إلى الغاية المنشودة وبيان كيفيته من خلال الكتب والمنشورات والمحاضرات، وإنما وظيفته الأخذ بيد المتربي وإرشاده خطوة خطوة، وهذا يبرز أهمية كون المربي أسوة حسنة لا يخالف فعله قوله.

ولا بد أن تستند التربية الربانية إلى منهج رباني يتخذ من المعرفة بالله تعالى والعلم بالدين أساساً له قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أول الدين معرفته)[2]، لأن الله تعالى هو ربّ البشر فهو مربيهم ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (الفرقان:٣١)، فلا بد أن

(١) تفسير العياشي، عند الآية ٤٤ من سورة المائدة.

(٢) نهج البلاغة: ١٤/١.

يكون المنهج الرباني هو القيِّم والمهيمن والحاكم على حياة البشر، وأن تكون جميع فعاليات الإنسان وأنشطته مرتبطة بالله تعالى، وتستمد العون من لطفه وتأييده تبارك وتعالى، حتى يكون ربانياً وتتحقق فيه العبودية لله سبحانه وتعالى التي هي الغرض الأسمى والقيمة العليا للبشر جميعاً، لأن عقيدة الإنسان ومتبنياته الفكرية هي التي تحدّد نمط سلوكه ومنهجه في الحياة، وهذا هو سر الاختلاف بين سيرة المؤمنين الذين ينظرون إلى الحياة من زاوية الإيمان بالله تعالى ورجوع كل الأمور إليه ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ (العلق:٨) ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (النجم:٤٢) وبين سيرة غير المؤمنين الذين همّهم اتباع أهوائهم وإشباع شهواتهم وغرائزهم معتقدين أن سعادتهم في ذلك ﴿إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (المؤمنون:٣٧).

لقد ذكر القرآن الكريم جملة من صفات الربانيين منها:

١- السعي الحثيث لإقامة دين الله تعالى في الأرض والعمل بشريعته، وصيانة الرسالة الإلهية وحفظها من جميع الجهات، والاستناد إليها في جميع شؤون الحياة فلا يُسنُّ قانون ولا عرف على خلافها، ولا يُقضى إلا بأحكامها، وهداية الناس حتى يكون المجتمع ربانياً تسوده العدالة الاجتماعية، وهذه هي مسؤولية

الأمانة التي تحمّلوها، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يخشون التسقيط والمقاطعة والحصار وغيرها من الأساليب الظالمة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة:٤٤)، فالعلماء الربانيون هم حفّاظ الدين والأمناء عليه وهم المسؤولون عن تطبيق الشريعة لا يعيقهم عن ذلك الخوف من الناس ولا يكتمون الحق طمعاً في الدنيا الفانية.

٢- يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهم المسؤولون أكثر من غيرهم عن هذه الفريضة وعقوبتهم أشدّ إذا تركوها[1] كأحبار اليهود وربّانيي النصارى، قال تعالى: ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة:٦٣).

وهنا نكتة دقيقة إذ وصفت الآية فعلهم بالصنع بينما قالت السابقة التي تتحدث عن معاصي عامة الناس ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا

(١) عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (أوحى الله تعالى إلى شعيب النبي (عليه السلام) إني معذب من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عز وجل إليه: داهنوا أهل المعاصي فلم يغضبوا لغضبي) (الكافي- الشيخ الكليني: ٥/ ٥٦).

يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:٦٢) والفرق: أن العمل يطلق على أي فعل وأن كان عن غير تدبير وقصد، بينما يطلق الصنع على الفعل الصادر بإتقان وتدبير وإحكام، وهذا يكشف عن أن تخلّي هؤلاء عن مسؤوليتهم كان بمكر وخداع للعامة وتزييف وتحريف للحقائق ليحافظوا على قدسيتهم المصطنعة لدى الناس، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنما هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك وإنهم لما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات، فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقربا أجلاً ولم يقطعا رزقاً)[1].

فسكوتهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى انتشار الفساد، ويكون الخطر حينئذٍ أعظم، روى الشيخ الكليني بسنده عن عمر بن رياح عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (قلت له: بلغني أنك تقول: من طلّق لغير السنة أنك لا ترى طلاقه شيئاً؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام): ما أقوله بل الله عز وجل يقوله، أمَا والله لو كنا نفتيكم بالجور لكنا شراً منكم لأن الله عز

(١) الكافي: ٥/ ٥٧، الدر المنثور: ٢/ ٢٩٦.

وجل يقول: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ...﴾ إلى آخر الآية)[1] وروى العياشي مثله[2].

ولا تخلو الآية من إشارة إلى ضرورة أن يكون للعلماء الربانيين سلطة ونفوذ ليتمكنوا من خلالها نهي العاصين ومنع المنحرفين وإن كثروا.

٣- الصبر والمصابرة والثبات والاستمرار في بذل الجهد فلا كسل ولا إحباط ولا ضعف ولا مداهنة ولا تنازل، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ، وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٦-١٤٧).

والمصداق الأكمل للربانيين هم محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (أنَا ربّانيّ هذه الأمة)[3] ومن خطبة له: (أين تذهب بكم المذاهب، وتتيه بكم الغياهب، وتخدعكم الكواذب ومن أين

(١) الكافي: ٦/ ٧٥/ ح١.

(٢) تفسير العياشي: ١/ ٣٣٠/ ح١٤٤.

(٣) بحار الأنوار: ٢٥/ ١٥٠.

تؤتون وأنى تؤفكون. فلكل أجلٍ كتاب، ولكل غيبةٍ إياب، فاستمعوا من ربانيّكم، وأحضروا قلوبكم، واستيقظوا إن هتف بكم)[١].

وروى في تفسير الصافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (الربانيون هم الأئمة)[٢].

وفي تفسير العياشي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال في الآية ٤٤ من سورة المائدة: (فينا نزلت)[٣].

وفي زيارة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف): (السَّلامُ عَلَيكَ يَا دَاعِيَ اللهِ وَرَبَّانيَّ آيَاتِهِ)[٤].

(١) نهج البلاغة: ١ /٢٠٨.

(٢) التفسير الصافي: ٢/ ٣٨.

(٣) البرهان: ٣ /٢٤٣، عن تفسير العياشي: ١/ ٣٢٢/ ح١١٨.

(٤) مفاتيح الجنان: زيارة آل ياسين.

خطاب المرحلة
(٧٣٥)

بيت النبي وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) أرفع البيوت وأفضلها[١]

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ (النور:٣٦-٣٧).

بيوت جمع بيت، وأصل البيت لغة[٢] مأوى الإنسان الذي يستريح فيه ويبيت فيه في الليل، ثم عمّم إلى مكان الشيء فيقال للمساجد بيوت الله لأنها محال ذكر الله تعالى والصلاة والدعاء، وبيت الله بالمعنى الأخص الكعبة لأن الناس يتوجهون إلى الله تعالى باستقبالها قال تعالى: ﴿وَطَهِّر بيتيَ للطائفين والقائمين والركَّع السّجُود﴾ (الحج:٢٦)، وبيت المال للمكان الذي يحرز فيه المال، ويقال بيت النار لمكان الموقد، وبيت الخلاء للمكان الذي تقضى فيه الحاجة، ونحو ذلك.

ورفع البيت يمكن أن يكون مادياً بتشييده وإنشائه كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (البقرة:١٢٧)،

---

(١) درس التفسير الأسبوعي بمناسبة ذكرى ميلاد السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يوم الأربعاء ٢٠/جمادي الثانية/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٤/١/٣م.

(٢) أنظر: مفردات غريب القرآن - الأصفهاني: ٦٤.

وقد يكون رفعه معنوياً بتعظيم قدره ومكانته وتطهيره من الأرجاس والمعاصي، وإنما يتحقق ذلك عندما يكون محلاً لذكر الله تعالى وصناعة الإنسان الصالح ومنطلقاً لهداية الناس وفعل المعروف، ولا تأبى الآية إرادة المعنى الأول أي بناء المساجد التي يذكر فيها الله تعالى، وإن كان الثاني فيها أوضح، فإن الجملة الظرفية (في بيوت) متعلقة بما قبلها وهو قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ[1] فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾ (النور:٣٥)، فهذه البيوت التي أذن الله تعالى أن ترفع هي كالمشكاة التي يشع منها نور الهداية للناس جميعاً لأنها تكون مأوى أولياء الله تعالى وحججه على خلقه، فالمصباح رسالة الله تبارك وتعالى، والزجاجة التي تحفظه وتؤجج نوره هم المعصومون (سلام الله عليهم) وبيوتهم هي مشكاته ولا يؤتمن على الرسالة الإلهية من لا يكون بيته بهذه الأوصاف.

وقد روى الفضيل بن يسار قال: (قلت لأبي عبد الله الصادق (عليه السلام)): ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: كذلك الله عز وجل، قلت:

(١) قيل ان المشكاة: بيت أو تجويف يُشقّ في الحائط ليحفظ فيه المصباح ويركّز نوره ويجمعه، ويغلّفون المصباح بزجاجة لتزيد من إضاءته وتنظم دخول الهواء إليه.

﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ قال لي: محمد (صلى الله عليه وآله))[١]. فالبيوت الرفيعة هي بيوت محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم).

وقد حرص النبي (صلى الله عليه وآله) على ترسيخ هذا المعنى عند أصحابه ومن خلاله إلى الأمة جميعاً، فقد روى الحاكم بسنده عن أنس (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يمرّ بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الصبح ويقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب:٣٣))[٢].

وروى الشيخ الصدوق في أماليه بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) نفس المعنى[٣].

وروى الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن أبي حمزة إلى أن قال: (فقال له: من أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامة البصري، فقال له أبو جعفر (عليه السلام): أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال له أبو جعفر (عليه السلام): ويحك يا قتادة إن الله جل وعز خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حججاً على خلقه فهم أوتاد في أرضه، قوّام بأمره، نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه أظلة عن يمين عرشه، قال: فسكت قتادة طويلاً ثم قال: أصلحك الله والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس

(١) رواه الشيخ الصدوق في التوحيد: ص١٥٧/ ح٣، وفي معاني الأخبار: ص١٥/ ح٧.

(٢) مستدرك الحاكم: ٣/ ١٥٨، وصحّحه على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) أمالي الصدوق: ٢٠٨.

فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك، قال له أبو جعفر (عليه السلام): ويحك أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ فأنت ثَم ونحن أولئك، فقال له قتادة: صدقت والله، جعلني الله فداك، والله ما هي بيوت حجارة ولا طين)[1]، فهو يعترف بأن هذه البيوت المرفوعة أفضل من المساجد التي عبَّر عنها ببيوت من حجارة وطين.

وروى السيوطي وهو من علماء العامة بسنده عن انس بن مالك وبريدة قال: (قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذه الآية ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال (صلى الله عليه وآله): بيوت الأنبياء، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت - أي بيت علي وفاطمة- منها؟ قال: نعم، من أفاضلها)[2]، فهذا البيت الطاهر أعلى من بيوت الأنبياء وأشرف وأفضل لأنه ضمَّ أكمل الخلق وهم المثل الأعلى والأسوة الحسنة لسائر الناس.

والمصابيح درجات ومراتب، وقد روى الشيخ الصدوق عن الإمام الباقر (عليه السلام) في حديث طويل إلى أن قال في تفسير الآية: (وهي

(١) الكافي: ج٦/ ص٢٥٧.

(٢) الدر المنثور: ج٧/ ص٢٠٢.

بيوتات الأنبياء والرسل والحكماء وأئمة الهدى)[١]. وكلّ مؤمن صالح يمكن أن يكون مشكاة تضيء لأهله ويجعل بيته من هذه البيوت، وقد يتوسّع فيهدي أصدقائه أو ما هو أوسع من ذلك بحسب علمه ومعرفته وهمّته في هداية الناس روى في عدة الداعي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (نوروا بيوتكم بتلاوة القرآن، فإن البيت إذا كثر فيه تلاوة القرآن كثر خيره، وأمتع أهله، وأضاء لأهل السماء كما تضئ نجوم السماء لأهل الدنيا)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إن البيت إذا كان فيه المسلم يتلو القرآن يتراءاه أهل السماء كما يتراءى أهل الدنيا الكوكب الدري في السماء)[٢].

﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ فالمؤمن لا يعمل إلا وفق ما يأذن به الله تعالى ويشرِّعه، وقد أذن برفع المساجد وجعلها خالصة لله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ (الجن:١٨)، كما أن الرفعة المعنوية لا تكون إلا بإذن الله تعالى تكويناً وتشريعاً، حيث شاء الله تعالى لأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) بإرادته التكوينية أن يكونوا مطهرين منزهين من الخطأ والخطيئة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وأمر بإرادته التشريعية أن يكونوا أئمة وسادة وقادة وأوجب على جميع الخلق ولايتهم وطاعتهم.

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ج١/ ص٢٤١/ ح٢.

(٢) الكافي – الشيخ الكليني: ٢/٦١٠/ ح٢.

ومن آثار هذه الرفعة وجوب قصد هذه البيوت والتشرف بها والاستفادة من بركاتها ﴿وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ (يونس:٨٧) ومحبة أهل هذا البيت وتعظيمهم وطاعتهم ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ (إبراهيم:٣٧)، روى في أصول الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فإنه أخبركم أنهم ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾)[1].

وقد ذكرت الآية الكريمة علة رفع هذه البيوت لأنها ﴿يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ أي أول النهار وآخره كناية عن اشتغالهم في جميع الوقت بذكر الله تعالى كما يقال ليل نهار، فهم (صلوات الله عليهم أجمعين) في جميع حركاتهم وسكناتهم متوجهون إلى الله تعالى.

﴿رِجَالٌ﴾ إذا أريد بها الذكور البالغون فهو من باب التغليب، وإلا فإن الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) داخلة في هذا البيت بنص آية التطهير والحديث النبوي المتقدم في كون بيت علي وفاطمة من أفاضلها، ويدخل فيهم الأئمة الذين تولوا الإمامة وهم في عمر الصبا، وإن أريد بها الرجولة بمعنى الفتوة فإنها تشمل من ذكرناهم حقيقة، ويأتي نفس التقريبين في مثل قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ

(١) الكافي- للشيخ الكليني: ج٢، ص٤٨.

يَتَطَهَّرُوا﴾ (التوبة:١٠٨) وقوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب:٢٣).

وقد تكون في الآية إيماءة عفافٍ فخصّت الرجال بالذكر باعتبار إن النساء المطهرات محتجبات في البيوت ولا يتصدين لمسؤولية الإمامة والهداية العامة.

﴿لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ فحياتهم كلها لله تعالى وفي ذكر لله تعالى، والصلاة والزكاة من مظاهر ذكر الله تعالى، وإن قاموا ببعض الأعمال التي تتطلبها شؤون الحياة الطبيعية للإنسان إلا أنهم مشغولون فيها بذكر الله تعالى، وذُكِر البيع لأنه أوضح الشواغل الدنيوية، والتجارة هي الحرفة وإن لم يكن في ممارسة فعلية للبيع الذي هو أحد مصاديقها، فليس المطلوب ترك التجارة والبيع وسائر الحركات التي تتطلبها طبيعة الإنسان ووجوده في هذه الدنيا، وإنما المطلوب أن لا تلهيهم ولا تشغلهم عن الهدف الأسمى وهو نيل رضا الله تبارك وتعالى، روى الشيخ الصدوق في الفقيه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله في هذه الآية: (كانوا أصحاب تجارة فإذا حضرت الصلاة تركوا التجارة وانطلقوا إلى الصلاة وهم أعظم أجراً ممن لا يتّجر)[1].

(١) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق: ١٩٢/٣/ ح٣٧٢٠.

ومن خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) عند تلاوته ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾ قال (عليه السلام): (وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لأَهلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لا يَسْمَعُونَ)[1].

﴿يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ أي تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء ومن حال إلى حال بحسب ما يرونه من أهوال يوم القيامة، وتتقلب أبصارهم طلباً للنجاة، ولأنهم وعوا هذه الحقيقة فهم يخشون يوم القيامة حيث يظهر الإنسان على حقيقته ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (الطارق:٩) وتفنى الصور الظاهرة التي لمّعها صاحبها للناس، ويبدو ما كان خافياً، لذا فإن أهل ذكر الله تعالى يقلّبون قلوبهم في هذه الدنيا عن الشواغل والملهيات ويفرّغونها لله تعالى ليكونوا ممن ﴿أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء:٨٩) ويكونون من الآمنين يوم الفزع الأكبر.

وقد كان الأئمة (عليهم السلام) يؤكدون للناس هذا المعنى لبيوت الله تعالى التي أُذِن لها أن ترفع، خصوصاً مع علماء العامة، روى في كتاب

(١) نهج البلاغة: ٤٦٦، شرح صبحي الصالح، خطبة ٢٢٢.

المناقب عن أبي حمزة الثمالي قال: (لما كانت السنة التي حج فيها أبو جعفر محمد بن علي (عليهما السلام) ولقيه هشام بن عبد الملك أقبل الناس يتساءلون عليه فقال عكرمة: من هذا؟ عليه سيماء زهرة العلم لأخزينه، فلما مثل بين يديه ارتعدت فرائصه وأسقط في أيدي أبى جعفر (عليه السلام)، وقال: يا بن رسول الله لقد جلست مجالس كثيرة بين يدي ابن عباس وغيره، فما أدركني ما أدركني آنفا، فقال له أبو جعفر (عليه السلام): ويلك يا عبيد أهل الشام إنك بين يدي بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيه اسمه)[1].

وخاطبهم الله تعالى في زيارة الجامعة الكبيرة: (السلام على محالّ معرفة الله ومساكن بركة الله ومعادن حكمة الله وحَفَظة سرّ الله وحملة كتاب الله وأوصياء نبي الله وذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله ورحمة الله وبركاته) وفيها أيضاً (خلَقَكم اللهُ أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين حتى منَّ علينا بكم فجعلكم في بيوتٍ أذن الله أن ترفع ويُذكر فيها اسمه)[2].

فوا عجباً بعد كل هذا عجباً لا ينقضي إلى يوم القيامة من هجوم القوم على بيت علي وفاطمة الذي كان يستأذن النبي (صلى الله عليه وآله) وهو ربّ

(١) مناقب آل أبي طالب- ابن شهر آشوب: ج٣/ ص٣١٧.

(٢) مصابيح الجنان للكاشاني: ٤٥١-٤٥٣، عن من لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق: ج٢/ ص٦١٣.

الدار قبل أن يدخل!، والأعجب من ذلك أن يقال للثاني: إن في الدار فاطمة؟ فيقول: وإن[١].

وا عجباً يستأذنُ الأمينُ عليهمُ ويهجمُ الخؤونُ
قال سليمٌ: قلتُ: يا سلمانُ هل دخلوا ولم يكُ استئذانُ
قال: نعم، وعزّة الجبارِ وما على الزهراء من خمارِ[٢]

فإنا لله وإنا إليه راجعون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء:٢٢٧).

(١) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة الدينوري: ج١/ ص٣٠.

(٢)كتاب سليم بن قيس: ١٥٢.

خطاب المرحلة
(٧٣٦)

تأثر الأئمة المعصومين (عليهم السلام) بمصاب السيدة الزهراء (عليها السلام)[١]

كان للمصائب التي مرّت على السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) والمظالم التي أحدقت بها بعد وفاة أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) حرارة في قلوب أولادها المعصومين (عليهم السلام) لا تنطفئ وكانت أحزانهم تهيج لذكراها ويتأثرون أشدّ التأثر لمجرد ذكر أسمها، بل عند ذكر أي بنت أسمها فاطمة، روى الشيخ الكليني في الكافي والشيخ الطوسي في التهذيب (رضوان الله تعالى عليهما) بسنده عن السكوني قال: (دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) وأنا مغموم مكروب فقال لي: يا سكوني ما غمك؟ فقلت: ولدت لي ابنة، فقال: يا سكوني، على الأرض ثقلها وعلى الله رزقها تعيش في غير أجلك وتأكل من غير رزقك، فسرى والله عني، فقال: ما سميتها؟ قلت: فاطمة، قال: آه آه آه، ثم وضع يده على جبهته – إلى أن قال: – ثم قال: قال لي: أما إذا سميتها فاطمة فلا تسبها ولا تلعنها ولا تضربها)[٢].

---

(١) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من مواكب النجف الأشرف استعداداً لإحياء الزيارة الفاطمية يوم الجمعة ٢٣/جمادي الأولى/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٣/١٢/٨م.

(٢) وسائل الشيعة:٢١/ ٤٨٢، أبواب أحكام الأولاد، باب٨٧ استحباب اكرام البنت التي اسمها فاطمة وترك اهانتها.

وكانوا (عليهم السلام) يتفاعلون بحرقة مع كل حدث مرتبط بالسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ويدافعون عمّن ينصرها، روى ابن المشهدي في مزاره في أعمال مسجد السهلة بسنده عن بشار المكاري، أنه قال: (دخلت على [الإمام] أبي عبد الله (عليه السلام) بالكوفة، وقد قدم له طبق رطب طبرزد[1]، وهو يأكل، فقال لي: "يا بشار ادن فكل"، فقلت: هنَّأك الله [هنَّاك الله] وجعلني فداك قد أخذتني الغيرة من شيء رأيته في طريقي أوجع قلبي، وبلغ مني، فقال لي: "بحقي لما دنوت فأكلت"، قال: فدنوت وأكلت، فقال لي: "حديثك" فقلت: رأيت جلوازاً[2] يضرب رأس امرأة يسوقها إلى الحبس، وهي تنادي بأعلى صوتها: المستغاث بالله ورسوله، ولا يغيثها أحد، قال: "ولم فعل بها ذاك؟". قال: سمعت الناس يقولون: انها عثرت فقالت: لعن الله ظالميك يا فاطمة، فارتكب منها ما ارتكب، قال: فقطع الأكل، ولم يزل يبكي حتى ابتل منديله، ولحيته، وصدره بالدموع، ثم قال: "يا بشار قم بنا إلى مسجد السهلة، فندعو الله ونسأله خلاص هذه المرأة" قال: ووجه بعض الشيعة إلى باب السلطان، وتقدم إليه بأن لا يبرح إلى أن يأتيه رسوله، فإن حدث بالمرأة حدث، صار الينا حيث كنا، قال: فصرنا إلى مسجد السهلة، وصلى كل واحد منا ركعتين، ثم رفع الصادق (عليه السلام) يده إلى السماء وقال: "أنت الله لا إله

(١) الطبرزد: نوع من التمر سمي به لشدة حلاوته تشبيها بالسكر الطبرزد.

(٢) الجلواز: الشرطي الذي يحف في الذهاب والمجيء بين يدي الأمير، جمعه جلاوزة.

إلا أنت مبدئ الخلق ومعيدهم .." إلى آخر الدعاء. قال: ثم خر ساجدا، لا اسمع منه إلا النفس، ثم رفع رأسه فقال: "قم قد أطلقت المرأة". قال: فخرجنا جميعا، فبينما نحن في بعض الطريق، إذ لحق بنا الرجل الذي وجهنا إلى باب السلطان، فقال له: "ما الخبر؟ قال: لقد أطلق عنها: "قال كيف كان اخراجها؟" قال: لا أدري، ولكنني كنت واقفاً على باب السلطان، إذ خرج حاجب فدعاها، فقال لها: ما الذي تكلمت به؟ قالت: عثرت فقلت لعن الله ظالميك يا فاطمة، ففعل بي ما فعل، قال: فاخرج مائتي درهم وقال: خذي هذه، واجعلي الأمير في حل، فأبت أن تأخذها، فلما رأى ذلك منها، دخل وأعلم صاحبه بذلك ثم خرج، فقال: انصرفي إلى بيتك، فذهبت إلى منزلها.

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): أبت أن تأخذ المائتي درهم؟ قال: نعم وهي والله محتاجة إليها قال: فأخرج من جيبه صرة فيها سبعة دنانير وقال: اذهب أنت بهذه إلى منزلها فأقرئها مني السلام وادفع إليها هذه الدنانير قال: فذهبنا جميعا فأقرأناها منه السلام فقالت: بالله أقرأني جعفر بن محمد السلام؟ فقلت لها: رحمك الله، والله إن جعفر بن محمد أقرأك السلام، فشقت جيبها ووقعت مغشية عليها قال: فصبرنا حتى أفاقت، وقالت: أعدها علي، فأعدناها عليها حتى فعلت ذلك ثلاثا ثم قلنا لها: خذي! هذا ما أرسل به إليك، وأبشري بذلك، فأخذته منا، وقالت: سلوه أن يستوهب أمته من الله فما أعرف أحداً تُوسِّل به إلى الله أكثر منه ومن

آبائه وأجداه (عليهم السلام). قال: فرجعنا إلى أبي عبد الله (عليه السلام) فجعلنا نحدثه بما كان منها، فجعل يبكي ويدعو لها)[1].

قال الشيخ عباس القمي (رضوان الله تعالى عليه) صاحب كتاب مفاتيح الجنان: (فإذا كان حال الصادق (عليه السلام) كذلك عند استماع واقعة جرت على امرأة من شيعة فاطمة (عليها السلام) فكيف يكون حاله (عليه السلام) إذا حكي ما جرى على أمه فاطمة (عليها السلام))[2].

(١) بحار الأنوار: ٤٧/ ٣٧٩.

(٢) بيت الاحزان: ١١٨.

خطاب المرحلة

(٧٣٧)

ليس لله تعالى مع أحد قرابة[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (المائدة:١٨).

تعالج الآية الكريمة ظاهرة جاهلية تسقط فيها المجتمعات عندما تكبر أنانيتها ولا تستشعر العبودية لله تعالى، وهي الشعور بالاستعلاء والتميّز عن بقية الناس لا لكمالٍ حازوه أو فضيلة اتصفوا بها، وإنما لمجرد انتمائهم إلى عقيدة معينة أو جنس بشري أو اتجاه فكري أو عشيرة أو مدينة معينة ونحو ذلك من أشكال التعصب للانتماء بحيث تشعر الجماعة أنهم شعب الله المختار، وأنهم الجنس البشري الأرقى والأفضل لمجرد هذا الانتماء من دون عمل صالح يستحقون به التقدم على الآخرين.

ولكي تميّز مثل هذه الجماعة نفسها فإنها تشرِّع لنفسها أحكاماً خاصة بها، كما كانت قريش تسمي نفسها بالحُمُس في

(١) قبس قرآني من درس التفسير الأسبوعي لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) ألقاه يوم الأربعاء ١٢/رجب/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٤/١/٢٤م.

الجاهلية فلا تزّوِج نساءها إلى غيرهم لكنهم يتزوجون من الآخرين وغير ذلك، وجرت على ذلك بعض القبائل إلى اليوم.

ولقد فضح القرآن الكريم العقائد المنحرفة لليهود والنصارى التي كانوا يروّجونها ليقنعوا الآخرين بتفوقهم عليهم وأن لهم الكلمة العليا، وعلى الآخرين أن يتّبعوهم، وهم يعلمون قبل غيرهم بطلان هذه الاعتقادات، لكنهم يراهنون على تجهيل الناس للوصول إلى هدفهم وهو تحصيل المزيد من المكاسب الدنيوية والاستئثار بخيرات الناس وإخضاعهم لأهوائهم، وقد تصطدم مصالحهما فيزيّف كل منهما عقيدة الآخر ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ (البقرة:١١٣).

فتنقل الآية الكريمة عن اليهود والنصارى أنهم لم يكتفوا بجعل العزير والمسيح ابنين لله سبحانه وتعالى عما يصفون ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة:٣٠) وإنما وصفوا أنفسهم أيضاً بأنهم أبناء الله وأحباؤُه، سواء على النحو الذي قالوه في أنبيائهم، أو على نحو الكناية للتعبير عن شرفهم ومنزلتهم الرفيعة وقربهم من الله تعالى، وهو الظاهر، ويكون حينئذٍ قوله تعالى: ﴿وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ عطفاً تفسيرياً، وبذلك فإن لهم خصوصية لا يشاركهم فيها أحد كالحصانة من

القانون وعدم المحاسبة على أفعالهم مطلقاً لأنهم أبناءٌ مدلّلون محبوبون، فلا يعاملون كسائر الناس، وذكرت كتبهم المقدسة ذلك في مواضع عديدة[١].

وقد أكدت الروايات تبنّيهم هذه الدعوة، فقد روى السيوطي بسنده عن ابن عباس قال: (أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ابن أبيّ، وبحري بن عمرو وشاس بن عدي، فكلمهم وكلموه ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوّفنا يا محمد، نحن والله أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى، فأنزل الله فيهم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى...﴾ إلى آخر الآية)[٢].

وفي هذا منتهى الغطرسة والاستعلاء لأن معنى ذلك أنهم أفضل من أنبيائهم الذين حينما نسبوهم إلى الله تعالى كانوا معصومين من الخطأ والخطيئة ومع ذلك تحملوا البلاءات الشديدة، أما هؤلاء فوصفوا أنفسهم بالبنوّة وهم غارقون في المعاصي واتباع الشهوات وملوثون بأنواع الموبقات والجرائم كقتل الأنبياء وتحريف الكتاب السماوي والتمرد على أنبيائهم،

(١) نقل الآلوسي في تفسيره (روح المعاني: مج ٣، ٣٧١) مقاطع مما جاء في كتبهم، وذكر السيد الطباطبائي في (الميزان: ٥/ ٢٥٣) مواضع هذه الدعوى في الأناجيل والتوراة ومزامير داوود.

(٢) الدر المنثور: ٣/ ٤٤.

فهم أكرم على الله تعالى من أنبيائهم كما في الرواية الآتية عن الإمام الرضا (عليه السلام) مع أخيه زيد، فهم إذن يريدون بهذه الدعوى خداع أنفسهم بأنهم لا يُحاسَبون ولا يعذَّبون لأنهم فوق القانون وأن لهم الجنة خالصة دون غيرهم ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ (البقرة:١١١) وإذا أراد الله أن يعذب أحداً منهم فلزمن بسيط ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٨٠)، وهكذا ادعى النصارى أن المسيح افتداهم من العذاب بالصلب فلا يعاقبون على ذنوبهم.

فردَّ الله تعالى دعواهم بجوابين: نقضي وحلّي بحسب المصطلح.

أما النقضي فقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ (المائدة:١٨) إن كنتم أبناء الله وأحباءه فالمفروض أن لكم عند الله تعالى كرامة وخصوصية تقيكم العذاب، وقد عذّب الله تعالى في الدنيا اسلافهم ولعنهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة وسلّط عليهم عباده وجعل منهم القردة والخنازير كما تفيد الآيات الكريمة، وكذلك هم، وأقسى أنواع العذاب هو خذلانهم وحرمانهم من التوفيق حتى ارتكبوا الذنوب الكبيرة، فتكون الباء بيانية وليست سببية، فلا ميزة لكم على الناس وإنكم تحاسبون

كبقية الناس ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ (المائدة:١٨) وفي آية أخرى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الجمعة:٦) وقال تعالى في غيرها: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:٩٤) فمقتضى دعواكم أن لكم النعيم المقيم في الآخرة فلماذا أنتم حريصون على الدنيا وتخافون الموت؟

والجواب الحلّي ببيان أن الله ليس له قرابة مع أحد ولا يجامل أحداً وأن مقياس التكريم هو تقوى الإنسان وعمله الصالح ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٣) وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾ (آل عمران:٣١)، فمن أراد التوفيق ليكون حبيباً عند الله تعالى فلْيُطع الرسول وليلتزم بما جاء به ليكون حبيب الله حقاً وليحظى بالكرامة لديه، ويقيه عذاب النار، روى السيوطي بسنده عن أنس قال: (مرَّ النبي (صلى الله عليه وآله) في نفر من أصحابه وصبيّ في الطريق، فلما رأت أمّه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني.. فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله، ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار! فقال النبي (صلى الله عليه وآله): ولا الله يلقي حبيبه

في النار)[1].

وإنما يجازى كل إنسان بعمله خيراً كان أو شراً ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة:٧-٨) ويخبرهم في آية أخرى بأنّ ما تدّعونه هو مجرد أماني مستحيلة التحقق ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (النساء:١٢٣).

وتنتهي الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ فالله تعالى مالك كل شيء وهو المهيمن على كل شيء، فمِن الحماقة والجهل أن يطلقوا هذه الدعاوى وكأنهم يفرضون على الله تعالى ما يجب فعله، ويريدون تحديد تصرفات الله تبارك وتعالى.

وحينما تكشف الآيات الكريمة هذه الدعاوى وترد عليها بقوة البرهان فإن الهدف لا يقتصر على فضح هؤلاء المدّعين المتاجرين بالدين من أجل الدنيا، وإنما تهدف أيضاً إلى تحذير المسلمين من الوقوع في مثل هذه الاعتقادات الجاهلية، فقيدت قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ- بسبب التفضيل وهو- تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران:١١٠)

(١) الدر المنثور: ٣/ ٤٥.

وليس لمجرد أنكم مسلمون بالاسم والكلام من دون أفعال.

وقد حرص الأئمة المعصومون (عليهم السلام) على تحذير شيعتهم من الاغترار بما ورد في فضل الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) ومنزلتهم عند الله تعالى كالذي ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة:٧) بأنهم علي وشيعته[1] وهكذا في غيرها من الآيات الكريمة، فمن وصية الإمام الباقر (عليه السلام) لجابر: (يا جابر، أيكتفي مَن ينتحل التشيّع أن يقول بحبّنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه) إلى أن قال (عليه السلام): (يا جابر، لا تذهبَنَّ بك المذاهب، حسِب الرجل أن يقول: أُحبُّ علياً وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعّالاً؟ فلو قال: إني أحبُّ رسول الله - فرسول الله (صلى الله عليه وآله) خيرٌ من علي (عليه السلام) - ثم لا يتّبع سيرته ولا يعمل بسنته: ما نفعه حبّه إياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحدٍ قرابة، أحبُّ العباد إلى الله عز وجل وأكرمهم عليه أتقاهم وأعمَلهم بطاعته، يا جابر فوالله ما يتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة وما معنا براءة من النار ولا على الله لأحد من حجة، مَن كان لله مطيعاً فهو لنا ولي ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو،

(١) راجع قبس قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة:٧) في تفسير من نور القرآن.

وما تُنال ولايتنا إلا بالعمل والورع)[١].

وروى الشيخ الكليني (رضوان الله تعالى عليه) بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) أيضاً: (والله ما معنا من الله براءة ولا بيننا وبين الله قرابة ولا لنا على الله حجة ولا نتقرب إلى الله إلا بالطاعة، فمَن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا، ومن كان منكم عاصياً لله لم تنفعه ولايتنا، ويحكم لا تغتروا، ويحكم لا تغتروا)[٢].

فالمقياس هو العمل ولا بد من تقييد الإطلاقات الدالّة على فضل الشيعة أو مَن زار الإمام الحسين (عليه السلام) أو مَن بكى عليه ونحو ذلك بهذا القيد، وهو صريح قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء:٢٨).

أشفق طاووس اليماني - وهو من كبار فقهاء التابعين- لمّا رأى كثرة عبادة الإمام السجاد (عليه السلام) وبكائه وتشديده على نفسه فقال له مخففاً: (ما هذا الجزع والفزع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جانون، أبوك الحسين بن علي وأمك فاطمة الزهراء، وجدّك رسول الله (صلى الله عليه وآله)!؟ قال: فالتفت إليَّ وقال: هيهات هيهات يا طاووس دعْ عني حديث أبي وأمي وجدي،

(١) الكافي، للشيخ الكليني: ٢/ ٧٤-٧٥، الأمالي، للصدوق: ٧٢٥، بحار الأنوار: ٦٧/ ٩٧.

(٢) الكافي: ٢/ ٧٦، بحار الأنوار: ٦٧/ ١٠٢.

خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن، ولو كان عبداً حبشياً[١]، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشياً، أما سمعت قوله تعالى ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾ (المؤمنون:١٠١) والله لا ينفعك غداً إلا تقدمة تقدّمها من عمل صالح)[٢].

وكان الأئمة (عليهم السلام) أكثر تشديداً على من انتسب إليهم لأن ضررهم على الدين أخطر إن أساؤوا، روى الشيخ الصدوق في كتابه العيون بسنده عن الوشاء قال: (كنتُ بخراسان مع علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في مجلسه وزيد بن موسى[٣] حاضر قد

(١) الإمام (عليه السلام) ليس في مقام التفضيل أو التقسيم الطبقي وإنما في مقام النقض على ما قاله السائل.

(٢) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي: ٤٦/ ٨٢.

(٣) ثار زيد بن الإمام الكاظم (عليه السلام) على المأمون العباسي في البصرة وقتل العباسيين وأحرق دورهم، فأرسل المأمون إليه جيشاً فأخمد ثورته واعتُقل وأرسل إليه، وأراد المأمون بخبث أن يخدع الناس بأن أهل البيت (عليهم السلام) طُلاب دنيا ورئاسة وأنهم لا يتورعون عن القتل وإيذاء الناس للوصول إلى هدفهم فعرض على الإمام الرضا (عليه السلام) أن يطلق سراح أخيه إكراماً له، لكن الإمام (عليه السلام) كان له بالمرصاد، روى الشيخ الصدوق: (لمّا حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المأمون وقد كان خرج بالبصرة وأحرق دور ولد العباس وهب المأمون جرمه لأخيه علي بن موسى الرضا (عليه السلام) وقال له: يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل لقد خرج قبله زيد بن علي فقتل، ولولا مكانك مني لقتلته فليس ما أتاه بصغير، فقال الرضا (عليه السلام): يا أمير المؤمنين لا تقس أخي زيداً إلى زيد بن علي فإنه كان من علماء آل محمد غضب لله عز وجل فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله) عيون أخبار الرضا: ١٧٢، باب ٢٥، ح١.

أقبل على جماعة في المجلس يفتخر عليهم ويقول: نحن ونحن، وأبو الحسن (عليه السلام) مُقبل على قومٍ يحدّثهم، فسمع مقالة زيد فالتفت إليه فقال: يا زيد أغرّك قول ناقلي[1] الكوفة: أن فاطمة (عليها السلام) أحصنت فرجها فحرّم الله ذريتها على النار؟ فوالله ما ذاك إلا للحسن والحسين وولد بطنها خاصة، فأما أن يكون موسى بن جعفر (عليه السلام) يطيع الله ويصوم نهاره ويقوم ليله وتعصيه أنت ثم تجيئان يوم القيامة سواء؟ لأنت أعز على الله عز وجل منه، إنّ علي بن الحسين (عليه السلام) كان يقول: لِمُحسننا كِفلان من الأجر ولِمُسيئنا ضِعفان من العذاب)[2].

(١) في معاني الاخبار: ١٠٦ (بقّالي) وهو الأقرب.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٤٤٧، باب ٥٨، مؤسسة أنصاريان.

خطاب المرحلة
(٧٣٨)

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[1] (الانشراح: ٥-٦)

سُنّةٌ من السُنّن الإلهية الثابتة والقوانين الجارية في عباده، فيها وعدٌ صادقٌ من الله تبارك وتعالى مؤكّد بـ(إنّ)، وهو يتضمن بشرى لعباده بأن ما يتعرض له الإنسان من ابتلاءات ومِحن يصعب عليه تحملّها والاستمرار بها فأن أمرها سيتيسّر ويهون ويتبدّل العسر إلى يُسر، وقد ذكر الله تعالى هذ القانون الإلهي في آيةٍ أخرى قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق:٧)، ويتضمن معنى اليُسر لغةً: السهولة والتوسعة والمساعدة والرخاء والرفاه، ويقابله العُسر متضمناً المشقة والضيق والصعوبة والشدة.

وقد أكدت آيةٌ أخرى أن الله تعالى لا يريدُ لعباده إلا اليُسر قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة:١٨٥)، فلا عسر من قبل الله تعالى، وأن العُسر حالة طارئة غير متجذرة ناتجة من فعل العباد، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (الليل:٨-١٠)، أي أنه بفعله واختياره توجّه نحو العسر.

---

(١) قبس من نور القرآن ألقاه سماحة الشيخ اليعقوبي في درس التفسير الأسبوعي يوم الأربعاء ٢٠٢٤/١/٣١م، الموافق ١٩/رجب/ ١٤٤٥هـ

وقد تقدّمت على الآية عدّة مصاديق لليسر بعد العسر من حياة النبي (ﷺ) قال تعالى:﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الإنشراح:١-٤) وفي سورة الضحى ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ (الضحى:٦-٨) فقد ولِد النبي (ﷺ) يتيم الأب ثم تُوفيت أمه وهو رضيع فكفله جدّه عبد المطلب ولمّا تُوفي كفله عمه أبو طالب وكانت قريش تُسميه يتيم أبي طالب، فعاش اليُتم والفقر في مجتمع جاهلي غارق في الموبِقات والرذائل كالشِرك بالله تعالى وعبادة الأصنام والزِنا وشُرب الخمر وقَتل البنات وظلم الضعيف واستعباد الناس وغيرها فكان قلبه يتألم لهذا الواقع الفاسد ويضيق صدره وهو النقي الطاهر فكان يصعب عليه ما يراه من قومه، فمنّ الله تعالى عليه أن شَرَحَ صدره بالإيمان وعَصَمه من الذنوب وزوّجه بسيدةٍ طاهرةٍ كريمةٍ وأغناه وحماه من كيدِ الأعداء إلى أن بعثه بالنبوّة وحمّله أعظم الرسالات فكان سيدَ المرسلين وأفضلَ الخلقِ أجمعين، فيكون بيان هذه النِعم تمهيداً لذكرِ هذه السُنّة الإلهية ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وتأكيداً لها، وارتباطها بالفاء يجعلها كالتعليل لسبوغ تلك النِعم.

وقد نزلت سورة الإنشراح في مكة والنبي (ﷺ) والمسلمون يُعانون من ظُلم قريش واضطهادهم وحصارهم وتجويعهم وتعذيبهم بأقسى العقوبات فكان من أغراضها تسلية النبي (ﷺ) وتخفيف

معاناته وهو يحمل أعباء أثقل مسؤولية ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ (المزمل:٥) ويتعرض لأبشع أنواع الأذى (ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت)[١] وهكذا حملت السور القرآنية صوراً من العُسر والمشقة والشدة التي تعرّض لها الأنبياء السابقون كنوح وإبراهيم ويوسف وموسى وعيسى (صلوات الله عليهم أجمعين) ثم أتاهم الفرج والنصر واليسر وفي ذلك تسليه لرسول الله (ﷺ) حيث وصلت بعض معاناة الرسل إلى حد اليأس وفقدان الأمل ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (يوسف:١١٠).

وتحمل الآية الكريمة أيضاً بشارةً للمسلمين وتثبيتاً لقلوبهم بأن هذا العُسر الذي تئنون من وطأته سيبدّله الله تعالى يُسراً ويزول عنكم هذا العَنَت والمشقة وهو ما حصل بالهجرة إلى المدينة المنورة.

والدرس المستفاد من الآية الكريمة: أن على المؤمنين أن لا يضعفوا أو ييأسوا أو يشعروا بالإحباط، وأن يكون شعارهم دائماً قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ (يوسف:٨٧) وقوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الزمر:٥٣)، فالأمل بانفراج الأزمات وزوال المعاناة موجود دائماً ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وإن

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢٤٧/٣، باب النكت واللطائف، كشف الغمة: ٥٣٧/٢، بحار الانوار: ٥٥/٣٩/ باب٧٣.

نفس هذا الأمل هو يُسر كاشف للعُسر، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (توقّع الفرج إحدى الراحتين)[١].

وعليهم أن يشكروا الله تعالى على حسن صنيعه بهم إذ أبدل خوفهم أمناً وفقرهم يساراً وضيقهم انشراحاً وضلالهم إيماناً وجهلهم علماً وبعدهم قرباً وتفرّقهم وحدة، وهكذا.. ولا أريد الإطالة في ذكر المصاديق من حياة كل فردٍ منا وهو ما اختصره دعاء الافتتاح (فكم يا إلهي من كربةٍ قد فرّجتها وهمومٍ قد كشفتها وعثرة قد أقلتها ورحمةٍ قد نشرتها وحلقةِ بلاءٍ قد فككتها) وفي موضع آخر منه (فكم من موهبة هنيئة قد أعطاني وعظيمة مَخوفةٍ قد كفاني وبهجةٍ مونقةٍ قد أراني فأثني عليه حامداً وأذكره مسبِّحاً)[٢].

وقد كرّر الله تعالى اليُسر بعد العُسر مرتين تأكيداً، فالعُسر واحد لأنه مُعرَّف واليُسر متعدد ومطلق أي أنه مفتوح بجميع الاتجاهات، وفي ذلك أمل كبير بالله تعالى لا نفاد له، وواسع لا حدود له لكل من يمرّ بضيقٍ أو شدةٍ او مُعاناةٍ ماديةٍ أو معنويةٍ، روى في مجمع البيان خرج النبي (صلى الله عليه وآله) يوماً مسروراً فرحاً، وهو يضحك، ويقول: (لن يغلب عسرٌ يُسرين ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾)[٣].

---

(١) غرر الحكم: ٤٥٧٨.

(٢) مصابيح الجنان: ٥٣٩-٥٤٠.

(٣) مجمع البيان - الشيخ الطبرسي: ١٠/ ٢١٧.- المستدرك على الصحيحين: ٢/٥٧٥/ ح٣٩٥٠.

وعنه (ﷺ): (لو جاء العُسر فدخل هذا الجحر، لجاء اليُسر فدخل عليه فأخرجه)[١].

ومن شعر الموعظة:

إذا ضاقت بك الدنيا تفكَّر في ألم نشرح
تجد يسرين بعد العُسِر إن فكرتّه تنجح[٢]

وقد ذكرت الآية ﴿مَعَ الْعُسْرِ﴾ وليس بعد العُسر، وإن كانت دالة على ذلك كما فُهِمَ منها، ولعل النكتة فيها أن حالة العُسر تَستبطن معها حالة اليُسر وتكون سبباً لها لما تتضمنه من الانكسار وتقطّع الأسباب والحاجةِ إلى الله تعالى وهي من موجبات استجابة الدعاء ورفع البلاء ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ (يونس:١٢) حيث ينقطع العبد إلى ربِّه ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النمل:٦٢).

وقد علمّنا اللهُ تعالى طريقَ استجلاب اليُسر قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ (الليل:٥-٧) وعلّمنا وسيلة دفع العُسر والشدّة والضيق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر:٩٧-٩٨)، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة:٤٥)

---

(١) كنز العمال: ٢٩٤٧.

(٢) أنظر: تفسير الثعلبي: ٢٩/ ٥٤٢. ط دار التفسير.

ولم يُذكر مورد الاستعانة على ماذا لتكون مطلقةً سواء لطلبِ الـرزقِ أو العافية أو الولد أو التوفيق أو حلِّ مشكلةٍ معينةٍ أو إصلاح حال خـاص أو عام أو خروج من مأزقٍ وغير ذلك.

وقد دلّت الروايات الشريفة على أن العُسر والضيق كلما يشتد فإنه يكون أقرب لليُسر والفرج قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أضيق مـا يكـون الحرج أقرب ما يكون الفرج)[1]، وقال (عليه السلام): (ما أشتدَّ ضيق إلا قـرّب الله فرجه)، وقال (عليه السلام): (عند تناهي الشدة تكون الفُرجة وعند تضـايق حَلَق البلاء يكون الرخاء)[2].

روي أن امرأة جاءت إلى الإمام الصادق (عليه السلام) فقالـت: (ان ابنـي سافر عني وقد طالت غيبته عني واشتد شوقي إليه فادع الله لي فقال لها: عليك بالصبر، فاستعملته، ثم جاءت بعد ذلك فشكت إليـه طـول غيبـة ابنها فقال لها: ألم أقل لك عليك بالصبر؟! فقالت: يا بن رسـول الله كـم الصبر؟ فوالله لقد فني الصبر، فقال: ارجعي إلى منزلك تجدي ولدك قد قدم من سفره، فنهضت فوجدته قد قدم، فأتت به إليـه فقالـت: أوحـي بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال: لا، ولكن عند فناء الصبر يأتي الفرج، فلما قلت فني الصبر عرفت ان الله قد فرج عنك بقدوم ولدك)[3].

---

(١) غرر الحكم: رقم ٣٠٣٥، ورقم: ٩٥٦٦.

(٢) نهج البلاغة: ٢/ ٢٢٧، بحار الأنوار: ٦٨/ ٩٦.

(٣) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي: ١٥/ ٢٦٤/ ح٩.

وأذكرُ لكم شاهداً على العُسر بعد اليُسر من سيرة النبي (صلى الله عليه وآله):

وقّع النبي (صلى الله عليه وآله) صلح الحديبية مع المشركين وكان من بنوده أن من يأتي للنبي (صلى الله عليه وآله) مسلماً على النبي (صلى الله عليه وآله) أن يرجعه إلى قومه أما من يترك النبي (صلى الله عليه وآله) من المسلمين ويعود إلى المشركين فليس عليهم إرجاعه إلى المدينة، وسبّب هذا الشرط تشكيكاً لدى بعض المسلمين[1] بصواب ما فعله رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ففرَّ أحد المسلمين المستضعفين من حبسه في مكة يدعى أبو بصير عتبة بن أسيد وقصد النبي (صلى الله عليه وآله) فلما وصل المدينة كتب رؤساء المشركين إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يطالبونه به وبعثوا لجلبه رَجُلاً مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَمَعَهُ مَوْلىً لَهُمْ، فَقَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) بِكِتَابِ الأَزْهَرِ وَالأَخْنَسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله): يَا أَبَا بِصَيْرٍ إِنَّا قَدْ أَعْطَيْنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مَا قَدْ عَلِمْتَ، وَلَا يَصْلُحُ لَنَا فِي دِينِنَا الْغَدْرُ، وَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرْجاً وَمَخْرَجاً، فَانْطَلِقْ إِلَى قَوْمِكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَرُدُّنِي إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَفْتِنُونَنِي فِي دِينِي؟ قَالَ: يَا أَبَا بِصَيْرٍ، انْطَلِقْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْعَلُ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرْجاً وَمَخْرَجاً.

فَانْطَلَقَ مَعَهُمَا، حَتَّى إِذَا كَانَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، جَلَسَ إِلَى جِدَارٍ، وَجَلَسَ مَعَهُ صَاحِبَاهُ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَصَارِمٌ سَيْفُكَ هَذَا يَا أَخَا بَنِي

(١) تقدم في خطاب رقم: (٧٣٠) بعنوان: (الفتح السلمي)، وفي تفسير من (نور القرآن) عند قبس قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾.

عَامِرٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَنَظَرَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: اُنْظُرْ، إِنْ شِئْتُ. قَالَ: فَاسْتَلَّهُ أَبُو بَصِيرٍ، ثُمَّ عَلَاهُ بِهِ حَتَّى قَتَلَهُ، وَخَرَجَ الْمَوْلَى سَرِيعاً حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) طَالِعاً، قَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ رَأَى فَزِعاً، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) قَالَ: وَيحك! مَالك؟ قَالَ: قَتَلَ صَاحبكُم صَاحِبي. فوالله مَا بَرِحَ حَتَّى طَلَعَ أَبُو بَصِيرٍ مُتَوَشِّحاً بِالسَّيْفِ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفَتْ ذِمَّتُكَ، وَأَدَّى اللَّهُ عَنْكَ، أَسْلَمْتني بِيَدِ الْقَوْمِ وَقَدْ امْتَنَعْتُ بِدِينِي أَنْ أُفْتَنَ فِيهِ، أَوْ يُعْبَثَ بِي. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله): وَيْلُ أُمِّهِ مِحَشَّ[1] حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَه رجال!.

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو بَصِيرٍ حَتَّى نَزَلَ الْعِيصَ، مِنْ نَاحِيَةِ ذِي الْمَرْوَةِ، عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، بِطَرِيقِ قُرَيْشٍ الَّتِي كَانُوا يَأْخُذُونَ عَلَيْهَا إِلَى الشَّامِ، وَبَلَغَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا اُحْتُبِسُوا بِمَكَّةَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) لِأَبِي بِصَيْرٍ: (وَيْلُ أُمِّهِ مِحَشَّ حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ)!، فَخَرَجُوا إِلَى أَبِي بِصَيْرٍ بِالْعِيصِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ قَرِيبٌ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلاً، وَكَانُوا قَدْ ضَيَّقُوا عَلَى قُرَيْشٍ، لَا يَظْفَرُونَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَتَلُوهُ، وَلَا تَمُرُّ بِهِمْ عِيرٌ إِلَّا اقْتَطَعُوهَا، حَتَّى كَتَبَتْ قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) تَسْأَلُ بِأَرْحَامِهَا إِلَّا

(١) لعل الصحيح (مسعّر) أو هي بمعناها. وفي هامش السيرة هكذا: (محش حَرْب: موقد حَرْب ومهيجها، يُقَال: حششت النَّار، وأرثتها، وأذكيتها، وأثقبتها، وسعرتها، بِمَعْنى وَاحِد. وَفِي الصَّحِيح: «ويل امهِ مسعر حَرْب») أنظر: سيرة أبن هشام: ٢/ ٣٢٤. الناشر: شركة مصطفى البابي.

آوَاهُمْ، فَلَا حَاجَةَ لَهُمْ بِهِمْ، فَآوَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فَقَدِمُوا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ[1].

حكي أن ملكاً أصبح ذات يوم كئيباً حزيناً ضيّقَ الصدرِ فأستدعى ندماءه ليؤنسوه ويزيلوا غمّه فقدّموا كل ما لديهم من أحاديث طريفة وحركات مثيرة فلم يفلحوا وأخيراً نصحوه بأن يقوم بسفرةٍ في البحر عسى أن تنجلي همومه برؤية المناظر المدهشة، وهناك في عرض البحر سمع صوت شخص ينادي (يا غياث المستغيثين أغثني) فطلب من رجاله النزول إلى البحر بسرعة ومعرفة مصدر الصوت فوجدوا رجلاً مشرفاً على الهلاك ينازع أمواج البحر المتلاطمة فأنقذوه وجاؤوا به إلى ظهر السفينة وبعد معالجته واستقرار حالته سأله الملك عن حاله فقال: إنهم كانوا في سفينة فتعرضت لحادث وغرقت وجميع الركاب فبقي يصارع الأموات وفقد كل أمل إلا بالله تعالى فأخذ يكرّر نداء الاستغاثة، فعرف الملك سرَّ ما جرى له وكيف دفعه الله تعالى بهذه الطريقة لإنقاذ الغريق.

ولا بد من الالتفات إلى أن العُسر قد يكون مادياً كالفقر والمرض والسجن والغربة والحرمان من الأهل والولد وقد يكون معنوياً كضيقِ الصدرِ والقلق والاكتئاب والوسوسة والحرمان من الهداية والتوفيق والتورط بالذنوب وفي مقابلها يكون اليُسر، كما أن اليُسر الموعود قد لا

(١) سيرة أبن هشام: ٣/ ٢٠٧- ٢٠٨ ط. دار الجيل.

يكون من جنس العُسر كأن يعطي مالاً للفقير أو صحةً للمريض بل يعطيه شيئاً آخر كالهدايةِ والتوفيق وغفران الذنوب والصبر على المصيبة وربما الشكر وراحة البال وقرّة العين في الأهل والولد والعلم والبصيرة وتأسّي الآخرين وتأثرّهم به، مضافاً إلى كل ذلك الفوز بالجنة والنجاة من النار وحسن الجزاء في الآخرة، ولعل في تكرار اليُسر مع العُسر في الآية للإشارة إلى أنه قد يكون من جنسه وقد يكون من غيره أو هما معاً.

نسأل الله تعالى ان ييسّرنا للحسنى والصلاح والسعادة والرضا في الدنيا والآخرة.

خطاب المرحلة
(٧٣٩)

سورة الفجر والإمام الحسين (عليه السلام)[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر:١-٢).

روى الشيخ الطبرسي في فضل سورة الفجر عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (ومن قرأها في ليالٍ عشر، غفر الله له، ومن قرأها سائر الأيام، كانت له نوراً يوم القيامة)[٢].

الفجر لغةً ((شق الشيء شقاً واسعاً)) كما في المفردات[٣] وأضاف إليه في التحقيق: ((انشقاق مع ظهور شيء فيه))[٤] وهو أقرب قال تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا﴾ (القمر:١٢) أي شققنا الأرض عن عيون ماء وقوله تعالى: ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (البقرة:٦٠)، ولذا سُمّي الوقت الذي يسبق طلوع الشمس بالفجر لأن ضياءها الأول المعروف عند العرب بعمود الصبح يشق ظلمة الليل ويتسع النور حتى يملأ السماء، وإن كان

(١) قبس من نور القرآن ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) يوم الأربعاء ٣/شعبان/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٤/٢/١٤م، حيث صادف ذكرى ميلاد الإمام الحسين (عليه السلام) وقرب حلول ذكرى استشهاد السيد الصدر الثاني (قده) يوم ١٩٩٩/٢/١٩م.

(٢) مجمع البيان: ١٩٠/١٠.

(٣) مفردات غريب القرآن: ٣٧٣.

(٤) التحقيق في كلمات القرآن الكريم- الشيخ المصطفوي: ٩/ ٤٦.

التوصيف بالعمود يشير إلى الفجر الكاذب الذي لا يكون معتبراً شرعاً فإنه يبرز كالعمود ويشبهونه بذنب السرحان أي الذئب، وإنما الفجر الصادق الذي يليه هو المعتبر وهو ضوءٌ مستعرض يزحف نحو السماء كالغطاء، وأُطلِق الفجور على فعل القبائح كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (الانفطار:١٤) وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ (المطففين:٧) وذلك لأن فاعلها يشق ستر العفاف والحياء والدين والحكمة والاعتدال ويخرج بما يخالف ذلك كله.

وقال في مجمع البحرين: أن ((أصله المفارقة، ومنه تفجير الأنهار وهو مفارقة أحد الجانبين الآخر))[1] ولعله من لوازم ما ذكرناه.

فتبدأ السورة بالقسم بالفجر، والقسم يشد الانتباه ويستحضر القلب ويفرّغ الذهن لما يقسم به، وقد ورد القسم بأوقات أخرى في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (المدثر:٣٤)، ﴿وَالضُّحَى﴾ (الضحى:١)، ﴿وَالنَّهَارِ﴾ (الشمس:٣)، ﴿وَالْعَصْرِ﴾ (العصر:١)، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ (التكوير:١٧) لخصوصيات في هذه الأزمنة تقتضي تعظيمها وتشريفها تُذكَر في مواضعها أو لنكتة عامة وهي التأكيد على عظمة الوقت

(١) مجمع البحرين- الطريحي: ٣/ ٣٦٥.

وضرورة استثماره في ما ينفع، وقد تكرر القسم بالفجر ومرادفه وهو الصبح كما في قوله تعالى ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (التكوير:١٨) وكأن الليل كان جاثماً على صدره حتى إذا أرسلت الشمس أول ضوء لها عند الفجر تنفس الصبح، وقوله تعالى ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (المدثر:٣٤) فمع أول ضياء للشمس يسفر الصبح عن كيانه الجميل بعد أن كان محجوباً بالليل.

وتكرار القسم بالفجر والصبح لعظمة الفجر في كونه بداية يوم جديد ينهض فيه الإنسان نشيطاً بعد أن استراح بالنوم ليضيف إلى رصيده أعمالاً توجب السعادة والفلاح، وإن فترة ما بين الطلوعين لها تأثير كبير في جلب البركة والرحمة والتوفيق لذا أكّد الشارع المقدس على ذكر الله تعالى وأوجب صلاة الصبح فيها قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ (ق:٣٩) (طه:١٣٠) وقال تعالى ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ (طه:١٣٠) وقال تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ﴾ (هود:١١٤) كما تكرر القسم بالليل أيضاً ولعله لأثر القيام فيه في تحصيل الكمالات الروحية قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ (الإسراء:٧٩)، وروى الشيخ الطوسي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ

مَشْهُوداً﴾ (الإسراء:٧٨) يعني صلاة الفجر تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، فإذا صلّى العبد صلاة الصبح مع طلوع الفجر أثبتت له مرتين، تثبته ملائكة الليل وملائكة النهار)[1].

والظاهر أن المراد بالفجر الظاهرة التكوينية المعروفة الممتدة من ظهور الفجر الصادق الذي تجب فيه الصلاة والإمساك للصائمين وهو ابتداء اليوم عند جمع من العلماء إلى شروق الشمس وهي من آيات الله تعالى التي تجري بدقة متناهية لكننا لا نلتفت إليها لاعتيادها، كما يراد بالليل الظاهرة الكونية المعروفة.

وقد يراد بالفجر والليل الأمور المعنوية مادام معناهما محفوظاً فيها، فيوم المبعث النبوي الشريف وابتداء نزول القرآن هو أعظم فجر بزغ على البشرية حيث انجلت بصبحه ظلمات الجاهلية، ويوم عاشوراء فجرٌ عظيم آخر أعاد الحياة للبعثة النبوية من جديد، وفجر يوم العاشر من ذي الحجة بداية لحياة نورانية سامية، وهكذا.

وفي مقابلها فإن الليل كل ظلام يحجب نور الإيمان والسعادة والكرامة والسمو والفضيلة كالجهل والشرك والكفر والعصبية والأنانية والفقر والتخلف ونحو ذلك.

---

(١) التهذيب: ٢/ ٣٧/ ح١١٦، وسائل الشيعة: ٤/ ٢١٣.

كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (الفجر هو القائم والليالي العشر الأئمة من الحسن إلى الحسن ....، والليل إذا يسر هي دولة حبتر التي تسري إلى دولة القائم)[1] فالليل كناية عن قضاء الأئمة العشرة بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) حياتهم تحت وطأة دول الظَلَمَة التي ملأت الأرض ظلماً وجوراً وفساداً وضلالاً وانحرافاً، والفجر هو انفلاق نور التوحيد والاستقامة والكرامة والحكم العادل والدولة الكريمة.

والليالي العشر مباركة ذات أهمية استحقت القسم بها، وهي قد تكون معينة في علم الله تعالى لكن المولى أبهمها، لتتعدد الاحتمالات في أذهان المتلقّين ويتوسعوا في المصاديق فيزدادوا من الطاعات، وفق مصطلح (الإيهام الإثباتي) الذي ابتكره السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) بحسب ما أعلم، وقد تكون عشرات متعددة، وقد تعددت التفاسير[2] للّيالي العشرة بين العشرة الأولى من ذي الحجة التي تتضمن فجر العاشر، أو العشرة الأولى من محرم إلى يوم عاشوراء، أو العشر الأواخر من شهر رمضان التي تتضمن ليلة القدر، وكلها مقبولة بقرينة تنكير ﴿لَيَالٍ﴾ لإفادة التعميم والتعظيم معاً؛ لذا كان أهل المعرفة يعظمون هذه

(١) البرهان: ٥٤/١٠.

(٢) راجع الأقوال في مجمع البيان والدر المنثور وغيرهما.

العشرات والليال المخصوصة فيها، فكل واحدة من هذه العشرات تنفجر عن صبح جديد يُزيل ظلمات النفس الأمّارة بالسوء ويُطهر القلب من أدرانه ويبعث الحياة في النفوس التي أماتتها الشهوات، وهكذا تتكثر مصاديق الفجر والليل ويتحقق الفجر الأعظم بقيام المهدي الموعود (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ليتمم النور الذي انبلج ببعثة جده المصطفى (صلى الله عليه وآله) كما وعد الله تعالى.

وتدل الروايات على أنَّ لسورة الفجر اختصاصاً بالإمام الحسين (عليه السلام)، لأن ما قدمه الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء كان سبباً لانتشار نور الإيمان في أصقاع الأرض واستمرار رسالة الإسلام وخلودها بعد أن بذل الأمويون ومَن والاهم كل جهد للقضاء على هذا الدين، روى الشيخ الصدوق بسنده عن داوود بن فرقد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (أقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم فإنها سورة الحسين بن علي (عليهما السلام)، من أدمن قراءة الفجر كان مع الحسين (عليه السلام) يوم القيامة في درجته من الجنة إن الله عزيز حكيم)[1]، وروى علي بن إبراهيم في تفسير الآية الأخيرة من السورة بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): (﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، قال

(١) ثواب الأعمال: ١٢٣، (ثواب قراءة سورة الفجر).

(عليه السلام): يعني الحسين بن علي (عليهما السلام))[١]، وهكذا تبدأ السورة بذكر الإمام الحسين (عليه السلام) وتنتهي به.

وقد فهم المشهور من الليالي العشر أنها زمنية متتابعة كالعشرات المتقدمة لكن السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) قدّم أطروحتين في مقابلها:

١- إنها عشرة زمانية لكنها غير متتالية بل متفرقة كليلة القدر والنصف من شعبان والعيدين وعرفة والأول من رجب وهكذا، وهو معنى لا يوجد ما يمنع منه.

٢- إنها عشرة مجتمعة في زمان واحد أي متداخلة نظير قوله تعالى: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾[٢] (الزمر: ٦)، قال (قدس سره): ((وعلى تقدير الأهمية المعنوية وعدم التتابع، فهي إشارة إلى أنواع البلاء الذي تمرّ به البشرية أو الجيل أو الفرد، نظير قوله: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ وتشبيه البلاء بالليل مجاز وارد، أو أن المراد بها حجب الظلمة، إلى غير ذلك، أو المراد عشر مراحل في التكامل))[٣] ثم قال (قدس سره): ((وعليه يمكن أن تكون مجتمعة

(١) تفسير القمي: ٤٢٢/٢.

(٢) روى القمي في تفسيره (٢/ ٢٤٦) والطبرسي في مجمع البيان عن أبي جعفر (عليه السلام) أنها (ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة) ويمكن أن نورد قوله تعالى: ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ (النور:٤٠).

(٣) منة المنان، للسيد الشهيد محمد الصدر: ٢/ ٢٢٨.

كلها دفعه واحدة، فمثلاً أنا الآن فعلاً في عشر ليال[1]، كما يقال عن الجنين: إنه في ظلماتٍ ثلاثٍ، أي: دفعة واحدة، فكذلك الإنسان قد يكون في ليالٍ عشرٍ أو أقل أو أكثر، وخاصة فيما إذا لم نفهم من العشرة التحديد، بل العدد الإجمالي، كما في السبعين ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾.

والمهم الآن أني سأذكر مثالاً جمعت فيه عشرة أنواع من البلاء لإنسانٍ مسكينٍ يمكن أن يكون نموذجاً موجوداً، وقد تكون أشكال البلاء على الآخرين أيضاً متعددة، لكنها بشكل آخر. فيعيش هذا الإنسان في عشر ليالٍ مجتمعة في ليلٍ واحدٍ أو حالٍ واحدٍ، فنتصور شخصاً في حال المرض والفقر وبيته بعيدٌ، وفي أسرةٍ مشاكسة، ثم تتعدد ابتلاءاته، فهو في ليل الزمان، وليل الوحدة، وليل الفقر، وليل الجوع، وليل المرض، وليل عدم الطبيب، وليل عدم الدواء، وليل بُعد المسافة، وليل الحرّ أو البرد، وليل همّ أسرته اقتصادياً، وليل صعوبة زوجته أخلاقياً وهكذا، فيمكن أن يكون الإنسان هكذا، ويمكن أن توجد نماذج كثيرةٌ من أعلى أنواع البشر إلى أدناها))[2].

(١) لا أظن أن كلمته هذه مجرد مثال وإنما كان يعني ما قال حيث كان يعاني من ظلمات متعددة منها ظلمة النظام الصدامي الوحشي لكنه (قدس سره) لم يكن يستطيع التصريح فجاء بالمثال.

(٢) منة المنان: ٢/ ٢٣٠.

أقول: كان السيد الشهيد الصدر الثاني (قده) يولي اهتماماً أكبر بإشراق فجر النقاء والإخلاص والفضيلة من داخل النفس والقلب أكثر من طلوع فجر الحرية والتخلّص من الظلمة انطلاقاً من الحديث النبوي الشريف الذي سمى الأول بالجهاد الأكبر والثاني بالجهاد الأصغر[1]، ولا قيمة للثاني مهما عظمت تضحياته إلا بمقدار النجاح في الأول، لذا كان يدعوا إلى فهم الفجر على هذه المعاني لأنه أكثر تأثيراً في تهذيب النفس وسعيها نحو الكمالات، وقد أكّد السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) على هذا المعنى في رسائله التي جمعتُها في كتاب (الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه) وكتاب (قناديل العارفين) ومما قال: ((وأمّا الفجر الذي تشير إليه في رسالتك والذي أود أن أفهم منه المعنى المعنوي فهو الفجر الذي يشرق في النفس والضمير قبل أن يشرق على المجتمع، والله سبحانه أخبرُ بعباده، ومن المؤكد أن التربية الإيمانية في ظلمات الدنيا وصعوباتها أقوى وأوكد وأرسخ من التربية مع الدلال والترفيه وهل تطبيق الأحكام الاجتماعية العامة بين الناس إلا لطاعة الله، فاذا توفّرت طاعته

(١) ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال: (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث سرية فلما رجعوا قال: مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد

تحت ظروف الظلمات، بل بشكل ألطف وأوكد فذلك هو المطلوب))[1].

كما كان يعبّر (قُدِّسَ سِرُّهُ) عن حكم صدام الجائر بالليل وعن زواله بطلوع الفجر حيث كنا لا نستطيع استعمال الألفاظ الصريحة والنظام في أوج طغيانه وشراسته في ثمانينات القرن الماضي.

(١) الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه: ٣١، جهاد واجتهاد: ٤٢.

خطاب المرحلة
(٧٤٠)

السيدة الزهراء (عليها السلام) أجلى مصاديق الكوثر المعطى لرسول الله (صلى الله عليه وآله)[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر:١).

روى الشيخ الصدوق في فضل تلاوة سورة الكوثر بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (مَن كانت قراءته: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ في فرائضه ونوافله، سقاه الله من الكوثر يوم القيامة وكان مُحَدَّثه عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أصل طوبى)[٢].

سورة الكوثر أقصر سور القرآن، وداخلة في تحدي القرآن لطواغيت قريش وبلغاء العرب بأن يأتوا بمثلها في قوله تعالى ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:٢٣)، وقوله تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس:٣٨) ومع ذلك فقد عجزوا عن الإتيان بمثلها ومن مظاهر الإعجاز فيها أنها نزلت في مكة وهم في ذروة طغيانهم

---

(١) قبس من نور القرآن ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في درس التفسير الأسبوعي يوم الأربعاء ١٠/شعبان/١٤٤٥هـ- المصادف ٢٠٢٤/٢/٢١م.

(٢) ثواب الأعمال: ١٢٦.

وتعبئتهم لإبطال دعوة النبي (ﷺ) الذي كان محاصراً محروماً مستضعفاً وهي تتحدث عن كثرة النبي (ﷺ) وانقطاع أمر أعدائه.

والسورة فيها تسلية للنبي (ﷺ) وتطييب لنفسه من الضيق والألم والحزن الذي كان يسبّبه الخصوم، وتذكير له (ﷺ) ببعض نعم الله تعالى العظيمة عليه، وتكليفه إزاء هذه النعم بالصلاة والنحر، وتكليفنا أيضاً لأننا نحن المستفيدون من هذا الكوثر والمتنعمون به في الدنيا والآخرة.

والسورة مكيّة، روي في سبب نزولها عن ابن عباس قال: (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) دخل من باب الصفا وخرج من باب المروة فاستقبله العاص بن وائل السهمي، فرجع العاص إلى قريش، فقالت له قريش: مَن استقبلك يا أبا عمرو آنفاً؟ قال: ذلك الأبتر، يريد به النبي (صلى الله عليه وآله)، حتى أنزل الله هذه السورة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ يعني عدوك العاص بن وائل هو الأبتر من الخير، لا أذكرُ في مكان إلا ذُكرتَ معي يا محمد، فمَن ذكرني ولم يذكرك ليس له في الجنة نصيب)[1].

وفي تفسير القمي (وكان الرجل في الجاهلية إذا لم يكن له ولد سمي أبتر، ثم قال عمرو: إني لأشنأ محمداً أي أبغضه، فأنزل الله تعالى

(١) الدر المنثور: ٨/ ٦٤٦.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي مبغضك عمرو بن العاص وهو الأبتر يعني لا دين له ولا نسب)[١].

ونقل في تفسير البرهان أن عمرو بن العاص لما ولي مصر من قبل معاوية بذل مائتي ألف درهم لمحو آية ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ فلم يفلح، (فبلغ ذلك معاوية فكتب إليه: قد بلغني ما قلت على منبر مصر ولست هناك)[٢].

ويظهر من بعض الروايات أنها نزلت في المدينة أيضاً مرة أو أكثر، ويمكن أن يكون معنى نزولها التذكير بها أو تطبيقها على بعض مواردها، فقد روي عن ابن عباس قال: (قدم كعب بن الأشرف[٣] مكة فقالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم، ألا ترى إلى هذا الصابئي المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السقاية وأهل السدانة؟ قال: أنتم خير منه، فنزلت ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ ونزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً *

(١) تفسير القمي: ٢/ ٤٤٥.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ١٠/ ٢٥٣/ ح١٩.

(٣) من زعماء اليهود في المدينة كان يحرّض قريشاً على حرب النبي (ﷺ) والقضاء عليه ويتعرض لنساء المسلمين فدبر له أحد الصحابة مكيدة وقتله.

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ (النساء:٥١-٥٢))[١].

والكوثر على وزن ((فوعل من الكثرة، وهو الشيء الذي شأنه الكثرة))[٢] على نحو نوفل وهو كثير النوافل، فهو من صيغ المبالغة، لذا قيل في معناه أنه الخير الكثير كما في معجم مقاييس اللغة[٣] وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير، وقيل أنه (الخير العظيم الذي أُعطيه النبي ﷺ))[٤]، ويقال: تكوثر الشيء كثر كثرة متناهية، قال الشاعر: (وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا) كما في المفردات[٥]، هذا بلحاظ الفعل.

وقد يطلق بلحاظ الفاعل فيقال للرجل المعطاء السخي: (الكوثر) كما في المقاييس والمفردات، وعلى هذا فالنبي (ﷺ) كوثر في نفسه ومعنى إعطائه الكوثر أي جعله كوثراً لأنه أعظم الخلق بركة وخيراً على كل المخلوقات فهو الأولى بقوله تعالى ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ (مريم:٣١)، وكذا أهل بيته المطهرون (صلوات الله عليهم أجمعين) فهم (أولياء النعم) و(مساكن بركة الله ومعادن حكمة الله) (والرحمة الموصولة) وغيرها من المعاني الواردة في زيارة الجامعة الكبيرة، وفيها

(١) الدر المنثور: ٨/ ٦٥٢.

(٢) مجمع البيان: ١٠/ ٢٥٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة- ابن فارس: ١٦١/٥.

(٤) فتح القدير- الشوكاني: ٥/ ٥٠٤.

(٥) مفردات غريب القرآن - الراغب الأصفهانى: ٤٢٦.

(بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزّل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه)[١]، فمن أعظم خيراً وبركةً منهم؟

ولسنا فقط من نروي ذلك فقد روى عدد من علماء العامة ذكرهم في المراجعات، (أن الحسين بن علي (عليه السلام) صعد إلى عمر بن الخطاب، فقال له: انزل عن منبر أبي واصعد منبر أبيك، قال: فقال: إن أبي لم يكن له منبر. (قال:) فأقعدني معه فلما نزل ذهب بي إلى منزله فقال (لي): أيْ بني، مَن عَلّمك هذا؟ قال: قلت: ما علمنيه أحد، قال: أي بني لو جعلت تأتينا وتغشانا؟ قال: فجئت يوماً وهو خال بمعاوية، وابن عمر بالباب ولم يأذن له، فرجعت فلقيني بعد فقال لي: يا بني لم أرك أتيتنا؟ فقلت: قد جئت وأنت خالٍ بمعاوية فرأيت ابن عمر رجع فرجعت. فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، إنما أنبت في رؤوسنا ما ترى الله ثم أنتم، قال: ووضع يده على رأسه)[٢]، أي أن كل ما عندنا من خير فهو من الله تعالى وبفضلكم، قال تعالى ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (التوبة:٧٤).

---

(١) مصابيح الجنان: ٤٥٤.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر الهيثمي (بالثاء): ٣٠٠/٢، لأنصاري: ٨٨/٢ والرياض النضرة: ٥٦١/١، والإصابة: ٦٩/٢، والمراجعات: ٣٩٦، وشرح النهج: ٤٢/٦، وكنز العمال: ٦٥٤/١٣، ومعرفة الثقات: ٣٠٢/١، وتاريخ بغداد: ١٥١/١، وتاريخ دمشق: ١٧٥/١٤، وتاريخ المدينة: ٧٩٩/٣، ومناقب محمد بن سليمان: ٢٥٥/٢، علل الشرائع: ١٨٦، والغدير: ١٢٦/٧، ومستدرك الوسائل: ١٦٥/١٥.

وأعطي الكوثر أي الخير الكثير بكل معنى سامٍ، يليق بمقامه الكريم، ومنه ما ورد في الروايات أن الكوثر نهر في الجنة[١]، وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وأبو داوود والنسائي وابن جرير والبيهقي في سننه عن أنس بن مالك قال: (أغفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) إغفاءة، فرفع رأسه مبتسماً، فقال: إنه نزلت عليَّ آنفاً سورة فقرأها حتى ختمها، قال: هل تدرون ما الكوثر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هو نهر أعطانيه ربّي في الجنة عليه خير كثير ترِده أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم، فأقول: يا رب، إنه من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدث بعدك)[٢].

أقول: يروون هذا وغيره ثم يعتقدون بعدالة كل الصحابة وأن الله تعالى قد رضي عنهم جميعاً، وأخرج في الدر المنثور عن أنس قال: (دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: قد أعطيتُ الكوثر، فقلت: يا رسول الله وما الكوثر؟ قال: نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب، لا يشرب منه أحد فيظمأ، ولا يتوضّأ أحد منه فيشعث أبداً، لا يشربه إنسان أخفر ذمتي وقتل أهل بيتي).

ويمكن أن يكون معنى الكوثر: الحكمة، لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة:٢٦٩)، والكوثر هو الخير

(١) راجع الروايات ومصادرها في تفسير البرهان: ٢٤٧/١٠، والدر المنثور: ٨/ ٦٤٧.

(٢) الدر المنثور: ٦٤٧/٨.

الكثير فالحكمة من مصاديق الكوثر، وقد أوتي رسول الله (ﷺ) الحكمة كأتمّ ما تكون قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء:١١٣).

ومن مصاديق الكوثر القرآن فإنه كتاب مبارك دائم العطاء، فيه صلاح الخلق وهدايتهم وخيرهم وفوزهم وفلاحهم إلى يوم القيامة، ومعانيه لا تنتهي ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان:٢٧) وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا تفني عجائبه ولا تنقضي غرائبه)[1]، روى الشيخ الطوسي في أماليه بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) قال: (قال النبي (صلى الله عليه وآله): أُعطيت جوامع الكلم، قال الراوي: فسألت أبا جعفر (عليه السلام): ما جوامع الكلم؟ قال: القرآن)[2].

وروى الطبرسي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في معنى الكوثر أنه الشفاعة، وقيل إنه كثرة الأتباع.

وهكذا تتعدد المصاديق وكلها قابلة لانطباق العنوان عليها، روى البخاري والحاكم وغيرهما عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: (الكوثر الخير الذي أعطاه الله إياه، قال الراوي: قلت لسعيد بن جبير:

(١) نهج البلاغة – خطب الإمام علي (عليه السلام): ١/ ٥٥، بحار الأنوار: ٢/ ٢٨٤.

(٢) الأمالي: ٢/ ٩٩.

فإن ناساً يزعمون أنه نهر الجنة، قال: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه)[١].

قال الطبرسي: ((وجميع هذه الأقوال تفصيل للجملة التي هي الخير الكثير في الدارين))[٢].

ومن أجلى مصاديق الكوثر السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فهي الكوثر في نفسها لأنها المعصومة المطهرة سيدة نساء العالمين وتنعم الأمة ببركة عطائها إلى قيام الساعة، وهي الكوثر لأنها سبب تكاثر رسول الله (صلى الله عليه وآله) مادياً ومعنوياً، لأنها البنت الوحيدة للنبي (صلى الله عليه وآله) ومنها كانت ذريته الطيبة المباركة المعصومة وهم الأئمة الطاهرون وسادة الخلق أجمعين حجج الله تعالى على خلقه وبها وبذريتها (صلوات الله عليهم أجمعين) حفظ الدين وأستمر ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومنهم تَكثّر نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليبلغ الملايين بينما انقطع نسل أعدائه ومبغضيه مصداقاً لقوله (صلى الله عليه وآله): (كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي)[٣]، وقوله (صلى الله عليه وآله): (يا علي ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وجعل ذريته من صلبه وجعل ذريتي من صلبك، ولولاك ما كانت لي ذرية)[٤].

---

(١) الدر المنثور: ٨/ ٦٤٩.

(٢) مجمع البيان- الشيخ الطبرسي: ٤٦٠/١٠، ط، مؤسسة الأعلمي.

(٣) الأمالي - الشيخ الطوسي: ٣٤٠/ ح٦٩٤.

(٤) الفقيه - الشيخ الصدوق: ٤/ ٣٦٥.- المعجم الكبير للطبراني: ٤٣/٣/ ح٢٦٣٠.

وقال (صلى الله عليه وآله): (كل بني أنثى فان عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة (عليها السلام) فاني أنا عصبتهم وأنا أبوهم)[1].

وهذا المعنى هو أوضح المعاني بشهادة ما نقلناه من سبب النزول، وبمقتضى المقابلة مع وصف مبغضه بالأبتر وهو مقطوع النسل والخير، فإنهم بعد أن عجزوا عن مواجهة النبي (صلى الله عليه وآله) والقضاء على دين الإسلام علّقوا آمالهم على وفاته (صلى الله عليه وآله) لينتهي أمره باعتباره أبتراً لا ولد له، فأعطاه الله الكوثر مادياً بكثرة نسله من ابنته الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ومعنوياً بتنصيبه علياً (عليه السلام) خليفة له وحاملاً لرسالته ومن بعده الأئمة المعصومون (عليهم السلام) من ذريته وهكذا حفظ الدين.

قال العلامة الطبرسي (رضوان الله عليه): ((وفي هذه السورة دلالات على صدق نبينا (صلى الله عليه وآله) وصحة نبوته أحدها: إنه أخبر عمّا في نفوس أعدائه، وما جرى على ألسنتهم، ولم يكن بلغه ذلك، فكان على ما أخبر.

وثانيها: إنه قال ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ فانظر كيف انتشر دينه، وعلا أمره، وكثرت ذريته، حتى صار نسبه أكثر من كل نسب، ولم يكن شيء من ذلك في تلك الحال.

وثالثها: إن جميع فصحاء العرب والعجم، قد عجزوا عن الإتيان بمثل هذه السورة على وجازة ألفاظها مع تحديه إياهم بذلك، وحرصهم

(١) المعجم الكبير للطبراني: ٤٣/٣/ ح٢٦٣١.- ينابيع المودة – القندوزي: ٩٨/٢/ ح٢٥٠.

على بطلان أمره، منذ بعث النبي (ﷺ) إلى يومنا هذا. وهذا غاية الإعجاز.

ورابعها: إنه سبحانه وعده بالنصر على أعدائه، وأخبره بسقوط أمرهم، وانقطاع دينهم، أو عقبهم، فكان المخبر على ما أخبر به.

هذا وفي هذه السورة الموجزة من تشاكل المقاطع للفواصل، وسهولة مخارج الحروف، بحسن التأليف، والتقابل لكل من معانيها، بما هو أولى به، ما لا يخفى على من عرف مجاري كلام العرب))[1].

أقول: في الآية وعد مؤكد بأن مبغضي النبي (ﷺ) ورسالتِه العظيمة والمسيئين إليه وإلى دين الإسلام والقرآن، بالكلام أو بالرسوم أو بحرق المصحف أو بافتراء الأحاديث وتشويه السمعة، سيكون مصيرهم انقطاع ذكرهم واندثار أمرهم وبتر وجودهم، وإلا فأنهم أرادوا إطفاء هذا النور من أول يومٍ ومناديهم يقول (لا تبقوا لأهل هذا البيت من باقية)[2] لكن ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة:٣٢)، وهذا ما أثبتته الوقائع سابقاً ولاحقاً، ولو كان عنده شيء من متاع الدنيا الزائلة فإنه لا قيمه له مقابل ما خسره من خير الدنيا والآخرة.

---

(١) مجمع البيان: ١٠/ ٢٥٩-٢٦٠.

(٢) مقتل الحسين عبد الرزاق للمقرّم: ٣٤١.

خطاب المرحلة

(٧٤١)

الفتح الأعظم يوم الظهور الميمون[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ (السجدة: ٢٨-٣٠).

الفتح: إزالة الإغلاق والأقفال والأغلال والأسداد ونحو ذلك، وهو قد يكون في الأمور المادية كقوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ (القمر:١١) وقوله تعالى ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ (القصص:٧٦) ومنه فتح الباب بفك إغلاقه، وقد يكون في الأمور المعنوية كانفتاح الذهن على فكرة تحلّ مشكلة علمية أو معرفة معاني لم يكن يعلمها قبل ذلك، ويقال لمن يهتدي إلى حكم في قضية معينة أنه فتح عليه لأن فيه إزالة اللبس والغموض قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام:٥٩).

وإنما يبدأ الفتح الحقيقي من انفتاح القلب على الإيمان بالله تعالى وانشراحه به وطهارة النفس وانطلاق الأعضاء في طاعة

(١) قبس من نور القرآن ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في درس التفسير الأسبوعي يوم الأربعاء ١٧/شعبان/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٤/٢/٢٨م.

الله تعالى والتحرّر من قيود الرذيلة والانحطاط وإتباع الأهواء والبعد عن الله تعالى، وما الغرض من بعثة النبي (صلى الله عليه وآله) إلا تحقيق هذا الفتح للناس من الأولين والآخرين وتخليصهم من أغلال الجاهلية النفسية والاجتماعية والفكرية والعقائدية والأخلاقية وفي سائر شؤون الحياة، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف:١٥٧) ومن دون حصول هذا الفتح لا ينتفع الإنسان حتى بالفتح الأكبر بظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، روى الشيخ الكيني في الكافي بسند رفيع عن أبي بصير قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): جعلت فداك متى الفرج؟ فقال: يا أبا بصير وانت ممن يريد الدنيا؟ من عرف هذا الأمر فقد فُرِّج عنه لانتظاره)[1].

وهكذا تتعدد معاني الفتح، ومنها الحكم الفصل بالحق مع الخصوم، وقد دعا نبي الله نوح (عليه السلام) ربه أن يفتح أي يفصل بينه وبين قومه ويضع حداً لعنادهم فقضى الله عليهم بالغرق ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي

(١) الكافي: ٣٧١/١ ح٣.

وَمَن مَّعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ (الشعراء:١١٧-١٢٠).

كما وصف الله تعالى صلح الحديبية بالفتح المبين في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (الفتح:١) حيث كان سبباً لكسر الحصار الذي فرضه المشركون على النبي (ﷺ) ودعوته المباركة، ولانتشار الإسلام واختراقه لقريش أنفسهم وانهيار جبروتهم ووصول الدعوة النبوية المباركة إلى أنحاء الجزيرة العربية التي كانت مغلقة تبعاً لموقف قريش الشرس ضد النبي (ﷺ)، وقد حصل كل هذا بلا قتال، فالفتح لا يختص بالنصر العسكري وقد تقع من الفتوح دون نصر حربي عسكري، بل هذا النصر من مقدمات وأسباب الفتح الذي قد يحصل وقد لا يحصل، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (النصر:١) وقوله تعالى ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ (الصف:١٣) بل إن النصر العسكري لا تكون له قيمة إلا بمقدار أدائه لغرضه وهو الفتح المعنوي بإحقاق الحق وإبطال الباطل وإقامة حكم الله تعالى وإرساء العدالة الاجتماعية بين الناس، وفي ضوء هذا يجب تقييم ما تسمى بالفتوحات الإسلامية التي حصلت بعد وفاة النبي (ﷺ) وسائر الحروب عبر التاريخ.

ولتحقيق هذا الفتح أدوات تكون مفاتيح إغلاقه لا بد من معرفتها، فإن لكل فتح ما يناسبه من المفاتيح، فمفتاح الجنة التقوى والعمل الصالح وخلوص النية والقلب السليم وطهارة النفس، قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الشعراء:٩٠) وقال تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمُراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (الزمر:٧٣) وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء:٨٩) لذا كان خطاب الملائكة لأهل الجنة متضمناً سبب استحقاقهم لها ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر:٧٣).

والآية الكريمة تعكس صورة لتصدي القرآن الكريم لدعاوى وشبهات الخصوم والإجابة عنها بما يناسبها وعدم تركها لتشوش فكر ضعاف الإيمان وتزلزل عقائدهم.

كما أنها تنقل نموذجاً لطغيان أعداء الإسلام المتمثلين يومئذ بقريش وحماقتهم إذ لم ينفع معهم التحذير المتقدم ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ (السجدة:٢١-٢٢)، بل إنهم كانوا يتحدَّون النبي (ﷺ) ويطالبونه بأن يفتح الله تعالى له وينزل عليهم النقمة والعذاب التي هدّدهم بها إن كان صادقاً ﴿وَيَقُولُونَ

مَتَى هَـذَا الْفَـتْحُ إِن كُنـتُمْ صَـادِقِينَ﴾ (السـجدة:٢٨)، ولا يعلمـون أن الله تعـالى إنمـا يـؤخره شـفقة علـيهم ولإعطـاء مزيـد مـن الفـرص للتوبة والرجـوع إلـى الله تعـالى ﴿إِنْ تَسْـتَفْتِحُوا فَقَـدْ جَـاءَكُمُ الْفَـتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُـودُوا نَعُـدْ وَلَـنْ تُغْنِـيَ عَـنْكُمْ فِئَـتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَـعَ الْمُـؤْمِنِينَ﴾ (الأنفـال:١٩) لأنـه إذا جـاء يوم الفتح فإنـه لا يـدفع عـنهم العـذاب الـذي يسـتحقونه ولا يـؤخر ولا تعطى لهم فرصة التوبة والرجـوع إلـى الحـق، فـإن سـنة الإمهـال جاريـة إلـى أمـدٍ معـين ﴿وَلَـا هُـمْ يُنظَـرُونَ﴾ (السـجدة:٢٩)، ولا يـنفعهم شـيء حتـى لـو آمنـوا بـالله تعـالى لأن إيمـانهم سـوف لا يكون عن إسلام بل استسلام فلا يكـون صـادقاً ولا تكـون لـه قيمـة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّـا بِاللَّـهِ وَحْـدَهُ وَكَفَرْنَـا بِمَـا كُنَّـا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَـكُ يَـنفَعُهُمْ إِيمَـانُهُمْ لَمَّـا رَأَوْا بَأْسَـنَا سُـنَّتَ اللَّـهِ الَّتِي قَـدْ خَلَـتْ فِـي عِبَـادِهِ وَخَسِـرَ هُنَالِـكَ الْكَـافِرُونَ﴾ (غـافر:٨٤-٨٥)، وقال تعـالى: ﴿وَلَيْسَـتِ التَّوْبَـةُ لِلَّـذِينَ يَعْمَلُـونَ السَّـيِّئَاتِ حَتَّـى إِذَا حَضَرَ أَحَـدَهُمُ الْمَـوْتُ قَـالَ إِنِّـي تُبْـتُ الآنَ وَلاَ الَّـذِينَ يَمُوتُـونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (النساء:١٨).

ومن مصاديق هذه الحالـة مـا حصـل لفرعـون فإنـه لمـا أيقـن بالهلاك غرقاً ادّعـى الإيمـان بـرب موسـى (عليه السلام) فلـم ينفعـه إيمانـه ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَـالَ آمَنـتُ أَنَّـهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ الَّـذِي آمَنَـتْ بِـهِ

بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (يونس:٩٠-٩٢).

فيوم الفتح ليس من الأيام العادية؛ لأن باب التوبة فيها مفتوح مادام الإنسان في الحياة، ورد في الحديث النبوي (إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر، توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا)[1]، لذا من المنافي لصريح الآية تفسير الفتح بفتح مكة فإن النبي (ﷺ) قبل إسلام طلقاء قريش، ولا هو يوم القيامة لأنه لا يستقيم مع بقية الآية ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ﴾ فإن الإعراض والانتظار ظاهر في وقوعه في الدنيا.

وعلى هذا فهو يوم مخصوص يكون فيه الحكم الفصل لله تعالى وحده ويصعق فيه كل أعدائه ويحق عذاب الاستئصال عليهم بما كفروا كالأيام التي حكاها الله تعالى عن قوم نوح وعاد وثمود وفرعون وغيرهم ممن شملهم عذاب الاستئصال فيمكن تطبيقه على رؤوس الضلال[2] يوم بدر حيث تم استئصالهم على الشرك.

(١) بحار الأنوار: ٦/ ١٩، عن دعوات الراوندي.

(٢) كأبي جهل وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعتبة وشيبة أبني ربيعة وامثالهم.

ومن أعظم مصاديقه ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) وإقامة دولة العدل الإلهي روى القمي في تفسير الآية السابقة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ (السجدة:٢٧) قال: (الأرض الخراب، وهو مثل ضربه الله عز وجل في الرجعة والقائم (عجل الله فرجه الشريف) فلما أخبرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بخبر الرجعة قالوا ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ وهذه معطوفة على قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ فقال الله قل لهم: ﴿يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (السجدة:٢٩))[1].

﴿فَأَعْرِضْ عَنهُمْ﴾ فإنهم جهلة وحمقى ومستكبرون عن سماع الحق وأهل لجاج وعناد ولا يستحقون مزيداً من الجهد لهدايتهم، ودعهم لمصيرهم ﴿وَانتَظِرْ﴾ أن يأتي أمر الله تعالى فيهم، فإن الله تعالى يفعل ما يشاء هو لا ما يشاءون ويقترحون، ولا تستفزَّك عنجهيتهم، وقد يكون الزمن كفيلاً بفضح أهل الباطل والضلال والانحراف ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ (السجدة:٣٠) فهم سائرون لما ينتظرهم من العذاب فكن على ثقة بنصر الله تعالى، أو هم منتظرون للقضاء عليك والتخلص من دعوتك ولو بموتك إذ يتوقعون اندثار دعوة النبي (صلى الله عليه وآله) بموته لعدم وجود ولد له

(١) تفسير القمي: ٢/ ١٧١، ط. دار الكتاب- قم.

يقوم بأمره لأنهم جُبلوا على النظر إلى الأمور بعين شخصية وأن هذه الامتيازات تورَّث، لكن الله تعالى أفشل مخططاتهم وأحبط أمانيهم في يوم الغدير حين نصب النبي (صلى الله عليه وآله) خليفه له وإماماً للحق وللخلق أجمعين وأميراً للمؤمنين.

وفي ضوء هذا يُعرَف الوجه في كون يوم ظهور مهدي آل محمد (صلوات الله تعالى عليهم أجمعين) هو أعظم الفتوحات لأن به تحقيق غرض الرسالات الإلهية وظهور دين الله تعالى على كل الأديان وإزالة كل الموانع، روى ابن دراج قال: (سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول في قول الله عز وجل: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ قال: يوم الفتح يوم تفتح الدنيا على القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، لا ينفع أحداً تقرّب بالإيمان ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً وبهذا الفتح موقناً، فذلك الذي ينفعه إيمانه، ويعظم عند الله قدره وشأنه وتزخرف له يوم البعث جنانه وتحجب عنه نيرانه، وهذا أجر الموالين لأمير المؤمنين وذريته الطيبين (عليهم السلام))[1].

وقال بعض علماء العامة في تقريب هذا المعنى: ((ولتحديد هذا اليوم لا بد أن نبحث في العلامات التي تغلق فيها أبواب التوبة وهي التي قال فيها تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا

(١) البرهان: ٧/ ٣١٠/ ح٢.

لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾ (الأنعام:١٥٨)، وهذه الآيات قال عنها النبي (صلى الله عليه وآله): (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والمسيح الدجال، ودابة الأرض)، رواه الترمذي))[1].

وقال ابن كثير في تفسير الآيات ((ومن زعم أن المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة، وأخطأ فأفحش، فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إسلام الطلقاء، وقد كانوا قريباً من ألفين، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم لقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، وإنما المراد: الفتح الذي هو القضاء والفصل))[2].

وقد مهدت الآيات السابقة لهذا المعنى كقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ﴾ (السجدة:٢١) فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في عدّة أحاديث قوله: (الأدنى: غلاء السعر والجدب والقحط، والأكبر: خروج المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بالسيف في آخر الزمان)[3].

---

(١) الباحث أمين سعيد وهو صحفي ومؤرخ من أهل اللاذقية (١٣٠٨-١٣٨٧ هـ) ونقلناه بواسطة كتاب (المهدي الموعود موجود ومولود) للمرحوم السيد مهدي الخرسان: ٧٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٤٧٢، تفسير سورة السجدة.

(٣) البرهان: ٧/ ٣٠٨/ ح٧-٣.

فانتظار الفرج واليوم الموعود المبارك مما أمر به القرآن ﴿وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ (السجدة:٣٠)، بل روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج)[١] وهو الانتظار الإيجابي الذي يقود إلى كل خير يعجل بظهور الإمام ويسرّ قلبه ويرضيه عنا ويؤهلنا لأن نكون من أنصاره ونستثمر كل فرصة في ذلك، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير)[٢]، ويبِّعد عن كل شر وسوء يحزن قلب الإمام كمن ينتظر امتحاناً مصيرياً في دراسته فإنه يبذل كل جهده ويصبر ويثابر للاستعداد له حتى ينجح فيه بل يتفوق.

(١) بحار الأنوار: ٥٠/ ٣١٧.

(٢) نهج البلاغة: ٤/ ٦، بشرح محمد عبدة.

خطاب المرحلة

(٧٤٢)

كيف تفكّ أغلال الشياطين[١]

ورد في خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) في استقبال شهر رمضان: (والشياطين مغلولة فأسالوا الله ربكم أن لا يسلطها عليكم)[٢].

والسؤال هنا كيف تُفّك أغلال الشياطين وتعود للتسلط على الإنسان والتأثير عليه لإضلاله وإفساده وحرمانه من بركات هذا الشهر العظيم ومن ضيافة الله تعالى فيه؟

وجوابه أن ذلك يقع في حالتين على الأقل:

أ- حينما لا يتورع الإنسان عن ارتكاب المعاصي والذنوب فتكون سبباً لفقدانه هذه العصمة من الله تعالى وهتكه هذا الحجاب ويكون هو الذي فتح بيده أغلال الشياطين وفكّها كالذي رواه الشيخ الكليني في الحاج بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام): (الحاج لا يزال عليه نور الحج مالم يلم بذنب)[٣]، وقال (عليه السلام): (ولا تكتب عليه

---

(١) حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من الجامعيين الذين أقاموا العشر الأواخر من شهر رمضان في جوار أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الجمعة ٢٥/ شهر رمضان/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٤/٤/٥م.

(٢) الأمالي- الشيخ الصدوق: ص١٥٥، وعيون أخبار الرضا: ص٢٩٥/ ح٥٣، بسنده عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

(٣) وما بعده الكافي: ٤/ ٢٥٥/ ح١١،ح١٠.

الذنوب أربعة أشهر وتكتب له الحسنات إلا أن يأتي بكبيرة)، لذا ورد في نفس الخطبة أن أمير المؤمنين (عليه السلام) سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن أفضل الأعمال في هذا الشهر فقال (صلى الله عليه وآله): (الورع عن محارم الله)[1] لأنه شرط قطف ثمرة هذا الشهر المبارك.

ب-أن يكتفي من صومه بالجوع والعطش والإمساك عن سائر المفطرات المذكورة في كتب الفقه وهو الحد الذي يتحقق به الإجزاء وبراءة الذمة من دون أن يأتي بمراتبه المعنوية كالذي ورد في حديث الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إذا أصبحت صائماً فليصم سمعك وشعرك وجلدك وجميع جوارحك)[2]، وقال (عليه السلام) أيضاً (لا يكن يوم صومك كيوم إفطارك)، وقال (عليه السلام) أيضاً (فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عن الكذب، وغضوا أبصاركم، ولا تنازعوا ولا تحاسدوا ولا تغتابوا ولا تماروا -أي لا تجادلوا في ما لا فائدة فيه دنيا ولا آخره وإنما لمجرد المغالبة أو التشفي- ولا تكذبوا ولا تباشروا ولا تخالفوا ولا تغاضبوا ولا تسابوا ولا تشاتموا ولا تفاتروا ولا تجادلوا ولا تتأدوا ولا تظلموا ولا تسافهوا ولا تضاجروا ولا تغفلوا عن ذكر الله وعن الصلاة) ويصل الصوم المعنوي في ذروته إلى الانقطاع عما سوى الله تعالى وتحرّي ما يوجب رضاه.

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام)- الشيخ الصدوق: ٢٦٦/٢.

(٢) وما بعده تجده في بحار الأنوار: ج٩٣/ ص٢٩٢.

وتقريب الفكرة: أنَّ شهر رمضان بما هو ظرف للصوم موجب لغلّ الشياطين، وأن هذا الغلّ يتحقق بكبح الشهوات والغرائز التي هي أدوات عمل الشياطين في تزيين المعاصي والإغراء بها، وهذه الشهوات على مراتب فقد يغلق الصائم باب الشهوات الجوارحية وهي شهوة الطعام والشراب والجنس وهي الدرجة التي تبرأ بها الذمة، لكن تبقى الشهوات والغرائز الجوانحية كالغضب والاستئثار والحسد والانانية والتعالي وغيرها وهذه أدوات فعّاله لنجاح عمل الشيطان في إيقاع الإنسان في الظلم والعدوان وانتهاك المحرمات، فلا بد من إغلاق هذه المنافذ أيضاً لإحكام أغلال الشياطين.

وهكذا فكلما تجلّت حقيقة الصوم في فعل العبد أزداد تكبيل الشياطين، وكلما تدنّت مرتبة الصوم خفَّت هذه الأغلال وسهل على الشياطين كسرها والانطلاق منها لتزيين المعاصي.

ونظير ذلك ما ورد في الصلاة عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (أعلم أن الصلاة حجزة الله في الأرض فمن أحبَّ أن يعلم ما أدرك من نفع صلاته فلينظر، فإن كانت صلاته حجزته عن الفواحش والمنكر فإنما أدرك من نفعها بقدر ما أحتجز)[1] وهذا الحديث يدلّ على أنه كلما أحسن صلاته وأتقنها وتوجّه فيها فإنها تؤتي ثمرتها في النهي عن المنكر أكثر، فكذلك الصوم وأثره في غلّ الشياطين.

(١) بحار الأنوار: ج٨١/ ص٢٦٣.

ومن هذا الوجه ينقدح الجواب على سؤال حاصله: لماذا يقع الناس في الذنوب في شهر رمضان حتى الكبائر والمفروض أن الشياطين مغلولة فالداعي إلى عمل المعاصي فاقد للقدرة على التأثير؟ وقد تبيّن في الجواب أن غلَّ الشياطين له مراتب فيكفَّ الإنسان تسويلها ووسوستها وتزيينها بقدر إتقانه لأعماله وإحسانه فيها، مثلاً مرتبة الأجزاء وإبراء الذمة وهي الإمساك عن المفطرات المذكورة في كتب الفقه تحصنّه من الوقوع في الكبائر ويبقى عرضة للصغائر ونحو ذلك مضافاً إلى عدة أجوبة أخرى:

١- إن الداعي إلى فعل المعصية ليس فقط الشيطان وإنما النفس التي وصفها الله تعالى بأنها أمارة بالسوء لأنها تنزع دائماً إلى إتباع الشهوات والهوى من دون مراعاة لما يريده الله تعالى، وهذا الداعي ملازم لابن آدم ولا يردعه إلا الورع وذكر الله تعالى على كل حال والرشد بإتباع العقل.

٢- إن شياطين الجن إذا غُلَّت فإن شياطين الإنس موجودون وهم ينشطون أكثر في شهر رمضان كما هو واضح في برامجهم التلفزيونية التي يعدّونها خصيصاً لهذا الشهر الكريم، والهدف حرمان الناس من عطاء الله تعالى وفضله العظيم في هذا الشهر المبارك ونقلهم من السعداء إلى الأشقياء ليتساووا معهم، قال النبي (صلى الله عليه وآله): (فإن الشقي من حُرِم غفران الله في هذا الشهر العظيم).

خطاب المرحلة

(٧٤٣)

احذر خدع الشيطان من أول خطوة[1]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور:٢١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نداء إلى المؤمنين مع أنَّ ما في الخطاب أمر مطلوب من جميع الناس، لأن المؤمنين هم الفئة المتوقع منهم الاستجابة وتلبية النداء، وفيه نكتة أن المؤمنين ليسوا بمأمن من الوقوع في شرك الشيطان فليحذروا الانخداع بخطواته، والانسياق وراء وساوسه التي تكون خفية جداً حتى توصلهم في النهاية إلى حالة الانقياد لأوامر الشيطان ثم الطبع على القلب وسوء المصير.

﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ والخطوة هي مسافة ما بين القدمين عند الحركة، والخطوات لا تكون إلا في طريق نحو غاية، فللشيطان خطوات على الطريق الذي يتحرك فيه المؤمنون، وهو صراط الحق والهدى، وقد أقسم إبليس وتعهّد بأن يقعد في

(١) خطبتا صلاة عيد الفطر السعيد لعام ١٤٤٥هـ- الموافق: ١٠/ ٤/ ٢٠٢٤م.

طريق المؤمنين ليحرفهم عن مسارهم ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف:١٦).

فالمؤمن الصالح لا يسقط في الفساد والانحراف مباشرة وإنما عبر خطوات تبدأ مثلاً من مصاحبة الفاسدين والمنحرفين والاختلاط معهم، والاستماع إلى أحاديثهم والتأثر بها، ثم تشوش الأفكار في ذهنه وحصول القناعة ببعض ما يقولون، ثم التفكير داخل النفس بمجاراتهم في أفعالهم خصوصاً المشتبهة التي لم تثبت حرمتها فإنها ميدان الشيطان الرحب، ثم إيجاد المبررات لفعله وإسكات ضميره، ثم الوقوع في الذنوب والمعاصي الصغيرة ومنعه من التوبة واسترضاء الخصوم حفظاً لشأنيته ووضعه الاجتماعي، ثم السقوط في الكبائر والعياذ بالله تعالى، ولو دعاه إلى المعصية مباشرة لما استجاب له لقوة الرادع عنها.

وقد تكرر هذا النهي والتحذير في عدة آيات كريمة لأهمية الانتباه إليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة:٢٠٨)، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (البقرة:١٦٨)، وقال تعالى ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (الأنعام:١٤٢).

وفي هذه الآيات دلالة على أن الدين يتكفل بكل ما تحتاجه البشرية في جميع شؤون الحياة لضمان سعادتها وصلاحها ولا تحتاج إلى ما يبتدعه البشر بتسويلات من الشيطان.

وتصّور الآية الكريمة العصاة بأبشع صورة لتحقق أعلى درجات النفور والاشمئزاز بأن يسير الشيطان العدو القبيح في طريق الهاوية متخذاً أقذر الأساليب والأفعال ويتبعه الإنسان ذو العقل الرشيد خطوة بخطوة وهو يعلم المصير البائس الذي يقوده إليه ومع ذلك فهو مسلّم له، والمفروض أن يكون ما بينهما بعد المشرقين لأنه عدّو مبين.

ولا بد من الإشارة إلى أنّ الشيطان له أتباع منصاعون لأمره يطيعونه بمجرد الإشارة وهم الذين قال عنهم: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ (النساء:١١٨) فهؤلاء حصته وهم جنده وأعوانه، ويخاطبهم يوم القيامة متبرئاً منهم: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم﴾ (إبراهيم:٢٢)، لكن المؤمنين ليسوا كذلك فإنهم يتعبونه لأنه ما أن ينجح في إغرائهم بالمعصية حتى يثوبوا إلى رشدهم فيستغفرون الله تعالى ويندمون ويعقدون العزم على عدم العود ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا

هُـم مُّبْصِـرُونَ﴾ (الأعـراف:٢٠١)؛ لأن عنـدهم مـن نـور الله تعـالى وبرهانـه مـا يعصـمهم مـن الانقيـاد اليـه، لكنـه يبقـى طامعـاً فـي إغوائهم بأدواته المعروفة وغيـر المعروفـة[1] وقـد أقسـم علـى ذلـك

(١) روى الشيخ الطوسي بسنده عن الإمام علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن آبائه (عليهم السلام): أن إبليس كان يأتي الأنبياء (عليهم السلام) من لدن آدم (عليه السلام) إلى أن بعث الله المسيح (عليه السلام) يتحدث عندهم ويسائلهم، ولم يكن بأحد منهم أشد أنساً منه بيحيى بن زكريا، فقال له يحيى: يا أبا مرة إن لي إليك حاجة.

فقال له: أنت أعظم قدراً من أن أردك بمسألة فسلني ما شئت، فإني غير مخالفك في أمر تريده، فقال يحيى: يا أبا مرة، أحب أن تعرض عليَّ مصائدك وفخوخك التي تصطاد بها بني آدم، فقال له إبليس: حباً وكرامة؟ وواعده لغدٍ. فلما أصبح جاء بهيئة مقززّة مرعبة، (وعليه قباء، وقد شد وسطه بمَنطقة، فيها خيوط معلقة من بين أحمر وأخضر وأصفر وجميع الألوان، وإذا بيده جرس عظيم، وعلى رأسه بيضة، وإذا في البيضة حديدة معلقة شبيهة بالكلّاب، فلما تأمله يحيى (عليه السلام) قال له: ما هذه المنطقة التي في وسطك؟ فقال: هذه المجوسية أنا الذي سننتها وزينتها لهم، فقال له: فما هذه الخيوط الألوان؟ قال: هذه جميع أصباغ النساء، لا تزال المرأة تصبغ الصبغ حتى يقع مع لونها فافتتن الناس بها.

فقال له: فما هذا الجرس الذي بيدك؟ قال: هذا مجمع كل لذة من طنبور وبربط ومعزفة وطبل وناي وصرناي، وإن القوم ليجلسون على شرابهم فلا يستلذونه فأحرك الجرس فيما بينهم، فإذا سمعوه استخفهم الطرب، فمن بين من يرقص، ومن بين من يفرقع أصابعه، ومن بين من يشق ثيابه.

فقال له: وأي الأشياء أقرّ لعينك؟ قال: النساء، هن فخوخي ومصائدي، فإني إذا اجتمعت عليّ دعوات الصالحين ولعناتهم صرت إلى النساء فطابت نفسي بهن.

فقال له يحيى (عليه السلام): فما هذه البيضة على رأسك؟ قال: بها أتوقى دعوة المؤمنين.

قال: فما هذه الحديدة التي أراها فيها؟ قال: بهذه أقلب قلوب الصالحين. (الأمالي: للشيخ الطوسي: ص٣٣٩).

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص: ٨٢-٨٣)، لذا فإن الخبيث لا يطمع في إيقاعهم بالمعاصي مباشرة وإنما يغويهم عبر خطوات، وقد لا تظهر من الخطوة الأولى العاقبة السيئة التي سيوصلهم إليها، مثلاً رجل وامرأة يغريهما بالمحادثة عبر وسائل التواصل الاجتماعي أو في أروقة الجامعات أو في محل العمل عن أمور علمية أو مشاكل اجتماعية أو حتى دينية ثم تتحول هذه المحادثات إلى إعجاب بينهما ثم مبادلة للعواطف والمودّة ثم رغبة أكيدة في اللقاء والخلوة، وهنا يصف الحديث الشريف ما يجري بينهما (لا يخلُوَنَّ رجل بامرأة فإن ثالثهما شيطان)[1].

أو موظف مؤتمن على المصالح العامة يأتيه مقاول فاسد فيقدّم له هدية بلا مقابل مع كلمات الإعجاب بمهنيته وكفاءته، وتتكرر العملية حتى يجد الموظف نفسه مضطراً إلى الاستجابة لطلبات هذا الشخص إذا طلب منه تمرير عمل خائن لأنه غير مطابق للشروط المطلوبة.

فالآية الكريمة تدعو إلى التحقق من كل خطوة والحذر من تداعياتها وتأثيراتها، ويعطينا أمير المؤمنين (عليه السلام) درساً في هذا

(١) سنن الترمذي: ٣١٨/٢ ح١١٨١، وتوجد بمعناه روايات متعددة في كتب الشيعة.

الحذر، قال: (وأعجبُ من ذلك طارقٌ طرقنا بملفوفةٍ في وعائها، ومعجونةٍ شَنِئتُها كأنما عُجنت بريق حيةٍ أو قَيئها، فقلت: أصلةٌ أم زكاة أم صدقة؟ فذلك محرّم علينا أهل البيت. فقال لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية. فقلت هبلتك الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني، أمختبطٌ أنت أم ذو جنة أم تهجر. والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جِلب شعيرة ما فعلت وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى. نعوذ بالله من سُبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين)[1].

وورود هذا التحذير في جوانب متنوعة من حياة الإنسان كما في الآيات المتقدمة حيث اقترن التحذير مرة بالأمر بالدخول في السلم لأن اتباع الشيطان يؤدي إلى الاضطراب والفوضى والنزاع ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ (المائدة:٩١) وأخرى بأكل الطيبات دون الخبائث وأخرى بحليّة المكاسب، وهذا يعني أنَّ خطوات الشيطان يمكن أن تكون في جميع الاتجاهات العقائدية بإلقاء الشبهات والشكوك والفتن.

أو السياسية بجعل أوضاع للحكم بديلة عن حكم الله تعالى وسنّ الدساتير وقوانين مخالفة لشريعة الله تعالى.

---

(١) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبدة: ج٢/ ص٢١٨.

أو الاجتماعية بتزيين تقاليد وأعراف منافية للدين والحياء والعفة كالذي يحصل في الأعراس او حفلات التخرج أو الدكات العشائرية والثأر والانتقام.

أو الأخلاقية بابتداع المهرجانات الفنية والرياضية وأمثالها التي تحطّم مقدسات الإنسان ومبادئه الفطرية.

أو الاقتصادية بتشريع أنظمة تؤلّه المال وتربّي روح الأنانية والاستئثار والتمدد على حساب عامة الناس فيحرقون المنتجات الزراعية واللحوم أو يلقونها في البحر للمحافظة على الأسعار.

أو السلوكية كتشجيع المثلية والشذوذ الجنسي والإجهاض وتغيير الجنس والإباحية حتى للأطفال تحت عنوان الحرية وأمثالها وغير ذلك.

فمثلاً يغري رئيس دولة بأمر معين كالتحرش بدولة أخرى إرضاءً لنزوة أو اتباعاً لشهوة أو حماقة فيقابل برد فعل من الدولة الأخرى ثم تتصاعد الأفعال وردود الأفعال حتى تقع حرب مدمرة بين الدولتين تهلك الحرث والنسل، ولو عولجت المشكلة بحكمة وروّية من أول خطوة لما وقعت الكارثة.

وهكذا يمكن أن تكون الخطوات فردية على صعيد الأشخاص.

أو اجتماعية كنشر إشاعة - مثل مورد الآية وهو حديث الإفك واتهام زوج النبي (صلى الله عليه وآله) بالفاحشة- أو منشور على

السوشيال ميديا لا يعرف أصله ومصدره لكنه يؤثر في ثقافة المجتمع وسلوكه الجمعي وكسر الحواجز المقدسة حتى يقوم المجتمع بأفعال كان ينكرها بالأمس ويراها من الجرائم الكبيرة، وقد يتطلب الأمر توزيع الأدوار فيطلق الأول الكلام ويصدقه الثاني ويغريه بالاستمرار ثم ينشره ثالث ويطبق كلامه رابع وهكذا.

وقد تكون الخطوة الأولى مباحة لا تدعو إلى الشك والريبة كالإكثار من الطعام والشراب فيصاب بأمراض تمنعه من أداء الطاعات، أو يثقل فينشغل عن الإتيان بها، روي أن الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين كانوا يلتقون بإبليس ويتحدثون معه وفي إحدى المرات قال يحيى (عليه السلام) لإبليس: (فهل ظفرت بي ساعة قط؟ قال: لا، ولكن فيك خصلة تعجبني. قال يحيى: فما هي؟ قال: أنت رجل أكول، فإذا أفطرت أكلت وبشمت فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل. قال يحيى (عليه السلام): فإني أعطي الله عهداً أني لا أشبع من الطعام حتى ألقاه، قال له إبليس: وأنا أعطي الله عهداً أني لا أنصح مسلماً حتى ألقاه، ثم خرج فما عاد إليه بعد ذلك)[1].

(١) الأمالي، للشيخ الطوسي: ص ٣٣٩.

وقد تكون الخطوة الأولى أمراً دينياً يبدو راجحاً كأن يأمره بالمبالغة في الاحتياط في أمور الدين كمسألة التطهير من النجاسة أو الوضوء أو الصلاة حتى يبتلي بالوسواس ويعيد العمل عدة مرات حتى تصبح العبادة ثقيلة عليه فيكرهها ويفقد الرغبة في أدائها، وربما يترك الواجبات لتخفيف هذا العبء عليه، روى الشيخ الكليني بسنده عن عبد الله بن سنان قال: (ذَكَرْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله (عليه السلام) رَجُلاً مُبْتَلىً بِالْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ، وَقُلْتُ هُوَ رَجُلٌ عَاقِلٌ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله (عليه السلام): وَأَيُّ عَقْلٍ لَهُ وَهُوَ يُطِيعُ الشَّيْطَانَ، فَقُلْتُ لَهُ وَكَيْفَ يُطِيعُ الشَّيْطَانَ، فَقَالَ سَلْهُ هَذَا الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ هُوَ، فَإِنَّهُ يَقُولُ لَكَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)[1].

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ تعليل للنهي عن اتباع خطوات الشيطان، لأن هذه هي النتيجة التي يريد الشيطان أن يوصل المجتمع البشري إليها فيبدأ بالوسوسة والتزيين والإغراء إلى أن يصبحوا منقادين لأمره حينما يجعل الفحشاء والمنكر والظلم والفساد أموراً اعتيادية مألوفة، وأن من يعترض عليها ويسعى لتطهير المجتمع منها شاذ متخلف متجاوز على حقوق الإنسان وحرية الناس، ولمّا كانت ﴿الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت:٤٥)، فإن الصلاة تشكّل

(١) الكافي- الشيخ الكليني: ١٢/١/ ح١٠.

عقدة كبيرة للشيطان، ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (لا يزال الشيطان ذَعِراً من المؤمن هائباً له ما حافظ على الصلوات الخمس، فإذا ضيّعهن تجرأ عليه)[1]، وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (الصلاة حصن من سطوات الشيطان)[2]، لذا فإن الشيطان يحاول بكل الوسائل صدّ الناس عنها ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ (المائدة: ٩١) وإذا فشل فيعمل على إفراغها من محتواها حتى تصبح عديمة التأثير في حياة الإنسان ولا تنهاه عن الفحشاء والمنكر.

وأفظع المنكرات التي يدعو إليها الشيطان وتحصل باتباعه:

الإعراض عن دين الله تعالى وترك طاعة النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) فإنهم أساس السلم الذي أمرنا بالدخول فيه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: ٢٠٨)، وهم الكهف الحصين الذي يأوي إليه من يريد النجاة من مكائد

(١) الأمالي - الشيخ الصدوق: ٥٧٢/ ح٩.

(٢) عيون الحكم والمواعظ- الليثي الواسطي: ٦٦، راجع الروايات أكثر في تفسير من نور القرآن في قبس قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت:٤٥).

الشيطان (المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق)[١]، وروى الشيخ الكليني في الكافي والطوسي في الأمالي والعياشي في تفسيره وغيرهم[٢] أن السلم ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) والأئمة من بنيه (صلوات الله عليهم أجمعين) وأنَّ النهي عن اتباع خطوات الشيطان يراد منه النهي عن اتباع غيرهم.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ (النور:٢١) فلا يتوقع الإنسان أن صلاحه وتمسّكه بدينه واتباع سبيل الحق والهدى قد حصل عليه من تلقاء نفسه وبقدراته الخارقة ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر:٤٩) وإنما حازه بتأييد الله تعالى وألطافه الظاهرة والخفية ابتداءً من بعث الأنبياء والرسل وإنزال الكتب وجهود العلماء والمبلّغين إلى تحبيب الإيمان في قلبه ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات:٧) وتيسير أسباب الهداية وتذليل الصعوبات وإزالة الموانع وتزويده بالأدوات التي تعينه على الطاعة كالعمل والصحة والمال والبيئة المناسبة وغير ذلك كثير، قال الإمام السجاد (عليه السلام) في دعائه (ما أفشى فينا نعمتك، وأسبغ علينا

(١) الصلوات الشعبانية المروية عن الإمام السجاد (عليه السلام).

(٢) الكافي: ٣٧٨/٢/ ح١١١٦، أمالي الطوسي: ٢٩٩/١/ ح٣٨، تفسير العياشي: ١/ ١٠٢/ ح٢٩٤.

منّتك، وأخصّنا ببرك، هديتنا لدينك الذي اصطفيت، وملّتك التي ارتضيت، وسبيلك الذي سهّلت، وبصّرتنا الزلفة لديك، والوصول إلى كرامتك)[١].

ولذا يحكي الله تعالى عن أهل الجنة قولهم: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (الأعراف:٤٣) وينبّه الله تعالى المسلمين إلى أنّ الهداية الى الإيمان من أعظم مننهِ سبحانه قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ (الحجرات:١٧).

روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (والذي نفسي بيده ما من الناس أحد يدخل الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمة منه وفضل، ووضع يده على فوق رأسه وطول بها صوته)[٢].

فلا يعجب الإنسان بعمله ولا يثق بقدراته على الصمود في وجه الشيطان والثبات على الاستقامة وليتوكل على الله تعالى ويستعيذ به ويطلب منه التثبيت وعدم سلب نعمة الإيمان، لذا

(١) الصحيفة السجادية: ص١٨٦، الدعاء (٤٥) في وداع شهر رمضان.

(٢) بحار الأنوار، للشيخ المجلسي: ج٧/ ص١١.

نطلب دائماً في الدعاء من الله تعالى التوفيق للطاعة (اللّهُمَّ ارْزُقْنا تَوْفِيقَ الطَّاعَةِ وَبُعْدَ المَعْصِيَةِ)[١].

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ (النور:٢١) برحمته ولطفه وكرمه حينما يبدي العبد الاستعداد لذلك وهذا هو اللطف الخاص مضافاً إلى العام، فيأخذ بمقدار قابليته واستعداده ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ (الرعد: ١٧) إذ أن رحمة الله تعالى متاحة للجميع (بابُكَ مَفْتُوحٌ لِلرَّاغِبينَ وَخَيْرُكَ مَبْذُولٌ لِلطَّالِبينَ وَفَضْلُكَ مُباحٌ لِلْسَّائِلِينَ وَنَيْلُكَ مُتاحٌ لِلامِلِينَ وَرِزْقُكَ مَبْسُوطٌ لِمَنْ عَصاكَ)[٢]، فعلى الإنسان أن يسعى لنيلها (إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا له لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تَشقَون بعدها أبداً)[٣]، (اللّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ مُوجِباتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزائِمِ مَغْفِرَتِكَ)[٤].

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ حاضر عند عباده يسمع دعائهم إذا ناجوه ويلبي طلباتهم حتى من غير مسألة لأنه عليم بأحوالهم وحاجاتهم وقابلياتهم (يا مَنْ يُعْطِي مَنْ سَأَلَهُ، يَا مَنْ يُعْطِي مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ ومَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تُحَنُّناً مِنْهُ ورَحْمَةً)[٥].

---

(١) مفاتيح الجنان: ص١٦٣، دعاء الفرج.

(٢) مفاتيح الجنان: ص١٨١.

(٣) المعجم الأوسط- الطبراني: ٢٢٢/٦.

(٤) مفاتيح الجنان:ص٤٢.

(٥) مفاتيح الجنان: ص١٨٦.

وتذكر آية أخرى مثالاً لخطوات الشيطان، فإن الله تعالى بعد أن نقل تهديد إبليس ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ (النساء: ١١٨) شرح كيفية ذلك ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ (النساء:١١٩).

فالخطوة الأولى هي ﴿لَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ بأن يقعد لهم في طريق الحق والإيمان والعمل الصالح ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف:١٦) فيعمل على تشويش أفكارهم وإلقاء الشبهات والشكوك وتحريف المعاني فيصبح الإيمان بالله تعالى ورسله والآخرة خرافة، والالتزام بتعاليم الدين تخلفاً ورجعية، والإلحاد وتبرّج المرأة تحضراً، والزنا واللواط حرية وميلاً طبيعياً، والتفسّخ الأخلاقي فنّاً، والحجاب قيداً وحرماناً للمرأة، وقتل المؤمنين الأبرياء وتفجير الأماكن المقدسة والمدارس جهاداً، والتحاسد والتخاصم منافسة شريفة، والحماقة والشيطنة فطنة وشجاعة، وتضييع العمر في العبث واللهو متعة ولذة، والرياء والعجب نية صالحة للأعمال، والانتقام والتشفي غضباً لله ودينه، وهكذا حتى يتيهوا ويضلّوا عن الطريق الصحيح ويصبح الحرام حلالاً.

ثم تأتي الخطوة الثانية ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ فيلقي في قلوب العاصين والفاسدين والمنحرفين الأماني الكاذبة والوعود وتزيين الأعمال الباطلة، وإذا استيقظ ضميره وأنّبه أماته بوعود التوبة في نهاية العمر فيحق عليهم قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الحجر:٣).

روى الشيخ الصدوق في أماليه بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (لما نزلت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٥) صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه. فقالوا: يا سيدنا، لِمَ دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية، فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين، فقال: أنا لها بكذا وكذا. قال: لست لها. فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها. فقال الوسواس الخناس: أنا لها. قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنّيهم حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكله بها إلى يوم القيامة)[1].

ثم تأتي المرحلة الثالثة ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ﴾ (النساء:١١٩) حيث يصبحون أداة طيّعة بيد الشيطان يوجههم حيث يشاء وكيف

(١) أمالي الصدوق: ص٣٧٦/ ح٥، تفسير البرهان: ج٢/ ص٢٧٤.

يشاء، وحينئذٍ يصبح ولياً للشيطان لأنه قبل بطاعته واتباعه ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً﴾ (النساء:١١٩)، ومن أمثلتها ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ (النساء:١١٩) وهو ما يُروّجون له اليوم بحماس منقطع النظير من تغيير الجنس والمثلية والشذوذ وأمثاله من الخروج عن الإنسانية الكريمة التي جعلها الله تعالى في أحسن تقويم وأودع كل مبادئها وتعاليمها في هذا الدين الحنيف ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم:٣٠).

خطاب المرحلة

(٧٤٤)

معالم التكامل في التشريع الإسلامي للمواريث[١]

قال الله تبارك وتعالى ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾ (النساء:٧).

يراد بالرجال مطلق الذكر وإن كان صغيراً، وكذا النساء، والنصيب هو السهم والحصة، وما ترك: عامة لا تختص بأعيان المال فيشمل المنافع والحقوق المتعلقة بالمال كحق الخيار، أو بغيره كالقصاص، ومنه اشتق لفظ (التركة)، وفي ذكر الأقربين إيحاء بأن القرابة مناط الاستحقاق، أما التبنّي وأمثاله فلا يوجب استحقاقاً على عكس ما كان يفعله أهل الجاهلية.

والآية الكريمة تضع الإطار العام لاستحقاق الميراث وتنبّه إلى ظلم كان يقع على النساء في قوانين أهل الجاهلية بحرمانهن من الميراث وتقول بأن للنساء نصيباً كما للرجال، وقد وصفته الآية الكريمة بكونه ﴿نصيباً مفروضاً﴾ من الله تعالى والفريضة يجب الالتزام بها فأعطى أحكام الميراث قوة الفرائض الأخرى كالصلاة والصيام.

---

(١) قبس من نور القرآن ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في درس الأربعاء الأسبوعي يوم ١٥/شوال/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٤/٤/٢٤م.

وقد تضمّنت سورة النساء التي تكفّلت ببنـاء المجتمـع الإسـلامي الصالح آيات عديدة تبـيّن أحكـام الإرث بـأدق التفاصـيل علـى غيـر المتعارف في أحكام الشريعة الأخرى كالصلاة والصوم والزكـاة حيـث اكتفت الآيات القرآنية غالباً ببيان الخطوط العريضة والحدود العامة، أما الإرث فقد تكفّل الله تعالى ببيان الاستحقاقات بالتفصيل مما يكشف عن اهتمام الشريعة العظيم بهذه الفريضة، روى العلامة الطبرسـي عـن ابـن عباس أنه لما أنزل الله تعالى آية المواريث قال رسـول الله (ﷺ): (إن الله لم يرض بملك مقرّب ولا نبي مرسل حتـى تـولّى قسـم التركـات وأعطى كل ذي حق حقّه)[1].

وهدّد تعالى في ذيل تلك الآيات من يتجاوز على أحكام الشـريعة بالعذاب العظيم، قال تعالى ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِـعِ اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (النساء:١٣-١٤)، فليحذر القضاة في المحـاكم الوضـعية الـذين يحكمون بما يخالف الشريعة، وكذا رؤساء العشائر الذين يلتزمون بمـا يعرف بينهم بالسنينة من دون الالتفات إلى الحكم الشرعي.

ولم يَكتفِ الشارع المقدس بتشريع القانون فقط وإنما حرص على تطبيقه والعمل به بكل الوسائل لضـمان وصـول الحقـوق إلـى أهلهـا

(١) مجمع البيان: ٣/ ١٨.

خصوصاً الذين لا حول لهم ولا قوة، ففي صحيحة هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (لا يستقيم أمر الناس على الفرائض والطلاق إلا بالسيف)[١]. والمواريث والطلاق من أهم أبواب قانون الأحوال الشخصية التي تقع فيها الخصومات ويكثر الاختلاف بين الحكم الشرعي والقانون الوضعي.

وفي رواية يزيد الصائغ قال: (سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن النساء هل يرثن الرباع؟ فقال (عليه السلام): لا ولكن يرثن قيمة البناء، قال: فقلت: فإن الناس لا يرضون بهذا، قال: فقال: إذا ولينا فلم يرض الناس بذلك ضربناهم بالسوط، فإن لم يستقيموا ضربناهم بالسيف)[٣].

أقول: في هذه الروايات وأمثالها إشعار بضرورة أن يكون لفقهاء الإسلام نفوذ وتأثير على السلطات الحاكمة بنحوٍ ما[٢]؛ لإلزام تلك الحكومات بتمكين الناس من العمل بهذه التشريعات فإنها لم تنزل عبثاً ولا ليكتفى بتدريسها في الحوزات العلمية فقط، ولا لتعطّل وتوضع في زوايا النسيان إلى حين قيام دولة الإمام المهدي الموعود (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، فلا بد من العمل على توفير فرصة تطبيق الحكم الشرعي لمن أراد مثل تأسيس المحاكم الشرعية إلى جنب المحاكم الوضعية أو تعيين قضاة شرعيين

(١) وما بعده- وسائل الشيعة: ٢٦/ ٦٩-٧٠، أبواب موجبات الإرث، باب٣/ ح١، ٢، ٣، ط. أهل البيت (عليهم السلام).

(٢) شرحنا ذلك بالتفصيل في كتاب (فقه المشاركة في السلطة) والمجلد الثاني من كتاب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ضمن موسوعة فقه الخلاف: الجزء التاسع، ط. الثانية.

يرجع إليهم الناس وسنّ مواد في قانون الأحوال الشخصية موافقة للشريعة إلى جنب مواد القانون الوضعي ويترك الخيار للشخص في اختيار ما يشاء فكما أن الحرية مكفولة لمن أراد التحاكم إلى القانون الوضعي كذلك يجب أن تتوفر لمن يريد الالتزام بالحكم الشرعي ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال:٤٢).

وقد ذكرنا في مقدمة البحث الفقهي روايات عديدة تحثّ على تعلّم مسائل الميراث وأحكامه.

إن توريث المال ونحوه من تركة الميت إلى القريبين إليه بنسب أو سبب غريزة فطرية، لأن الإنسان يعتبرهم امتداداً لوجوده، وأنه باقٍ ببقائهم، والإيراث لغةً يعني بقاء الشيء كما في العين[١] وقد ورد في النبوي الشريف (إنكم على إرث من أبيكم إبراهيم)[٢] أي على بقية من شريعته الحنيفية، وفي الدعاء (ومتعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارثين مني)[٣] أي الباقيين إلى حين وفاتي، فليس الميراث أكلاً بلا مقابل كما يزعم بعض المشككين.

---

(١) العين – الخليل الفراهيدي: ٨/ ٢٣٤.

(٢) المهذب البارع، لابن فهد الحلي: ٤/ ٣٢٥، ط. جماعة المدرسين، وروي في صحاح العامة عن يزيد بن شيبان قال: (كنا وقوفاً بعرفة مكاناً بعيداً من الموقف فأتانا ابن مربع الأنصاري فقال: إني رسول رسول الله (صلى الله عليه وآله) إليكم يقول: كونوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم (عليه السلام)) سنن النسائي: ٥/ ٢٥٥، باب رفع اليدين في الدعاء بعرفة.

(٣) دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة، مفاتيح الجنان: ٣٢٨.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) مشيراً إلى هذه الفطرة في كتابه إلى ولده الإمام الحسن (عليه السلام): (أما بعد فإني وجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كأن شيئاً إذا أصابك أصابني وكأن الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي)[1] حتى أن من لا عقب له ولا قرابة يشعر أحياناً بعبثية كسب المال والتوسع في ملكيته لأنه لا يجد من يستحق الجهد والعناء ويحفظ له ذكره، وقد عالج الإسلام هذه الثقافة بمبدأ الباقيات الصالحات وليس هذا محل التفصيل.

وهذا التوريث بين الأقرباء مما يقتضيه العدل والإنصاف، لأنهم يتوارثون تكويناً الصفات الإيجابية والسلبية من خلال الجينات الموجودة في الكروموسومات فمقتضى الإنصاف توارثهم شرعاً وقانوناً سائر ما يتركه الميت على أساس القاعدة العقلائية (من كان له الغُنم فعليه الغُرم).

وقضية التوريث أيضاً ضرورة اجتماعية لأنها تتعلق بتوزيع المال على مستحقيه وهو من أعظم موارد النزاع والتخاصم لميل النفوس إليه وحرصهم عليه قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً﴾ (الفجر:٢٠) وقال تعالى ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ (النساء:١٢٨) فلا بد من وضع القوانين التفصيلية التي تعطي لكل ذي حقٍ حقه، لهذا نجد قضية الميراث وتوزيع تركة الميت حاضرة في ثقافة وتشريعات المجتمع

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٩٩.

البشري خصوصاً الأمم المتمدنة فيه منذ فجر التاريخ كالسومريين والآشوريين والبابليين، كما ينقل المؤرخون عن (قانون (أور-نمو) وقانون (لبت-عشتار) و(آشنونا) وقانون (حمورابي))[1].

وهكذا تجدها في قوانين المصريين والرومان والإغريق والفرس وهي وإن اختلفت في التفاصيل ألا أنها تكاد تجمع على أن مستحق الميراث هو (أولى الناس به) لكنهم اختلفوا في مصاديقه وجعلوا ضوابط مختلفة للأولوية بحسب ثقافتهم واهتمامهم بالأمور والتحديات التي تواجههم، وأوكلها بعضهم إلى رغبة صاحب المال نفسه، ففي القوانين القديمة[2]:- إذا مات رب الأسرة فله أن يفضّل أحد أبنائه على الباقين بنصيب إضافي، ويبدو منهم أنّهم يفضّلون الأولاد الذكور بحظّ أوفر على الإناث، والزوجة تشارك الأولاد ولها حظّ مساوي معهم. وإذا كان أحد أولاد الميّت لم يتزوّج بعد يضاف إلى حصّته ما يقابل المهر ليساوي بقيّة إخوته، وكذا إذا لم تتزوّج إحدى بناته فعلى إخوتها أن يقدّموا لها ما يعادل حصّتها ويزوّجوها حتى تتساوى مع بقية أخواتها.

أما الرومان فلما كان لرب الأسرة عندهم ولاية مطلقة على أفراد وأموال الأسرة ولا يملك غيره من أفراد الأسرة إلا بإذنه وإرادته فإنه إذا

(١) موسوعة الفقه الإسلامي: ٩/ ١٤، عن المصادر المذكورة فيه.

(٢) تجد تفصيلاً أكثر عن هذه التشريعات في تفسير الميزان: ٤/ ٢٢٩- ٢٤٣، وفي موسوعة الفقه الإسلامي: ٩/ ١٣-١٩.

مات يرثه أحد أبنائه أو إخوانه ممن كان وارثاً لربوبيته، وأما النساء كالزوجة والبنت والأخت والأم فلم يكن يرثن لئلا ينتقل مال الأسرة بانتقالهن إلى أسرة أخرى بالزواج، ثم طرأت إصلاحات على هذا النظام باتخاذ القرابة قاعدة للميراث على ترتيب الطبقات.

أما اليونان فكانوا لانشغالهم بالحروب المستمرة يعتبرون أموال الأسرة جزءاً من الثروة العامة ورب العائلة المتصرف بهذه الأموال كوكيل عن الحكومة في إدارة الأموال، وكان للرجل حق اختيار من يخلفه في ماله ويقوم مقامه في رئاسة أسرته وأولاده، ولا بد أن يتماشى هذا الاستخلاف مع مصلحة الوطن وتوافقه القبيلة وترضى عنه، وله أن يؤثر بعض أبنائه على بعض في الميراث وليس له أن يحرم أحداً منهم حرماناً تاماً، وإذا لم يكن له وصية فإن القانون يقضي بمساواة جميع أبنائه في الميراث.

أما الفرس فكانت قوانينهم تراعي ثقافتهم في نظام الأسرة وحفظ أملاكها وشرف نسبها، وديانة الآباء والأجداد ونظام الإقطاع وتعدد الزوجات ونكاح المحارم وسيادة الزوجة الممتازة في البيت، فإذا لم يترك رب الأسرة ولداً رشيداً له هذه القدرة، فإن الزوجة الممتازة تتصرف في التركة بما يناسب هذه الاعتبارات، وكانوا يساوون بين الابن والبنت ما لم تتزوج، وكان من موانع الإرث عندهم خروج رب الأسرة عن دين آبائه، وعدم برّ الولد أباه.

أما قدماء المصريين فقد كانوا مجتمعاً زراعياً والفراعنة هم مُلّاك الأراضي، والناس شركاء في منافع الأرض فإذا مات ربّ الأسرة حلّ محلّه أكبر الذكور في إدارة زراعة الأرض والانتفاع بها أما بقية الأموال من تركة ربّ الأسرة فجميع الأولاد ذكوراً وإناثاً فيها سواء عندهم، وكذا الزوج والزوجة يرث بعضهم بعضاً.

أما اليهود فكانوا يعيشون كأقليات داخل المجتمعات ويتخذون من الأموال الضخمة سلاحاً لتحقيق طموحاتهم الاستكبارية فلذا كانوا يحرصون على جمعه وصيانته من التشتت، فكان لصاحب المال الحرية الكاملة في التصرف بالمال كيف يشاء بالهبة أو الوصية فله أن يوصي بماله كله لمن يشاء حتى لو كان أجنبياً ويحرم ذريته وأقاربه منه، واليهودي يرث الوثنيين ولا يرثونه، ويُحرَم من الإرث إذا ارتدّ عن دينه، وكذا من يضرب أباه أو أمه ضرباً دامياً فإنه لا يرثهما.

أما العرب قبيل الإسلام فقد كان نظام القبيلة متحكماً فيهم وتنتشر فيهم الصراعات والحروب فكانوا يورثون على أساس النسب والولاء للعشيرة والتبنّي ويخصّون به الذكر البالغ القادر على حمل السلاح دفاعاً عن العشيرة ومصالحها وأما الصغار والنساء والضعاف فليس لهم حق في الميراث وإن كانوا أولاداً، ويعامل الابن بالتبني معاملة الابن النسبي ويقدّم عليه إذا توفرت فيه الشروط المذكورة دون الآخر.

وفي ظل هذه الأنظمة التي فيها كثير من الاستئثار والظلم والحرمان والحيف منَّ الله تعالى على الناس بالبعثة النبوية المباركة ونزل القرآن الكريم ليبني الإنسان والمجتمع الصالحين ويؤسس لحياة كريمة مبنية على أساس العدالة الاجتماعية ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد:٢٥).

ولسان الآية الكريمة محل البحث ظاهر في الرد على هذه المظالم، ونقل العلامة الطبرسي ذلك عن جملة من المفسرين، وروي في سبب نزول الآية أن امرأة من الأنصار (قالت: يا رسول الله (ﷺ) توفي زوجي وتركني وابنته فلم نورث من ماله، فقال عم ولدها: يا رسول الله لا تركب فرساً ولا تنكأ عدواً ويكسب عليها ولا تكتسب، فنزلت ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾ (النساء:٧))[1].

ورووا عن ابن عباس قال: (لما نزلت آية الفرائض التي فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والأنثى والأبوين كرهها الناس أو بعضهم وقالوا: نعطي المرأة الربع أو الثمن، ونعطي الابنة النصف ونعطي الغلام الصغير وليس من هؤلاء أحد يقاتل

(١) الدر المنثور: ٢/ ٤٣٩، ط. دار الفكر.

القوم ولا يحوز الغنيمة؟! وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية لا يعطون الميراث إلا لمن قاتل القوم، ويعطونه الأكبر فالأكبر)[١].

وهذا يكشف عن رسوخ هذه القيم الجاهلية في نفوس الصحابة حتى بعد نزول القرآن ومرور مدة طويلة على البعثة النبوية المباركة؛ لأن سورة النساء مدنية وآيات الميراث نزلت بعد معركة أُحُد في السنة الثالثة من الهجرة كما تشهد بعض الحوادث التي وردت الإشارة إليها في السورة، وقال السيوطي في تفسير آية ميراث الأولاد: أخرج أحمد وأبو داوود والترمذي وابن ماجة والحاكم والبيهقي وآخرون عن جابر قال: (جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قُتل أبوهما معك في أُحد شهيداً وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً ولا ينكحان إلا ولهما مال، فقال: يقضي الله في ذلك، فنزلت آية الميراث ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ...﴾ الآية، فأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى عمهما فقال: أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقي[٢] فهو لك)[٣].

(١) الدر المنثور: ٢/ ٤٤٥.

(٢) هذا مبني على ما يذهب إليه العامة من التعصيب فيمنحون الباقي إلى العصبة وهو باطل عندنا نحن الإمامية وأن الباقي يردّ على البنتين لدخول النقص عليهما حين العول.

(٣) الدر المنثور: ٢/ ٤٤٥.

فالدين الإسلامي بما إنه تشريع من الله تعالى خالق الإنسان والعالم بما يصلحه في دنياه وآخرته لم يهمل هذه الغريزة الفطرية والضرورة الاجتماعية، ولم يترك الأمر إلى البشر ذوي العقول القاصرة والذين تتحكم فيهم الأهواء والمطامع والمصالح فسنّ قانوناً إلهياً متكاملاً لمصير ما يتركه الإنسان.

ومن ملامح هذا التكامل:

١- قيام القانون على مبدأ وعقيدة أن الله تعالى هو الوارث الحقيقي لكل المخلوقات لأنها تموت وتفنى وهو الباقي ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن:٢٧) قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (مريم:٤٠) وقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ (الحجر:٢٣) فلا بد أن يرجع الى الله تعالى في تحديد مصير مال الإنسان بعد وفاته، وهذا الأساس العقائدي من أهم ما يميّز التشريعات الإلهية عن الوضعية المستندة إلى أهواء البشر وتفكيرهم القاصر.

٢- إنه لم يبخس حق الميت واحترم إرادته في إنفاق ماله في أمور كان يحب أن يضع ماله فيها فجعل له حق الوصية بما لا يزيد عن ثلث التركة وتخرج قبل توزيع الميراث، وأبقى الثلثين لذويه استمراراً لمسؤوليته عن إعالتهم وتوفير مؤونتهم ولو سمح بالوصية بكل المال

لضاع هؤلاء، نُقل في الدر المنثور عن البخاري وأحمد ومسلم وأبي داوود والترمذي والنسائي وغيرهم عن سعد بن أبي وقاص (أنه مرض مرضاً أشفي منه، فأتاه النبي (صلى الله عليه وآله) يعوده، فقال: يا رسول الله إن لي مالاً كثيراً وليس يرثني إلا ابنة لي، أفأتصدّق بالثلثين؟ قال: لا، قال: فالشطر؟ قال: لا، قال: فالثلث؟ قال: الثلث والثلث كثير؟ إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس)[1].

٣- مراعاة النزعة الفطرية والعدالة الاجتماعية فلاحظ في الاستحقاقات درجة القرابة والمسؤوليات المنوطة بكل وارث والمصالح العامة في تحريك عجلة الاقتصاد لما ذكرناه من أن منع الشخص من التصرف في ثروته بعد الموت يثبط عزيمته في العمل ولا يبقي له أملاً للمستقبل[2]، كما أن قانون الإرث يراعي توزيع الثروة بنحو عادل ومنع الاستئثار والاستبداد على نحو قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (الحشر:٧) فكفّل حق الفرد وحق الجماعة خلافاً للمبدأين الوضعيين المعمول

(١) الدر المنثور: ٢/ ٤٥٢.

(٢) نقل في تفسير (الأمثل: ج٣، ص٤٧) أن البرلمان الفرنسي ألغى قانون الإرث في فترة وقرّر نقل أموال الناس بعد موتهم إلى الخزينة العامة وعلى أثره شخّصوا تراجعاً كبيراً في الحركة الاقتصادية مما دفع الحكومة إلى إعادة النظر في القرار.

بهما من العمل بأحدهما على حساب الآخر، والغرض هو تحقيق العدالة وليس من الضروري أن تتحقق العدالة بالمساواة إذ قد يلزم منها الظلم وفق العناصر الآنفة.

٤- تثبيت السهام بدقّة حتى لا يحصل خلاف وتنازع.

٥- حفظ حقوق الضعفاء كالنساء والأيتام، وقد أشرنا إلى حرمانهم في القوانين المعمول بها لدى الأمم يومئذٍ.

وقد تعرض قانون الميراث في الإسلام إلى شبهات وشكوك أجاب بعضها الأئمة الطاهرون (عليهم السلام) كما أسهب المفسرون والمفكرون في ردّها لسنا بصدد الدخول في تفاصيلها، وأذكر رواية واحدة عن الإمام الرضا (عليه السلام) في علة إعطاء سهمين للولد وسهم للبنت بالرغم من أن هذا التفاضل في القسمة ليس مطّرداً إذ أن الرجال والنساء قد يأخذون بالسوية كالوالدين مع الولد لهما السدسان وككلالة الأم، بل إن الأنثى قد تأخذ أكثر من الذكر كأبوين مع الزوج فإن للأم الثلث وللأب السدس، قال (عليه السلام): (لأن المرأة إذا تزوجت أخذت والرجل يعطي فلذلك وفر على الرجال، وعلة أخرى في إعطاء الذكر مثلي ما تعطى الأنثى لأن الأنثى في عيال الذكر إن احتاجت وعليه أن يعولها وعليه نفقتها، وليس على المرأة أن تعول الرجل ولا تؤخذ بنفقته إن احتاج، فوفر على الرجال لذلك وذلك قول الله عز وجل: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى

النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء:٣٤))[١].

قال السيد الطباطبائي (قُدِّسَ سِرُّهُ) في توضيح هذه النكتة: (إن الإسلام يرى اقتسام الثروة الموجودة في الدنيا بالثلث والثلثين، فللأنثى ثلث، وللذكر ثلثان، هذا من حيث التملك لكنه لا يرى نظير هذا الرأي في الصرف للحاجة، فإنه يرى نفقة الزوجة على الزوج ويأمر بالعدل المقتضي للتساوي في المصرف، ويعطي للمرأة استقلال الإرادة والعمل فيما تملكه من المال لا مداخلة للرجل فيه، وهذه الجهات الثلاث تنتج أن للمرأة أن تتصرف في ثلثي ثروة الدنيا (الثلث الذي تملكها ونصف الثلثين اللذين يملكهما الرجل) وليس في قبال تصرف الرجل إلا الثلث))[٢].

(١) وسائل الشيعة: ٢٦/ ٩٥، ط. آل البيت(عليهم السلام).

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٤/ ٢٣٤-٢٣٥)، ط. الأعلمي- بيروت.

خطاب المرحلة
(٧٤٥)

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾[1] (البقرة:١٢٥)

﴿الْبَيْتَ﴾ هو المسجد الحرام ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة:١٢٥) ويطلق على الكعبة الشريفة أيضاً ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (البقرة:١٢٧) ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران:٩٦) فهو إطلاق حقيقي، أو من باب إطلاق الكل على الجزء، أو من باب أن الكعبة هي منشأ تعظيم المسجد الحرام.

و﴿لِلنَّاسِ﴾ عام يشمل كل الناس، فجعلُ البيت الحرام مثابةً نعمةٌ عظمى منَّ الله تعالى بها على جميع الناس ليحصلوا على المكاسب التي سنشير إليها إن شاء الله تعالى.

والـ﴿مَثَابَةً﴾ مصدر ميمي وأصلها (مَثْوَبة) على وزن مفعلة وقلبت الواو ألفاً، وهو الرجوع، من ثاب يثوب إذا رجع، ويسمى المنزل مثابة لأن صاحبه يعود إليه كلما خرج لعمل أو قضاء حاجة، ويقال ثاب إليه عقله أو أنه ثاب إلى رشده، والثواب: الجزاء الذي يرجع على المحسن من إحسانه، وعلى المسيء من إساءته، قال تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا

(١) قبس قرآني من دروس التفسير الأسبوعية، ألقي يوم الأربعاء ٢٩/ شوال/ ١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٤/٥/٨م.

كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المطففين:٣٦) قال في المفردات (لكن الأكثر المتعارف في الخير)[١].

قال الخليل: (المثابة: الذي يثوب إليه الناس، كالبيت جعله الله تعالى مثابة، أي مجتمعاً بعد التفرق، وإن لم يكونوا تفرقوا من هناك فقد كانوا متفرقين)[٢].

وقال الأزهري: (وإن فلان لمثابة، أي يأتيه الناس للرغبة، ويرجعون إليه مرة بعد أخرى وفي حديث أم سلمة أنها قالت لعائشة حين أرادت الخروج إلى البصرة: إن عمود الدين لا يثاب بالنساء إن مال، أي لا يعاد إلى استوائه ونقل عن ابن الإعرابي قوله: المثاب: طيّ الحجارة يثوب بعضها على بعض من أعلاه إلى أسفله، يقال لأساس البيت: مثابات)[٣].

وقال الجوهري: (ثاب الناس: اجتمعوا وجاؤوا، وكذلك الماء إذا اجتمع في الحوض، ومثاب الحوض وسطه الذي يثوب إليه الماء إذا استفرغ، والهاء عوض عن الواو الذاهبة من عين الفعل، كما عوضوا في قولهم: أقام إقامة وأصله: إقواماً والمثابة:

(١) المفردات في غريب القرآن- الأصفهاني: ١٨٠.

(٢) العين: ٨/ ٢٤٦.

(٣) تهذيب اللغة: ١٥/ ١٥٢.

الموضع الذي يثاب إليه، أي يُرجَع إليه مرة بعد أخرى، ومنه قوله تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾ (البقرة:١٢٥))[١].

وذكر الأخفش وجهاً آخر لإلحاق الهاء قال فيه: (ألحقت الهاء في المثابة لما كثر من يثوب إليه كما يقول نسّابةً وسيارةً لمن يكثر ذلك منه)[٢] وكأنه للمبالغة.

قال الصاحب: (الإثابة: الإصلاح والتقويم، ومنه قول أم سلمة لعائشة: إن عمود الدين لا يثاب بالنساء)[٣].

قال الراغب: (قوله عز وجل ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً﴾ قيل معناه مكاناً يكتب فيه الثواب)[٤].

ومن هذه الأقوال والأنظار المختلفة يمكن تحصيل عدة معانٍ لجعل البيت الحرام مثابة للناس:

١- الرجوع إليه كلما صدروا عنه قال في تفسير القمي: (المثابة: العود إليه)[٥]، وروى الشيخ الطوسي عن أبن عباس

(١) الصحاح: ٩٤/١.

(٢) المعجم السابق: ٦٩٩/٨ عن معاني القرآن للأخفش: ٣٣٥/١.

(٣) المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته: ٦٩١/٨ ، تأليف وتحقيق مجمع البحوث الإسلامية عن المحيط في اللغة للصاحب: ١٨٨/١٠.

(٤) المفردات في غريب القرآن- الأصفهاني: ٨٤.

(٥) تفسير القمي: ١/ ٥٩.

قوله: (معناه أنه لا ينصرف عنه أحد وهو يرى أنه قد قضى منه وطراً، فهم يعودون إليه وهذا مروي عن الإمام الباقر (عليه السلام))[١].

وهنا يثار سؤال عن وجه نسبة الفعل إلى الله تعالى مع أن الرجوع من فعل العبد، وجوابه لأن الله تعالى أمر به وألزم بالحج إليه كل عام، وقد دلّت بعض الروايات على حرمة خلو البيت من الناسكين ويجب إلزام الناس بقصده، حيث روى الكليني والصدوق في الكافي والفقيه بالإسناد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في البيت الحرام قال (لو عطلوه سنة واحدة لم يناظروا)[٢] ويصل الإلزام إلى حد إجبار عدد يتحقق بهم النُسُك، فقد روى المشايخ الثلاثة بأسانيد صحيحة عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (لو أنَّ الناس تركوا الحج لكان على الوالي أن يجبرهم على ذلك وعلى المقام عنده، ولو تركوا زيارة النبي (صلى الله عليه وآله) لكان على الوالي أن يجبرهم على ذلك وعلى المقام عنده، فإن لم يكن لهم أموال أنفق عليهم من بيت مال المسلمين)[٣] ووردت عدة روايات في استحباب نية العود وكراهة نية عدم الرجوع[٤].

---

(١) التبيان: ١/ ٤٥١.

(٢) وسائل الشيعة: ١ ٢١/١ أبواب وجوب الحج وشرائطه باب٤/ ح٣.

(٣) الوسائل: ١١/ ٢٤/ ح٢.

(٤) الوسائل: ١٥٠/١١ باب٥٧.

وهذا الجواب على مستوى التشريع ويمكن فهم المثابة بمعنى الرجوع على مستوى التكوين بأن الله تعالى ألقى في قلوب المؤمنين ولهاً لزيارة بيته المعظم يكون دافعاً لهم ليقصدوه مرة بعد أخرى وقد ورد هذا المعنى في كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (وفرض عليكم حج بيته الحرام، الذي جعله قبلة للأنام، يرِدُونَه ورود الإنعام، ويألهون إليه ولوه الحَمَام)[1] مصداقاً لقوله تعالى ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ (إبراهيم:٣٧) الشاملة لديارهم ومحل نسكهم ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة:١٢٥)، روى المشايخ الثلاثة في أصولهم بالإسناد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث قال: (وإنما تؤتى مواضع آثارهم ويبلغوّنهم من بعيد السلام ويسمعونهم في مواضع آثارهم من قريب)[2].

٢- إن المثابة من الرجوع أيضاً لكن بمعنى أنه محل رجوع الناس إلى الله تعالى وتوبتهم وتخلّصهم من ذنوبهم وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾[3]، (الذاريات:٥٠) أنه الحج، وروى في الكافي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال علي بن الحسين (عليه السلام):

(١) نهج البلاغة: الخطبة الأولى، يألهون إليه أي يلوذون به ويعكفون عليه.

(٢) وسائل الشيعة: ١٤/ ٣٢٣، عن الفقيه والكافي والتهذيب.

(٣) راجع قبس قوله تعالى ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ (الذاريات:٥٠) في تفسير من نور القرآن.

الحاج مغفور له، وموجوب له الجنة، ومستأنف له العمل، ومحفوظ في أهله وماله)[١]، وفي موثقة أبن فضال عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (ما يقف أحد على تلك الجبال بر ولا فاجر إلا استجاب الله له، فأما البر فيستجاب له في آخرته ودنياه، وأما الفاجر فيستجاب له في دنياه)[٢].

٣- ولا نغفل عن تأويل الآية الكريمة فإنها تعني الرجوع إلى أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) لما تقدم من أن رجل الذي يرجع إليه الناس ويترددون عليه يسمى مثابة، وقد أمر الخلق كلهم بالرجوع إلى أهل البيت (عليهم السلام) كما أمروا بالرجوع إلى القرآن في حديث الثقلين المشهور.

وقد ورد النص بهذا المعنى في كتاب الاحتجاج عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في احتجاجه على الخوارج إلى أن قال: (ولو ترك الناس الحج لم يكن البيت ليكفر بتركهم إياه، ولكن كانوا يكفرون بتركهم أياه، لأن الله قد نصبه لكم علماً، وكذلك نصبني علماً حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ياعلي: أنت مني بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي)[٣].

---

(١) الكافي: ٤/ ٢٥٢/ ح١، وسائل الشيعة: ١١/ ٩/ باب١/ ح٧.

(٢) الكافي: ٤/ ٢٦٢/ ح٣٨، وسائل الشيعة: ١١/ ١٦٠/ باب٦٢.

(٣) وسائل الشيعة: ١١/ ٣٢، عن الاحتجاج: ١٨٨.

وقد دلت الروايات على أن من تمام الحج، زيارة مراقد النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) وملاقاة إمام الوقت والأخذ منه، روى الشيخ الصدوق بسند صحيح عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم)[١].

وروى الكليني والصدوق عن أبي جعفر (عليه السلام) قوله: (أبدأوا بمكة وأختموا بنا)[٢].

وتقدّم في رواية سابقة أن الناس إذا تركوا زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله) فإن من وظائف الوالي إجبارهم على ذلك والإنفاق من بيت المال لمؤونتهم.

٤- إن الله تعالى جعله محلاً لتحصيل الثواب والقرب من الله تعالى، ولا شك أن قصد البيت الحرام في الحج والعمرة من أعظم الطاعات، ففي صحيحة عمر بن يزيد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في الحج قال: (ما يعدله شيء، والدرهم في الحج أفضل من ألفي ألف فيما سواه في سبيل الله)[٣] وفي صحيحة محمد بن

(١) وسائل الشيعة: ١٤/ ٣٢١/ ح١.

(٢) وسائل الشيعة: ١٤/ ٣٢١/ ح٢.

(٣) الوسائل: ١١/ ١١١/ باب٤٣/ ح٣.

مسلم عن أحدهما (عليهما السلام) قال: (ودّ من في القبور لو أنَّ له حجة واحدة بالدنيا وما فيها)[١].

٥- أنه محل اجتماع الناس في الحج والعمرة بعد تفرقهم في البلدان وتعدد طوائفهم وأيديولوجياتهم، ولا شك أن من أهم أغراض الحج هو توحيد المسلمين وتلاقيهم وتحاورهم وتذويب خلافاتهم، وأن هذه الوحدة بين المسلمين تتحقق في الحج بنحو لا يرتقي إليه أي سبب آخر ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ (الحج:٢٨).

٦- على القول بأن المثابة بمعنى الأساس، فإن البيت الحرام هو أساس الدين وبه يحفظ التوحيد، وهذا المعنى صحيح، ولذا أحيط البيت الحرام بقدسية وتعظيم لأن به تحفظ بيضة الدين روى الكليني في الكافي والصدوق في الفقيه بالإسناد عن الصادق (عليه السلام) قال: (لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة)[٢]، ولذلك تجد أعداء الإسلام المحمدي الأصيل من نفس المتسمين بالإسلام أو من خصومه يدأبون على انتهاك حرمته وتدنيس قدسيته والحط من كرامته لأنه الباب الذي يلجؤون منه للقضاء على الدين من لدن الأمويين بأفعالهم المنكرة[٣] إلى يومنا هذا.

---

(١) الوسائل: ١١٠/١١ باب٤١/ ح١.

(٢) وسائل الشيعة: ٢١/١١ أبواب وجوب الحج وشرائطه باب٤/ ح٥.

(٣) كنشر الفسوق والمجون في أرجاء مكة وضرب المسجد الحرام بالمنجنيق وحرق الكعبة.

٧-إن المثابة من الإصلاح والتقويم وهذه إحدى وظائف البيت الحرام فإن المسلمين مهما ابتعدوا عن إسلامهم وغرّتهم الدنيا وشغلتهم، فإن الحج يرجعهم إلى الله تعالى ويصلحهم ويقّوم سلوكهم، وإن البيت الحرام يوقظهم ويعيدهم إلى رشدهم، وينبههم من غفلتهم، ويثير فيهم الشعور بمسؤولياتهم أمام الله تعالى وأنفسهم والناس أجمعين.

٨- أنه محل للاستقرار والسكينة والأمن كما أن ذلك يتحقق في المنزل الذي قلنا إنه يسمى مثابة، وقد صرحت الآية الكريمة بذلك ﴿مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ (البقرة:١٢٥)، فإليه يلجأ الناس ليبددوا مخاوفهم ويعالجوا قلقهم وتحصيل مرادهم.

٩- إنه محل امتلائهم عزة وكرامة واستقائهم من معين الله تعالى الصافي، فإن الدعوة الإسلامية انطلقت من البيت الحرام وكان مهبط الوحي والتنزيل، وإليه يرجع الناس في كل ما يهمهم من أمر الدنيا والآخرة كما تقدم تطبيقه على الحوض، وهذا المعنى محرز وإن المسلم ليمتلئ نشوةً وشموخاً بمنظر الحج ومناسكه خصوصاً مع حضور إمامهم وحجة الله على الخلق أجمعين، حيث روى الشيخ الصدوق في إكمال الدين بسنده عن عبيد بن زراره، قال: (سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: يفقد الناس إمامهم فيشهد الموسم فيراهم ولا يرونه)[1] وروى مثله

(١) إكمال الدين: ٤٤/ ح٧.

عن السفير الثاني محمد بن عثمان العمري (رضوان الله عليه) وفيه أنه (عليه السلام) يحضر في كل سنة.

١٠- إنه الجهة التي يرجعون إليها في صلواتهم ويستقبلونها في سائر عباداتهم وجوباً واستحباباً حتى في حال احتضارهم ودفنهم فإن التوجه إلى الكعبة حاضر في أحكامهم، كما يستحب هذا الاستقبال في شؤون حياتهم الأخرى.

خطاب المرحلة
(٧٤٦)

محافظة ذي قار مهد الحضارة الإنسانية ودورها المستقبلي

دعا سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) الى الحذر والاستعداد لمواصلة الوقوف في مواجهة التحديات المتزايدة التي تكتنف الشعوب الإسلامية وخصوصاً الشعب العراقي وامتلاك زمام المبادرة في ساحات المواجهة كلها وتنظيم الصفوف وتوحيدها ونبذ الفرقة ومعالجة أسبابها ووضع البرامج لمواجهة هذه التحديات.

جاء ذلك خلال كلمة ألقاها سماحتُهُ في حشد من هيئة المواكب الحسينية في محافظة ذي قار بمكتبة في النجف الأشرف[1].

وأكدّ سماحتُهُ أن سعة جبهة التحديات تستدعي تضافر الجهود ومشاركة كل الطبقات لرصدها وتحليلها وتحديد خلفّياتها ومصادرها ووعيها في الخطوة الأولى، ومعرفة كل منّا لدوره ومسؤوليته تجاهها وليأخذ مكانه في خندق المواجهة في الخطوة الثانية، وهذا كله ينبغي أن يكون محلاً للدراسة والتأمل والتحليل الدقيق.

وفي ذات السياق أثنى سماحتُهُ على الجهود المتميزة التي تقوم بها المواكب الحسينية داعياً إلى اتخاذ عنوان الموكب لكل تجمّع يريد القيام بعمل جماعي هادف سواء كانت الخدمات التي يقدمها ثقافية أو

(١) وذلك في يوم السبت ١٨/ شوال/ ١٤٤٥هـ- الموافق ٢٧-٤-٢٠٢٤م.

اجتماعية أو إنسانية أو دينية أو شعائرية لأنها ستكون أكثر مقبولية وأبلغ أثراً في نفوس الناس، فعنوان الموكب محبوب لدى الناس ومحل اطمئنان وحسن الظن عندهم وفي المجتمع عموماً على عكس العناوين التحزبيّة الأخرى التي أصبحت محل ارتياب وسوء ظن لدى الناس بسبب جملة من التداعيات وردّات الفعل التي انتابت الوسط الاجتماعي.

كما دعا سماحتُهُ المواكب الحسينية إلى وعي مسؤوليتها الكبيرة وأن تأخذ بزمام المبادرة في منع (ما نسمع عنه) من انتشار بعض العقائد الباطلة التي سرت إلى بعض المواكب الحسينية وشوهت الشعائر الحسينية مع شديد الأسف، خاصة في محافظة ذي قار العزيزة (الفيحاء).

وتسائل سماحتُهُ مستنكراً فهل من المعقول أن تنتشر هذه العقائد الباطلة التي تطفح بالغلو باسم الشعائر الحسينية؟ أو هل من المعقول أن نعصي الله تعالى باسم الحسين (عليه السلام)؟! ويصّدق الشباب ذلك بنواياهم الصادقة المخلصة وقلوبهم الطاهرة ظناً منهم أنهم يعظمون شعائر الله تعالى.. ولا يعلمون أن المعصومين (عليهم السلام) أنفسهم قد تبرؤا منها ولعنوا من يقول بها.. إذ يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (يهلك في رجلان: محب مفرط بما ليس في، ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني)[1]، وما ورد

(١) بحار الانوار: ٢٩٧/٢.

عنهم (عليهم السلام) من أن الله تعالى لا يطاع من حيث يُعصى، روى أبو حمزة الثمالي قال (كنت عند علي بن الحسين (عليه السلام) فجاءه رجل فقال: يا أبا محمد إني مبتلي بالنساء فأزني يوماً وأصوم يوماً، فيكون ذا كفارة لـذا؟ فقال له علي بن الحسين (عليهما السلام): إنه ليس شيء أحب إلى الله عز وجـل من أن يطاع ولا يعصى، فلا تزن ولا تصم فاجتذبه أبو جعفر (عليه السلام) إليه فأخذ بيده، فقال: يا أبا زنة تعمل عمل أهـل النـار وترجـو أن تـدخل الجنة)[1].

ولفت سماحتُهُ إلى خطورة ما يحاك في السر لبلـدنا العزيـز مـن المؤامرات والدسائس لأنه مركز النور ومنطلق الهداية ومبعـث الحيويـة ومحور التغيير العالمي المقبل بإذن الله تعالى وخاصة محافظة ذي قار.

وتأسف سماحتُهُ لالتفات الغرب وادراكه أهميـة هـذه المحافظـة المضحية وعمقها التاريخي وإرثها الحضاري الممتد منذ فجـر التـاريخ وتأثيرها في ثقافة العالم كله، وغفلة الكثيرين مـن أبنائهـا عنهـا إذ لـم يلتفتوا إلى قيمة هذه الأرض وشعبها، وانشغلوا عـن الـدور الحضـاري الذي منَّ الله تعـالى بـه علـيهم.. وكـأنهم نسـوا إن التـاريخ بـدأ مـن محافظتهم.. وأَسرج مشعل النور منها، ويقصدها العالم، ويجعلها محطـاً لاهتمامه وتركيزه.. ونحن نائمون في سبات عميق أو منشـغلون بـبعض المشاكل والمهاترات الجانبية الصغيرة، فيأتيها البابا ليقـيم قداسـاً فيهـا

(١) الكافي:٥٤١/٥، وقوله (يا أبا زنة) تشبيه له بالقرد لأنها كنيته.

ويأتي الآخر ليؤسس فيها معبداً للديانة الإبراهيمية أو ينشئ مركزاً ما، ويتوافد عليها السيّاح من أصقاع الأرض، ويجري الحديث عن مشاريع وخطط كثيرة أُعدّت لها، ويقع بعضها في دائرة الارتياب.

وفي نهاية محاضرته أكد سماحتُهُ ما ذكره في محاضرة سابقة وهو أننا إذا أردنا أن نكون أنصاراً حقيقيين للحسين (عليه السلام) فعلينا أن نعي مسؤولياتنا وأن نأخذ دورنا فالحسين (عليه السلام) عندما كان ينادي هل من ناصر.. كان يعلم جيداً أن أنصاره قد استشهدوا ومضوا إلى ربهم بين يديه ولم يبق منهم أحد على قيد الحياة.. وإنما كان يوجه نداءه إلى كل الأجيال ويدعو من ينصره إلى تحقيق أهدافه التي ضحى وبذل مهجته من أجلها.. ونداءه (عليه السلام) لنا جميعاً.

ونسأل الله تعالى أن يسجلنا وإياكم من أنصاره الحقيقيين ومن يدخلون السرور عليه بلطفه جل وعلا.

خطاب المرحلة
(٧٤٧)

أعملوا لما عند الله تعالى [١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٦).

النفاد يعني الفناء وانتهاء الشيء، قال تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ (الكهف:١٠٩) ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ (لقمان:٢٧).

فالآية الكريمة تقرّر حقيقة أساسية مهمة يجب الالتفات إليها واستحضارها دائماً والعمل على أساسها، وهي أن كل ما عندكم من أمور الدنيا وما تتعلقون به وتعملون من أجله وتتفاخرون به وتحرصون عليه وتتصارعون فيما بينكم للاستئثار به سواء كان مالاً أو سلطةً أو أعواناً أو جاهاً أو لقباً علمياً أو مقاماً اجتماعياً أو عشيرةً أو أبناءً أو غير ذلك فإنها تزول وتفنى وتبقى تبعاتها

(١) قبس قرآني من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع مرشدي قوافل الحج يوم الجمعة ١/ذي القعدة/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٤/٥/١٠م، ومن درس التفسير الأسبوعي يوم الأربعاء ٦/ذو القعدة/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٤/٥/١٥م.

إن لم يوظّفها في الموضع الصحيح لها، روى علي بن إبراهيم في تفسير الآية (أي ما عندكم من الأموال والنعمة يزول، وما عند الله مما تقدمونه من خير أو شر فهو باقٍ))[١] ورواه في الدر المنثور عن سعيد بن جبير[٢].

وفيها معنىً آخر أدقّ وهو: أن أي عمل لم يبتغِ وجه الله تعالى به وإنما عمله لنفسه رياءً أو طلباً للسمعة والجاه أو مجاملةً وتملقاً لأحدٍ بغير حق أو لأي غرض دنيوي فإنه داخل في عنوان ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ وهو لا قيمة له ولا ينتفع به صاحبه وقد يضره ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (الفرقان:٢٣) أما الباقي الذي ينفع في الآخرة فهو ما ابتغى به وجه الله تعالى قال سبحانه ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الشورى:٣٦) ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (الرعد:١٧)، ويشير أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الفرق الشاسع بين ما عندكم وما عند الله في قوله: (شتان ما بين عملين: عمل تذهب لذّته وتبقى تبِعَته، وعمل تذهب مؤونته ويبقى أجره)[٣].

---

(١) تفسير البرهان: ٥/ ٣٦٥، عن تفسير القمي: ١/ ٣٨٩.

(٢) الدر المنثور: ٥/ ١٦٣.

(٣) نهج البلاغة: قصار الكلمات، رقم (١٢١).

وينبغي الالتفات إلى شرط الوصول إلى ما عند الله تعالى وهي ولاية أهل البيت (عليهم السلام) فهم (باب الله الذي يؤتى منه)[١]، وفي زيارة الجامعة الكبيرة (بكم تقبل الطاعة المفترضة، ولكم المودّة الواجبة)[٢] وهم المعين الذي لا نفاد له لاتصاله بالله تبارك وتعالى، فقد ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام): أنه سئل عن قوله تعالى ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ (الملك:٣٠) فقال: (﴿مَاؤُكُمْ﴾ أبوابكم الأئمة (عليهم السلام)، والأئمة أبواب الله، ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ أي يأتيكم بعلم الإمام)[٣]، وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله عن المفضل: (قال لي ذات يوم وكان لا يكنيني قبل ذلك: يا أبا عبد الله قال: قلت: لبيك، قال: إن لنا في كل ليلة جمعة سرورا قلت زادك الله وما ذاك؟ قال: إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله (صلى الله عليه وآله) العرش ووافى الأئمة (عليهم السلام) معه ووافينا معهم، فلا ترد أرواحنا إلى أبداننا إلا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لأنفدنا)[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ٢٥/ ٢/ ح٣.

(٢) مصابيح الجنان: ٤٥٤.

(٣) تفسير القمي: ٢/ ٣٧٩، س١١، والتفصيل في تفسير من نور القرآن قبس قوله تعالى: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ (الملك:٣٠).

(٤) الكافي: ١/ ٢٥٤.

وقد نهت الآية الكريمة السابقة على هذه عن ابتغاء غير الله تعالى فإنه قليل زائل مهما عظم في أعينكم، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ اللّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٩٥)، ومجيء الآية محل البحث بعدها كالتعليل لها.

وللآية تأثير عجيب في ردع النفس الأمّارة بالسوء، روى العلامة الطبرسي في سبب نزولها عن ابن عباس (أن رجلاً من حضرموت يقال له عبدان – الأشرع قال: يا رسول الله إن امرئ القيس الكندي جاورني في أرضى فاقتطع من أرضي فذهب بها مني والقوم يعلمون أني لصادق لكنه أكرم عليهم مني، فسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) امرئ القيس عنه، فقال: لا أدري ما يقول، فأمره أن يحلف، فقال عبدان: إنه فاجر لا يبالي أن يحلف، فقال: إن لم يكن لك شهود فخذ يمينه، فلما قام ليحلف أنظره فانصرفا فنزل قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ..﴾ الآيتان فلما قرأهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال امرئ القيس: أمّا ما عندي فينفد وهو صادق فيما يقول، لقد اقتطعت أرضه ولم أدر كم هي فليأخذ من أرضي ما شاء ومثلها معها بما أكلت من ثمرها، فنزل فيه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا..﴾ الآية)[1].

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٦): ترغيب في الأعمال الصالحة بالوعد الصادق المؤكّد بأن

(١) مجمع البيان: ٦/ ١٠٨.

الله تعالى سيجزيهم على عملهم بأحسنه، ووصفهم بالذين صبروا لأن العمل لما عند الله تعالى والثبات عليه ومنع النفس من شهواتها واتباع أهوائها يتطلب صبراً طويلاً ومجاهدة مستمرة للنفس.

وقد قسَّم الحديث الشريف الصبر إلى مراتب ثلاث وأعطى للصبر على الطاعة مرتبة سامية، ففي الحديث عن علي (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش)[1].

وتركيز الآية على وصف الصبر يؤكد محورية الصبر في الأعمال الصالحة والجزاء عليها ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠)، وهذا يعني أن كبح جماح النفس وضبط تصرفاتها في إطار ما يرضي الله تعالى ليس حرماناً ولا كبتاً كما يصوّر مروجو الفسق للمرأة بأن الحجاب تقييد وأن عدم إشباع الغرائز حرمان وكبت، بل إن

(١) الكافي: ٢/ ٩١.

هذا الانضباط متاجرة مع الله تعالى لنيل أحسن الجزاء.

وذكرنا في قبس سابق[1] عدة وجوه للأحسنية، إذ قد يراد بالأحسن الحسن فيجزي على الحسن الذي فعله دون السيئ، وقد تكون بمعنى أنه يكافئه على أساس أحسن الصور التي أتى بها عندما تكون أعماله متفاوتة الجودة فمنها حسن ومنها أحسن، كالأستاذ الذي يحتسب لطلابه الدرجة الأعلى في الامتحانات التي أدوّها، ويستفاد من بعض الأدعية المباركة معنى آخر وهو أن الجزاء على عملٍ ما قد يكون على طبق أفضل حالة للعمل صدرت من عباد الله الصالحين وهذا كرم لا يتصوره أحد.

وتضيف هذه الآية معنى آخر للأحسنية يستفاد من مقتضى المقابلة مع النفاد، وهو الخلود والأبدية كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (ص:٥٤)، فهنا الأحسن بمعنى دوام العطاء وبقائه، ولا شك أن العطاء يكون أهنأ عندما يدوم، ففرق بين من تعطيه مكافئة على خدمةٍ قدّمها لك، وبين من تخصّص له عطاءً شهرياً مستمراً جزاءً على تلك الخدمة، فمثل هذا الجزاء أحسن من الحسن.

والباء للمقابلة كقولك: (بعتُ هذا بهذا) فأحسن الجزاء عوض عن

(١) راجع قبس قوله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧) من نور القرآن.

العمل الصالح الذي صبر على الإتيان به.

فالآية الكريمة ترشدنا إلى لابدية الإخلاص في العمل وقصد ما عند الله تعالى ليكون الجزاء حسناً هنيئاً دائماً لا يفنى، وبمقدار الإخلاص يكتسب العمل قيمته، وقد أكّدت آيات كريمة هذه الحقيقة الراسخة وكذا الأحاديث الشريفة، روى البرقي في المحاسن بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن ربكم لرحيم، يشكر القليل، إن العبد ليصلي ركعتين يريد بهما وجه الله عز وجل، فيدخله الله بهما الجنة)[1] ورُوي عنه (عليه السلام) في التحذير من قصد غير الله تعالى في العمل قال: (قال الله عز وجل: أنا خير شريك، من أشرك معي غيري في عمله لم أقبله إلا ما كان لي خالصاً)[2].

ومضافاً إلى هذه العمومات فقد أشارت إليه الأحاديث في كل طاعة أيضاً كالجهاد مثلاً أو الهجرة فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (يا أيها الناس إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها

(١) وسائل الشيعة: ١ /٦١، أبواب مقدمة العبادات، باب ٨ ح٨ عن المحاسن، للبرقي: ١/ ٢٥٣، وفي من لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق: ١/ ٢٠٩) عنه (عليه السلام): (إياكم والكسل فإن ربكم رحيم، يشكر القليل، إن الرجل ليصلي الركعتين يريد.. الحديث).

(٢) وسائل الشيعة: ١/ ٦١، أبواب مقدمة العبادات، باب ٨ ح٩.

فهجرته إلى ما هاجر إليه)[١].

وجاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: (يا رَسولَ اللَّهِ، ما القِتَالُ في سَبيلِ اللَّهِ؟ فإنَّ أحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَباً، ويُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ إلَيْهِ رَأْسَهُ، قالَ: وما رَفَعَ إلَيْهِ رَأْسَهُ إلَّا أنَّه كانَ قَائِمًا، فَقالَ: مَن قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هي العُلْيَا، فَهو في سَبيلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ)[٢].

وفي خصوص الحج - بمناسبة حلول موسمه - روى الشيخ الصدوق في ثواب الأعمال بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (الحج حجان: حجّ لله وحج للناس فمن حجَّ لله كان ثوابه على الله الجنة، ومن حجَّ للناس كان ثوابه على الناس يوم القيامة)[٣] أي حجَّ رياءً أو للمباهاة أو تنافساً أو للسياحة والتنزه ونحو ذلك، وفيه أيضاً عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (من حجَّ يريد الله عز وجل لا يريد بها رياءً ولا سمعةً غفر الله له البتة).

والإخلاص في العمل ليس دعوى مجردة وإنما يكتشفه الشخص بتعريض مشاعره ودوافعه للامتحان، مثلاً إذا امتعض لأنه بنى مسجداً ولم يكتب على بابه شيّده فلان، أو إذا رأى أنه

(١) ميزان الحكمة: ٤/ ٣٤١٤، عن كنز العمال: ح٧٢٧٢.

(٢) صحيح البخاري: ١/ ٣٦/ ح١٢٣، ط. السلطانية.

(٣) والذي يليه: وسائل الشيعة: ١٠٩/١١/ باب٤٠/ ح١، ح٢.

لم يجلسوه في صدر المجلس وهو يرى أن له شأناً اجتماعياً، أو إذا خوطب بدون لفظ الجمع ولا أوصاف التعظيم نحو (سماحتكم)، أو إذا حسد زميلاً له في حلقة الدرس لأنه تفوق عليه وتحوَّل حسده إلى تسقيط وانتقاص وافتراء ونحو ذلك، فهذه كلها مظاهر عدم الإخلاص؛ لأن هذه المشاعر تعني أنه كان يريد بعلمه وعمله أن يكون له جاه وشأنية وتقدم وثناء ونحو ذلك، ولو كان عمله لله تعالى فإن الله يعلم بحقائق الأمور وأنه يفرح لكل عمل فيه نصرة للدين وإعلاء كلمة الله تعالى سواء صدر منه أو من غيره.

فمن الضروري أن يلتفت الإنسان إلى دوافعه ويختبر نيته في أي عمل يقوم به بأن يكون مبتغياً ما عند الله تعالى، وألّا يغفل فإن الغفلة تعطي الفرصة للنفس أن تتبع هواها فيكون عمله لمصالح دنيوية زائلة كاشتهار عنوانه الخاص أو بناء مجده أو رياءً أو مجاملةً، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ (الكهف:١٠٣-١٠٤).

ومن مظاهر إخلاص النية:

١- الهمة والنشاط في العمل الصالح والمبادرة إلى الخير

وعدم الاكتفاء بإسقاط الفرض.

٢- سروره بوقوع العمل الصالح والإنجاز المثمر خارجاً على يد أي أحد ويثني عليه، ولا يرى الخير حكراً عليه فإما أن يقترن باسمه وإلا فلا.

٣-نكران الذات وإنصاف الناس من نفسه والتواضع وقول الحق وإن كان مخالفاً لهواه ونحو ذلك.

خطاب المرحلة
(٧٤٨)

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[1] (النساء:٧٩)

تصحح الآية الكريمة جملة من الاعتقادات والتصورات المشوّهة لدى الناس، ومحل الحديث ما نجده على أرض الواقع وهو أنه إذا أصيب أحد بمصيبةٍ كمرض أو حادث سيارة أو فقدان عزيز أو خسارة مال فإنه ينسب الفعل إلى الله تعالى ويعتقد بأن الله تعالى هو من فعل به ذلك ويجد في نفسه عتباً على ما ابتلاه الله به حتى إذا صبر وسلّى نفسه، وربما يعترض على القدر الذي تعرض له، وفي هذا الاعتقاد سوء ظن بالله تعالى، وقد يؤدي إلى أنه لا يحب الله تعالى لأنه لم يختر له ما يحب، فلا بد من تصحيح هذا الاعتقاد، لأننا لا يسعنا إلا أن نحب الله تعالى على عظيم نعمائه ومداراته لنا واختيار ما فيه صلاحنا، وأن نصحّح هذا الاعتقاد للآخرين أيضاً حتى يحبّوا الله تعالى.

لأن الله تعالى لا يصدر منه إلا الخير المحض ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (السجدة:٧) وهو شفيق بعباده ورحيم بهم، فعلينا أن نعمل لتحبيب الله تعالى إلى الناس لنكون من أهل الحديث الشريف عن النبي

(١) الخطبة الثانية لصلاة عيد الأضحى المبارك للعام ١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٤/٦/١٧م.

(صلى الله عليه وآله): (إني لأعرف ناساً ما هم أنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بمنزلتهم يوم القيامة: الذين يحبّون الله ويحبّبونه إلى خلقه يأمرونهم بطاعة الله فإذا أطاعوا الله أحبّهم الله)[1].

فالآية الكريمة تقول ما أصابك من خير وما فعلت من حسنات فهو من الله تبارك وتعالى لأنه تعالى هو الذي هداك إلى الإيمان وزيّنه في قلبك ووهبك النعم التي تمكنت بها من الطاعة ووفر لك ظروف الامتثال، ثم يتقبَّل منك العمل ويثيبك بأحسن الجزاء، وما اجتنبت من المعاصي فبقدرة الله تعالى وعصمته ومعونته لك، ورد في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) في طلب التوبة (اللَّهُمَّ وإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِي بِالتَّوْبَةِ إِلَّا بِعِصْمَتِكَ، ولَا اسْتِمْسَاكَ بِي عَنِ الْخَطَايَا إِلَّا عَنْ قُوَّتِكَ، فَقَوِّنِي بِقُوَّةٍ كَافِيَةٍ، وتَوَلَّنِي بِعِصْمَةٍ مَانِعَةٍ)[2].

أما السيئة التي تصيب الإنسان فهي من فعله وتسبيبه، فهو الذي لم يلتزم بقواعد السلامة والأمان أو غيرُهُ فحصل حادث سير، وهو الذي لم يعتنِ بالتعليمات الصحية في الغذاء وغيره فأصيب بمرض، وهو لم يحسن تدبير المال ولم يقرأ السوق والأحداث الاقتصادية بشكل جيد

(١) مجمع الزوائد للهيثمي:١٢٦/١، وراجع قبس قوله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة:٥٤)، في تفسير من نور القرآن.

(٢) الصحيفة السجادية، الدعاء الحادي والثلاثون.

فخسر المال، وهو الذي اتبع شهواته ونزواته وهوى نفسه فوقع في المحذور، وهو الذي لم يتصرف بحكمة ولم يعمل بمنطق العقل وانقاد إلى غضبه فأضرّته حماقتُهُ وارتكب جريمة وهكذا، فلماذا ننسبها إلى الله تعالى؟، قال أبو الحسن الرضا (عليه السلام): (قال الله عز وجل: يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوتي أدّيت فرائضي وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سميعاً، بصيراً، قوياً، ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وذاك أني أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني)[1]، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (كما أنَّ بادئ النعم من الله عز وجل وقد نحلكموه، كذلك الشرّ من أنفسكم وإن جرى به قدره)[2].

وعلى هذا فالآية الكريمة وإن كان لسانها توجيه الخطاب إلى النبي (صلى الله عليه وآله) إلا أنها في الحقيقة موجّهة إلى الناس من خلال النبي (صلى الله عليه وآله) على طريقة (إياك أعني واسمعي يا جارة)[3].

وقد يكون المراد ﴿مِنْ نَفْسِكَ﴾ ما سوى الله تعالى الشامل له ولغيره إذ لا شك أن بعض ما يصيب الإنسان هو بسبب حماقة الآخرين

(١) نور الثقلين: ٥١٩/١، تفسير العياشي: ٢٨٥/١.

(٢) بحار الأنوار: ٥/ ١١٤.

(٣) روى القمي في تفسيره (ج١/ص١٦) عن الصادق (عليه السلام) قوله: (ان الله بعث نبيه (صلى الله عليه وآله) بإياك أعني واسمعي يا جارة).

وجهلهم أو عمدهم وعدوانهم قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (الشورى:٣٠) وظاهر الآية نسبة سبب المصيبة إلى الجميع وكلما ازداد إيمانه والتزامه كثر ابتلاؤه بالناس، وأن ما حلَّ بالأنبياء العظام والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم اجمعين) كان بسبب أفعال الناس.

ولا تنافي بين هذه الآية وآيات أخر نسبت الحسنة والسيئة إلى الله تعالى، كقوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء:٧٨) لاختلاف الموضوع أي المراد من الحسنة والسيئة في الآيتين اذ يراد من الحسنة والسيئة في الآية محل البحث الأفعال الموصوفة بذلك، اما في هذه الآية فيظهر من السياق أن المراد بالحسنة ما يلائم طبع الإنسان ويستحسنه من الخيرات والرفاهية وفي قبالها السيئة من النقم والبلايا، كوفرة المحصول مقابل الجدب والقحط، والأمطار مقابل الجفاف، وتكاثر الماشية مقابل عدمه وهذه كلها من عند الله تعالى وتجري وفق سنن إلهية، والإنسان يسعى لجلب الخير لنفسهِ لكنه ليس من الضروري نجاحه في ذلك وهذا دليل على أن الأمر ليس كله بيده، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (عرفت الله بفسخ العزائم، وحل العقود، ونقض

الهمم)[1] فيكون موضوعها غير موضوع الآية التي نحن فيها، وتكون الحسنة والسيئة نسبية حينئذٍ، فالآية الكريمة نزلت للرد على عقيدة فاسدة حيث كانوا ينسبون الخير إلى الله تعالى إذا كثرت الأمطار وأينعت الأراضي وساد الأمن وإذا حصل شر كالقحط والجفاف نسبوه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو من التفريق بين الله ورسوله والطعن في القيادة الربانية لإيجاد المبرر لعصيانها وعدم تحمل معاناة الطاعة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾ (النساء:١٥٠-١٥١) على نهج بني إسرائيل الذين كانوا يتطيرون بموسى (عليه السلام) ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:١٣١).

ويمكن الجواب بناءً على وحدة الموضوع في الآيتين وهو ما يلائم الطبع كالنعم والخيرات والرفاهية أو ما ينافرها كالنقم والبلايا بقرينة الإصابة التي لا تقال للأفعال إلا بلحاظ آثارها والحسنة والسيئة، أو أن الموضوع الواحد هو الأفعال السيئة

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٢٥٠، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ - محمد الريشهري: ١٠/ ٧٩.

والحسنة وإنما نسبت السيئة إلى الله لأنها ما وقعت إلا بإذنه وضمن القوانين التي أجرى الخلق عليها ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (التغابن:١١) ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾ (التوبة:٥١) ولو شاء الله تعالى لدفعها كما عطّل خاصية الإحراق لنار إبراهيم (عليه السلام)، فالفعل ينسب إلى الله تعالى من هذه الجهة لكنه لا ينفي المسؤولية عن فاعله، كمن رمى نفسه من شاهق فإنه مسؤول عن إتلاف نفسه، ولكن أيضاً لولا قانون الجاذبية الذي وضعه الله تعالى لمصلحة مخلوقاته ولتستقيم حياتهم لما هوى نحو الأسفل، ففي هذا القانون جنبة إيجابية حسنة من الله تعالى، وفيه جنبة سيئة من الانسان ومثاله أن من زرع العنب لا يلام لو اتخذه أحد خمراً، وصانع السكين للانتفاع بها لا يؤاخذ لو استعملها أحد في جريمة، فالقانون من طرف الله تعالى خير محض لكن الإنسان الأحمق أساء الاستفادة منه ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ (المائدة:٤٩).

وتشرح الرواية التالية هذه العلاقة فقد روي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان مستنداً إلى جدار آيل للسقوط فقام عنه، فقيل له: يا أمير المؤمنين أتفر من قضاء الله؟ قال (عليه السلام): (أفر من قضاء الله إلى قدره عز

وجل)[١]، أي أن الله تعالى قضى أن الحائط الثقيل إذا سقط على إنسان فإنه يسبب هلاكه لكن تقدير الأسباب له طرف بيديَّ فأستطيع تجنب الوجود إلى جواره.

والخلاصة أنه على مستوى العقيدة لا بد من التسليم بأنَّ الله تعالى هو مدبّر الأمور ومسبب الأسباب ولا يستقل أحد بشيء دون معونته ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ (هود:١٢٣) أما على مستوى الفعل والوقوع والتحقق فإن الإنسان هو السبب المباشر لحصول السيئة، لكنه لا يستطيع أن يفعل ما يشاء إلا بإذن الله وتقديره، وهذا معنى قول الإمام الصادق (عليه السلام): (لا جبر ولا تفويض وإنما أمر بين أمرين)[٢] الذي ردَّ به المذاهب الباطلة[٣]، فلو فرض أن شخصاً له يد مشلولة لا تتحرك إلا بجهاز فإذا ارتكب هذا الشخص جريمة فإنه مسؤول عن فعله ويعاقب عليه إلا أن الفعل يصح نسبتهُ إلى مشغّل الجهاز لأنه لولاه لما استطاع هذا الشخص فعل شيء.

ورغم أن السيئة من فعل العبد إلا أن الله تعالى لم يوكله إلى نفسه رحمةً به وشفقةً عليه فتولى رعايته والإحسان إليه من خلال عدة أمور:

---

(١) توحيد الصدوق: ٣٦٩.

(٢) ميزان الحكمة: ١/ ٣٦٣.

(٣) لا يسع المنصف من طوائف المسلمين إلا التسليم بهذه العقيدة التوحيدية النقية (راجع تفسير في ظلال القرآن عند هذه الآية).

١- أنه تعالى يدفع عنه ويمنع وقوعه وإن أتى الإنسان بأسبابه، قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد:١١) يحفظونه من امر الله بأمر الله[١] لكنه مع إصرار الإنسان على ارتكاب الخطأ فإن هذه الحماية ترتفع في لحظة ما لعدم صحة تعطيل القوانين، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن مع كل إنسان ملكين يحفظانه، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وإن الأجل جُنّة حصينة)[٢].

٢- إن الله تعالى يعفو عن كثير من سيئات الإنسان ويلغي تأثيراتها السلبية وما يصيبه فهو من القليل المتبقي، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (الشورى:٣٠) وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ (فاطر:٤٥).

٣- إن الله تعالى يثيب العبد على ما يصيبه وإن كان بسببه ويجعل البلاء كفارةً للذنوب، وبذلك يحوِّل الله تعالى البلاء والمصيبة التي جرّها العبد على نفسه إلى نعمةٍ لصالحه، في علل الشرائع عن علي بن الحسين عن أبيه (عليهما السلام) قال: (قال رسول الله

(١) راجع قبس قوله تعالى ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد:١١) من نور القرآن.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٩/ ٢١.

(صلى الله عليه وآله): (ولو كان المؤمن على جبل لقيّض الله عز وجل له من يؤذيه ليأجره على ذلك)[١] حتى أن الروايات دلّت على أن المؤمن لما يرى ما أعدَّ الله تعالى له من الثواب العظيم يتمنى أنه لم يرفع عنه بلاء؛ عن عبد الله بن أبي يعفور قال: (شكوت إلى أبي عبد الله (عليه السلام) ما ألقى من الأوجاع وكان مسقاماً، فقال لي: يا عبد الله، لو يعلم المؤمن ماله من الأجر في المصائب لتمنّى أن يُقرض بالمقاريض)[٢].

٤- إنه سبحانه يجعل البلاء سبباً لتكامل الفرد وقربه من الله تعالى، لأن طول فترة الرفاهية والرخاء تؤدي إلى ضعف في الإيمان وغفلة عن الله تعالى، قال علي (عليه السلام): (كفى بالسلامة داءً)[٣] وقال (عليه السلام): (إذا رأيت الله سبحانه يتابع عليك البلاء فقد أيقظك)، (إذا رأيت الله سبحانه يتابع عليك النعم مع المعاصي فهو استدراج لك)[٤] فتكون في البلاء نعمة التذكير والرجوع إلى الله تعالى روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (ما من قبض ولا بسط إلا ولله فيه المنّ والابتلاء)[٥].

---

(١) علل الشرائع: ١/ ٤٥.

(٢) بحار الأنوار: ٧٨/ ١٩٦.

(٣) بحار الأنوار: ٨١/ ١٧٤/ ح١.

(٤) غرر الحكم: ٤٠٤٦-٤٠٤٧، ميزان الحكمة: ٤٦٢/١.

(٥) التوحيد: ٣٥٤/ ح١.

في الكافي بإسناده عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: (ذكر عند أبي عبد الله (عليه السلام) البلاء وما يخص الله عز وجل به المؤمن، فقال: سُئل رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أشد الناس بلاء في الدنيا فقال: النبيون ثم الأمثل فالأمثل، ويبتلي المؤمن بعد على قدر إيمانه وحسن أعماله فمن صح إيمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه ومن سخف إيمانه وضعف عمله قل بلاؤه)[1].

(١) الكافي: ٢/ ٢٥٢.

خطاب المرحلة
(٧٤٩)

وجوب مودة أهل البيت (عليهم السلام) على الأمة[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ، ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (الشورى:٢٢-٢٣).

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ يوم القيامة حينما تنصب موازين العدل وتعرض صحائف الأعمال تشاهد الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بفعل المعاصي خائفين وجلين من أعمالهم السيئة التي ارتكبوها وأضاعوا عمرهم فيها وسيتألمون[٢] بها ومنها بعدما كانوا فرحين بها في الدنيا ويتبجحون بها، لكن هذا الخوف لا ينفعهم ولا

(١) الخطبة الأولى لصلاة عيد الأضحى المبارك للعام ١٤٤٥هـ- الموافق٦/١٧ /٢٠٢٤م.

(٢) لذلك استدل بالآية الكريمة على حضور الأعمال يوم القيامة - وعلى تعبير مؤيدي الفكرة كالسيد الطباطبائي: تجسّم الأعمال- وأنها بنفسها تكون جزاءً لصاحبها إذ لا حاجة إلى تقدير مضاف جزاء أو عقاب أو وبال ما كسبوا لأن الأصل عدم التقدير، وقد يقال بأننا لا نحتاج إلى التقدير لأن الآية ذكرت ﴿مَّا كَسَبُوا﴾ والكسب ليس نفس العمل وإنما ما يترتب عليه من جزاء وآثار ولعله الأنسب لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِم﴾ لا نفس العمل.

يرفع عنهم العذاب لأنه جاء بعد فوات الأوان ولا أثر له فالعذاب واقع بهم لا محالة، ولو خافوا في الدنيا بنحو يردعهم عن فعل المعاصي لانتفعوا منه باكتساب التقوى واجتناب المعاصي.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ وفي مقابل ذلك تخبر الآية الكريمة عن نعيم عظيم وحياة طيبة هانئة سعيدة في أجمل مواقع الجنة تمنح للمؤمنين الذين يعملون الصالحات وتعرض الصورتان مقترنتين لتكون هذه المقارنة دافعاً للالتزام بالحق وسلوك طريق الصلاح، وهو أسلوب تربوي مؤثر من باب (ازجُر المُسِيءَ بثوابِ المُحسِنِ)[1] قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزفت نفسك عن بدائع ما أُخرج إلى الدنيا من شهواتها ولذاتها وزخارف مناظرها)[2].

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (الشورى:٢٢) فلا حاجة إلى أن يقوموا بأية مقدمات أو أسباب للوصول إلى تحقيق رغباتهم كما في الدنيا وقد لا يتحقق لهم، أما في هذه الجنان فإن مجرد إرادتهم لشيء توجب حضوره عندهم وتحققه لهم ويزيدهم هناءً أنهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (النحل:٥٧) وليس كما في الدنيا حيث كانوا يمتنعون عن بعض ما يشتهون لأنه حرام أو لعجزهم.

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١٧٤.

(٢) نهج البلاغة: خطبة ١٦٥.

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ فإن هذا النعيم لا ينال إلا بفضل كبير من الله تعالى فهو الذي هداهم إلى الإيمان والعمل الصالح وحببه إليهم ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة:٧٢) بلا شك لأنه دائم طيب لا يكدّره شيء ومحفوف برضوان من الله تعالى، حيث لا يقاس به نعيم الدنيا الزائل المنغّص بعوارضها وأسقامها.

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (الشورى:٢٣) هذا الإخبار لزّف هذه البشرى إلى الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ووصفهم بأنهم عباده لتشريفهم بهذه الإضافة.

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ هذه الهداية العظيمة التي أفاضها الله تعالى على عباده وأوجبت لهم هذه النعم كانت بواسطة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأداءه للرسالة الإلهية، لم يطلب (صلى الله عليه وآله) عليه أجراً، لأن عمله خالص لله تبارك وتعالى، وكل ما يريده هو نفعهم وفوزهم وفلاحهم وسعادتهم رحمة بهم، فأجره (صلى الله عليه وآله) على الرسالة يعود عليهم ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ (سبأ:٤٧) وما قيامه (صلى الله عليه وآله) بهذا العمل المضني إلا ليذكّر جميع الناس بمسؤولياتهم إزاء النعم العظيمة التي من ّ الله تعالى بها عليهم وما فيه كمالهم ورقيّهم ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:٩٠).

وهذا المبدأ عبَّر عنه جميع الأنبياء (صلوات الله تعالى عليهم) بوضوح، وحكاه الله تعالى في سورة الشعراء عن نوح

وهود وصالح ولوط وشعيب فقالوا جميعاً بلسان واحد: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء:١٠٩-١٢٧-١٤٥-١٦٤-١٨٠) لأنهم عباد مخلصون لله تعالى، وهكذا كان المعصومون من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾ (الإنسان:٩) وكان الأنبياء (عليهم السلام) بعد كل آية فيها عدم سؤال الأجر يقولون: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ (الشعراء:١٠٨) أي أنهم لا يريدون من الناس شيئاً إلا أن يصبحوا مؤمنين صالحين مطيعين لله ورسوله، كالأستاذ الذي يجعل أجره على الطالب أن يجدّ ويجتهد في درسه.

لذلك يوبخ الله تعالى الذين لم يتّبعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يطيعوه بأنهم مم يخافون؟ وما هو سبب امتناعهم عن اتباع الرسول (صلى الله عليه وآله)؟ إذا كان لا يريد منهم أي جزاء على هدايتهم إلا ما يعود لهم ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ (الطور:٤٠).

﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ والمودة هي المحبّة والميل إلى الشيء والملائمة معه والاطمئنان إليه، ومن الأسماء الحسنى ﴿الْوَدُودُ﴾ (البروج:١٤) وهي صفة يمكن أن تكون بمعنى اسم الفاعل واسم المفعول لأنه تعالى يحب أولياءه وهم يحبّونه ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة:٥٤).

وقيل في الفرق بين الحب والودّ: (أن الحب يكون فيما يوجبه ميل الطباع والحكمة معاً، والوداد من جهة ميل الطباع فقط، ألا ترى أنك تقول: أحبُّ الصلاة ولا تقول: أودّ الصلاة)[١].

أقول: فكأن اختيار لفظ المودة من الآية أن الفطرة النقية والطبع السليم يقتضي محبة قربى النبي (صلى الله عليه وآله) والميل إليهم لاجتماع صفات الجمال والكمال فيهم.

والمودة لكي تكون صادقة لابد أن تكون عن معرفة، وهي لا تنال إلا بتوفيق إلهي ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ (مريم:٩٦).

والمراد بالقربى: قربى الرسول (صلى الله عليه وآله) ولكن ليسوا كلهم كما فهم الصحابة وإنما مجموعة خاصة من قربى النبي (صلى الله عليه وآله) لقوله تعالى: ﴿فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى:٢٣) الدالة على الظرفية لا أزيد فكأنها بمعنى (من التبعيضية) أي أن المودة فيهم وليس لهم جميعاً، إذ لم يقل: للقربى حتى يمكن إفادتها العموم، كما أن قوله (صلى الله عليه وآله): (الأئمة في قريش)[٢] لا تعني أن كل قريش أئمة بل إن الإمامة فيهم لا في غيرهم، بل قيل أن هيئة (فُعلى) تفيد وجود المبدأ فيكون معناها القرابة القريبة، كما أن

(١) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري: ١٧٤، ط. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي: ٢٥/ ١٠٤/ ح١.

النبي (صلى الله عليه وآله) لا يتحدث بصفته الشخصية حتى يراد بهم كل أقربائه النسبيين، وإنما بصفته نبياً مرسلاً بدين قيّم خالد، فقرباه هم المؤهلون لحمل الرسالة من بعده، وقد فهم الصحابة هذا المعنى لذا سألوا النبي (صلى الله عليه وآله) عنهم في الرواية الآتية إن شاء الله تعالى.

ولعل اشتراط المودة لأن الحب هو المحرِّك لطاعة المحبوب (إن المحب لمن أحبَّ مطيعٌ)[1]، وإلا فإن المطلوب ليس هو مجرد الحب، وإنما طاعة من أمر الله تعالى بمودتهم باعتبارهم السبيل إلى الله تبارك وتعالى.

فاختصَّ النبي (صلى الله عليه وآله) من بين الأنبياء بهذا الاستثناء المتصل أو المنقطع، وهو طلب اشترطه على الأمة وهو المودة في القربى.

وهؤلاء القربى مخصوصون اختارهم الله تعالى لحمل الرسالة ومواصلتها واستمرار هداية الناس إلى الله تبارك وتعالى، فهذا الطلب ليس عاطفياً بهدف إثارة الشفقة نحو القربى لرعايتهم، وبه يُردّ الإشكال على هذا التفسير بأن طلب مودة القربى مما يوجب التهمة، فإنه لم يطلبه لنفسه وإنما أمره الله تعالى أن يقول ذلك ﴿قُلْ﴾، فهو تخطيط إلهي لاستمرار القيادة الربانية بأقرب الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) طهراً وسمواً ومكانة وعملاً ومنهجاً لحفظ الرسالة وديمومتها وإتقان أدائها.

(١) تحف العقول – ابن شعبة الحراني: ٢٩٤.

وهذا الأجر يعود عليهم بالنفع ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ (سبأ:٤٧) وليس عوضاً حقيقياً على أداء الرسالة؛ لأن فيه ضماناً لاستمرار هدايتهم وصلاحهم وبه كمال الدين وتمام نعمة الإسلام كما في آية المائدة، لذا لا تتم الرسالة إلا به والتفريق بين النبي (صلى الله عليه وآله) وخلفائه الذين أمر بمودّتهم يؤدي إلى الضياع.

وقد وضحت آية الفرقان ذلك ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ (الفرقان:٥٧)، وكلا الآيتين تفيدان الحصر فلا بد أن يكون المراد واحداً وإلا حصل تناقض، فالقربى الذين أمر الله تعالى بمودتهم واتباعهم هم السبيل الموصل إلى الله تعالى.

وقد استفاضت الروايات بل تواترت[1] من طرق الفريقين وهي تدل على أن المراد بالقربى في الآية الكريمة هم أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) الذين غطّاهم بكسائه وقرأ عليهم آية التطهير ولم يسمح حتى لزوجته الفاضلة العارفة أم سلمة أن تدخل معهم، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين).

منها ما رواه في الدر المنثور عن جمع والمحب الطبري وأحمد في مسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (لمّا نزلت ﴿قُلْ لَا

(١) أحصى في (غاية المرام: ٣/ ٢٣٠ -٢٤٤) في الباب الخامس سبعة عشر حديثاً من طرق العامة وفي الباب السادس اثنين وعشرين حديثاً من طرق الخاصة، وفي (تفسير الفرقان: ٢٥/ ٢٥٠) قائمة طويلة بمصادر العامة التي روت الحديث.

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: يا رسول الله، مَن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال (صلى الله عليه وآله): علي وفاطمة وابناهما (صلوات الله عليهم أجمعين))[١].

وروى المحب الطبري أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (إن الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي وإني سائلكم غداً عنهم)[٢].

وفي صحيحي مسلم والبخاري أن ابن عباس سُئل عن القربى في الآية فقال: (قربى آل محمد صلوات الله تعالى عليهم)[٣].

وفي الدر المنثور: أخرج البخاري عن أبي بكر قال: (راقبوا محمداً (صلى الله عليه وآله) في أهل بيته)[٤]، وأخرج عن أبي سعيد أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (من أبغضنا أهل البيت فهو منافق)[٥] وأخرج أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا يبغضنا أحد ولا يحسدنا أحد إلا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من نار)[٦].

---

(١) فضائل الصحابة لابن حنبل: ٢/ ٨٨٣، ح١١٤١، ذخائر العقبى: ٢٥، وفي تفسير الرازي وابن كثير والدر المنثور عند تفسير الآية ومجمع الزوائد لابن حجر :٧/ ١٠٣ عند تفسير الآية و٩/ ١٦٨ في كتاب المناقب، نور الأبصار للشبلنجي: ١٠١، وشواهد التنزيل للحسكاني وغيرهم.

(٢) ذخائر العقبى: ٢٥.

(٣) صحيح البخاري: ٦/ ٢٣١، صحيح مسلم: ج٥ عند تفسير الآية.

(٤) الدر المنثور: ٧/ ٣٤٩. وفي البخاري: (ارقبوا محمداً في أهل بيته).

(٥) الدر المنثور: ٧/ ٣٤٩.

(٦) الدر المنثور: ٧/ ٣٤٩.

أقول: لوضوح هذا المعنى وحقانيته فقد نظمه الشافعي في أبيات:

يَـا رَاكِـباً قِـفْ بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِنًى ... واهْـتِـفْ بِـقَـاعِـدِ خَيْفِهَا وَالنَّاهِضِ

سَحَراً إِذَا فَاضَ الْحَجِيجُ إِلَى مِنىً ... فَـيْـضـاً كملـتطمِ الْفُـرَاتِ الْفَـائِضِ

إِنْ كَانَ رَفْضاً حُبُّ آلِ مُـحَـمَّـدٍ ... فَلْيَشْـهَدِ الـثَّقَلانِ أَنِّـي رَافِضِـي[1]

وقال الكميت الأسدي:

وجدنا لكم في آل حاميم[2] آيـةً ... تأوّلهـا منّـا تقـيٌّ ومُعـرِبُ[3].

ومن جملة ما ورد عـن طـريقهم مـا أخرجـه محمـد بـن جريـر بسـنده فـي كتـاب المناقـب: (إن النبـي (صلى الله عليه وآله) قـال لعلـي (عليه السلام): اخرج فناد: ألا من ظلم أجيراً أجرتـه فعليـه لعنـة الله، ألا ومـن تـولّى غيـر مواليـه فعليـه لعنـة الله، ألا ومـن سـب أبويـه فعليـه لعنـة الله، فنادى بذلك فدخل عمر وجماعـة علـى النبـي (صلى الله عليه وآله)، وقـالوا: هـل من تفسير لما نادى؟، قال: نعم إن الله يقـول: ﴿قُـلْ لَـا أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْـهِ أَجْراً إِلَّا الْمَـوَدَّةَ فِـي الْقُرْبَـى﴾ فمـن ظلمنـا فعليـه لعنـة الله، ويقـول: ﴿النَّبِـيُّ أَوْلَـى بِـالْمُؤْمِنِينَ مِـنْ أَنفُسِـهِمْ﴾ ومـن كنـت مـولاه فعلـي مولاه، فمن والى غيـره وغيـر ذريتـه فعليـه لعنـة الله، وأشـهدكم أنـا

(١) الصواعق لابن حجر العسقلاني: ٧٩، حليه الأولياء لابي نعيم: ٩/ ١٥٢.

(٢) هي الآية ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى:٢٣) والحواميم هي السور التي ابتدأت بقوله تعالى: ﴿حم﴾.

(٣) التقي من عمل بالتقية، والمعرب من أظهر مذهبه علانية.

وعلي أبوا المؤمنين، فمن سبّ أحدنا فعليه لعنة الله، فلما خرجوا قال عمر: يا أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) ما أكد النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي بغدير خم ولا غيره أشد من تأكيده في يومنا هذا، قال خبّاب بن الأرتّ: كان ذلك قبل وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بتسعة عشر يوماً)[1].

أما الإمامية فقد اتفقوا على أن المراد بالقربى الذين تجب مودتهم هم أهل البيت (عليهم السلام) الذين طهرّهم الله تعالى ولهم في ذلك روايات كثيرة، روى البرقي في المحاسن بسنده عن محمد بن مسلم قال: (سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن الرجل يحب الرجل ويبغض ولده فأبى الله عز وجل إلا أن يجعل حبنا مفترضاً أخذه من أخذه، وتركه من تركه واجباً فقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾)[2].

ومما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة (وَبِمُوالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ، وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ، وَائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ، وَبِمُوالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ، وَلَكُمُ الْمَوَدَّةُ الْواجِبَةُ، وَالدَّرَجاتُ الرَّفيعَةُ)[3].

(١) غاية المرام: ٣٠٦، عن المناقب لأبن جرير: حاشية شواهد التنزيل للحسكاني: ٢/ ١٩٦، ذيل الرقم ٨٢٨.

(٢) المحاسن: ١/ ١٤٤.

(٣) مصابيح الجنان: ٤٥٤.

أقول: يظهر من هذه الروايات أن أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) فهموا من الآية عدة دلالات:

أ- وجوب مودة القربى حيث جعلت أجراً على الرسالة، فإن ثبوت الأجر يلزم منه وجوب الوفاء به، لذا قال الصحابة: (مَن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟).

ب- أن المراد ليس جميع أقرباء النبي (صلى الله عليه وآله) وإنما مخصوصون منه يكون لهم من المنزلة العظيمة ما تصلح مودتهم أن تكون أجراً للرسالة، وهم بذلك أفضل الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأكملهم وأحق بولاية الأمر بعده.

ت- إن هذه المودّة من أعظم الواجبات الإلهية لكونها معادِلة للرسالة وقد عبّر حديث الثقلين عن هذه التوأمة والاقتران بحيث لا يصل الناس إلى الله تعالى إلا بالأخذ بهما معاً.

ومما تقدم نعلم ضعف الأقوال الأخرى التي أوردها مفسرو العامة[1] وربما رووا عن ابن عباس معاني غير ما تقدم فنسبوا إليه قوله: (كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) قرابة من جميع قريش فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه، قال: يا قوم: إذا أبيتم أن تبايعوني فاحفظوا قرابتي منكم ولا يكون غيركم من العرب أولى بحفظي ونصرتي منكم)[2].

(١) عرضها وناقشها السيد الطباطبائي (رضوان الله تعالى عليه) في الميزان: ١٨/ ٤٣-٤٨.

(٢) الدر المنثور: ٧/ ٣٤٦.

وفيه: أن قريشاً كذّبت برسول الله (صلى الله عليه وآله) فكيف يطلب منهم أجراً وإنما يصح ذلك ممن آمن به، والدعوة الإسلامية ليست عصبية جاهلية ولا عشائرية ولا قومية ثم إن هذا المعنى مخالف لما عُرِف عن ابن عباس مما نقلناه وقد ردّ مفسرو العامة قبل الخاصة على هذه الأقوال، وذكر الرازي في تفسيره وجوهاً لكون المقصودين بالقربى هم أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) خاصة، ونقل عن صاحب الكشاف قول النبي (صلى الله عليه وآله): (مَن مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تُزَفُّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد (صلى الله عليه وآله) فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة)[1].

(١) الكشاف: ٤/ ٢٢٠-٢٢١، تفسير الرازي: ٢٧/ ١٦٥-١٦٦، تفسير القرطبي: ٨/ ٥٨٤٣، تفسير الثعلبي.

وقد عمل أعداء أهل البيت (عليهم السلام) والأمويون والعباسيون وغيرهم على تضليل الناس وصرفهم عن أهل البيت (عليهم السلام) وإنكار مناقبهم ومنها توسيع المراد إلى كل قربى الرسول (صلى الله عليه وآله) من قريش لإعطاء شرعية وقدسية لملكهم فتصدى الأئمة (عليهم السلام) لتكذيبهم، روى الشيخ الكليني بسنده عن إسماعيل بن عبد الخالق قال: (سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول لأبي جعفر الأحول وأنا أسمع: أتيتَ البصرة؟ فقال: نعم، قال: كيف رأيت مسارعة الناس إلى هذا الأمر ودخولهم فيه؟ قال: والله إنهم لقليل ولقد فعلوا وإن ذلك لقليل، فقال: عليك بالأحداث فإنهم أسرع إلى كل خير، ثم قال: ما يقول أهل البصرة في هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟ قلت: جعلت فداك إنهم يقولون: إنها لأقارب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: كذبوا إنما نزلت فينا خاصة في أهل البيت في علي وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء (عليهم السلام))[1].

وروى البرقي في محاسنه بسنده عن حجاج الخشاب قال: (سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول لأبي جعفر الأحول ما يقول من عندكم في قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟ فقال: كان الحسن البصري يقول: في القربى من العرب، فقال أبو عبد الله (عليه السلام) لكني أقول لقريش الذين عندنا هاهنا خاصة، فيقولون: هي

(١) الكافي: ٨/ ٩٣/ ح٦٦، قرب الإسناد: ١٢٨/ ح٤٥٠.

لنا ولكم عامة، فأقول: خبروني عن النبي (صلى الله عليه وآله) إذا نزلت به شديدة من خصّ بها؟ أليس إيانا خص بها حين أراد أن يلاعن أهل نجران أخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، ويوم بدر قال لعلي وحمزة وعبيدة بن الحارث، قال: فأبوا يقرون لي، أفلكم الحلو ولنا المرّ؟)[1]

وفي ضوء هذا نفهم تفسير الإمام (عليه السلام) للجزء الأول من الآية ٢٢ ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ (الشورى:٢٢) أنهم من ظلموا آل محمد (صلى الله عليه وآله) حقهم فهم خائفون مما ارتكبوا وعملوا من السيئات لكن ذلك الخوف لا يدفع عنهم العذاب فإن ما يخافونه واقع بهم[2] فإن الظالمين هم من أعرضوا عن دين الله تعالى وتركوا طاعة نبيه (صلى الله عليه وآله) وقد ورد في الحديث الشريف عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام): (بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية)[3].

فمن ضيّع الولاية فإنه لم يوفق إلى السبيل الموصل إلى الله تبارك وتعالى لأن أهل البيت (عليهم السلام) هم السبيل، وفي دعاء الندبة (ثُمَّ جَعَلْتَ اَجْرَ مُحَمَّدٍ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَوَدَّتَهُمْ فِي كِتابِكَ فَقُلْتَ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ وَقُلْتَ ﴿ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ

(١) تفسير نور الثقلين:٤/ ٥٧١/ ح٦٣، محاسن البرقي: ١/ ١٤٤.

(٢) تفسير القمي: ٢/ ٢٧٤، البرهان: ٨/ ٢٩٩.

(٣) شرح أصول الكافي: ٨/ ٦١.

فَهُوَلَكُمْ﴾ وَقُلْتَ: ﴿ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْر إلاّ مَنْ شاءَ أنْ يَتَّخِذَ إلى رَبِّهِ سَبيلاً﴾، فَكانُوا هُمُ السَّبيلَ إلَيْكَ وَالْمَسْلَكَ إلى رِضْوانكَ)[1].

وسوف يندم من لم يمضِ على منهج أهل البيت (عليهم السلام) حيث ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً ، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ (الفرقان:٢٧-٢٩) أن السبيل مع الرسول هو علي بن أبي طالب[2] (عليه السلام)، فمن لم يتولاه يعضّ على يديه من الندامة لأنه تخلّف عن دخول الباب إلى مدينة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب)[3].

﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾ والاقتراف: الاكتساب، فمن يكتسب حسنة بفعل يرضي الله تبارك وتعالى فإن الله تعالى سيجزيه بأحسن منها بأن يجعل ثوابها دائماً طيباً جالباً للسعادة وسالماً من النقائص والمكدّرات ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النور:٣٨)، روي أن الإمام الحسن السبط المجتبى (عليه السلام) خطب الناس حين قُتِل أبوه أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى أن قال: (وإنّا أهل

(١) مفاتيح الجنان: ٦٠٧.

(٢) راجع مجموعة الأحاديث في البرهان: ٧/ ٩٥.

(٣) بحار الأنوار: ٤٠/ ٢٠٣.

بيت افترض الله مودتهم على كل مسلم حيث يقول: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾ فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت)[1] وقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسيره قال: (الاقتراف: التسليم لنا، والصدق علينا وألّا يكذب علينا)[2]، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (لا تستصغروا مودتنا فإنها من الباقيات الصالحات)[3].

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ يمحو السيئات ويشكر الفعل الحسن لصاحبه فيثيبه بأحسن منه، ومن مظاهر هذه الأحسنية محو السيئات وتبديلها إلى حسنات حتى لا يبقى ما ينغّص حياته الطيبة الهنيئة ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ (الأعراف:٤٣).

ويعبّر الإمام الرضا (عليه السلام) عن ألمه من عدم وفاء الأمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بأجره، روى الشيخ الصدوق بسنده عن الريّان بن الصلت أن الإمام الرضا (عليه السلام) قال في إحدى مناظراته في مجلس المأمون بمرو: (فأنزل الله تعالى هذه الآية على نبيه ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أصحابه فحمد الله وأثنى

(١) البرهان: ٨/ ٣٠٢، عن مجمع البيان: ٩/ ٤٤، مسترك الحاكم: ٣/ ١٧٢، الصواعق المحرقة: ١٧٠، المحب الطبري في ذخائر العقبى: ١٣٨.

(٢) الكافي: ١/ ٣٢١/ ح٤.

(٣) بحار الأنوار: ٤٧/ ٣٤٠، نقلاً عن الاختصاص: ٨٦.

عليه، وقال: أيها الناس (إن الله عز وجل قد فرض لي عليكم فرضاً فهل أنتم مؤدُّوه؟ فلم يجبه أحد، فقال: يا أيها الناس: إنه ليس بذهب ولا فضة ولا مأكول ولا مشروب، فقالوا: هاتِ إذن، فتلا عليهم هذه الآية، فقالوا: أما هذا فنعم، فما وفى فيها أكثرهم)[١].

وفي مقابل هؤلاء فقد جاد الزمان بمؤمنين موالين ملئت قلوبهم بحبِّ أهل البيت (عليهم السلام) والاندفاع في مودتهم وطاعتهم والتضحية من أجل ترسيخ وجودهم ونشر مبادئهم وقدّموا التضحيات الجسيمة وفاءً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وأداءً لأجره، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لو أحبني جبل لتهافت)[٢] وقال (عليه السلام): (من أحبَّنا أهل البيت فليعد للبلاء جلباباً)[٣] وتوجد أمثلة سامية من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) حتى قال فيهم الشاعر:

لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا يتهافتون على ذهاب الأنفس[٤]

وهذا لا يتحقق إلا لدى المحبّين الولهين.

وهكذا إلى زماننا المعاصر حيث بلغ عدد الشهداء والسجناء والمهجرين والمعذّبين الملايين من الرساليين والرساليات لا يسعنا إلا

(١) البرهان: ٨/ ٣٠٣، عن عيون أخبار الرضا: ١/ ٢٣٣/ ح١، وعن قرب الإسناد ٢٨.

(٢) نهج البلاغة: ٤/ ٢٦.

(٣) غرر الحكم: ٩٠٣٧.

(٤) أعيان الشيعة – السيد محسن الأمين: ٦٠٣/١.

أن نقف لهم إجلالاً فبوركوا من ثابتين على العهد و﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ (الرعد:٢٩).

إن مما نظهر به مودتنا لأهل البيت (عليهم السلام) إقامة مجالس ذكرهم قال الإمام أبو عبد الله (عليه السلام): (إن ذكرنا من ذكر الله)[1] وإحياء شعائرهم ومن أهمها زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الغدير عيد الله الأكبر ففي ذلك نصرة لحق أمير المؤمنين (عليه السلام) وخيبة لأعدائه وتثبيتاً على الصراط المستقيم.

(١) الكافي: ٢/ ١٨٦.

خطاب المرحلة
(٧٥٠)

أم سلمة قدوة الفضائل والولاء[١]

تستطيع المرأة أن تكون مثلاً وأسوة للرجال والنساء معاً، كما ضرب الله تعالى مثلاً في امرأة فرعون ومريم ابنة عمران للذين آمنوا، وهو عام يشمل الرجال والنساء معاً[٢]، والمثل الآخر هي السيدة المباركة أم سلمة (رضي الله عنها) زوج النبي (صلى الله عليه وآله) قمة من قمم الإسلام الشامخة في عصر ولادته واخضرار عوده، بما أتصفت به من الإيمان والتسليم لله تعالى وللرسول الكريم (صلى الله عليه وآله)، ومكارم الأخلاق والثبات على الحق والتضحية في سبيله ومقارعة الظالمين والفاسدين والمنحرفين وطلاب الدنيا، لم تزغ عن الحق ولم تتأثر بهوى أو مطامع أو عصبية أو رياء أو سمعة أو جاه، لذلك أحبّها النبي (صلى الله عليه وآله) وآثرها على سائر نسائه بعد السيدة الجليلة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها).

---

(١) كلمة ألقاها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) ملخصة في المؤتمر العام لمجمع المبلغات الرساليات في العراق يوم السبت ٢٧/محرم الحرام/١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٤/٨/٣م، والتفاصيل موجودة في كتاب طبع لاحقاً بنفس العنوان.

(٢) راجع قبس قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم:١١) في تفسير من نور القرآن.

أن من يطلّع على السيرة العطرة للسيدة أم سلمة (رضي الله عنها) ينبهر بها، ويجد فيها الأسوة الحسنة للرجال والنساء معاً، ويعيش معها المراحل المتنوعة التي مرّت بها الدعوة الإسلامية المباركة منذ التباشير الأولى لارتفاع صوت التوحيد من المسجد الحرام حينما صدع به النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، حيث كانت أم سلمة (رضي الله عنها) من اللبنات الأولى في بناء الإسلام العظيم مع زوجها أبي سلمة، فلذكرهما خصوصية في قلوب المؤمنين الرساليين الذين يتذوقون عصر نزول القرآن والنقلة العظيمة التي أحدثها النبي (صلى الله عليه وآله) في حياة البشرية.

ثم عاشت مرحلة المعاناة والاضطهاد والتعذيب من طواغيت قريش مما ألجأتهم إلى الهجرة عن مكة إلى الحبشة أولاً، ثم إلى المدينة المنورة حيث عاشت مع النبي (صلى الله عليه وآله) انتصارات الإسلام واتساع رقعته.

إلى أن حصلت الرزية بوفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وانقلاب الأمة على الأعقاب وإزالة الحق عن مستقره، وما تلاه من فتن واضطراب واقتتال واقصاء لولاة الأمر الشرعيين وانتهت بمقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه الكرام، وهنا توقف القلب الكبير ولم تستطع الحياة بعده فانتقلت إلى جوار ربها الكريم، وهي في جميع تلك المراحل كانت بمستوى المسؤولية وثابتة في الموضع الذي يريده الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله).

وإن من أوضح جوانب حياة أم سلمة (رضي الله عنها) ومواقفها: الولاء لأهل البيت النبوي الطاهر (صلوات الله عليهم أجمعين) والدفاع عن حقهم، والشهادة بما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله) في فضلهم وتقدمهم على الناس جميعاً.

إن المتأمل في سيرة أم سلمة (رضي الله عنها) والأحداث التي اكتنفتها سيكتشف:

١- عظمة النقلة التي أحدثها الإسلام ببركة القرآن الكريم على يد قائده العظيم النبي محمد (صلى الله عليه وآله) في حياة الناس، حيث ارتقى بهم من حضيض الجاهلية الرعناء إلى قمة الإيمان والسمو والطهر والعزة والحرية.

٢- تقديم الأسوة الحسنة للرجال والنساء في العفاف والثبات والجهاد والتسليم والطاعة من خلال أبي سلمة وأم سلمة (رضوان الله تعالى عليهما).

٣- مكانة المرأة في الإسلام وأن دورها لا يقل أهمية وحيوية عن الرجل.

٤- البصيرة والنظرة الثاقبة لقائد الإسلام العظيم.

٥- المراحل المتنوعة التي مرّت بها الرسالة الإسلامية من انطلاقتها المعذبة في مكة إلى ازدهارها في المدينة ثم النكوص على

الأعقاب بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) حتى الوصول إلى أسفل السافلين بقتل سيد شباب أهل الجنة (سلام الله عليه).

٦- كواليس ما كان يجري في داخل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) من تصرفات بعض أزواجه الرعناء والحمقاء وانقسامهن إلى حزبين، ومضي النبي (صلى الله عليه وآله) في مشروعه العظيم من دون اكتراث للحركات الصبيانية والمؤامرات داخل بيته وأسرته مع أذاه النفسي البالغ بها.

٧- عرض لبعض جوانب السيرة النبوية المباركة من خلال روايات أهل البيت (عليهم السلام) لإصلاح الاسفاف الذي حفلت به مصادر العامة، وهو نقص يسجَّل على المؤلفات الشيعية كما نبهنا في كتاب (الأسوة الحسنة) قبل حوالي عشرين عاماً، وقد حصلت نهضة مشكورة خلال هذه المدة بفضل الله تعالى.

وتشير الروايات الشريفة إلى أنّ أم سلمة (رضي الله عنها) أفضل أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) بعد السيدة الجليلة خديجة الكبرى بنص الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) في أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (وأفضلهن خديجة بنت خويلد ثم أم سلمة (رضي الله عنها) ثم ميمونة بنت الحارث)[1].

(١) الخصال للشيخ الصدوق: ٣١٣، أبواب التسعة، ح١٣، ويلاحظ أن في ذيل رواية الخصال (أم سلمة بنت الحارث) وهو اشتباه وفيه سقط والصحيح ما ذكرناه وقد ورد أسمها في صدر الرواية صحيحاً، وصحّح صاحب الوسائل النص (وسائل الشيعة:٢٠/٢٤٤ط، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام))، ونقل ابن شهر آشوب في (مناقب آل أبي طالب: ١/ ١٦١) عن الإمام السجاد نفس الترتيب.

وشهد لها النبي (صلى الله عليه وآله) بسمو الدرجة في أحاديث نزول آية التطهير الآتية قال (صلى الله عليه وآله) فيها: (يرحمك الله، أنت على خير، وإلى خير، وما أرضاني عنك).

كانت من السابقين الأولين إلى الإسلام وهذا شرف عظيم، وحينما بُعِث النبي (صلى الله عليه وآله) بالنبوة كانت يومئذٍ فتاة دون العشرين من عمرها[١]، بارعة الجمال[٢] من عشيرة لها زعامة في قريش وهم بنو مخزوم الذين وصفهم أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنهم ريحانة قريش[٣]، وتعيش مترفة في أسرة ثرية، فقد كان أبوها (أبو أمية المخزومي) من أجواد قريش المشهورين بالكرم ويُعرَف بـ(زاد الراكب) لأنه كان إذا سافر لم يحمل أحدٌ معه من رفقته زاداً لأنه كان يكفيهم، وهو الذي أشار على قريش بتحكيم أول داخل من باب الحرم في من يضع الحجر الأسود في مكانه حينما أرادوا إعادته بعد الانتهاء من بناء الكعبة فتراضوا به، بعد أن تواثبوا للقتال، وكان الداخل رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٤].

وعمها الوليد بن المغيرة الذي كان يُعرَف بـ(عدل قريش) لأنه كان يكسو الكعبة سنة وتكسوها قريش في السنة الأخرى.

---

(١) وفق التحقيق الآتي في سنة ولادتها.

(٢) كما في رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) في الكافي: ١١٧/٥.

(٣) نهج البلاغة: قصار الكلمات، رقم ١٢١.

(٤) سيرة أبن هشام: ١٨٢/١.

لكن هذه الدنيا المقبلة عليها بمفاتنها لم تمنعها من الالتحاق بالدعوة الإسلامية المباركة[١]، رغم أن أسرتها ضمّت عتاة أعداء النبي (صلى الله عليه وآله) كابن عمها أبي جهل، وعمها الوليد بن المغيرة الذي نزل فيه تهديد الله تبارك وتعالى ووعيده ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ (المدثر: ١١-١٢) إلى قوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ (المدثر: ٢٦-٢٩)، وأبنه خالد بن الوليد قائد فرسان قريش في الالتفاف على جيش المسلمين يوم أُحد، وأخيها لأبيها عبد الله بن أبي أمية، قال في الاستيعاب: ((كان شديداً على المسلمين مخالفاً مبغضاً وهو الذي قال: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو يكون لك بيت من زخرف وكان شديد العداوة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)))[٢] وأبن عمها عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة الذي أوفدته قريش مع عمرو بن العاص إلى ملك الحبشة مع هدايا لاسترداد المسلمين المهاجرين[٣].

تزوجت أبا سلمة في بداية الدعوة الإسلامية المباركة – وأبواهما أبناء عم – وأمه بَرّه بنت عبد المطلب، وبين الأسرتين القرشيتين بني

(١) ذكرنا في الكتاب المطبوع وجه ترجيح إسلامها قبل زواجها أو حينما تقدم أبو سلمة لخطبتها أقنعها بالإسلام لأنها لو كانت متزوجة لذكرت مع إسلام أبي سلمة كما هو ديدن مؤرخي السيّر.

(٢) الاستيعاب المطبوع بهامش الإصابة: ٢٦٣/٢.

(٣) تاريخ الطبري: ٢٢٥/٢.

هاشم وبني مخزوم مصاهرات عديدة، فأم عبد الله والد النبي (ﷺ) وأبي طالب مخزومية من أبناء عمومة والد أم سلمة (رضي الله عنها) والوليد بن المغيرة.

وكان أبو سلمة حادي عشر السابقين إلى الإسلام، فعاشت معه معاناة المسلمين من طواغيت قريش وتعذيبهم لردّهم عن دين الإسلام أو قتلهم كوالدي عمار بن ياسر.

ولما أشتد أذى قريش على المسلمين كان أبو سلمة من الأوائل الذين هاجروا بظعائنهم إلى الحبشة مع زوجه أم سلمة (رضي الله عنها) وهي عروس دون العشرين من عمرها وأقدمت على هذا المستقبل الوعر المجهول ومن ورائهم قريش تطاردهم بفرسانها لتردّهم إلى دين الجاهلية قسراً، وكان من لطف الله تعالى أن وجدوا سفينة تجارية تريد عبور البحر إلى الحبشة فركبوها قبل أن تدركهم قريش.

ولما وصلت إلى الحبشة أخبار عن إيمان قريش بما جاء به النبي (ﷺ)[1] وأن المسلمين أصبحوا في أمان عاد جمعٌ من المهاجرين إلى مكة ومنهم أبو سلمة وزوجه، فاكتشفوا كذب تلك الأخبار ورأوا ما

(١) بسبب سجود قريش لا ارادياً عند سماعهم سورة النجم فسجدوا عند آية السجدة في نهايتها فذاع الخبر، بأنهم أسلموا، لكنهم عادوا بقسوة أكبر لأزاله هذه التهمة، وروى العامة هنا رواية يندى لها الجبين حيث اتهموا النبي (ﷺ) بإضافة الذكر الجميل لهبل والعزى والغرانيق العلى إلى الآيات الكريمة فسجدت قريش لذلك، وأن الوليد بن المغيرة كان شيخاً كبيراً لا يستطيع السجود فوضع التراب إلى جبهته (تاريخ الطبري: ٢٢٧/٢).

ينزل بالمسلمين من التعذيب والقتل، فدخلوا في جوار ليحموا أنفسهم، ومنهم أبو سلمة حيث دخل بجوار خاله أبي طالب وحماه من قريش.

ولما ضاقت مكة بالمسلمين بعد وفاة أبي طالب أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) المسلمين بالهجرة إلى المدينة فكان أبو سلمة وأم سلمة من أوائل المهاجرين إليها، قال أبو نعيم: ((كان أبو سلمة أول من هاجر من قريش إلى المدينة قبل بيعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأنصار بالعقبة، ومعه امرأته أم سلمة (رضي الله عنها)))[1] وروى في الإصابة ((إنها أوّل امرأة خرجت مهاجرة إلى الحبشة، وأول ظعينة دخلت المدينة))[2].

كان أبو سلمة من الأفذاذ الذين ملئوا إيماناً بالله تعالى وطاعة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال في أسد الغابة عن أبي سلمة: ((وشهد بدراً وأحداً ونزل فيه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ﴾ (الحاقة: ١٩)))[3].

ومن فرط حبها ووفائها لزوجها أرادت أن تعاهده على عدم الزواج من غيره إن أصابه مكروه، لكن أبا سلمة الرسالي الواعي نهاها

---

(١) أنظر: السيرة النبوية- ابن كثير: ٢/ ٢١٥.

(٢) ابن حجر عسقلانى، احمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، ج٨؛ ص٤٠٤

(٣) أسد الغابة: ١٩٦/٣، التبيان: ١٠٠/١٠ عن الفراء، الجامع لأحكام القرآن: ٢٧٠/١٨ عن الضحال والمقاتل لكن المروي عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) أنها نزلت في علي ابن ابي طالب (عليه السلام) (البرهان في تفسير القرآن: ج٥/ ص٤٧٥).

عن ذلك، لأن بقائها بلا زواج مخالف للسنة الشريفة، وهي أمـراه شـابة وعندها أيتام، قال الذهبي: (قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لأَبِي سَلَمَةَ: بَلَغَنِي أَنَّـهُ لَـيْسَ امْرَأَةٌ يَمُوْتُ زَوْجُهَا، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، ثُـمَّ لَـمْ تَـزَوَّجْ، إِلاَّ جَمَـعَ اللهُ بَيْنَهُمَا فِي الجَنَّةِ، فَتَعَالَ أُعَاهِدْكَ أَلاَّ تَزَوَّجَ بَعْدِي، ولاَ أَتَزَوَّجُ بَعْدَكَ. قَالَ: أَتُطِيْعِيْنَنِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ.

قَالَ: إِذَا مِتُّ تَزَوَّجِي، اللَّهُمَّ ارْزُقْ أُمَّ سَلَمَةَ بَعْدِي رَجُلاً خَيْراً مِنِّي، لاَ يُحْزِنُهَا وَلاَ يُؤْذِيْهَا.

فَلَمَّا مَاتَ، قُلْتُ: مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ فَمَا لَبِثْتُ، وَجَاءَ رَسُـوْلُ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَامَ عَلَى البَابِ فَـذَكَرَ الخِطْبَـةَ إِلَـى ابْـنِ أَخِيْهَا، أَوِ ابْنِهَا...)(١).

ولم يكن لأم سلمة في المدينة بعد وفاة زوجها أحد مـن ذويهـا غير صبيةٍ صغارٍ كزَغْبِ القطا، فحزن المسلمون لمصابها أشـد الحـزن، وأطلقوا عليها اسم ﴿أَيِّمِ العَرَب﴾(٢).

توفي أبو سلمة في السنة الرابعة من الهجرة على المشهور متـأثراً بجراحه أصابته في معركة أحـد، وحضـر النبـي (ﷺ) عنـده حـين الاحتضار وأغمض عينيه بيده الشريفة وأوصى أهله بالصبر وقـال لهـم: (لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنّون على ما تقولـون)

(١) سير اعلام النبلاء – الذهبي: ٢/ ص٢٠٣.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، والأيّم: المرأة التي فقدت زوجها.

وصلّى النبي (صلى الله عليه وآله) عليه بتسع تكبيرات فقيل له: يا رسول الله: أسهوت أم نسيت، فأجاب: (لم أسهَ ولم أنسَ، ولو كبّرت على أبي سلمة ألفاً كان أهلاً لذلك)[1].

لم تبلغ أم سلمة (رضي الله عنها) الثلاثين من عمرها حين وفاة زوجها ولها أربعة أبناء أو ثلاثة، قال في الطبقات: (فلما انقضت عدتها خطبها أبو بكر فردته. ثم خطبها عمر فردته. فبعث إليها رسول الله (صلى الله عليه وآله). فقالت: مرحبا برسول الله وبرسوله. أخبر رسول الله أني امرأة غيرى – أي موصوفة بالغيرة – وأني مصبية – أي عندها صبيان – وأنه ليس أحد من أوليائي شاهد. فبعث إليها رسول الله. (صلى الله عليه وآله)، أما قولك إني مصبية فإن الله سيكفيك صبيانك. وأما قولك إني غيرى فسأدعو الله أن يذهب غيرتك. وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهد ولا غائب إلا سيرضاني، قال: قالت: يا عمر قم فزوج رسول الله.

أقول: لم ترد بذلك وضع عراقيل أمام زواجها من النبي (صلى الله عليه وآله) ولا فرض شروط، وإنما أرادت أن تستثمر الفرصة لتحصل منه على كمالات تسمو بها درجتها لأن الغيرة تعيق كمالها[2] وقد تُسبّب لها ردود أفعال تنافي الأدب مع رسول الله

(١) تاريخ الطبري: ج٢/ ص٤١٤.

(٢) حتى جعلت هذه الغيرة معياراً لصلاح المرأة وإيمانها، روى الشيخ الكليني في (الكافي: ٥٠٥/٥/ ح٥) قال: (ذكر رجل لأبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أمراته فأحسن الثناء عليها، فقال له

(صلى الله عليه وآله) فرغبت في انتزاعها، وقد أعطاها الله تعالى ذلك فقد ترفعت عما كانت تتعامل به الأزواج الأخريات من الغيرة والمشاحنة والكيد والتجاوز على مقام النبي (صلى الله عليه وآله)، وقد كانت ازواج النبي (صلى الله عليه وآله) ((يتحاكمن إلى أم سلمة (رضي الله عنها) لعلمهن ببراءتها من الغيرة))[١].

كما أنها أرادت ضمان التربية الصالحة لأبنائها برعاية رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنها خشيت أن تسبب لها مسؤوليتها عن أربعة أبناء تقصيراً ما في حق رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ولسعادتها الغامرة بهذا الزواج المبارك فقد بادرت إلى القيام بأعمال البيت في ليلة عرسها، وعملت عصيدة للنبي (صلى الله عليه وآله) فكان طعام ليلة العرس، قال ابن سعد: ((إن أيّم العرب دخلت على سيد المسلمين أول العشاء عروساً، وقامت من آخر الليل تطحن، يعني أم سلمة (رضي الله عنها))[٢].

وقد وجد فيها النبي (صلى الله عليه وآله) بعض ما كان يجده في خديجة من السكن والأنس وشمائل الزوجة الصالحة التي تسعد

أبو عبد الله (عليه السلام): أَغِرَتها؟ قال: لا، قال: فأَغِرها، فأَغارها فثبتت، فقال لأبي عبد الله (عليه السلام): إني قد أغرتها فثبتت، فقال (عليه السلام): هي كما تقول).

(١) شذرات الذهب: ٧٠/١، بواسطة (قراءة موجزة في سيرة أم سلمة للدكتور حسين الشرهاني).

(٢) الطبقات الكبرى: ٦٤/٨، سير أعلام النبلاء: ٢٠٥/٢.

زوجها، روى ابن سعد في الطبقات عن الزهري أن الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: (إن أم سلمة (رضي الله عنها) قد كان لها عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) منزلة ومحبة)[1].

ومن مناقبها نقلها تسبيح السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

وابتليت بغيرة بعض أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) من حين دخولها بيته وروى البخاري عن عائشة قالت: ((ان نساء رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم كن حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة والحزب الآخر أم سلمة (رضي الله عنها) وسائر نساء رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم))[2].

أقول: كانت أم سلمة (رضي الله عنها) تحمي منهاج رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتعاليمه ووصاياه في مقابل حزب الطامعين والحاسدين والموتورين الذين يتربصون بالنبي (صلى الله عليه وآله) وآله وقد جعلوا عائشة وحفصة واجهتين لهم في دار رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وكانت السيدة أم سلمة (رضي الله عنها) عالمة فقيه حيث وعت اهتمام القرآن الكريم بالعلم والتفقه في الدين فحرصت عليه، وهي في بيت أصل الرسالة ومهبط الوحي الأمين وحليلة سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) فالفرصة أمامها عظيمة، والحجة عليها بالغة، لهذا اهتمت بتلقي العلم عن

(١) الطبقات الكبرى: ٨/ ١٣٨.

(٢) صحيح البخاري: ج٣/ ص١٣٢.

رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حتى قال عنها الذهبي: ((وكانت تعدّ من فقهاء الصحابة))[١].

وكانت النسوة يوسطهّا لدى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بعض المسائل التي تستحي المرأة منها كغسل الجنابة والحيض.

وقد جاءت أقوالها ومتبنياتها الفقهية موافقة للشرع المحمدي الأصيل الذي بلّغه اهل البيت (عليهم السلام) خلافاً لمدرسة الصحابة التي تعرضت للتشويه والتأويل والتحريف، ونذكر لذلك مثالين:

أ- جواز التمتع بالعمرة إلى الحج، فقد روى أحمد في مسنده وغيره بالإسناد عن أبي عمران أسلم ((أنه قال: حججت مع موالي، فدخلت على أم سلمة (رضي الله عنها) زوج النبي (صلى الله عليه وآله): أعتمر قبل أن أحجّ؟ قالت: إن شئت أعتمر قبل أن تحج، وإن شئت بعد أن تحج، قال: فقلت: أنهم يقولون من كان صرورة فلا يصح أن يعتمر قبل أن يحج، قال: فسألت أمهات المؤمنين فقلن مثل ما قالت. فرجعت إليها فأخبرتها بقولهن، قال: فقالت: نعم وأشفيك، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: أهلوا يا آل محمد بعمرة في الحج))[٢].

---

(١) جوامع السير: ٣٢٠.

(٢) مسند أحمد: ٦/ ٢٩٧، مسند أبي يعلى: ٦/٢٨٥ ح٦٩٧٥، المعجم الكبير: ٢٣/٣٢١، مجمع الزوائد: ٣/٢٣٨.

ب-مسألة جواز رضاع الكبير لنشر الحرمة الذي أفتت به عائشة واعترضت عليها أم سلمة (رضي الله عنها) بقوة وكذا بقية أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) ((حيث كانت عائشة تأمر بنات إخوانها وبنات اخواتها أن يرضعن من أحبّت أن يدخل عليها ويراها خمس رضعات وإن كان كبيراً ثم يدخل عليها، لكن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: أبى أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) أن يدخلن عليهنّ أحداً بتلك الرضعة، فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة ولا رائينا))[1].

ورووا أن أم سلمة (رضي الله عنها) سألت عما يحرم بالرضاع؟ فقالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي، وكان قبل الفطام)[2].

لكنهم برروا لعائشة أنها رخصة خاصة بها في قضية سالم.

كانت أم سلمة (رضي الله عنها) ذات شخصية قوية فاعلة ومؤثرة، فرضت نفسها على بقية أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) حتى كنَّ يراجعنها في حلِّ الخلافات بينّهن بما تمتاز به من الحكمة والاتزان والبصيرة.

---

(١) صحيح مسلم: ٢/ ١٠٧٨، كتاب الرضاع، باب رضاعة الكبير، سنن أبي داوود: ٣٨٨/٢ كتاب النكاح، باب فيمن حرم به، صحيح النسائي: ٦٩٩/٢، كتاب النكاح باب رضاع الكبير، مسند أحمد: ٦/ ٣١٢، وغيرها بواسطة (أم سلمة وجهودها الدعوية: ١٧١).

(٢) سنن الترمذي:٣٣٨/١، أبواب الرضاعة، باب ما جاء عن الرضاعة لا تحرم إلا في الصغر.

ولوفور عقلها فقد كان النبي (صلى الله عليه وآله) يعرض عليها بعض ما يهمه ويستمع إلى رأيها ويأخذ به[1]، من ذلك ما جرى في الحديبية لما فرغ النبي (صلى الله عليه وآله) من كتاب الصلح مع قريش في الحديبية وما تضمنه من رجوعه عن زيارة البيت الحرام في ذلك العام ((قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأصحابه: قوموا فانحروا ثم أحلقوا، فوالله ما قام رجلٌ منهم حتى قال ذلك ثلاث مرا، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة (رضي الله عنها) فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة (رضي الله عنها): يا نبي الله أتحب ذلك؟

(١) وبهذا يؤسس النبي (صلى الله عليه وآله) أكمل الناس جميعاً لمشاورة المرأة واحترام رأيها كالرجل، أما ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في رسالته إلى الحسن (عليه السلام) (إياك ومشاورة النساء فإن رأيهنَّ إلى الأفن، وعزمهنَّ إلى الوهن) (الكافي: ٣٣٨/٥/ ح٧)، وقول الإمام الصادق (عليه السلام) (لا تشاوروهنَّ في النجوى، ولا تطيعوهنَّ في ذي قرابة) (الكافي: ١٨٧/١١/ ح١٠٢١١)، فلا بد من فهم عدم مشاورة النساء او الأمر بمخالفة ما تشير به النساء بوجه صحيح كأن يراد منه أن منطلقات المرأة في النظر إلى القضايا ليس كالرجل وهذا ما صرح به الحديث الشريف (خيار خصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو، والجبن، والبخل، فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها، وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها) (نهج البلاغة: الحكمة:٢٣٤)، فالحديث يقول أن المرأة إذا تصرفت بمقتضى انسانيتها وعقلانيتها فهي لا تنقص عن الرجل، أما إذا تصرفت بدوافع أنثوية فبهذه قد تكون على خلاف ما ينبغي للرجال، مثلاً يريد الرجل أن ينفق مالاً في بعض مواضع البر والإحسان فتعترض عليه انطلاقاً من صفة البخل الحسنة فيها ومن مسؤوليتها في تدبير المنزل وشؤون العائلة، فتصرُّفها بالنسبة إليها صحيح كما في الحديث السابق، لكن الرجل إذا حسب اموره جيداً ووجد هذا الانفاق في محله فعليه مخالفتها والمضي بالإنفاق.

قال نعم، قالت: فأخرج ثم لا تكلم أحداً منهم حتى تنحر بدنك وتدعوا حالقك فيحلقك، فقام النبي (صلى الله عليه وآله) فخرج فلم يكلم أحداً منهم كلمةً حتى فعل ذلك: نحر بُدنه، ودعا بحالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا))[1].

شاركت أم سلمة (رضي الله عنها) في أكثر معارك الإسلام الكبرى مع النبي (صلى الله عليه وآله) وكان يصحبها أكثر من غيرها من أزواجه لتؤدي الوظائف اللائقة بالنساء، إذ أنهن غير مكلفات بالقتال، أخرج في المعجم الصغير عن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: (يا رسول الله أخرج معك إلى الغزو فقال يا أم سلمة إنه لم يكتب على النساء جهاد فقالت أداوي الجرحى وأعالج العين وأسقي الماء قال فنعم))[2].

فخرجت مع النبي (صلى الله عليه وآله) إلى غزوة بني المصطلق في شعبان من السنة الخامسة[3] للهجرة، وكانت مع النبي (صلى الله عليه وآله) في قبته في معركة الخندق، وروت بعض تفاصيل الواقعة وما حلّ بالمسلمين من خوف[4]

(١) صحيح البخاري- ط، التأصيل: ٣/ ٥٦٦ -٥٧٤/ ح٢٧٤٨.

(٢) المعجم الصغير للطبراني: ج١/ ص١١٧.

(٣) المغازي للواقدي: ٤٠٤/٣، صحيح مسلم: ١٣٥٦/٣ كتاب الجهاد والسير، باب جواز الاغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام.

(٤) المغازي للواقدي: ٢/ ٤٦٤-٤٦٧.

واصطحبها النبي (صلى الله عليه وآله) في غزوة بني قريضه[١]، وكانت حاضرة في صلح الحديبية وقد نقلنا رأيها الحكيم الذي قالته لرسول الله (صلى الله عليه وآله).

وكانت قريبة إلى الحدث في غزوة خيبر، فقد روي عنها قولها ((سمعت وقع السيف في أسنان مرحب))[٢].

وخرجت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى غزوة الطائف بعد مشاركتها في معركة حنين في السنة الثامنة للهجرة.

كما أدّت وأزواج النبي (صلى الله عليه وآله) حجة الوداع، وروت فيها قول النبي (صلى الله عليه وآله) (إنما هي هذه الحجة ثم الجلوس على ظهور الحصر في البيوت)[٣].

تأدبت بأدب النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين كإيثار الفقير بطعامها تأسياً بما فعله علي وفاطمة والحسنان (صلوات الله عليهم) ونزلت فيهم سورة هل أتى.

وكانت تسارع إلى كل ما يحبّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتزهد فيما يزهد فيه من أمور الدنيا وإن كان حلالاً، روى عطاء عن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: ((دخل النبي (صلى الله عليه وآله) وعليَّ شعيرات من

---

(١) صحيح البخاري: ٤٩/٥، كتاب المغازي.

(٢) المعجم الكبير: ٢٥١/٢٣، مجمع الزائد ومنبع الفوائد: ٢٥/٦ قال الهيتمي: رواه الطبراني ورجاله الثقات.

(٣) مسند ابن يعلى: ٢٣٧/٦/ ح ٦٨٨٥، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢١٤/٣/ ح٥٣٠٥، وقال عنه: (رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ بِنَحْوِهِ. وَرِجَالُ أَبِي يَعْلَى ثِقَاتٌ).

ذهب فأعرض عني، فقلت: يا رسول الله ألا تنظر إلى زينتي؟ فقال: عنها أعرض، فقطعّتُها، فأقبل إليّ بوجهه))[١] تأسياً بالسيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) حينما رأى النبي (صلى الله عليه وآله) على باب دارها إزاراً ملوناً.

وكانت تراعي أكمل حالات الستر والعفاف لأن (العفة رأس كل خير)[٢].

وتعلّمت منهم (صلوات الله تعالى عليهم) شراء العبيد وعتقهم[٣]، وربما اشترت الصغار حتى تربيهم وتفقههم ثم تعتقهم.

وكانت تتفقد المؤمنات وتسأل عن أوضاعهن وتسعى لقضاء حوائجهن.

ومما تقدم يمكن تحصيل عدة أغراض ومصالح ترتبت على زواج النبي (صلى الله عليه وآله) من أم سلمة:

١- تطمين المسلمين الذين كانوا في حالة حرب وجهاد مستمرة مع المشركين وسائر الأعداء، وهذه الحروب

(١) المعجم الكبير: ٤٠٤/٢٣ رقم ٩٦٨، مجمع الزوائد:٢٥١/٥.

(٢) غرر الحكم (١١٦٧ - ١١٦٨)، ٢٦٦٨، ٧٣١١. عن ميزان الحكمة: ج٢/ ص ١٤٤٦.

(٣) عدّ المرحوم الشيخ علي الكوراني حوالي عشرين منهم (السيرة النبوية برواية أهل البيت (عليهم السلام): ٣/ ٤٩٩).

تخلّف شهداء وأرامل وأيتام، فقد يتسبب القلق على مستقبل النساء والأطفال ضعفاً في همم المقاتلين وتقاعساً، لكنهم لما يرون القائد الأعلى للدولة يهتم بمصير عوائلهم ويحفظ لها كرامتها ومستقبلها يتبدد ذلك القلق.

٢- تعويض ما افتقده (صلى الله عليه وآله) بوفاة خديجة من السكن والأنس والطمأنينة والمواساة في الآلام وتخفيف المعاناة والمصائب.

٣- تأليف قلوب قبيلة بني مخزوم التي كانت تقود الحرب على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد أعقب زواج النبي (صلى الله عليه وآله) إسلام عدد من رموزهم المعادين كابن عمها خالد بن الوليد عام الحديبية وأخيها عبد الله عام الفتح.

٤- نقل بعض أحوال رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلومه وأحكامه بأمانة وصدق لمنع النقل المشوه التي ستقوم به ازواج أخريات.

٥- أيجاد الضد النوعي لبعض ازواج النبي (صلى الله عليه وآله) التي ستقود المؤامرات وتحريف خط الرسالة والخروج على إمام الحق.

٦- أيجاد السند والحجة من داخل البيت النبوي الشريف لأمير المؤمنين (عليه السلام) والدفاع عن حقه ونصرته ونقل أقوال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيه.

كانت أم سلمة (رضي الله عنها) راسخة الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) لما سمعته من النبي (صلى الله عليه وآله) فيهم، وأختصها النبي (صلى الله عليه وآله) بعقد اجتماعه

مع أهل بيته المعصومين علي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله تعالى عليهم أجمعين) في بيتها – أي غرفتها الخاصة- وغطاهم بكسائها ونزلت فيهم آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب:٣٣).

وروى الشيخ في أماليه بسنده عن الإمام الحسن السبط (عليه السلام) في حديث طويل قال فيه: (وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فلما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنا وأخي وأمي وأبي فجلّلنا ونفسه في كساء لأم سلمة خيبري، وذلك في حجرتها وفي يومها: فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، وهؤلاء أهلي وعترتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقالت أم سلمة (رضي الله عنها): أدخلُ معهم يا رسول الله؟ فقال لها (صلى الله عليه وآله): يرحمك الله، أنت على خير، وإلى خير، وما أرضاني عنك، ولكنها خاصة لي ولهم)[1].

ومما نقلت (رضي الله عنها) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في فضل علي (عليه السلام) ما رواه الشيخ الصدوق في معاني الاخبار بسنده عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): (إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لام سلمة (رضي الله عنها): يا أم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب أخي في الدنيا وأخي في الآخرة.

(١) أمالي الشيخ: ٢/ ١٧٤، البرهان: ٨/ ١٧/ ح٢٤، ٢٥.

يا أم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب وزيري في الدنيا ووزيري في الآخرة.

يا أم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب حامل لوائي في الدنيا وحامل لواء الحمد غدا في القيامة.

يا أم سلمة: اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب وصيي وخليفتي من بعدي وقاضي عداتي والذائد عن حوضي.

يا أم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

قلت يا رسول الله من الناكثون؟ قال: الذين يبايعونه بالمدينة وينكثونه بالبصرة. قلت: من القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام. ثم قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب النهروان)[1].

وقد أكثرت (رضي الله عنها) الروايات عن النبي (صلى الله عليه وآله) في فضل علي (عليه السلام) ومنزلته من رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى سألها أبن عباس قال: (قلت لأمّ سلمة زوج النبيّ (صلى الله عليه وآله): إنّك لتكثرين من [ال] قول الطيّب في عليّ بن أبي طالب دون نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله) فهل سمعت من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) في عليّ شيئا لم يسمعه غيرك؟

---

(١) معاني الاخبار: ١٩٥، الباب ١٨٨ في معنى الناكثين والقاسطين والمارقين، بحار الانوار: ٢٩٨/٣٢/ ح٢٥٨.

قالت: يا ابن عبّاس أمّا ما سمعت من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) فهو أكثر مما أقدر أن أخبرك به ولكنّي أخبرك من ذلك بما يكفيك ويشفيك سمعته يقول في عليّ قبل موته بجمعة فإن زاد على جمعة فلن يزيد على عشرة أيّام وهو يقول في بيتي قبل أن يتحرّك إلى بيت عائشة وقبل أن يقطع الطواف على نسائه فدخل عليّ بن أبي طالب فسلّم حفيّا توقيرا لرسول اللّه (صلى الله عليه وآله) وردّ عليه معلنا كالمسرور بأخيه المحبّ له ثمّ قبض على يده فقال: عليّ. قال: نعم يا رسول اللّه. قال: يا عليّ أنت أخي في الدنيا والآخرة. وبكى عليّ ولا يرفع بصره تعظيما لرسول اللّه (صلى الله عليه وآله))[1].

وقد نصرت أم سلمة (رضي الله عنها) السيدة الزهراء (عليها السلام) بقوة واستنكرت موقف أهل السقيفة، وفي دلائل الإمامة للطبري، والدر النظيم للشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشاميّ قال بعد خطبة فاطمة (عليها السلام) وكلام أبي بكر فقالت أمّ سلمة (رضي الله عنها)، حيث سمعت ما جرى لفاطمة (عليها السلام) المثل فاطمة بنت رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) يقال هذا القول؟ هي واللّه الحوراء بين الإنس، والنفس للنفس، ربيت في حجور الأتقياء، وتناولتها أيدي الملائكة، ونمت في حجور الطاهرات، ونشأت خير نشأ، وربيت خير مربى، أتزعمون أنّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) حرم عليها ميراثه ولم يعلمها، وقد قال اللّه تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء:٢١٤)

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) للكوفي: ١/ ص٣٥٤.

أفأنذرها وخالفت متطلبه وهي خير النسوان، وأم سادة الشبان، وعديلة ابنة عمران، تمت بأبيها رسالات ربّه، فواللّه لقد كان يشفق عليها من الحرّ والقر، ويوسدها يمينه، ويلحفها بشماله، رويدا ورسول اللّه (صلى الله عليه وآله) بمرأى منكم وعلى اللّه تردون! واها لكم فسوف تعلمون، قال: فحرمت أمّ سلمة عطاها تلك السنة.)[١].

ولما هدّد القوم علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالقتل إن لم يبايع قال الراوي (وأَقْبَلَتْ أُمُّ أَيْمَنَ النُّوبِيَّةُ حَاضِنَةُ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وأُمُّ سَلَمَةَ فَقَالَتَا يَاعَتِيقُ مَا أَسْرَعَ مَا أَبْدَيْتُمْ حَسَدَكُمْ لِآلِ مُحَمَّدٍ فَأَمَرَ بِهِمَا عُمَرُ أَنْ تُخْرَجَا مِنَ الْمَسْجِدِ وقَالَ مَا لَنَا ولِلنِّسَاء...)[٢].

وكانت رافضة للمظالم التي أحدثها بنو أمية في خلافة عثمان فكانت تعظه وتنصحه.

ولما عزمت عائشة على الخروج إلى البصرة مع طلحة والزبير وبني أمية نهتها عن الخروج على أمير المؤمنين (عليه السلام) وذكّرتها بوصايا رسول الله (صلى الله عليه وآله) لهن في القرآن وما قاله النبي (صلى الله عليه وآله) في علي (عليه السلام) في كلام مفَصَّل جعل عائشة تغيّر رأيها لولا تدخل ابن أختها المدلّل لديها عبد الله بن الزبير فقرّرت المسير إلى البصرة.

---

(١) دلائل الإمامة: ١٢٤، الدر النظيم: ٤٠٨، الاحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي)؛ ج١؛ ص١٦٥، سفينة البحار:٢٢٩/٤.

(٢) بحار الأنوار (ط- بيروت) - ج٢٨؛ ص٣٠١.

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج (روى هشام بن محمد الكلبي في كتاب الجمل أن أم سلمة كتبت إلى علي من مكة أما بعد فإن طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة ومعهم عبد الله بن عامر بن كريز ويذكرون أن عثمان قتل مظلوما وأنهم يطلبون بدمه والله كافيهم بحوله وقوته ولولا ما نهانا الله عنه من الخروج وأمرنا به من لزوم البيت لم أدع الخروج إليك والنصرة لك ولكني باعثة نحوك ابني عدل نفسي عمر بن أبي سلمة فاستوص به يا أمير المؤمنين خيرا.

قال فلما قدم عمر على علي (عليه السلام) أكرمه ولم يزل مقيما معه حتى شهد مشاهده كلها ووجهه أميرا على البحرين)[1].

وعلى أي حال فقد اتخذت أم سلمة على أثر ذلك قراراً بمقاطعة عائشة وعدم التكلم معها، فقد ذكر البيهقي ((روي عن عائشة، أنها دخلت على أم سلمة بعد رجوعها من وقعة الجمل وقد كانت أم سلمة حلفت أن لا تكلمها أبداً من أجل مسيرها إلى محاربة عليّ بن أبي طالب، فقالت عائشة: السلام عليك يا أم المؤمنين! فقالت: يا حائط ألم أنهك؟ ألم أقل لك؟ قالت عائشة: فإني أستغفر الله وأتوب إليه.[2]

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج٦/ ص٢١٩، شرح الخطبة (٧٩).

(٢) هذا غير صحيح فقد أظهرت الشماتة والفرح بقتل علي (عليه السلام) وتمثلت بقول الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرَّ عينا بالإياب المسافرُ

كلميني يا أم المؤمنين، قالت: يا حائط ألم أقل لك؟ ألم أنهك؟ فلم تكلمها حتى ماتت))[١].

أم سلمة مستودع سر النبي وأهل بيته (صلى الله عليهم أجمعين) وكتب علومهم:

روى في بصائر الدرجات بسنده عن عمر بن ابي سلمة عن أمه أم سلمة قال: قالت: (أقعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً في بيتي ثم دعا بجلد شاة فكتب فيه حتى ملأ أكارعه[٢] ثم دفعه إليّ، وقال: من جاءك من بعدي بآية كذا وكذا فادفعيه إليه، فلم يطالبها الأول والثاني والثالث به حتى جاءها أمير المؤمنين (عليه السلام) طالباً أياه فدفعته إليه)[٣].

وروى الشيخ الكليني في الكافي وكذا في كتاب إعلام الورى بإسناد يرفعه إلى شهر بن حوشب: (أن علياً (عليه السلام) لما سار إلى الكوفة أستودع أم سلمة كتبه والوصية، فلما رجع الحسن (عليه السلام) دفعتها إليه)[٤].

وسمّت خادمها عبد الرحمن باسم قاتله ابن ملجم بحسب قولها، وموقفها بعد ذلك من جنازة الإمام الحسن (عليه السلام) ورميه بالسهام معروف وغير ذلك.

(١) المحاسن والمساوئ للبهيقي: ٤٨١/١.

(٢) في الروايات الأخرى: أن فيه علم ما يحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة من حلال وحرام.

(٣) بصائر الدرجات: ٤٥/٤٠، بحار الأنوار: ٢٦/ ٤٩، ٢٢، ٢٢٣.

(٤) الكافي للكليني: ٢٩٨/١/ ح٣وح٤.، وتجد روايات الوصية في الكافي: ٢٩٧/١ وما بعدها؛ إعلام الورى بأعلام الهدى- الشيخ الطبرسي: ٤٠٦/١.

وروى الشيخ الطوسي بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (لما توجه الحسين (عليه السلام) إلى العراق، دفع إلى أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) الوصية والكتب وغير ذلك، وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما دفعت إليك، فلما قتل الحسين (عليه السلام) أتى علي بن الحسين أم سلمة فدفعت إليه كل شئ أعطاها الحسين (عليه السلام))[1].

وأورد العلامة المجلسي بأسانيد عديدة، وفي الكافي أيضاً بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) ((أن الحسين (عليه السلام) لما أراد العراق أستودعها الكتب ودفعتها إلى علي بن الحسين (عليهما السلام)))[2].

النبي (صلى الله عليه وآله) يستودعها قبضة من تراب كربلاء:

روت مصادر كثيرة من العامة والخاصة أن النبي (صلى الله عليه وآله) أستودعها شيئاً من تربة كربلاء، ففي المعجم الكبير للطبراني عن أم سلمة قالت: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) وديعةٌ عندك هذه التربة، فشمّها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: ويحَ كرب وبلاء!، يا أم سلمة: إذا تحولّت هذه التربة دماً فأعلمي أن أبني قد قتل، فجعلتها أم سلمة في قارورة، ثم جعلت تنظر إليها كل يوم، وتقول: أن يوماً تحولين دماً ليوم عظيم)[3].

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ١٢٨ ط.تبريز سنة ١٣٢٣ بواسطة بحار الانوار: ١٨/٤٦/ ح٣.

(٢) الكافي: ٣٠٤/١. بحار الأنوار: ٢٢٤/٢٢.

(٣) المعجم الكبير: ١٠٨/٣/ ح٢٨١٧، تهذيب التهذيب ابن حجر العسقلاني: ٣١١/٣/ ح١٤٠٧، تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٩٣/١٤/ ح١٥٦٦.

وهذا ما حصل يوم عاشوراء حيث قُتِل الإمام الحسين (عليه السلام) فقد تحولت تربة كربلاء إلى دم فاضت به القارورة وروى الشيخ الطوسي بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (بينا أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخا عظيما عاليا من بيت أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله)، فخرجت يتوجه بي قائدي إلى منزلها، وأقبل أهل المدينة إليها الرجال والنساء، فلما انتهيت إليها قلت: يا أم المؤمنين، ما بالك تصرخين وتغوثين؟

فلم تجبني، وأقبلت على النسوة الهاشميات وقالت: يا بنات عبد المطلب اسعدنني وابكين معي، فقد والله قتل سيدكن وسيد شباب أهل الجنة، قد والله قتل سبط رسول الله وريحانته الحسين.

فقيل: يا أم المؤمنين، ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المنام الساعة شعثا مذعورا، فسألته عن شأنه ذلك، فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته اليوم فدفنتهم، والساعة فرغت من دفنهم، قالت: فقمت حتى دخلت البيت وأنا لا أكاد أن أعقل، فنظرت فإذا بتربة الحسين التي أتى بها جبرئيل من كربلاء، فقال: إذا صارت هذه التربة دما فقد قتل ابنك، وأعطانيها النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال: اجعلني هذه التربة في زجاجة - أو قال: في قارورة - ولتكن عندك، فإذا صارت دما عبيطا فقد قتل الحسين، فرأيت القارورة الان وقد صارت دما عبيطا تفور.

قال: وأخذت أم سلمة من ذلك الدم فلطخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مأتما ومناحة على الحسين (عليه السلام)، فجاءت الركبان بخبره، وأنه قتل في ذلك اليوم)[1].

ولم تمتد حياة أم سلمة طويلاً بعد مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) فتوفيت عن عمر ناهز ٨٥ عاماً ودفنت في البقيع (رضي الله عنها).

(١) الأمالي- للشيخ الطوسي: ٣١٥.

خطاب المرحلة
(٧٥١)

مراعاة حقوق الأخوة المؤمنين شرط الولاية وثمرتها وشعارها[١]

قلنا في مناسبة سابقة لعيد الغدير إن الأعمال المستحبة لهذه المناسبة فيها شيء لم يوجد في أي من المناسبات الأخرى، وهو عقد المؤاخاة بين المؤمنين فيقول بعضهم لبعض (آخيتك في الله وصافيتك في الله وصافحتك في الله)، وهذا يعني: إن من شروط الولاية لأمير المؤمنين وأهل بيته (عليهم السلام)، ومن علامات وشعارات الولاية الصادقة لهم (عليهم السلام) ومن ثمرات الولاية المخلصة: المؤاخاة مع المؤمنين وحفظ حقوق الأخوة معهم، فهذه الجوانب الثلاثة للولاية يجب ملاحظتها وتأكيدها وتجديدها في هذا العيد الأكبر، وقد علّمنا المعصومون (عليهم السلام) أن نشهد بهذه العلاقة الوثيقة بين المؤمنين عندما نزورهم (عليهم السلام) فنقول (يا اَبا عَبْدِاللهِ انّي سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ اِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ)[٢].

(١) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع حشد كبير من الزائرين بمناسبة عيد الغدير الأكبر يوم ١٨/ذي الحجة/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٤/٦/٢٥م.

(٢) مفاتيح الجنان: زيارة عاشوراء.

ونريد الآن أن نضيف شيئاً إلى هذا مما ورد في عقد المؤاخاة وهو أن حقوق الأخوّة بين المؤمنين عظيمة لا يطيقها إلا الأفذاذ من المؤمنين، لذا أستحب لهم أن يسقط بعضهم عن بعض حقوق الأخوّة إلا الشفاعة والدعاء والزيارة فيقول بعضهم لبعض (أسقطت عنك جميع حقوق الأخّوة ما خلا الشفاعة والدعاء والزيارة)، فإن من حق المؤمن على أخيه ألا يبخل بها عليه، إن هذا الإسقاط أريد به العفو عمّا يحصل من تقصير بسبب غفلة أو عصبية أو إتباع شهوة ونزوةٍ، وهو لا يعني سقوط حقوق الإخوان لأن لها شأناً عظيماً عند الله تعالى، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (قضاء حقوق الإخوان أشرف أعمال المتقين)[1]، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما عبد الله بشيء أفضل من أداء حق المؤمن)[2] ولا عجب في ذلك فإن السعي لقضاء حوائج المؤمنين والاهتمام بأمورهم وإدخال السرور عليهم يتضمن جملة من الأخلاق العظيمة التي تتطلب مجاهدة للنفس كالتواضع والحياء والكرم وسلامة القلب ومداراة الناس والإيثار وغير ذلك.

والروايات الشريفة الواردة في بيان حقوق المؤمنين كثيرة، منها ما في الكافي بسنده عن سعيد بن الحسن قال: (قال أبو جعفر (عليه السلام):

(١) ميزان الحكمة: ٦٨/١، عن جامع الأخبار: ٢٥٢/ ح٦٥٠.

(٢) وسائل الشيعة: ١٢/ ٢٠٣.

أيجيئ أحدكم إلى أخيه فيُدخِل يده في كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟ فقلتُ: ما أعرف ذلك فينا! فقال أبو جعفر (عليه السلام): فلا شيء إذاً، قلتُ: فالهلاك إذاً، فقال: إن القوم لم يعطوا أحلامهم بعد)[1] أي لم يبلغوا درجة الإيمان الكامل.

وقد ألّف الشيخ الصدوق (رضوان الله تعالى عليه) كتاباً في ذلك سمّاه (الإخوان)، ومما رواه بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (أرأيت من قبلكم إذا كان الرجل ليس عليه رداء وعند بعض إخوانه رداء يطرحه عليه؟ قال: قلت: لا، قال: فإذا كان ليس عنده إزار يوصل إليه بعض إخوانه بفضل إزاره حتى يجد إزاراً؟ قال: قلت: لا، قال فضرب بيده على فخذه ثم قال ما هؤلاء بأخوة)[2].

وفيه عن إسحاق بن عمار قال: (كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فذكر مواساة الرجل لإخوانه وما يجب له عليهم فدخلني من ذلك أمر عظيم، فقال: إنما ذلك إذا قام قائمنا، وجب عليهم أن يجهزوا إخوانهم وأن يقوّوهم)[3].

(١) الكافي: ١٧٣/٢/ ح١٣.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٦/١٢.

(٣) وسائل الشيعة: ٢٧/١٢.

وإلى هذا التفاوت في درجات الإيمان يشير الإمام الباقر (عليه السلام) بقوله: (لم تتواخوا على هذا الأمر، ولكن تعارفتم عليه)[١].

ولكثرة هذه الحقوق وصعوبة الالتزام بها فقد كان الأئمة (عليهم السلام) يشفقون على أصحابهم ولا يبيّنونها كلَّها لهم، ففي الكافي بسنده عن معلى بن خنيس قال: (سألت أبا عبد الله عن حق المؤمن، فقال: سبعون حقاً لا أخبرك إلا بسبعة، فإني عليك مشفق أخشى أن لا تتحمل)[٢].

وفي رواية أبن أعين أنه سأل أبا عبد الله (عليه السلام) عن حق المسلم على أخيه فلم يجبه[٣] خوفاً عليه من عدم تحملها.

لكن هذا التشديد على مراعاة حقوق الإخوان وصعوبة القيام بها لا يصح أن تكون نتيجته عدم الإكثار من الإخوان المؤمنين خشية التفريط بحقوقهم، وإنما يستحب الازدياد منهم مع السعي الممكن لأداء حقهم كما في إكثار الإخوان من بركات في الدنيا والآخرة، روى الشيخ الصدوق في ثواب

(١) الكافي: ١٦٨/٢/ ح١.

(٢) الكافي: ١٣٩/٢/ ح١٤.

(٣) وسائل الشيعة: ٢٧/١٢/ ح٥.

الأعمال بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (من استفاد أخاً في الله استفاد بيتاً في الجنة)[١]، وقال (عليه السلام): (استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن دعوة مستجابة، فإن لكل مؤمن شفاعة)[٢].

ولابد من الالتفات إلى أنّنا لو فرضنا أن الله تعالى أسقط وجوبها إذا أسقطها صاحبها، فإن محبوبيتها عنده سبحانه كافية للحث على القيام بها، كما أن الأمر الوارد في الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ (المجادلة:١٢) أسقطه الله تعالى شفقة على المؤمنين بقوله ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ (المجادلة:١٣) ألا أن محبوبيته لكونه سبباً للطهارة والخير باقية وتحث على العمل.

وفي ضوء ما تقدم فإن ما يحصل من إساءة وتسقيط وتشهير وافتراء بين المؤمنين على مواقع التواصل الاجتماعي أو في أحاديث المجالس، لمجرد الاختلاف في الرأي أو الموقف أو جهة الانتماء أو أي شيء آخر هو من أعظم المنكرات

(١) ثواب الأعمال - الشيخ الصدوق: ١٥١.

(٢) وسائل الشيعة: ١٢/١٧/ ح٦؛ مصادقة الأخوان للشيخ الصدوق: ٤٦/ح١.

المحرمة في الشريعة، وتزداد سوءً كلما انتشرت أكثر، وصاحبها وناشرها غير معذورين، لأن بإمكانهم بل يجب عليهم التثبّت من الأمر واستيضاح الحقيقة من المعني بالقضية مباشرة، وإلا فإنهم يرتكبون كبائر عديدة، وعلينا التأمل طويلاً في الرواية التالية في من يتحدث عن أخيه المؤمن بسوء ليسقّط سمعته الاجتماعية قال الإمام الصادق (عليه السلام): (من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان)[1].

(١) الكافي: ج٢/ ص٣٥٨، باب الرواية على المؤمن/ح١.

خطاب المرحلة
(٧٥٢)

مجاهدو الحشد الشعبي: بين شرف الانتماء وعظمة المسؤولية[١]

أكد سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) أن الصراع مع قوى الشر والظلم والاستكبار يتزايد يوماً بعد يوم.. ولابد لمواجهته من الصبر والثبات وإدامة زخم المعنويات ورفعها باستمرار، فهي السلاح الفتاك الذي نمتلكه والذي استطعنا به – بالرغم من عدم تكافؤ العدة والعدد - مواجهة القوى العاتية والمتجبرة كما استطاع المسلمون الأوائل في صدر الإسلام مع قلة عدتهم وعددهم أن يواجهوا قوى الكفر والجاهلية، ويحققوا انتصارات باهرة، قال تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (الأنفال: ٦٥) لأن خصومنا قوم ليس لهم إيمان بالله تعالى ولا معرفة به جل وعلا وليس لديهم إلتزام بالأمور الدينية وهي مصدر القوة المعنوية والعقائدية.. إنما همهم الدنيا وملذاتها.

(١) ١٨/ ذي القعدة /١٤٤٥هـ- الموافق: الإثنين ٢٠٢٤/٥/٢٧م.

وأشار سماحتُهُ خلال محاضرة ألقاها في وفد من الكوادر الإدارية المتدربة من الحشد الشعبي، (المديرية العامة للتوجيه العقائـدي/ مركـز الشهيد أبو مهدي المهندس للإعداد والتطوير) في النجف الأشرف.

أن مصدر الصمود والثبات والشجاعة والبسالة التي أظهرها إخواننا المجاهدون وأهلنا في غزة وفي ساحات المواجهـة مـع جـيش الكيـان الغاصب المتفوق عسكرياً مما أذهل العقول، إنما هو لارتفـاع روحهـم المعنوية في القتال.. والارتباط بالله تعالى.. وإلا كيف يفسّر المختصـون بالتحليلات العسكرية الميدانية مشاهد الاشتباك مع العـدو مـن مسـافة (الصفر) بالأسلحة التقليديـة ويحقـق الانتصـارات الرائعـة ضـد عـدوٍ يتحصن بالدبابات والمدرّعات وقد فاقهم في العدد والتسليح؟

وفـي هـذا السـياق اسـتذكر سـماحتُهُ شـطراً مـن حديثـه مـع الشـهيد أبـي مهـدي المهنـدس لـدى زيارتـه لـه فـي مكتبـه عـام ٢٠١٧م، حيث أشـار سـماحتُهُ الـى هـذا الموضـوع وهـو - ضـرورة إدامة الزخم المعنـوي - لـدى أبناءنـا مـن مقـاتلي الحشـد الشـعبي.. فإن مسـتواه قـد يـنخفض ويضـعف التـأثير ويخبـو وهـج الحماسـة الذي كان في بدايات المعـارك بمـرور الـزمن وطـول أمـد المعركـة لعدة عوامل.. لذا لابد من العمـل علـى تغذيـة هـذه الـروح وتنميتهـا وتحصينها باسـتمرار.. فالصـحابة الأوائـل كـانوا متحمسـين ومتفـانين فـي عملهـم وفـي جهـادهم ولكـن بمـرور الوقـت ضـعفت فـي

نفوسهم روح الإيمان.. وبعد سنين انحرف بعضهم حتى خرج لقتال أمير المؤمنين (عليه السلام) في معركة الجمل.

وفي ذات السياق لفت سماحتُهُ إلى عدة نقاط مهمة:

١- التأكيد على استشعار عظمة نعمة الله تبارك وتعالى إذ جعلكم منتمين إلى مؤسسة جهادية عقائدية مرجعية والإحساس بشرف الانتماء إليها فقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في إحدى خطبه في نهج البلاغة (إن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه لخاصة أولياءه)[١] لاحظوا أنه لم يقل لعموم أولياءه أي أنه ليس متاحاً لكل أحد.. بل لخاصة أولياءه، فالانضمام لهذه المؤسسة شرف عظيم ومسؤولية كبيرة ويصف الإمام (عليه السلام) الجهاد فيقول: (وهو لباس التقوى ودرع الله الحصين وجنته الوثيقة)، وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إن الله عز وجل يباهي بالمتقلِّد سيفه في سبيل الله ملائكته وهم يصلّون عليه مادام متقلده)[٢] والسيف هو إشارة للسلاح بشكل عام فهذه هي إذن مكانة من يقف للدفاع عن العقيدة وعن مقدرات الناس ومقدساتهم.

٢- معرفة مسؤولية الانتماء لهذه المؤسسة.. فحينما نقول إن الله تعالى يباهي الملائكة بالمجاهد في سبيل الله تعالى وهو شرف وامتياز عظيم ومقابل كل امتياز توجد حقوق وواجبات فينبغي أن نعرف أيضاً

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٧.

(٢) كنز العمال: ١٠٧٨٧.

أن هذا الأمر يحملنا مسؤولية.. وهي مسؤولية الانتماء لهذا الكيان الجهادي المبارك.. وقبل ذلك فنحن مسلمون من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) وأتباع مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) وللأئمة (عليهم السلام) خصوصاً الباقر والصادق والرضا (عليهما السلام) كلمات في ذلك: قال الإمام الصادق (عليه السلام): (.... فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري فيسرني ذلك ويدخل علي منه السرور)[1] فينبغي أن نشعر بمسؤوليتنا ونتحملها ونؤدي حقّها.. والقرآن صريح في نصوصه: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ (المطففين:١- ٢) ومعلوم أن التطفيف أوسع معنى وأبعد دلالة من قضية الوزن والميزان ويتسع المعنى ويشمل كل من يحصل على امتيازات ماديّة أو معنوية أكثر مما يبذل ويقدّم، فهذا يعتبر تطفيف في الميزان..

وقال سماحتُهُ: وأنا عندما أقول امتيازات معنوية فأنني أتحدث عن مكانة المجاهد عند الله جل وعلا.. ومنزلته في نفوس الناس ومحبتهم له وتلمسون اليوم مودة الناس ومحبتهم للحشد الشعبي.. وهذه الأمور المعنوية لا يقاس بها غيرها من الامتيازات المادية مهما بلغت.. وبماذا نجازي المجاهدين؟ وماذا نعطيهم؟ فهو قليل بحقهم.

(١) الكافي: ٢/ ص ٦٣٦/ح٥.

٣- أن نصحح نياتنا ونراقب أنفسنا، والمفروض أن يكون عملنا خالصاً لوجه الله تعالى والخطاب القرآني يتضمن العتب والحث في نفس الوقت ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ.....﴾ (النساء: ٧٥).

ووجه سماحتُهُ خطابه للمجاهدين.. وأنتم جزاكم الله خيراً استجبتم لنداء الله وقاتلتم دفاعاً عن المستضعفين من الرجال والنساء والأطفال الذين وقعوا تحت ظلم وقتل شذّاذ الآفاق المتحجرين.. وعليكم الاستمرار بالمحافظة على نياتكم وأن يستمر خلوصها لله تعالى.. فجزائكم عند الله تعالى عظيم فأسعوا للحصول على الدرجات الكاملة العليا ولا تفرطوا بها أو تقصروا فيقل نصيبكم وتنخفض درجاتكم لا سمح الله تعالى.

٤- الالتزام بالواجبات الدينية والورع عن محارم الله تعالى، ليكون عملنا زاكياً في موضع قبول من الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧).. والالتزام بالدين والأوامر الإلهية واجتناب ما نهى الله جل وعلا هو مصدر ومنبع وجود الأجواء الإيمانية والروح المعنوية، وهو القوة التي نواجه بها التحديات ونقاوم بها الأعداء، وهي سر انتصارنا وتفوقنا.. قال تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة: ٤٥)، ولم يحدد نستعين على ماذا؟ لم يحدد النص، أي أننا ينبغي أن نستعين في كل

أمورنا بالصبر والصلاة لأنهما منطلق الروح المعنوية.. وهما أمضى سلاح بأيدينا نواجه به التحديات والصعوبات في كل المجالات.

وفي نهاية محاضرته أشاد بالجهود المباركة التي يبذلها القائمون على هذه الدورات.. مؤكداً على ضرورة استمراريتها.. لأن الإنسان قد ينشغل بمسؤولياته فيغفل وتضعف همته وهو أمر طبيعي عند الإنسان.. وهذه الدورات من شأنها أن تشحذ الهمم وترفع المعنويات وتذّكر بالهدف الكبير وهو التمهيد لدولة العدل الإلهي.

واستثمر سماحته وجود هذه الثلة الطيبة من القادة في الحشد الشعبي، لافتاً إلى أن مسؤوليات القائد الكبيرة تجعله محلاً لعناية الله تعالى وتوفر له فرص الطاعة والأجر أكثر من غيره لأنه سيكون سبباً لهداية وصلاح الكثيرين والتأثير فيهم ويحكي لنا التاريخ حينما أرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى اليمن قال له من ضمن وصاياه: (لا تقاتلهم وأدع إلى الإسلام يا علي لأن يهدي بك الله رجلاً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس وما غربت)[1].

ودعا سماحتُهُ المسؤولين في البلاد والمعنيين بشؤون الحشد الشعبي إلى عدم التقصير في رعاية أبناء الحشد وتقديم الخدمات لهم وإيصال استحقاقاتهم وتنظيم شؤونهم الإدارية فإن الأحاديث الشريفة تحث على أن يُخلف المجاهد بالمعروف وتحذِّر من إيذاء المجاهد في

(١) الكافي- الشيخ الكليني: ٥/ ٣٦/ح٢.

سبيل الله تعالى فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إتقوا أذى المجاهدين في سبيل الله فإن الله يغضب لهم كما يغضب للرسل ويستجيب لهم)[١].

وهذه مسؤولية الجميع لا سيما ذوي الشأن إذ لابد أن يشعر المجاهد لكي يؤدي واجبه.. بأنه محلٌ للرعاية ومستند إلى ركن وثيق وأنه سوف لا يضيع بين ظهراني قومه.. وإن كان عمله لله تعالى.

(١) كنز العمال: ١٠٦٦٤.

خطاب المرحلة
(٧٥٣)

ولاية أهل البيت (عليهم السلام) حصن الإسلام وأعظم أركانه[١]

إمامة أهل البيت (عليهم السلام) وولايتهم أعظم أركان الإسلام وأسسه، قال الإمام الباقر (عليه السلام): (بني الاسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم ينادَ بشيء كما نودي بالولاية)[٢].

وقد أكّد القرآن الكريم هذا المعنى حيث جعل الولاية كمال دين الإسلام وتمام نعمة الله تعالى به وأمر الله رسوله (صلى الله عليه وآله) بتبليغ هذا الأمر وان يأخذ البيعة من الأمة عليه، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) وأمر جماعة المؤمنين أن يتبعوا أهل البيت (عليهم السلام)قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩) وأوجب مودتهم وجعلها أجراً للرسالة قال تعالى: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى: ٢٣) وبلّغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك كله بأوضح بيان وأقوى حجة، قال (صلى الله عليه وآله): (إن الله جعل أجري عليكم المودة في أهل

(١) من لقاء سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من زوار الأربعينية من تركيا واوزباكستان يوم الأربعاء ١٦/صفر/١٤٦٦هـ- الموافق ٢٠٢٤/٨/٢١م.

(٢) الكافي: ج٢/ ص١٨.

بيتي وإني سائلكم غداً عنهم)[١]، وقرن (صلى الله عليه وآله) في حديث الثقلين بين القرآن والعترة وأخبر عن عدم افتراقهما إلى يوم القيامة.

وإذا كانت الولاية بهذه المرتبة السامية العظيمة وإن وجود الإسلام وديمومته وصيانته من التحريف والبدع والضلالات منوط بوجودهم (عليهم السلام) وممارستهم لدورهم في قيادة الأمة، فإن تضييع الولاية وعدم التمسك بها يضيّع الإسلام النقي الأصيل ويصيب الدين بالتشوه، وهو ما أخبر الله تعالى عن وقوعه وأنه سيحصل فور وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤)[٢].

وحذّرَ منه النبي (صلى الله عليه وآله) وبيَّن معالمه، قال (صلى الله عليه وآله): (وهو -أي علم الميراث- أول شيء ينتزع من أمتي)[٣]، وقال (صلى الله عليه وآله): (فإني أمرؤ

(١) رواه الطبري في الذخائر ص٢٥، وابن حجر في الصواعق ص١٠٢ وص١٣٦، والسمهودي في جواهر العقدين.

(٢) راجع قبس قوله تعالى ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران: ١٤٤) في تفسير من نور القرآن.

(٣) سنن الدارقطني: ٦٧/٤/ ح١، سنن ابن ماجه: ٩٠٨/٢/ ح٢٧١٩، سنن البيهقي: ٢٠٩/٦، المستدرك للحاكم: ٣٣٢/٤.

مقبوض وسيقبض العلم وتظهر الفتن حتى يختلف الرجلان في فريضة لا يجدان من يفصل بينهما)[١].

وهذا ما حصل فعلاً حينما حرموا السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من ميراثها، ثم سرى التحريف والتشويه حتى إلى الصلاة، روى البخاري بسنده عن الزهري قال: ((دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئاً مما أدركت -أي على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما في حديث آخر- إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيِّعت))[٢].

لقد كانت الأيام التي تلت وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) عصيبة على أهل البيت (عليهم السلام) ليس فقط من أجل الظلم الذي وقع عليهم خاصة، بل لما يرونه من المخالفة الصريحة لكتاب الله تعالى وسنن نبيه (صلى الله عليه وآله) فيما يمس أصول العقيدة وأحكام السيرة وسياسة الأمة وينذر بمستقبل مظلم ترجع فيه الأمة إلى جاهليتها، قال الإمام الباقر (عليه السلام): (لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) بات آل محمد (صلى الله عليه وآله) بأطول ليلة حتى ظنوا أن لا سماء تظلهم، ولا أرض تقلهم، لان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتر الأقربين والأبعدين في الله)[٣].

---

(١) سنن الدارقطني: ٨٤/٤/ ح٤٥، سنن البيهقي: ٢٠٨/٦ وغيرهما.

(٢) صحيح البخاري: ٦٧ كتاب ٩ مواقيت الصلاة، باب ٧/ ح٥٢٩، ٥٣٠.

(٣) بحار الأنوار: ج٢٢/ ص٥٣٧.

خطاب المرحلة

(٧٥٤)

قصدنا كربلاء فهل قصدنا الإمام الحسين (عليه السلام)[١]

انتهت أمس الزيارة الأربعينية المباركة بحضور أكثر من ٢١ ميلوناً من الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) وقد ساهم كل منهم في احيائها بما وُفِّق له، وبذلوا الغالي والنفيس من أجل تعظيم شعائر الله تعالى، وإظهار المودّة الواجبة بنص القرآن الكريم للنبي وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى:٢٣) والإعلان عن هوية الانتماء وإعزاز العقيدة استجابة لقوله تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الحجر: ٩٤) وغير ذلك مما ذكرناه في بيانات سابقة[٢]، وأرجو أن يقع أجرهم على الله تعالى ويلقّيهم نضرة وسروراً.

وانطلاقاً من الأحاديث الشريفة التي دعت إلى محاسبة النفس كقول الإمام الكاظم (عليه السلام): (ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم،

---

(١) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع حشد من زوار الأربعينية من داخل العراق وخارجه بعد انتهاء الزيارة يوم ٢١/صفر/١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٤/٨/٢٦م.

(٢) راجع موسوعة خطاب المرحلة: ج٨/ ص١١١ خطاب رقم ٣٥٣، بعنوان (إلى المشكّكين بجدوى الزيارات المليونية).

فإن عمل خيراً استزاد الله منه وحمد الله عليه، وإن عمل شيئاً شراً استغفر الله وتاب إليه)[١]، وقول النبي (صلى الله عليه وآله): (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتجهزوا للعرض الأكبر)[٢] التي قلنا في حديث سابق أنها لا تختص بمحاسبة الفرد نفسه على أعماله الشخصية وإنما تتسّع لتشمل تقييم عمل المؤسسات ونتائج الفعاليات خصوصاً الزيارات المليونية المباركة لنرى كم حققت من الأهداف المرجوّة منها.

فنسأل ضمن هذا الإطار أن ٢١ مليوناً قصدوا كربلاء والحرم الحسيني المطهر وأدّوا ما عليهم وأرجو أن يحقق الله تعالى لهم أمانيهم في الدنيا والآخرة، لكن كم منّا قصد الإمام الحسين (عليه السلام) بأن عرف الإمام الحسين (عليه السلام) ووعى أهدافه ومبادئه والغرض من قيامه المبارك وعاهد الله تعالى على المضي على ما مضى عليه الحسين (عليه السلام) وأصحابة البررة، وأن يبذل وسعه للاقتداء بالإمام (عليه السلام) ونيل رضاه، وهل تأمّل في المكاسب المتحققة من هذه الشعيرة المباركة؟ وهل هي بمستوى الحدث وما أنفق فيها من جهود وأموال ضخمة وأيام طويلة، وما تكبدوا فيه من تضحيات ومشقة وعناء في أيام الصيف اللاهبة.

---

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ٤٥٣/٢/ ح٢.

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت): ج١٦/ ص٩٩، بحار الانوار: ٧٠/ ٧٣/ ح٢٦.

وإنما نعرف الإمام الحسين (عليه السلام) من خلال الأحاديث الشريفة التي بيّنت صفاته وكمالاته وعلو مقامه، ومن خلال نصوص الزيارات التي خاطبه بها أبناءه المعصومون (عليهم السلام) فنتلوها عندما نقف عند حرمه الشريف كما في بعضها (أشهد أنك يا مولاي قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وتلوت الكتاب حق تلاوته، وجاهدت في الله حق جهاده، وصبرت على الأذى في جنبه، وعبدت الله مخلصا حتى أتاك اليقين) وفي مناسبة أخرى (أشهد أنك أمرت بالقسط والعدل ودعوت إليهما وأنك صادق صديق فيما دعوت إليه)[1] لنكتشف طهارته ونقاء أصله، ووراثته لرسالات جميع الأنبياء السابقين، وعظمة شخصيته وسلوكه، ومعالم مشروعه وأهدافه التي قام من أجل تحقيقها وقد أعلنها (عليه السلام) في كلماته الخالدة أثناء حركته المباركة نحو الشهادة في سبيل الله تعالى.

ومن الأهداف المباركة للقيام الحسيني ما تضمنته زيارته في يوم الأربعين (وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة)، فكلما عملنا على استنقاذ عباد الله تعالى من الجهالة وحيرة الضلالة فإنه يتحقق نجاح هذه الشعيرة العظيمة وتأثيرها في نفوس الموالين، وتكون مرتبة قربنا من الإمام الحسين (عليه السلام) بمقدار التأسي بصفاته وأفعاله، وبمقدار السعي لتحقيق أهدافه، فمن ينصر تعديل قانون الأحوال

(١) إقبال الأعمال – السيد ابن طاووس: ٣٤١/٣.

الشخصية بالنحو الذي تمّكن المسلم من الالتزام بشريعة الله تعالى يكون قد نصر الإمام الحسين (عليه السلام) وأقترب من أهداف شهادته، لأنه بذلك ينقذ عباد الله تعالى من ضلال الجاهلية وبؤسها وشقائها حيث يقول الإمام الصادق (عليه السلام): (الحكم حكمان: حكم الله وحكم الجاهلية، فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية)[1].

فلا مجال لأنصاف الحلول، وإن من لم يلتزم بحكم الله تعالى ويدعو إلى تطبيق القوانين التي وضعها الإنسان فهو يرجع إلى حكم الجاهلية ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة:٥٠) ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة:٤٥).

كما يظهر نجاح هذه الشعيرة العظيمة من خلال المحافظة على مكاسبها العديدة التي تحققت ببركتها، وعلى رأسه، توحيد القلوب وتأليف النفوس فتجد هذه الملايين تتحرك بقلب واحد ونبض واحد جمعها حب الإمام الحسين (عليه السلام) ومودّة النبي (صلى الله عليه وآله) وآله الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) يبتغون بذلك التقرّب إلى الله تعالى واتخاذهم سبيلاً إلى رضوانه، رغم اختلاف انتماءات هؤلاء الناس وأجناسهم وأعراقهم وتوجهاتهم وثقافتهم، لكن المعجزة تحققت بفضل الله تعالى الذي ألّف بين قلوبهم حيث يتفانون في خدمة بعضهم

(١) الكافي: ج٧/ ص٤٠٧.

ومواساتهم ومساعدتهم، هذه المعجزة التي أشار الله تعالى إليها في القرآن الكريم حيث تحدّث عن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ (الأنفال:٦٣) وهم كانوا بضعة آلاف بأعلى تقدير، أما في زيارة الأربعين فنتحدث عن أزيد من واحد وعشرين مليوناً من حوالي ثمانين دولة تألفت قلوبهم وتوحّدوا في طريق واحد، فلنحافظ على هذا التآلف الذي أمر الله تعالى به في جميع أيام السنة فأن الناس حولنا هم هؤلاء الموالون الذين نخدمهم في أيام الأربعينية.

ولنرفض قطعاً كل من يحاول إثارة الفتن وتمزيق وحدة الامة وخلط الأوراق على الناس وتشويه الحقائق بالافتراء والتسقيط والجهر بالسوء على مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها فإنها من أعظم الكبائر والعياذ بالله.

ولقد تحقق في زيارة الأربعين ما أراد الله تبارك وتعالى به تحقيقه من الحج إلى بيته الحرام ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ (الحج:٢٨) من التعارف بين المسلمين، واطلاع بعضهم على قضايا بعض وتبني المواقف المصيرية، والتفكير في المشاريع الإستراتيجية المشتركة التي تخدم مصالح الأمة الإسلامية في جميع بقاع الأرض، وبذلك انكشف لنا وجه جديد للمقارنة بين أرض كربلاء ومكة المشرفة لأنها تشرفت بتنجيز الوعد الإلهي الذي أريد لمكة أن تحتضنه.

ولقد كان حضور الملايين بهذا التنوع الواسع أعظم فرصة للمرجعية الدينية والحوزة العلمية أن تلتقي بعلماء ومثقفي الأمة والواعين والرساليين وعموم أتباع أهل البيت (عليهم السلام) ومحبيهم من مختلف دول العالم وتستمع لهم وتوجهّهم وتشاورهم فيما يجب عمله بإذن الله تعالى.

وكان لأهل العراق شرف استضافة هذا المؤتمر العالمي الواسع بكل كرم وأدب وتضحية وتفاني وتواضع ووعي مما أبهر العالم وحيرّهم، فبارك الله تعالى فيهم ولنعم ما أثمر جوار أمير المؤمنين وأبي عبد الله الحسين والكاظميين والعسكريين (سلام الله عليهم اجمعين).

وقد وجّهت بإيصال صور ومقاطع فيديوية تبرز هذه الحالة المشرفة لشيخ كبير أو طفلة صغيرة إلى القادة السياسيين لتحرّك ضمائرهم وتحفزّهم على بذل كل ما بوسعهم لخدمة هذا الشعب الموالي الطيّب المضحي، ولو بذلوا أرواحهم من أجل إسعاد هؤلاء المحرومين وازدهار بلدهم لكانوا جديرين به.

خطاب المرحلة

(٧٥٥)

حقائق في الصراع بين الإسلام وأعدائه[١]

قال الله تبارك وتعالى في كتابة الكريم: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:٢١٧).

تبيّن الآية الكريمة عدّة حقائق يجب على المسلمين الانتباه إليها واليقظة لوعيها واتخاذ التدابير اللازمة إزاءها وهي:

١- إن حرب الأعداء عليكم مستمرة لا تتوقف على مدى الأجيال مهما تعددت وتناقضت عقائدهم وأنظمتهم وتوجهاتهم كالماركسية والرأسمالية والليبرالية وغيرها فإنهم يجتمعون على رفض الإسلام، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، وهذا طبع متأصّل فيهم لأنهم أتباع الشيطان وجنده، وقد أقسم إبليس (لعنه الله تعالى) بهذه الحرب الدائمة ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ

(١) درس التفسير الأسبوعي الذي ألقاه سماحة المرجع (دام ظله) على أساتذة وطلبة الحوزة العلمية في مكتبه في النجف الأشرف يوم الأربعاء ١٤/ربيع الأول/١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٤/٩/١٨م.

وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف:١٦-١٧).

نعم قد لا تكون حربهم بالطريقة الظاهرة المكشوفة وهي الحرب العسكرية وباستخدام أدوات القتال المعروفة بين الجيوش، وإنما قد تكون حرباً ثقافية أو أخلاقية أو اقتصادية أو اجتماعية أو فكرية وغير ذلك من أساليب الحرب الناعمة[1] فهي صور متنوعة للحرب.

٢- إن الإسلام ليس دين حرب وعدوان وعنف، بل دين سلام وأمان وصلاح وحكمة واعتدال ووسطية وعمران للحياة الصالحة الطيبة، وإن الآخرين هم الذين يبدأون القتال ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ وحينئذٍ لا يكون أمام المسلمين إلا الدفاع عن أنفسهم وعقيدتهم.

٣- إن غرضهم الحقيقي من مقاتلتكم هو نزع نور الإيمان من قلوبكم وفتنتكم عن دينكم، وتخليكم عن أخلاقكم ونهجكم الصالح القويم، ﴿حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ لأنهم يرون في هذا الدين عدواً لهم وعائقاً دون تنفيذ مشاريعهم وتحقيق رغباتهم، سواء فهمنا من ﴿حَتَّى﴾ التعليل أي: لكي يردّوكم عن دينكم، أو الغاية أي إلى أن يردّوكم عن دينكم، فهذا هو غرضهم الحقيقي، وإن أخفوا حربهم تحت عناوين متعددة، كتحرير الشعوب وتخليصها من الأنظمة المستبدة، أو مكافحة

(١) راجع قبس قوله تعالى ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ (المائدة:٦٤) في تفسير من نور القرآن.

الإرهاب، أو نزع أسلحة الدمار الشامل، أو الدفاع عن حقوق الإنسان، أو تأمين الاقتصاد العالمي، أو حفظ الأمن والسلم الاجتماعيين ونحو ذلك، لأن كل ذلك تمويه وإخفاء لغرضهم الحقيقي الذي ذكرته الآية الكريمة.

وهذا المعنى أكدته آيات عديدة كقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة:١٠٩) وقوله تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (آل عمران:٦٩) وقوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (النساء:٨٩).

٤- إن هذه الحرب المستمرة من قبلهم تلزمنا بالتأهب والاستعداد لها دائماً وعلى جميع المستويات وفي جميع الاتجاهات خصوصاً العقائدية والأخلاقية والاجتماعية والفكرية، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال:٦٠) وأن نكون حذرين يقظين ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ﴾ (الأنفال:٤٩) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً﴾ (النساء:٧١) ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾ (النساء:١٠٢).

٥- يفهم من لحن قوله تعالى: ﴿إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة:٢١٧) التي تستبطن نبرة التعجيز والتحدي، إن الأعداء مهما استمروا في حروبهم

العدوانية بأسلحتها المتنوعة وأشكالها المتعددة فإنهم لا يستطيعون النيل من هذا الدين، وهذا وعدٌ من الله تعالى كتبه على نفسه ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف:٨) ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩) كما أنهم لا يتمكنون من فتنة المخلصين الصادقين، ورد في الحديث الشريف عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: (المؤمن أصلب من الجبل، الجبل يُستقَل منه، والمؤمن لا يستقل من دينه شيء) [1].

٦- إن هذه الحرب المستمرة من الأعداء وتكلفتها الباهظة لا يجوز أن تكون مبرراً للتنازل عن دين الحق؛ لأن الحياة تكتسب قيمتها إذا تزينت بالدين، ولأن الالتزام بالدين هو الذي يضمن الفوز والفلاح في الحياة الآخرة الباقية فالتذرع بقوة الأعداء وعدم أمكان مواجهتها لتبرير إن الذوبان في مشاريع أعداء الإسلام والوقوع في شراك مكائدهم وخدعهم غير مقبول ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ (المائدة:٥٢) وإن ذلك يوجب حبط الأعمال، وإن كان لصاحبها تأريخ حافل بالالتزام الديني ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

(١) الكافي: ٢/ ٢٤١/ ح٣٧.

٧- إننا أولى الناس بالمبادئ الإنسانية وأشدهم حرصاً على التمسك بالأخلاق الفاضلة، ومنها حرمة القتال في الأشهر الحرم، ولا يرضى الدين بقضية (الغاية تبرر الوسيلة)، لكن الأعداء ليس لهم أن يطالبوكم بالالتزام بالقوانين والأعراف الجارية بين الشعوب ما داموا هم قد انتهكوها أولاً، فنحن أولى بالالتزام بحرمة القتل والقتال في الأشهر الحرم لأننا حريصون على حقن الدماء وحفظ الحرمات وأن يسود السلام والعدل، لكنهم إذا انتهكوا هذه الحرمة بتعذيبكم وفتنتكم عن دينكم وحرمانكم من عبادة الله الأحد فلا يحق لهم مطالبتكم بالامتناع عن القتال في الأشهر الحرم، فإن للأشهر الحرم حرمة لا يجوز انتهاكها لكنهم ارتكبوا ما هو أعظم وهو فتنتكم عن دينكم ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (البقرة:٢١٧)، والالتزام بطرف واحد يعني تجريدكم من كل قوة، بينما هم لا يتورعون عن استخدام كل سلاح للقضاء على دينكم وسلب عزّتكم، فلا بد من مقابلتهم بالمثل ليرتدعوا، قال تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ (النساء:١٠٢)، وأهم أسلحتكم وأقواها وأمضاها هو إيمانكم بالله تعالى ووحدة كلمتكم وأخلاقكم الفاضلة.

روي[1] في سبب نزول الآية أن سرية من المسلمين قتلت كافراً في يوم مشتبه بين كونه الأخير من جمادي الثانية والأول من رجب

(١) أنظر: ابن كثير- البداية والنهاية : ٣٠٤/٣، ط. احياء التراث.

الذي هو شهر حرام اتفق العرب على حرمة القتال فيه، فقام المشركون بحملة إعلامية مضللة للتشكيك في الدين الجديد وأن المسلمين لا يراعون هذه الحرمة، مما أربك بعض المسلمين وأفقدهم الثقة بقيادتهم، فنزلت الآية الكريمة لدفع الشبهة بأن المشركين هم من بدأوا بانتهاك هذه الأعراف حين اعتدوا على المسلمين ولم يراعوا فيهم ذمة ولا كونهم في الحرم الآمن مكة ولا الشهر الحرام وعذّبوهم وقتلوهم وهجّروهم وصادروا أموالهم، وفتنوهم عن دينهم والفتنة أشدّ وأكبر من القتل والقتال، فكيف يطالبونكم بالالتزام بمراعاة الأشهر الحرم من طرف واحد؟ وهل هذه إلا قسمة ضيزى يأباها كل حر غيور شريف؟.

وهذا ما يحصل في زماننا الحاضر وكل زمان فيطالبون المسلمين بالالتزام بالقوانين الدولية وما تقتضيه العلاقات بين الدول من طرف واحد وتقوم الدنيا ولا تقعد إذا حصل شيء سيئ لفرد منهم في بلاد المسلمين، بينما يعطون لأنفسهم الحق في الاعتداء على الشعوب ونهب خيراتها وانتهاك مقدساتها وقتل النساء والأطفال بالجملة وهدم دورهم عليهم، وبالتدخل في شؤونهم، فيطالبون الحكومات بتشريع قوانين لإباحة المثلية والشذوذ الجنسي والبغاء، ويفرضون عليهم الحصار الخانق، ويعترضون على أي قانون يحمي عقيدة غالبية الشعب كتهديدهم بالعقوبات السياسية والاقتصادية إن أقرّوا قانوناً يتيح للمسلم أن يطبق الأحكام الشرعية في أحواله الشخصية من دون فرضه على

الآخر، ويطالبون بتمكين المرأة وخروجها عن السلوك العفيف النظيف المؤدي إلى تخريب الأسرة وضياع المرأة، ويطالبون بقوانين تمنع الوالدين من تربية الأطفال تحت عنوان منع العنف الأسري ونحو ذلك، في حين رأينا همجيتهم ووحشيتهم في استهداف النساء والأطفال باليورانيوم المنضب في أكثر من حرب من عام ١٩٩١م حتى ٢٠٠٣م في العراق، وذهب ضحيتها حوالي مليون ونصف المليون عراقي ولا زال تأثير سمومها ممتداً إلى اليوم في مساحات شاسعة، ورأينا استهدافهم الوحشي للنساء والأطفال العزّل الآمنين في غزة معتبرين إياهم أهدافاً استراتيجية!!!.

فلا بد من الانتباه إلى هذه الحقائق وإن ساحات المواجهة مع العدو الذي يريد نقض ديننا ومسخ هويتنا متعددة بتنوع حروبه علينا، ولا بد من توسيع معنى المواجهة وإعداد القوة المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (الأنفال:٦٠) ليشمل كل إشكال المواجهة الإعلامية والثقافية والاقتصادية والأخلاقية والعقائدية مع الأعداء.

إن رأس الحربة في حربهم الناعمة لتدمير عقيدة المجتمع المسلم وتفكيكه ومسخ هويته وسوقه نحو الانحطاط والحيوانية والهمجية هي المرأة فإنها إن صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسد المجتمع، لذا فهي أداتهم الفعالة إذا استطاعوا إقناعها

بالتخلي عن عفافها وحجابها وقيمها النبيلة وحوّلوها إلى أداة للاستمتاع مشغولة بالتباهي بأدوات الزينة وأحدث موديلات الملابس واللهو والعبث والتفاهات، كما يدفعونها باتجاه تخريب الأسرة والنظام الاجتماعي باسم تمكين المرأة والتحضر والحرية ونبذ العفاف لأنه كبت وتخلف ورجعية، وازدياد حالات الطلاق والخيانة الزوجية والعنف الأسري شاهد على نتائج هذه الخطة الخبيثة، فلا بد أن نستلهم من نساء الإسلام العظيمات[1] دروس الوعي والإصلاح والشجاعة والعفاف والعز والكرامة.

ولنا في العقيلة زينب (صلوات الله عليها) مثل أعلى في شكل من أشكال الجهاد يعجز عنه أشداء الرجال حيث أطارت فرحه يزيد والأمويين وأذنابهم وأجبرتهم على الصحو من سكر الانتصار المزعوم، حتى اضطر إلى البراءة من الفعل وإلقاء اللوم على ابن زياد في قتل الحسين (عليه السلام)[2].

(١) طُبع مؤخراً كتاب (أم المؤمنين أم سلمة: قدوة الفضائل والولاء) وهو يقدّم هذه الأسوة الشامخة.

(٢) قال مؤرخو الواقعة (إن يزيداً أمر أن يصلب الرأس الشريف على باب داره، وأمر أن يُدخِلوا أهل بيت الحسين داره، فلما دخلت النسوة دار يزيد خرجت هند بنت عبد الله بن عامر بن كُريز امرأة يزيد، فشقّت الستر وهي حاسرة، فوثبت على يزيد وقالت: أرأس ابن فاطمة مصلوب على باب داري؟ فغطّاها يزيد، وقال: نعم فأعولي عليه يا هند وابك على ابن بنت

وقد تمثل جهاد العقيلة زينب (عليها السلام) في بيان حقائق الدين وإرساء دعائمه، وهداية الناس إلى القادة الحقيقيين وهم أهل بيت النبي الأطهار (صلوات الله تعالى عليهم أجمعين) وفضح الحكّام الفاسدين، وإيقاظ الناس من الجهل والغفلة والتضليل الإعلامي وغسل الدماغ وتشويه المفاهيم التي كرّسها الإعلام الأموي.

فعلينا أن نستلهم الدروس والعبر من حركة العقيلة زينب (عليها السلام) ونتدبر في خطبها ونتعرف على سر الوثوق بالنصر النهائي الذي أطلقته في كلماتها (كدْ كيدك واسعَ سعيك، وناصبْ جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المناد ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل)[1].

إن أعداء الإسلام يرون في منهج العقيلة زينب (عليها السلام) تهديداً لسلطاتهم الاستكبارية وخطراً عليهم جميعاً، لأنها لم تتحدَّ يزيد

رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصريخة قريش، عجّل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله) (مقتل الحسين للخوارزمي: ٢/ ٧٣، بحار الأنوار: ٤٥/ ١٤٢) ومصادر أخرى في كتاب (الصحيح من مقتل سيد الشهداء للريشهري: ١١٣٨).

(١) بحار الأنوار: ٤٥/ ١٣٥.

الشخص فقط وإنما يزيد السلوك والمنهج الذي هم سائرون عليه والقائم على اتباع الشهوات، وتبديد ثروة الشعب، واستعباد الناس والاستخفاف بالمقدسات، وتشويه الحقائق والطبقية وهو ما اشترطه يزيد على أهل المدينة بعد استباحتها في واقعة الحرة وفيهم بقية أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)[1].

إن وجودنا في صف العاملين لإعلاء كلمة الله تعالى ونشر الإسلام والتعريف بفضائل أهل البيت (عليهم السلام) وسمو مقامهم ومعالم مدرستهم الشامخة يحتّم علينا إدامة الشكر لله تعالى مع الاعتراف بالعجز عن شكر هذه النعمة التي منّ الله تعالى بها علينا، فهي استجابة للدعاء وتحقيق لأمنية (يا ليتنا كنا معك)، وها نحن بفضل الله تعالى في معسكر الإمام الحسين (عليه السلام) ونعمل لتحقيق الأهداف التي خرج الإمام الحسين (عليه السلام) من أجلها، وضحى بنفسه الشريفة ومن معه لتحقيقها (حتى بذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة)[2].

(١) أنظر: ابن كثير- البداية والنهاية : ٢٦٢/٦، ط. احياء التراث.

(٢) زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم الأربعين. مفاتيح الجنان: ٥٤٣.

خطاب المرحلة
(٧٥٦)

الناس تتمنى يوم القيامة أن لو كانوا من شيعة علي (عليه السلام)[١]

قال الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾ (النبأ:٤٠).

صورة لأحد مشاهد يوم القيامة يظهر فيها الكافر وكل ظالم لنفسه بالمعاصي والذنوب الذي أضاع آخرته لدنيا هزيلة تافهة ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَـئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ﴾ (إبراهيم:٣)، وهو في أقسى حالات الشعور بالندامة والأسف وهول الموقف ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ (الزمر:٥٦) حينما تعرض عليه أعماله فينظر فيها بصورتها الظاهرية ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾ (آل عمران:٣٠) ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً﴾ (الكهف:٤٩) ويعيش حقائقها الواقعية التي هي جزاءاتها ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل:٩٠).

وتجسُّمُ الأعمال يكون أبلغ في الحجة وأوقع في الجزاء للعاصين كما للمطيعين، حيث تظهر على حقيقتها بلا تزويق أو رياء أو نفاق أو

---

(١) من درس التفسير الأسبوعي الذي يلقيه المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه في النجف الأشرف يوم الأربعاء ٢١/ربيع الأول/١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٤/٩/٢٥م.

خداع، فيتألم بها غاية الألم ويعضّ على أصابعه حسرة على ما فرّط في أمر آخرته حيث لا ينفعه ندم ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ (ص:٣) فإن هذا المصير البائس صنعه بنفسه لنفسه بما كسب من أعمال سيئة ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ وإنما ذُكِرت اليد لأن غالب الأعمال تنجز بها، أو لأن في اليد تعبيراً عن القدرة التي ينجز بها سائر الأعمال، وإلا فإنه مسؤول عن أعمال كل جوارحه كاللسان والعين والرجل والأذن وغيرها.

وقد دعاه الله تعالى إلى أن ينظر لنفسه فأنهما واحد في مقاييس الآخرة، ويحسن اختيار مصيره والمستقبل الذي يصنعه فإن عاقبته منوطة باختياره وأن يقدّم ما يستطيع من دنياه لآخرته فإن الدنيا مزرعة الآخرة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الحشر:١٨) ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (المزمل:٢٠).

ولعل ﴿يَنْظُرُ﴾ هنا بمعنى ينتظر فإنهما واحد في مقاييس الآخرة، فالكافر والظالم ينتظر برعب وقلق نشر صحيفة أعماله التي سوّدها بالمعاصي، كالطالب الفاشل الذي يتمنى أن يدفن رأسه في التراب يوم توزيع نتائج الامتحانات ويتمنى أن لا تنشر ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ (الفرقان:٢٧-٢٩).

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً﴾ فليس له أي عذر أو مسوِّغ، لأن النُذُر والمواعظ تواترت من الله تبارك وتعالى على لسان الأنبياء والرسل وأوصيائهم (صلوات الله عليهم أجمعين)، وقد مهدّت الآية السابقة بالتذكير بأن يوم القيامة والحساب حق لا ريب فيه فليبادروا وليستثمروا الفرصة ما داموا موجودين في الدنيا قبل فواتها ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ (النبأ:٣٩).

والتخويف والإنذار أبلغ في هداية الناس وإصلاحهم من الترغيب، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (المؤمن بين مخافتين: ذنبٍ قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه، وعمرٍ قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فلا يصبح إلا خائفاً، ولا يصلحه إلا الخوف)[١].

وهذا اليوم قريب لأنه آتٍ بلا شك وكل آتٍ قريب، ولأن الإنسان مهما عمّر في الدنيا فإن وجوده فيها لا يتجاوز لحظة في عمر الزمن، ويكون لا شيء إذا قيس إلى الخلود في الآخرة، وفي الحديث الشريف (الدنيا ساعة فاجعلها طاعة)[٢]، وإنه بموته يدخل عالم الآخرة وتنقطع فرصة عمله قال النبي (صلى الله عليه وآله): (إذا ماتَ أحَدُكُم فَقد قامَت قِيامَتُهُ، يَرى ما لَهُ مِن خَيرٍ وشَرٍّ)[٣]، بل القرب متحقق الآن لأنَّ الأعمال التي سيجزى

(١) الكافي: ٢/ ٧١/ ح١٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦٧/ ٦٨، مرسلاً في عرض كلامه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكرره في ٧٤/ ١٦٤.

(٣) كنز العمال - المتقي الهندي: ٥٤٨/١٥/ح٤٢١٢٣.

بها الإنسان معه وملازمة له فهي شديدة القرب واللصوق ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (التوبة:٤٩) لكنهم غافلون عن هذا القرب، فالذي أغراهم بالمعاصي وعدم التمسك بالدين ظنهم بأن يوم القيامة بعيد وقد لا يأتي ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ (ق:٣) ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت:٢٣).

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (النبأ:٤٠) وحينئذ يتمنى الكافر والظالم لو كان تراباً لا قيمة له تطأه الأقدام بنعالها ولا يقع في هذا الموقف المهول القاسي، وفي بعض التفاسير[1] أن القائل إبليس إذ يتمنى أن يكون أصله من ترابٍ كآدم (عليه السلام) وليس من نار مما أوجب استكباره وعصيانه، وهو معنى لا بأس به إلا أنه لا داعي لحصر اللفظ العام للآية بهذا المصداق فقط.

وإنها لنتيجة مؤسفة أن يتمنى الإنسان الذي كرّمه الله تعالى وجعله خليفته في الأرض وأهّلَه ليكون أفضل من الملائكة، أن يكون تراباً لأنه يرى أنه أحقر من التراب، ويرى أن التراب أفضل منه، فقد كان مصدر غذائه وكان مباركاً تضع فيه البذرة فيعطي أنواع الثمار الطيبة، والكافر لا خير فيه بل كان جالباً للشر والنكد له ولغيره، فالتراب أفضل من الكافر.

ولتراب الأرض قيمة معنوية في حياة الإنسان لانتمائه إليه وتعلقه به وحنينه إليه، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (من كرم المرء بكاؤه على ما

(١) كتفسير الفخر الرازي والقرطبي والآلوسي.

مضى من زمانه، وحنينه إلى أوطانه، وحفظه قديم إخوانه)[١]؛ لذا كان للتراب رمزية كبرى في حياة الإنسان والمجتمعات تصل إلى حد التضحية بالنفس من أجل حفظه وسلامته ويعدّونه من المقدّسات، لذلك تفاءل المسلمون خيراً لما حمّلهم كسرى وقراً من تراب ونثره على الرسول إهانة لهم وجواباً على دعوتهم إياه للإسلام أو يدفع الجزية أو القتال، فعادوا إلى القائد العام سعد بن أبي وقاص مستبشرين بالظفر وفتح بلاد فارس وتملّك أرضها[٢].

وعلى أي حال فإن تمنّي الكافر أن يكون تراباً يمكن أن يكون له عدة معانٍ:

١- إنه تراب الذي هو أصل الإنسان قبل أن يخرج إلى الدنيا أي يتمنى أنه لم يخلق أصلاً.

٢- أنه تراب حينما كان رميماً في القبر حيث يعود إلى أصله فيتخلص من النشر والحشر.

٣- أو أنه جماد ولو في أتفه صورة كالتراب الذي تطأه الأقدام والأحذية ولا يحمل الأمانة ولا يكون مكلفاً بشيء يحاسب عليه.

---

(١) بحار الأنوار: ٧٤/ ٢٦٤/ ح٣.

(٢) تأريخ الطبري: ٣/ ١٩.

٤- ((وقيل إنه يتمنى حينئذٍ أن يكون تراب سجدة المؤمن تنطفئ به عنه النار، وتراب قدمه عند قيامه في الصلاة، فيتمنى الكافر أن يكون تراب قدمه))[١].

٥- أو أنه كان طيّباً متواضعاً طيّعاً لله تبارك وتعالى كالتراب الذي شرّفه الله تعالى بأن كان أصل الإنسان ومبدأ خلقه وإليه معاده ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه:٥٥)، وهو محل سجوده وبه طهوره قال النبي (صلى الله عليه وآله): (أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي: جُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)[٢] حتى وصف الإنسان الصلب في إيمانه المتمسك بالمبادئ والزاهد عن الدنيا بأنه ترابي.

وأكمل مصاديق هذا المعنى أن يكون مسلماً موالياً لأهل البيت (عليهم السلام) متمسكاً بنهجهم القويم، وهذا المعنى مروي عن أهل البيت (عليهم السلام) كقول الإمام الصادق (عليه السلام): (ترابياً يعني علوياً يوالي أبا تراب)[٣].

ويشهد له أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعلي (عليه السلام): (يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة)[٤] وقد كنّى (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) بأبي تراب، فشيعة علي

(١) روح البيان: ١٠/ ٢٩٢ إسماعيل البروسوي (ت ١١٢٧)، طبعة دار إحياء التراث العربي.

(٢) وسائل الشيعة: ٢/ ٩٧٠.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٢٦٢/٢٤/ح١٩.

(٤) معاني الأخبار - الشيخ الصدوق: ١١٨/ ح١.

(عليه السلام) شُبّهوا بالتراب لأنهم أهل السجود والطهور وأهل التواضع، وهم مباركون معطاؤون بحسب ما قدّمنا من أوصاف التراب وأمير المؤمنين (عليه السلام) أبو الترابيين المبدأيين المباركين الراسخين في الإيمان والمعرفة لذلك كانت هذه الكنية أحبّ أسمائه إليه.

روى الشيخ الصدوق بسنده عن عباية بن ربعي قال: (قلت لعبد الله بن عباس، لم كنى رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) أبا تراب؟ قال لأنه صاحب الأرض، وحجة الله على أهلها بعده، وبه بقاؤها وإليه سكونها، ولقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنه إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعد الله تبارك وتعالى لشيعة علي من الثواب والزلفى والكرامة قال يا ليتني كنت تراباً - يعني من شيعة علي - وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾)[1].

قال العلامة المجلسي (قدس سره) تعليقاً على الرواية: ((يمكن أن يكون ذكر الآية لبيان وجه آخر لتسميته (عليه السلام) بأبي تراب، لأن شيعته لكثرة تذللهم له وانقيادهم لأوامره سُمّوا تراباً كما في الآية الكريمة، ولكونه (عليه السلام) صاحبهم وقائدهم ومالك أمورهم سمي أبا تراب، ويحتمل أن يكون استشهاداً لتسميته (عليه السلام) بأبي تراب، أو لأنه وصف به على جهة المدح لا على ما يزعمه النواصب لعنهم الله حيث كانوا يصفونه (عليه السلام) به استخفافاً، فالمراد في الآية: يا ليتني كنت أباً ترابياً، والأب يسقط في

(١) علل الشرائع: ١/ ١٥٦/ ح٢.

النسبة مطرداً، وقد يحذف الياء أيضاً))[1] كما يقال قرشي لمن انتسب لقريش.

والمعروف في مصادر الفريقين أن النبي (صلى الله عليه وآله) كنّى أمير المؤمنين (عليه السلام) بأبي تراب في غزوة العشيرة قبل معركة بدر بأربعة أشهر، روى عمار بن ياسر قال: (كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة، فقال لي علي: هل لك يا أبا اليقظان في هذا النفر من بني مدلج يعملون في عين لهم ننظر كيف يعملون: فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة، ثم غشينا النوم، فعمدنا إلى صور من النخل في دقعاء من الأرض فنمنا فيه، فوالله ما هبنا إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجلسنا وقد تربنا من تلك الدقعاء، فيومئذٍ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): يا أبا تراب، لما عليه من التراب، فقال: ألا أخبركم بأشقى الناس؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: أحمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه - ووضع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يده على رأسه - حتى يبل منها هذه - ووضع يده على لحيته)[2].

(١) بحار الأنوار: ٣٥/ ٥١.

(٢) بحار الأنوار: ١٩/ ١٨٨، سيرة ابن هشام: ٢/ ١٧٧ دار الجيل، تاريخ الطبري: ٢/ ٢٦٢ حوادث السنة الثانية، البداية والنهاية: ٣/ ٢٤٧، مسند أحمد: ٤/ ٢٦٣، مستدرك الحاكم: ٣/ ١٤٠، أنساب الأشراف: ٢/ ٩٠ وغيرها من مصادر العامة.

وقد نظم الشاعر المجيد عبد الباقي العمري الأفندي بهذه المنقبة لعلي (عليه السلام) بأبيات قال فيها:

يا أبا الاوصياء أنت لطه صهره وابن عمه وأخوهُ
ان لله في معانيك سرًّا أكثر العالمين ما علموهُ
أنت ثاني الآباء في منتهى الدو رو آباؤه تعدَّ بنوهُ
خلق الله آدما من تراب فهو ابن له وأنت أبوهُ[1]

أقول: نقلها ابن أبي الحديد في شرح النهج وقال: ((فكانت هذه الكنية أحب كناه إليه لكون النبي (صلى الله عليه وآله) كناه بها وكان أعداؤه من بني أمية وأتباعهم لا يطلقون عليه غيرها كأنهم يعيّرونه بها مع أنها موضع الفخر ودعوا خطباءهم أن يسبوه بها على المنابر وجعلوها نقيصة له فكأنما كسوه بها الحلي والحلل كما قال الحسن البصري))[2].

أقول: لقد سنّ عثمان لهم هذا الطعن في علي (عليه السلام) فقد ورد في قضية الصحابي الجليل أبي ذر (رضوان الله تعالى عليه) أنه (جاء علي (عليه السلام) فقال له عثمان: ألا تغني عنا سفيهك هذا. قال: أي سفيه؟ قال: أبو ذر. قال علي (عليه السلام): ليس بسفيه، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول:

(١) الباقيات الصالحات: ديوان الشاعر عبد الباقي العمري الموصلي: ص ٤٦، ط. دار الشريف الرضي.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١/ ١٢.

ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، أصدق لهجة من أبي ذر، أنزله بمنزلة مؤمن آل فرعون، ﴿وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ (غافر:٢٨). قال عثمان: التراب في فيك. قال علي (عليه السلام): بل التراب في فيك، أنشد بالله من سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول ذلك لأبي ذر، فقام أبو هريرة وعشرة فشهدوا بذلك، فولى علي (عليه السلام))[1].

وقد حرف حسّاد أمير المؤمنين (عليه السلام) وأعداؤه مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام)، تارةً بنسبتها إلى غيره كولادته في جوف الكعبة، وتارةً بتحريفها لتكون مثلبة كافترائهم إغضابه للزهراء (عليها السلام) بخِطبة بنت أبي جهل، وهذا ما حصل في هذه القضية، قال ابن هشام في سيرته بعد أن ذكر رواية عمار بن ياسر المتقدمة وهي الصحيحة التي رواها الفريقان ((وقد حدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) إنما سمّى علياً أبا تراب: أنه كان إذا عتب على فاطمة (عليها السلام) في شيء لم يكلمها، ولم يقل لها شيئاً تكرهه، ألا أنه يأخذ تراباً فيضعه على رأسه، قال: فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا رأى عليه التراب عرف أنه عاتب على فاطمة، فيقول (صلى الله عليه وآله): ما لك يا أبا تراب؟ فالله أعلم أي ذلك كان))[2].

(١) الأمالي للشيخ الطوسي: ٧١٠.

(٢) سيرة ابن هشام: ١٧٧/٢ ط. دار الجيل.

أقول: وزاد البخاري بأن علياً (عليه السلام) ((كان قد خرج إلى المسجد مغاضباً لفاطمة فوجده رسول الله (صلى الله عليه وآله) نائماً وقد ترب جنبه، فجعل يمسح التراب عن جنبه ويقول: قم يا أبا تراب))[1] فكأنهم أرادوا أن يقولوا أن علياً (عليه السلام) كان أيضاً يؤذي فاطمة وليس الشيخان فقط، وأن فاطمة (عليها السلام) كانت تغضب علياً (عليه السلام) وليس فقط عائشة وحفصة تغضبان رسول الله (صلى الله عليه وآله).

لكن كذب هذه الأحاديث واضح فإن الحياة الزوجية بين أمير المؤمنين وفاطمة (عليهما السلام) أطهر وأسمى وأنقى من هذه التفاهات؛ لأنها مبنية على المعرفة التامة لكل منهما بمقام الآخر، وكلاهما من أهل بيت العصمة الذين طهرهم الله تعالى من كل رجس وخطأ وزلل، وقد كذّب أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الأحاديث الموضوعة، فقد قال في حق الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام): (فوالله ما أغضبتها، ولا أكرهتها على أمر، حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني، ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان)[2].

مضافاً إلى أن الطبري رواه في تاريخه خالياً من إغضاب فاطمة (عليها السلام) حيث روى أنه ((قيل لسهل بن سعد الساعدي أن بعض أمراء المدينة - وهو مروان بن الحكم- يريد أن يبعث إليك تسبُّ علياً عند

(١) هو حديث سهل بن سعد الآتي روي بعدة طرق باختلاف يسير في الألفاظ.

(٢) مناقب الخوارزمي: ٢٥٦، كشف الغمة: ١/ ٣٦٣، بحار الأنوار: ٤٣/ ١٣٤.

المنبر، قال: أقول ماذا؟ قال: تقول أبا تراب، قال سهل: والله ما سماه بذلك إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: قلت وكيف ذلك يا أبا العباس؟ قال: دخل عليّ (عليه السلام) على فاطمة(عليها السلام) ثم خرج من عندها فاضطجع في فيء المسجد، قال: ثم دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) على فاطمة فقال لها: أين أبن عمك؟ فقالت: هو ذلك مضطجع في المسجد، قال فجاءه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فوجده قد سقط رداءه عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول: أجلس يا أبا تراب، فوالله ما سماه به إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووالله ما كان له اسم أحبُّ إليه منه))[1].

أقول: رغم كذب روايتهم، إلا أنَّ فيها إقراراً منهم بعظمة وجلالة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) عند أمير المؤمنين (عليه السلام) بحيث لا يتفوه بكلمة عتاب إذا اختلف معها في قضية معينة.

وإذا أردنا حمل رواية سهل على معنى مقبول فإن علياً (عليه السلام) لما دخل على فاطمة (عليها السلام) ورآها قد (مجلت يداها - من الطحن بالرحى-، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها فأصابها من ذلك ضر شديد)[2] فأشفق على حالها وشعر بالانكسار لأنه زوجها وكان يريد لها حياة خالية من المتاعب

(١) تاريخ الطبري: ٦٢/٢ حوادث السنة الثانية.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٣٢١/١.

والمصاعب، وعبّر عن ذلك بوضع التراب على رأسه كما هو معروف في حالات الحزن لأنه لا يرضى بأذى السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وإن كانت هي راضية طاعة لله تبارك وتعالى، وفي ذلك تربية للأزواج في احترام بعضهم، وتقدير جهودهم والاعتذار عن كل تقصير.

خطاب المرحلة
(٧٥٧)

بسمه تعالى

الشهيد السيد حسن نصر الله فخرٌ وعزة ومدرسة[١]

لولا أن الله تعالى قهر عبادهُ بالموت والفناء ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ (الأحزاب:٦٢) وأنه تعالى وعدَ بأن يَتخذَّ من عبادهِ شهداءً، لكان المرحوم الشهيد السيد حسن نصر الله، أكبر من أن ينالهُ الموت فإن الموت يهابُ أمثالهُ لشجاعتهِ وثباتهِ وقوة قلبهِ وصبرهِ ورباطة جأشهِ وطمأنينته وحكمتهِ وإخلاصهِ في طاعة ربه تبارك وتعالى، فنال أمنيتهُ ومضى شهيداً مع جمعٍ من إخوانه البرَرة.

لقد رحل إلى الرفيق الأعلى بعد أن أسّس مدرسةً للقادةِ الناجحين المخلصين لأمتهم، وترك وراءهُ سجلاً حافلاً بالانتصارات، ليس على أرضِ لبنان الحبيبة فقط بل في سوريا والعراق وفلسطين، حيث لم يتردد في الوقوف مع أهلهِ وإخوانهِ لدحر الإرهاب وصدّ موجتهِ العاتية.

---

(١) البيان الذي أصدره سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بمناسبة استشهاد السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله في لبنان، بغارة صهيونية نفذّتها عدة طائرات والقت قنابل زنتها ٨٣ طناً على المربع الذي تحتمل وجود السيد الشهيد في أحد ابنيته.

لقد كان (تغمدهُ الله تعالى برحمته ورضوانه) من القادة الأفذاذ الذين يندرُ أن يجود الزمان بأمثالهم، وكان مصدر عزةٍ وافتخارٍ للإسلام والمسلمين، ومثالاً يُقنِع العالم بالإسلام الذي يُنجِب أمثاله، وليس كالحضارة المادية التي تخلقُ مجرمين وأبطالاً وهميين، وكان وجودهُ المبارك يبعثُ رسالة الطمأنينة إلى الأحرار والمستضعفين والمحرومين مُزينة بابتسامةٍ مشرقةٍ حنونة.

فلا يُلام محبّوه وعارفو خصالهِ الجميلة على حزنهم الشديد ولوعتهم لفراقهِ، ولا سلوى لهم إلا أنه مضى شهيداً على طريق أجدادهِ الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين)، وأنه أصبح رمزاً ملهِماً لكل الأحرار الذين يرفضون الذّل والخنوع والاستسلام والعبودية لغير الله تبارك وتعالى.

وأكادُ أجزم أن أعداءهُ قبل أحبائهِ معجبون به ويفتخرون بأنّهم يواجهون مثلهُ، فهم حزينون لقتلهم إياهُ وإن أظهروا الفرح والشماتة، لأنهم خسِروا عدواً شريفاً حكيماً ملتزماً بالمبادئ الإنسانية التي افتقدها العالم الذي يصف نفسهُ بالمتحضّر، لا يغدر ولا يخون ولا يفجر ولا يكذب مهما ضَغَطت عليه قسوةُ الأحداث واشتدّت الحاجة إلى الأساليب الملتوية لتحقيق المصالح.

إن السيد الشهيد نصر الله لا يليق بهِ الرثاء والنواح، وإنما يليق بهِ حُسن الثّناء وتعداد المفاخر والزَهو بالانجازات وتدوين السيرة، لتكون منهجاً يُتّبع في السعي الحثيث، لإقامة العدالة الاجتماعية التي ينعم بها الناسُ جميعاً.

خُذْ في ثنائهم الجميلَ مُقرِّضاً فالقوم قد جَلّوا عن التأبينِ

ولنا في مصيبتنا برسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيتهِ الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) وما أُعدّ للشهداء من المقام الكريم، سلوى وعزاء، فإن الأمة تحتاج بين وقتٍ وآخر إلى دماءٍ زكيّة طاهرةٍ تراق، لتستيقظ وتنهض وتتحرر، وليشهد الأفذاذ بدمائهم، أن الإيمان بالله تعالى حقّ، ويستحق التضحية بالغالي والنفيس، وليوفوا بعهدهم مع الله تعالى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ (الأحزاب: ٢٣).

محمد اليعقوبي – النجف الأشرف

٢٤/ ربيع الأول / ١٤٤٦هـ– ٢٠٢٤/٩/٢٨م

خطاب المرحلة
(٧٥٨)

الفوز والفلاح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف:١٦٤-١٦٥).

روى علي بن إبراهيم في تفسيره بسند صحيح في سبب نزول الآيات عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (وجدنا في كتاب علي (عليه السلام) أن قوماً من أهل إيلة[٢] وهي قرية لبني إسرائيل وأن الحيتان كانت سبقت إليهم يوم السبت ليختبر الله طاعتهم في ذلك - وقد نهوا عن الصيد يوم السبت لأنه يوم تفرغ للعبادة وعيد أسبوعي كالجمعة عند المسلمين - فشرعت إليهم يوم سبتهم - أي تظهر واضحة على سطح الماء وسهلة التناول يوم السبت دون بقية الأيام لأنهم كانوا يمتنعون عن الصيد يوم

(١) قبس قرآني من درس التفسير الأسبوعي الذي يلقيه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبة في النجف الأشرف يوم الأربعاء ٥/ربيع الثاني/١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٤/١٠/٩م.

(٢) وهي إيلات اليوم مدينة تقع على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام كما في معجم البلدان ومراصد الاطلاع وهو خليج العقبة.

السبت في بداية الأمر فكانت الحيتان تأتي آمنة يوم السبت فسبحان الله الذي علّمها يوم السبت من بين الأيام - في ناديهم وقدام أبوابهم في أنهارهم وسواقيهم فبادروا إليها فاخذوا يصطادونها فلبثوا في ذلك ما شاء الله لا ينهاهم عنها الأحبار ولا يمنعهم العلماء من صيدها، ثم إن الشيطان أوحى إلى طائفة منهم: إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت فلم تنهوا عن صيدها، فاصطادوا يوم السبت وكُلوها فيما سوى ذلك من الأيام، فقالت طائفة منهم الآن نصطادها، فعتت، وانحازت طائفة أخرى منهم ذات اليمين فقالوا ننهاكم عن عقوبة الله أن تتعرضوا لخلاف أمره واعتزلت طائفة منهم ذات اليسار فسكتت فلم تعظهم، فقالت للطائفة التي وعظتهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾، فقالت الطائفة التي وعظتهم: ﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ قال: فقال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ يعنى لما تركوا ما وُعظوا به مضوا على الخطيئة، فقالت الطائفة التي وعظتهم لا والله لا نجامعكم ولا نبايتكم الليلة في مدينتكم هذه التي عصيتم الله فيها مخافة أن ينزل بكم البلاء فيعمّنا معكم، قال فخرجوا عنهم من المدينة مخافة أن يصيبهم البلاء فنزلوا قريباً من المدينة فباتوا تحت السماء فلما أصبح أولياء الله المطيعون لأمر الله غدوا لينظروا ما حال أهل المعصية، فأتوا باب المدينة فإذا هو مصمت، فدقّوه فلم يجابوا ولم يسمعوا منها خبر (حسّ) واحد فوضعوا سلّماً على سور المدينة ثم أصعدوا رجلاً منهم

فأشرف على المدينة فنظر فإذا هو بالقوم قردة[١] يتعاوون، فقال الرجل لأصحابه يا قوم أرى والله عجباً، قالوا وما ترى؟ قال: أرى القوم قد صاروا قردة يتعاوون ولها أذناب، فكسروا الباب، قال: فعرفت القردة أنسابها من الإنس ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة، فقال القوم للقردة: ألم ننهكم؟ فقال علي (عليه السلام): والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إني لأعرف أنسابها من هذه الأمة لا ينكرون ولا يغيرون بل تركوا ما أمروا به فتفرقوا وقد قال الله عز وجل: ﴿فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (المؤمنون:٤١)، فقال الله: ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ -أي شديد- بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾)[٢].

تصنّف الآيات الكريمة مواقف الناس من النهي عن المنكر إلى ثلاثة ذكرها الشيخ الصدوق فيما رواه بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (كانوا ثلاثة أصناف: صنف ائتمروا وأمروا فنجوا، وصنف ائتمروا ولم يأمروا فمُسخوا ذرّاً[٣]، وصنف لم يأتمروا ولم يأمروا فهلكوا)[٤].

---

(١) قال تعالى في الآية التالية: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (الأعراف:١٦٦).

(٢) البرهان: ٤/ ١٢٧/ ح٢، عن تفسير القمي:١/ ٢٤٤/ ح٨، عن تفسير العياشي: ٢/ ٣٣/ ح٩٣.

(٣) الذر: النمل الصغار أو الصغير التي لا تكاد ترى وكذا ذرات التراب وأمثالها، وفي نور الثقلين: ٢/٩٠، عن تفسير العياشي بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه (عليه السلام) وفيه (قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): ما صنع بالذين أقاموا ولم يقارفوا الذنوب؟ قال: بلغني أنهم صاروا ذرّاً).

(٤) الخصال: ١٠٠/ ح٥٤.

ومسخوا قردة وخنازير (في الآية ٦٠ من سورة المائدة) لأنهم لا يستحقون صفة الإنسانية، وروى مثلها في روضة الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام).

أقول: وأضاف الطبرسي في مجمع البيان (إنه هلكت الفرقتان، ونجت الفرقة الناهية، روي ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام))[1]، فالذين لم يفعلوا المنكر لكنهم سكتوا ولم ينهوا عنه كانوا من الظالمين أيضاً وعُوقِبوا لأنهم بدلاً من أن يتوجّهوا بالأنكار إلى العاصين، توجهوا باللوم والتقريع إلى الواعظين.

وفي الآية دلالة واضحة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن الآية صرّحت بنجاة الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر فقط ووصفت الصنفين الآخرين بالظالمين واستحقاقهم العقاب، ولو لم تكن هذه الوظيفة واجبة لما استحق الصنف الثاني القاعد عن أداء الفريضة الذين ائتمروا ولم يأمروا العذاب.

لذا كان ابن عباس يبكي لثقل هذه المسؤولية، روى في الدر المنثور بسنده عن عكرمة قال: (جئت ابن عباس يوماً وهو يبكي، وإذا المصحف في حجره، فقلتُ: ما يبكيك يا ابن عباس؟ قال: هؤلاء الورقات، وإذا في سورة الأعراف) ثم ذكر هذه

(١) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي: ٤/ ٣٨٣.

الآيات وفسّرها إلى أن قال: (فأرى الذين نهوا قد نجوا ولا أرى الآخرين ذكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها ولا نقول فيها)[١].

ويظهر من الآية أن هذا الصنف التارك لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوماً﴾ لأنهم بحسب الظاهر غير الواعظ وغير المنهي فيتعين بهم.

ويظهر منها أيضاً أنهم محسوبون على المؤمنين الملتزمين بالشريعة ظاهراً، وربما يظهر من لحن كلامهم أنهم كارهون لفعل المنكر، مبررين سكوتهم بأنه لم يكن عن معصية لوجوب هذه الفريضة وإنما ليأسهم من صلاح العصاة، لكن عذرهم هذا لم يكن مقبولاً لأنّ سكوتهم عن ردع المعتدين لا ينمّ عن وجود غضب لله تبارك وتعالى، وإنما كان لإسكات ضميرهم إذ الواجب عليهم أن يؤدّوا وظيفتهم أما النتائج فهي بيد الله تبارك وتعالى.

وفي تفسير الإمام العسكري (عليه السلام) عن الإمام السجاد (عليه السلام) من حديث (وذلك أن طائفة منهم وعظوهم وزجروهم، ومن الله خوفوهم، ومن انتقامه وشديد بأسه حذّروهم، فأجابوهم عن وعظهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ بذنوبهم هلاك الاصطلام: ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾ فأجابوا القائلين لهم هذا: ﴿مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُمْ﴾ إذ كُلِّفنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنحن ننهى عن المنكر ليعلم ربُّنا مخالفتنا

(١) الدر المنثور: ٣/ ٥٨٩.

لهم وكراهتنا لفعلهم، قالوا: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ونعظهم أيضاً لعلهم تنجع فيهم المواعظ، فيتقوا هذه الموبقة، ويحذروا عقوبتها)[1].

قال السيد الطباطبائي (قُدِّسَ سِرُّهُ): ((وفي الآية دلالة على أن الناجين كانوا هم الناهين عن السوء فقط، وقد أخذ الله الباقين، وهم الذين يعدون في السبت والذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ إلخ وفيه دلالة على أن اللائمين كانوا مشاركين للعادين في ظلمهم وفسقهم حيث تركوا عظتهم ولم يهجروهم.

وفي الآية دلالة على سنة إلهية عامة، وهي أن عدم ردع الظالمين عن ظلمهم بمنع، وعظة إن لم يمكن المنع، أو هجره إن لم تمكن العظة أو بطل تأثيرها، مشاركة معهم في ظلمهم، وأن الأخذ الإلهي الشديد كما يرصد الظالمين كذلك يرصد مشاركيهم في ظلمهم))[2].

أقول: ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى في سورة العصر: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ فلا يكفي لخروج الإنسان من حالة الخسر أن يكون صالحاً في نفسه بالإيمان والعمل الصالح، بل لا بد أن يكون إنساناً مصلحاً للمجتمع وفاعلاً في عملية التغيير بالتواصي بالحق والتواصي

(١) تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني: ٤/ ١٢٩، عن تفسير العسكري: ٢٦٩.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٨/ ٣٠١.

بالصبر[١].

وقال: (رضوان الله تعالى عليه): ((وفي قولهم ﴿إلى رَبِّكُمْ﴾ حيث أضافوا الرب إلى اللائمين ولم يقولوا إلى ربّنا إشارة إلى أن التكليف بالعظة ليس مختصاً بنا بل أنتم أيضاً مثلنا يجب عليكم أن تعظوهم لأن ربكم لمكان ربوبيته يجب أن يُعتذر إليه، ويبذل الجهد في فراغ الذمة من تكاليفه والوظائف التي أحالها إلى عباده، وأنتم مربوبون له كما نحن مربوبون فعليكم من التكاليف ما هو علينا))[٢].

أقول: هذه التفاتة لطيفة وهي تدل على أن الفئة الناجية شملت بوعظها أولئك الساكتين حين ذكروهم بوظيفتهم أمام ربهم، ومنه يُعلَم النظر في وصفه (رضوان الله تعالى عليه) للأمة اللائمة بأنهم ((كانوا أهل تقوى يجتنبون مخالفة الأمر إلا أنهم تركوا نهيهم عن المنكر فخالطوهم وعاشروهم ولو كان هؤلاء اللائمون من المتعدين الفاسقين لوعظهم أولئك الملومون، ولم يجتنبوهم بمثل قولهم ﴿مَعْذِرَةً﴾)).

أقول: يكفي قولهم: ﴿رَبِّكُمْ﴾ لوعظ هؤلاء اللائمين وتذكيرهم بحقوق الربوبية عليهم.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي صمّوا آذانهم عن سماع الموعظة ولم

---

(١) راجع قبس قوله تعالى﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر:٣) في تفسير من نور القرآن.

(٢) وما بعده في الميزان في تفسير القرآن: ٨/ ٣٠٠-٣٠١.

يعد لها أي تأثير فيهم حيث ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾.

وهنا يثار إشكال على استعمال لفظ: ﴿نَسُوا﴾ له تقريبان:

١- إن هؤلاء لم يكونوا ناسين بل كانوا ذاكرين وملتفتين إلى مغبة العمل.

٢- إذا كانوا ناسين فإن الناسي معذور ويقبح عقابه، فلماذا أخذوا بعذاب بئيس.

ونكتفي في الجواب بما قاله السيد الطباطبائي (قدس سره): ((وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ المراد بنسيانهم ما ذكّروا: انقطاع تأثير الذكر في نفوسهم وإن كانوا ذاكرين لنفس التذكر حقيقة فإنما الأخذ الإلهي مسبب عن الاستهانة بأمره والإعراض عن ذكره، بل حقيقة النسيان بحسب الطبع مانع عن فعلية التكليف وحلول العقوبة)).

أقول: أي أنَّ النسيان هنا بمعنى زوال أثر التذكير على النفس فكأنه منسي حيث ساوى وجوده عدمه فلحق بالنسيان في عدم التأثير، وإنما يحصل هذا بالتدريج كما في رواية مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (قال النبي (صلى الله عليه وآله): كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له: ويكون هذا يا رسول الله؟ فقال:

نعم، وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل له: يا رسول الله، ويكون ذلك؟ قال: نعم، وشرٌ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً)[1].

وهذه المراحل من الانحطاط كما ينتكس إليها المجتمع كذلك يرتكس فيها الفرد، فإنه في بداية الأمر له فطرة وضمير يعرف به الحق والباطل والحسن والقبيح فيرتاح إذا فعل الأول ويؤنّبه ضميره إذا فعل الثاني. لكنه بتزيينٍ من الشيطان وضغطٍ من النفس الأمارة بالسوء وعوامل أخرى يخالف هذا الضمير الداخلي من دون أن يصلح ما صدر منه ويعود إلى رشده، بل يتساهل فيه، وحينئذٍ ينتقل إلى المرحلة الثانية عندما تأخذه العزة بالإثم ويكابر ويغالط فيحاول إقناع نفسه بما فعل أو تبريره أو الهروب منه بارتكاب مزيد من الخطأ ومقارفة الخطيئة كمن يهرب من جريمته بشرب المسكر أو بجريمة أخرى ليتناسى جريمته الأولى. ثم تأتي المرحلة الثالثة عندما يسودّ قلبه ويموت ضميره ويُطبع على قلبه ويتحول إلى شيطان فيرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

(١) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب١، ح١٢.

وفي الآية الكريمة دلالات تنفع في الأبحاث الفقهية والأصولية، منها:

١- رد ما قاله الفقهاء من اشتراط احتمال التأثير في المأمور لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الآمر، حيث لم تجعل الآية الكريمة اليأس عن التأثير عذراً فعوقب التاركون لها، فعلى المؤمنين الرساليين الغيورين على الدين والمجتمع أن لا يدخلهم اليأس والإحباط، وأن يستمروا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن لم يجدوا استجابة لفائدتين ذكرتهما الآية:

أولهما: ﴿قَالُوا مَعذِرَةً إلى رَبِّكُم﴾ فهو على الأقل يكون معذّراً لهم أمام الله تعالى، وفيه إتمام للحجة على الآخر، وفيه راحة للضمير وشعور بالإنسانية وأنه كائن حي متفاعل مع الأحداث ولا وجود لليأس في حياتهم لأن رسالتهم محاربة هذه الظواهر السلبية.

ثانيهما: ﴿وَلَعَلَّهُم يَتّقُونَ﴾ إذ أنَّ تكرار الموعظة ربما يؤثر ولو بعد حين على العاصي، لأن التكرار يفسد عليه لذّته بفعل المنكر ويدفعه نحو التراجع والمراجعة، أو يخلق أجواءً اجتماعية ضاغطة على المنكر، ومحفّزة على المعروف، وإنَّ الأمل بالله تعالى موجود على أي حال وهو مدبّر الأمور، ولا شك أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر محسن سواءً أثّر أو لم يؤثر.

٢- عدم تمامية تعريفهم للواجب الكفائي - ومن مصاديقه هذه الفريضة - بأنه إذا قام به بعض سقط الوجوب عن الآخرين، فهنا قام الناجون بالواجب ووعظوا العاصين إلا أنه لم يسقط عن التاركين، فلا بد من إعادة النظر في بيان حقيقة الوجوب الكفائي وقد بحثناه مفصّلاً في القسم الأول من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقلنا هناك إن سقوط الوجوب يتحقق بزوال موضوعه، وما دام موضوعه قائماً فالوجوب مستمر والجميع معاقبون على تركه، فلا بد من حمل كفاية قيام البعض على هذا المعنى.

٣- إعادة النظر في ما يسمّى بالحيل الشرعية واستغلالها للالتفاف على الحكم الشرعي كما في الحادثة التي تعرضت لها الآية الكريمة فإن اليهود مُنعوا من صيد السمك يوم السبت لأنهم أرادوا تعيين يوم في الأسبوع يتفرغون فيه للعبادة ويتوقفون فيه عن أعمالهم - والسبت يعني الانقطاع - عيداً لهم إلا أنهم احتالوا على الحكم بصنع أخاديد وحظائر من القصب على البحر يدخل إليها الماء ويحتجزون فيها السمك يوم السبت ثم يصطادونه يوم الأحد والمفروض أنه شكل من أشكال الصيد ويشمله حكم الحرمة، فلا بد من التفريق بين مثل هذه الحيل وبين الرُخَص التي شرّعها الله تعالى لعباده رحمة وتيسيراً.

وقد حذّر رسول الله (صلى الله عليه وآله) من إيجاد المبررات والمسوِّغات لعدم التناهي عن المنكر فضلاً عن التحايل على فعله فقال (صلى الله عليه وآله) فيما روي

عنه: (لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل)[١].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية فيستحلّون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع)[٢].

فالشريعة وكذلك القوانين التي تنظم حياة المجتمع لا يحميها ولا يضمن تطبيقها كثرة الحراس والمراقبين والشرطة، وإنما التقوى والوازع الداخلي والالتزام الأخلاقي المعبَّر عنه بالضمير، وهذا من الفروق المهمة بين المجتمع القائم على أساس الإسلام وغيره من الأمم المادية.

ولنعرّج على كربلاء بما روي عن الإمام السجاد (عليه السلام) قال: (إن الله تعالى مسخ هؤلاء لاصطياد السمك، فكيف ترى عند الله عز وجل يكون حال من قتل أولاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهتك حريمه، إن الله تعالى وإن لم يمسخهم في الدنيا فإن المعدَّ لهم من عذاب الآخرة أضعاف أضعاف هذا المسخ)[٣].

---

(١) الدر المنثور: ٣/ ٥٩٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة (١٥٦).

(٣) البرهان: ٤/ ١٢٩/ ح٣، عن تفسير العسكري: ٢٦٨، ١٣٦ و١٣٧.

خطاب المرحلة

(٧٥٩)

بشارة الكتب السماوية والأنبياء السابقين (صلوات الله تعالى عليهم أجمعين) بالنبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله)[1]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (الصف:٦).

الحمد هو الثناء على من عنده فضيلة أو منقبة أو مكرمة أو صفة يحمد عليها على نحو التعظيم، وهو مقابل الذم، ويختص بالأمور الاختيارية كحسن الخلق والشجاعة والكرم وفعل المعروف، فهو أخص من المدح الذي يكون في الأمور الاختيارية وغير الاختيارية كصباحة الوجه، وهو أعم من الشكر الذي هو ثناء يجازى به صنيع حسن قُدِّمَ له أو نعمة تفضّل بها عليه - كما في مفردات الراغب والفروق لابن هلال وغيرهما-.

وقيل: إن الشكر يمكن أن يكون أعم من الحمد بلحاظ مورده وكيفيته، قال الجزائري: ((فالحمد أعم مطلقاً لأنه يعم النعمة وغيرها،

(١) قبس من نور القرآن في درس التفسير الأسبوعي الذي يلقيه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) يوم الأربعاء ١٢/ربيع الثاني/ ١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٤/١٠/١٦م.

وأخصّ مورداً إذ هو باللسان فقط، والشكر بالعكس إذ متعلقه النعمة فقط، ومورده اللسان وغيره، فبينهما عموم وخصوص من وجه، فهما يتصادقان في الثناء باللسان على الإحسان، ويتفارقان في صدق الحمد فقط على النعت بالعلم مثلاً، وصدق الشكر فقط على المحبة بالجنان لأجل الإحسان))[1].

أقول: وفيه تأمل: فإن الحمد لا يختص باللسان، ويصدق على القول والفعل، والحال كالتخلق بأخلاق الله تعالى والتحلي بالكمالات[2].

فـ(أحمد) مشتق من الحمد، وهو اسم للنبي (صلى الله عليه وآله) وهو أيضاً صفة له على نحو اسم التفضيل تعبّر عن استحقاقه الحمد والثناء لخصاله الكريمة وأفعاله المحمودة، كما أن (محمد) اسم له (صلى الله عليه وآله) وهو بنفس الوقت وصف له على شكل صيغة مبالغة لكثرة ما يحمد فيه، وقد سماه به جدّه عبد المطلب وأطعم قريشاً في يوم مولده وقالوا له: (ما سميت ابنك هذا؟ قال: سميته محمداً، قالوا: ما هذا من أسماء آبائك، قال: أردت أن يحمد في السماوات والأرض)[3].

---

(١) فروق اللغات لنور الدين الجزائري (ت١١٥٨): ٨٩ بواسطة المعجم: ١٣/ ٧٤٩.

(٢) ممن ذكر ذلك الجرجاني (ت ٨١٦) في التعريفات: ٤١ بواسطة المعجم: ١٣/ ٧٤٧.

(٣) المعجم في فقه لغة القرآن: ١٣/ ٧٤٠، عن ابن دريد صاحب الجمهرة، وأورده في البداية والنهاية لابن كثير: ٣/ ٣٨١ بلفظ يختلف (يا عبد المطلب أرأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه ما سميته؟ قال: سميته محمداً، قالوا: فلم رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال: أردت أن يحمده الله في السماء، وخلقه في الأرض).

وذكر السيد المسيح (صلوات الله وسلامه عليه) هذا الاسم للتعبير عن كونه (صلى الله عليه وآله) أفضل منه ومن جميع الأنبياء السابقين وأولى بالحمد منهم، وإلا لا يكون للبشرى معنى إذا لم يكن كذلك، وذكر جمع من المفسرين أن له وجهين:

١- أنه مبالغة من الفاعل أي الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين) كلهم حمّادون لله عز وجل وهو أكثرهم حمداً لله تعالى.

٢- أنه مبالغة من المفعول، أي أن الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة، وهو أكثر مبالغة وأجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد عليها[1].

وقد بشّر الأنبياء السابقون (صلوات الله عليهم أجمعين) بالنبي (صلى الله عليه وآله) ومنهم الرسولان الكريمان موسى وعيسى(صلوات الله وسلامه عليهما) في التوراة والإنجيل، روى الشيخ الكليني بسند صحيح عن

ونقل المعجم عن عدة مصادر أن أشخاصاً سمّوا محمداً وأحمداً في الجاهلية قبل ولادة النبي (صلى الله عليه وآله)، وأنا استبعد ذلك وإنما هو من وضع الحسّاد، ولو كان هذا الاسم معروفاً لكان بنو هاشم أولى به فكيف تقول قريش لعبد المطلب: ما هذا من أسماء آبائك، ولو سلمناه فإنهم أخذوه من بشارات أهل الكتاب بالنبي (صلى الله عليه وآله) وإخبارهم بقرب زمانه فتفاءلوا أن يكون ابنهم هو الموعود، قال ابن هشام: ((لا يُعرَف في العرب من تسمّى بهذا الاسم قبله (صلى الله عليه وآله) إلا ثلاثة، طمع آباؤهم - حين سمعوا بذكر محمد (صلى الله عليه وآله) وبقرب زمانه، وأنه يبعث في الحجاز - أن يكون ولداً لهم)) (السيرة النبوية: ١/ ١٥٨).

(١) مجمع البيان: ٩/ ٢٤٩، ونقلها في المعجم: ٧٧٥/١٣ عن البغوي في معالم التنزيل: ٨٠/٥ والميبدي في كشف الأسرار: ٨٧/١٠ والفخر الرازي: ٢٩/ ٣١٣.

الإمام الباقر (عليه السلام) قال في حديث طويل (فلما نزلت التوراة على موسى (عليه السلام) بشر بمحمد (صلى الله عليه وآله) وكان بين يوسف وموسى من الأنبياء وكان وصي موسى يوشع بن نون (عليه السلام) وهو فتاه الذي ذكره الله عز وجل في كتابه، فلم تزل الأنبياء تبشر بمحمد (صلى الله عليه وآله) حتى بعث الله تبارك وتعالى المسيح عيسى بن مريم فبشر بمحمد (صلى الله عليه وآله) وذلك قوله تعالى: ﴿..يَجِدُونَهُ (يعني اليهود والنصارى) مَكْتُوباً (يعني صفة محمد (صلى الله عليه وآله) عِندَهُمْ (يعني) فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ..﴾ (الأعراف:١٥٧)، وهو قول الله عز وجل يخبر عن عيسى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ وبشر موسى وعيسى بمحمد (صلى الله عليه وآله) كما بشر الأنبياء (عليهم السلام) بعضهم ببعض حتى بلغت محمداً (صلى الله عليه وآله)[1].

وتصرح الآية الكريمة بأن خلاصة رسالة السيد المسيح (عليه السلام) أمران: تصديق التوراة والبشارة بالنبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله)، وكأنه (عليه السلام) حلقة الوصل بين الرسالات، وأن الدين الذي عليه الأنبياء جميعاً واحد وهو الإسلام.

ولما كانت البشرى تعني حصول المبشَّر على خيرٍ يسرّه، فإن تعبير السيد المسيح (عليه السلام) فيه إشارة بالغة إلى كمال دين الإسلام وما يجلبه

(١) الكافي: ٨/ ١١٧، كمال الدين: ٢١٣/ ح٢، البرهان: ٩/ ٢٨٨/ ح٢.

لأتباعه من الخير والسعادة في الدارين، وهيمنته على جميع الأديان، فيجب على من يدركه أن يتبعه.

والظاهر أن البشارة بالنبي (صلى الله عليه وآله) كانت صريحة وواضحة في الأناجيل الموجودة في زمن النبي (صلى الله عليه وآله)، وإلا كانت أبلغ حجة لهم في تكذيب ما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) خصوصاً نصارى نجران الذين باهلوا النبي (صلى الله عليه وآله) لكنهم انسحبوا مهزومين وكانوا يبحثون عن أي شيء يدينونه به وقد ذكّرهم القرآن الكريم بهذه الحقيقة في أكثر من آية، كقوله تعالى: ﴿النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (الأعراف:١٥٧) وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٤٦) ولم ينقل لنا التاريخ أن أحداً منهم كذّب هذه الحقيقة بل إن بعضهم أسلم حينما سمع بها كعبد الله بن سلام وغيره، روى القمي في تفسيره الآية السابقة (إن عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام: هل تعرفون محمداً في كتابكم؟ قال: نعم والله نعرفه بالنعت الذي نعته الله لنا إذا رأيناه فيكم، كما يعرف أحدنا ابنه إذا رآه مع الغلمان، والذي يحلف به ابن سلام لأنا بمحمد هذا أشد معرفة مني بابني، قال الله: ﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام:٢٠))[1].

(١) تفسير القمي: ١٨٢، بحار الأنوار: ١٥/ ١٨٠/ ح٢.

فخلوّ بعض الأناجيل المحرَّفة الموجودة اليوم من ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) لا يضرّ بصدق نقل القرآن الكريم لهذه الحقيقة، روى الشيخ الصدوق في كتابه العيون بإسناده إلى صفوان بن يحيى قال: (سألني أبو قرة صاحب الجاثليق أن أوصله إلى الرضا (عليه السلام) فاستأذنته في ذلك، فقال (عليه السلام): أدخله عليّ، فلما دخل عليه قبّل بساطه وقال: هكذا علينا في ديننا أن نفعل بأشراف أهل زماننا، ثم قال: أصلحك الله ما تقول في فرقة ادّعت دعوى فشهدت لهم فرقة أخرى معدلون؟ قال: الدعوى لهم قال: فادّعت فرقة أخرى دعوى فلم يجدوا شهوداً من غيرهم؟ قال: لا شيء لهم، قال: فإنا نحن ادعينا أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها فوافقنا على ذلك المسلمون وادعى المسلمون أن محمداً نبي فلم نتابعهم عليه، وما أجمعنا عليه خير مما افترقنا فيه، فقال له الرضا (عليه السلام): ما اسمك؟ قال: يوحنا، قال: يا يوحنا إنا آمنّا بعيسى بن مريم (عليه السلام) روح الله وكلمته الذي كان يؤمن بمحمد (صلى الله عليه وآله) ويبشّر به ويقرّ على نفسه أنه عبد مربوب، فإن كان عيسى الذي هو عندك روح الله وكلمته ليس هو الذي آمن بمحمد (صلى الله عليه وآله) وبشّر به ولا هو الذي أقرّ لله عز وجل بالعبودية

والربوبية فنحن منه بـراء، فـأين اجتمعنـا؟! فقـام وقـال لصـفوان بـن يحيى: قمْ فما كان أغنانا عن هذا المجلس)[١].

وقد وردت في إنجيل برنابا بطبعته المعرّبة[٢] أخيراً، الفصل ٩٧ قال الله (اصبر يا محمد لأني لأجلك أريد أن أخلـق الجنـة والعـالم وجمـاً غفيراً من الخلائق التي أهبها لك حتى أن من يباركك يكون مباركاً ومن يلعنك يكون ملعوناً، ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صادقة حتى أن السماء والأرض تهنان ولكن إيمانـك لا يهن أبداً)[٣] وفي فصل ٢٢٠ (وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمـد رسـول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله).

ووردت نصوص أخرى فـي إنجيـل يوحنـا (الأبـواب ١٤،١٥،١٦ يذكر فيها البشرى ببعثة الفارقليط ويقال إن أصل هذه الكلمة باليونـاني (پيركلتوس) ومعناها الأحمد وهو الممدوح والمجلّل كثيـراً كمـا فـي دائرة المعارف الفرنسـية[٤]، وهـو -كثيـر الحمـد)[٥]، ففـي الإصـحاح

(١) عيون أخبار الرضا: ٢/ ٢٥٤، باب٥٦/ ح١.

(٢) نقل المرحوم الصادقي في (تفسير الفرقان: ٢٨/ ٢١٥ النصوص الأصلية بالسريانية المترجمة عن الأصل اليوناني مع تفاصيل تاريخية وله كتاب بعنوان (رسول الإسلام في الكتب السماوية).

(٣) نقلناها بواسطة التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٢/ ٣٣٠ وقال عن هذا الإنجيـل: ((وهـو من أحسن الكتب في المعارف والأخلاق ولطائف الحقائق الإلهية)).

(٤) المترجمة: ٢٣/ ٤١٧٦ نقلها عنه في تفسير الأمثل: ١٤/ ١٦١.

(٥) نقلناها بواسطة (التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٢/ ٣٢٩).

الخامس عشر (وأما الفارقليط روح القدس يرسله أبي باسمي ويعلمكم ويمنحكم جميع الأشياء وهو يذكّركم ما قلت لكم) (وإني قد خبّرتكم بهذا قبل أن يكون حتى إذا كان ذلك تؤمنون)[١]، قال في دائرة المعارف الفرنسية: (لكنهم وضعوا بدلاً عنها لفظ (پاراكلتوس) اشتباهاً، حيث ترجمت في الطبعات العربية بـ(المعين) فورد في إنجيل يوحنا (وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معيناً آخر ليمكث معكم إلى الأبد)[٢] وجاء في الباب الذي بعده (ومتى جاء المعين الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي)[٣].

ومن خلال هذه البشرى يعلّمنا السيد المسيح دروساً أخلاقية في الإنصاف والموضوعية وقول الحقيقة والاعتراف للآخرين بالفضل وعدم التحاسد.

---

(١) نقلت جملة من التفاسير هذه النصوص ومنها تفسير الفخر الرازي: ٢٩/ ٣١٣ والمعجم: ١٣/ ٧٧٥.

(٢) تفسير النور: ٩/ ٥٩٤، عن إنجيل يوحنا، باب ١٤، جملة ١٦، وفي تفسير الأمثل والتحقيق ترجمت إلى الفارسية بالمعزّي والمسلّي.

(٣) إنجيل يوحنا، باب ١٥، جملة ٢٦.

ولعل العبارة الأخيرة هي ما ذكره الإمام الرضا (عليه السلام) للجاثليق من الإنجيل قال (عليه السلام): (يا نصراني هل تعرف في الإنجيل قول عيسى (عليه السلام): إني ذاهب إلى ربكم وربي، والبار قليطا جاء هو الذي يشهد لي بالحق كما شهدت له) (عيون أخبار الرضا: ١/ ١٤٥).

وكان النبي (صلى الله عليه وآله) معروفاً بالاسمين منذ ولادته، وروى الحلبي في السيرة النبوية أن جده عبد المطلب سمّاه محمد وسمّته أمّه أحمد[١].

وقد ضَمّن أبو طالب (رضوان الله تعالى عليه) عم النبي (صلى الله عليه وآله) هذا الاسم في شعره الداعي إلى نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن ذلك قوله:

وقالوا لأحمدَ أنت امرؤ خلوف اللسان ضعيف السبب[٢]

ألا إن أحمد قد جاءهم بحقٍ ولم يأتهم بالكذب

وقوله مخاطباً الحمزة والعباس وجعفراً وعلياً (عليهم السلام) يوصيهم بنصرة النبي (صلى الله عليه وآله):

كونوا فدى لكم أمي وما ولدت في نصر أحمد دون الناس أتراسا[٣]

وقوله في بشارة الأنبياء السابقين:

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمداً نبياً كموسى خُطّ في أول الكتب[٤]

وأجابه ولده علي بن أبي طالب (عليه السلام):

---

(١) السيرة الحلبية: ١/ ٩٣- ١٠٠.

(٢) تفسير مجمع البيان: ٤/ ٤٤٥، أورده ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة: ١٤/ ٦١.

(٣) تفسير مجمع البيان: ٤/ ٢٩-٣٣.

(٤) تفسير مجمع البيان: ٤/ ٢٩-٣٣.

أتأمرني بالصبر في نصر أحمـدٍ ووالله ما قلت الـــذي قلتُ جازعا
سأسعى لوجه الله في نصر أحمدٍ نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعا[١]

وذكر ذلك جعفر بن أبي طالب (رضوان الله عليه) لملـك الحبشـة قال: (إن الله بعث فينا رسوله، وهو الرسول الذي بشّر به عيسى بن مريم ﴿بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾)[٢].

ونظم جدّي المرحوم الشيخ محمد علي اليعقوبي هذه البشـائر فـي قصيدته بمناسبة المولد النبوي الشريف ومنها قوله:

نطقت به التوراة قبل وبشرَّ الانجيـــــل فيه وصدّق الفرقان
صدعت به الرسل الكرام ودينه جاءت مبشرة به الأديان[٣]

(١) الغدير: ٧/ ٣٥٨، الأمثل: ١٤/ ١٦٣.
(٢) الدر المنثور: ٨/ ١٤٨.
(٣) ديوان الذخائر: ٥.

ملحق: أهمية الأسماء وآثارها الاجتماعية والنفسية وآدابها

ومن تكفّلِ الله تعالى بنفسه تسمية النبي (صلى الله عليه وآله) قبل ولادته، واختياره لأجمل الأسماء وأجمعها للكمالات نستلهم درساً في أهمية اختيار الأسماء الحسنة، وضرورة الالتفات إلى هذه القضية المغفول عنها، لما لها من آثار وتداعيات على النفس والمجتمع، وعدم التهاون في مراعاة الآداب الشرعية فيها.

روى الكليني بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (استحسنوا أسماءكم فإنكم تدعون بها يوم القيامة: قم يا فلان بن فلان إلى نورك، وقم يا فلان بن فلان لا نور لك)[1]، ومن وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): (يا علي حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأدبه)، وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: (أول ما يبرّ الرجل ولده أن يسميه باسم حسن فليحسن أحدكم تسمية ولده).

وروى في قرب الإسناد (أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يغيّر الأسماء القبيحة في الرجال والبلدان)، وقد أمر الإمام الكاظم (عليه السلام) بمحضر أبيه الإمام الصادق (عليه السلام) رجلاً من أصحابه أن يغير اسم ابنته وقال له: (اذهب فغيّر اسم ابنتك التي سميتها أمس فإنه اسم يبغضه الله) وكان قد

(١) هذا الحديث وكل الأحاديث التالية وغيرها موجودة في وسائل الشيعة: ٣٨٧/٢١-٤٠١، أبواب أحكام الأولاد، الأبواب ٢١-٣٠.

سمى ابنته الحميراء فقال الإمام الصادق (عليه السلام) (انته إلى أمره ترشد، قال الراوي: فغيّرتُ اسمها).

وذكرت الروايات جملة من الأسماء المبغوضة لأنها تذكّر بأعداء أهل البيت (عليهم السلام)، وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: (إن الشيطان إذا سمع منادياً ينادي يا محمد أو يا علي ذاب كما يذوب الرصاص) و(إن الشيطان إذا سمع منادياً ينادي باسم عدوّ من أعدائنا اهتزّ واختال).

وكره الأئمةُ (عليهم السلام) أن يذكر أحد باسمه أو كنيته إذا كان يكرههما، فقد أنشد أحد أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) أبياتاً فسأله لمن؟ قال لأبي العتاهية فقال (عليه السلام): (هاتِ اسمه ودع عنك هذا، إن الله عز وجل يقول ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ (الحجرات:١١) ولعل الرجل يكره هذا).

وقد حثّ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) على اختيار الاسم قبل الولادة، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (سموا أولادكم قبل أن يولدوا، فإن أسقاطكم إذا لقوكم في القيامة لم تسموهم يقول السقط لأبيه: ألا سمّيتني وقد سمّى رسول الله (صلى الله عليه وآله) محسناً قبل أن يولد) وقالوا (صلوات الله عليهم): (أصدق الأسماء ما سمي بالعبودية وأفضلها أسماء الأنبياء)، وروى أمير المؤمنين (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (ما من أهل بيت فيهم اسم نبي إلا بعث الله عز وجل إليهم ملكاً يقدسهم بالغداة والعشي).

وجعلوا من العقوق عدم التسمية بمحمد، فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (من ولد له أربعة أولاد لم يسمِّ أحدهم باسمي فقد جفاني) وفي رواية أخرى حددهم بثلاثة.

وكان الأئمة (عليهم السلام) يحترمون هذا الاسم ويقدسونه ويتواضعون إجلالاً له، روى أبو هارون الجعدي قال: (كنت جليساً لأبي عبد الله (عليه السلام) بالمدينة ففقدني أياماً، ثم إني جئت إليه فقال: لم أرك منذ أيام يا أبا هارون؟! فقلت: ولد لي غلام، فقال: بارك الله لك، فما سميته؟ قلت: سميته محمداً، فأقبل بخده نحو الأرض وهو يقول محمد محمد محمد، حتى كاد يلصق خده بالأرض، ثم قال: بنفسي وبولدي وبأهلي وبأبوي وبأهل الأرض كلهم جميعاً الفداء لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، لا تسبه، ولا تضربه، ولا تسئ إليه، واعلم أنه ليس في الأرض دار فيها اسم محمد إلا وهي تقدس كل يوم)[1].

وفي رواية أخرى أنَّ من أسمه محمد له كرامة وشفاعة يوم القيامة، وهكذا ورد استحباب التسمية بأسماء أهل البيت (عليهم السلام)، وإن فيها أجراً لأن دافعها الحب والمودّة، روى العياشي في تفسيره أنه (قيل لأبي عبد الله (عليه السلام): جعلت فداك، إنا نسمّي بأسمائكم وأسماء آبائكم فينفعنا ذلك؟ فقال: إي والله، وهل الدين إلا الحب، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن

(١) وسائل الشيعة: ٢١/ ٣٩٣/ ح٤.

كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ..﴾ (آل عمران:٣١))[١].

ويستحب تسمية البنات باسم السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، فقد ورد أن الفقر لا يدخل بيتاً فيه اسم فاطمة من النساء، ومحمد وأحمد وعلي والحسن والحسين وجعفر من الرجال[٢].

وكان لاسم فاطمة وقع خاص في قلوب أبنائها المعصومين (عليهم السلام) وشيعتها ومحبيها، يمتزج فيه التعظيم والإجلال بالحرقة واللوعة روى السكوني قال: (دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) وأنا مغموم مكروب فقال لي: يا سكوني ما غمّك؟ فقلت: ولدت لي ابنة، فقال: يا سكوني، على الأرض ثقلها وعلى الله رزقها تعيش في غير أجلك وتأكل من غير رزقك، فسرّى والله عني، فقال: ما سميتها؟ قلت: فاطمة، قال: آه آه آه، ثم وضع يده على جبهته - إلى أن قال: - ثم قال: قال لي: أما إذا سميتَّها فاطمة فلا تسبَّها ولا تلعنْها ولا تضربْها)[٣].

(١) سفينة البحار: ٤/ ٢٩٥.

(٢) بحار الأنوار: ١٠٤/ ١٣٠.

(٣) وسائل الشيعة: ٢١/ ٤٨٢.

خطاب المرحلة
(٧٦٠)

التعري أبرز سمات المجتمع الجاهلي والمطرودين من الجنة[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:٢٧).

كرّر القرآن الكريم التحذير الشديد من الافتنان بخدع الشيطان ومكره وإغرائه وخططه التي تخفى حتى على الفطن الحاذق، وغرضه اخراجكم من جنة طاعة الله تبارك وتعالى وسعادتها، وذلك بأن يجعلكم تتخلّون عن لباسكم الظاهري بنشر التعري ولباسكم الباطني بتجريدكم من التقوى والعفاف حيث ورد في الآية السابقة ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف:٢٦).

واقترنت بعض هذه التحذيرات بشواهد من الوقائع والأحداث لتكون أبلغ في الحجة وأوضح في الوعظ والإرشاد، ومنها هذه الآية الكريمة التي أوردت حادثة غواية إبليس لآدم (عليه السلام) وزوجه، وقد

(١) من درس التفسير الأسبوعي الذي يلقيه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على طلبة البحث الخارج في مكتبة في النجف الأشرف يوم الأربعاء ٣/جمادي الأولى/١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٤/١١/٦م.

تعرض القرآن لهذه الواقعة في عدة مواضع (البقرة:٣٦-٣٧) (الأعراف:١٩- ٢٧) (طه:١١٥-١٢٣).

وخلاصتها بحسب السرد القرآني بضم الآيات الكريمة بعضها إلى بعض: أن الله تبارك وتعالى خلق آدم (عليه السلام) من طين ونفخ فيه من روحه وأمر ملائكته بالسجود له ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر:٢٩) فأطاعوا، إلا إبليس الذي كان في زمرة الملائكة فإنه استكبر وعصى الأمر ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:٣٤) فطُرِد من الجنة.

وخلق الله تعالى لآدم امرأة وزوّجه إياها، وأسكنهما الجنة وأباح لهما نعيمها ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (الأعراف:١٩) ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (البقرة:٣٥)، وتعهد الله تعالى لآدم وزوجه بتوفير كل أسباب السعادة في الجنة ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ، وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ (طه:١١٨-١١٩).

وانتقاماً لنفسه واستمراراً على استكباره وتمردّه، فقد أقسم إبليس حينئذٍ على أنه سيفعل كل ما يستطيع لغواية آدم (عليه السلام) وإضلال ذريته وصدّهم عن طاعة الله تعالى، لحرمانهم من الجنة كما حُرِم هو لعنه الله.

ومنع الله تعالى آدم وزوجه من الاقتراب من شجرةٍ أشار إليها لأن ذلك يسبّب لهما الشقاء والعناء، ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ

الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف:١٩ - البقرة:٣٥) وحذّرهما من غواية الشيطان فإنه عدو لهما ويريد إخراجهما من الجنة ونعيمها، والابتلاء بالأرض وشقائها ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (طه:١١٧) وبذلك فإنكما تظلمان نفسيكما بحرمانها من الخير.

وعلم إبليس أن مفتاح نجاحه هو بإقناعهما بالأكل من الشجرة حتى تبدو لهما سوأتهما التي كانت خافية عنهما وحينئذ سيخرجان من الجنة، لأن الجنة ليست مكاناً لمن كشف عن سوأته وأبداها ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾ (الأعراف:٢٠).

وحرك إبليس أدواته لغوايتهما وإقناعهما بالأكل من الشجرة ولم ييأس من النجاح، فدخل إليهما من باب النزعة الغريزية الجامحة للخلود، والتسلط على الأشياء والقدرة الخارقة والاطلاع على الغيب كالملائكة، وحب الاستطلاع الذي يدفع نحو الفضول والتطفل، ومنبعها الحرص الذي هو أساس التعلق بكل الأمور الدنيوية ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ (طه:١٢٠) وبرّر لهم مخالفة النهي بأنه لم يكن لضرر عليهما ولا لمعرّةٍ تصيبهما وإنما هو فقط لكي لا تكونا من الخالدين فلا مانع من ارتكابه ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (الأعراف:٢٠).

وعزّز اللعين مساعيه بأن أقسم بالله تعالى على ذلك، ولم يَدُر في خَلَد آدم وزوجه أن يقسم أحد بالله تعالى كاذباً ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف:٢١) واستعمل أساليب الإغراء ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ (الأعراف:٢٢) وخديعة وإيهام بإثارة الميول الغريزية والقسم على الصدق، وفي التعبير إشارة رائعة لاستسلامهما له بحيث أصبحا آلة سهلة بيده كالدلو الذي يرسله صاحبه في البئر العميقة، وقد فعل إبليس ذلك حيث أهبط آدم (عليه السلام) وزوجه من الجنة إلى الأرض ليكابد الشقاء والابتلاء، وهكذا من يستسلم لوساوس الشيطان فإنه كمن يتدلى في بئر عميقة ويتثبت بحبل ضعيف.

وبعد عدة محاولات تذكرها الروايات[1] نجح إبليس في غوايتهما ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ (البقرة:٣٦) بسبب استسلامهما لوعود إبليس وتسويلاته، والغفلة عن المعرفة الحقيقية بأن الله تعالى هو من يهب الحياة الخالدة والملك الدائم وليس الأكل من الشجرة، وما الأشياء الأخرى إلا أسبابٌ بتدبيره سبحانه وعدم الالتفات إلى تحذيرهما من إبليس وأنه عدّو مبين لهما فكيف يكون من الناصحين؟ وكيف يصدقان قوله؟ وتزلزل عزم آدم على الصدق والثبات على العهد مع الله تبارك وتعالى ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (طه:١١٥).

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري: ٢٢١، البرهان: ١٤٢/١-١٤٣.

وحينئذٍ وقع المحذور فقد ارتكب آدم (عليه السلام) ما كان ينبغي له تركه رحمة بنفسه وتحرّياً لسعادتها ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه:١٢١) وتفاجئا ببدوّ سوآتهما الظاهرية التي كانت مستورة عنهما، والباطنية وهو النقص والاستسلام للهوى والشعور الكاذب بالعصمة من الخطأ حين أسجد الله تعالى له ملائكته، وشعرا بالخجل وحاولا سترهما لأن غريزة الإنسان تدفعه فطرياً الى ذلك ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ (الأعراف:٢٢) لستر عورتهما الظاهرية وجاءهما العتاب من الله تبارك وتعالى ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (الأعراف:٢٢) وبظهور سوأتهما لم يعودا مؤهلين للبقاء في الجنة، فجاءهما الأمر من الله تعالى بالخروج من الجنة وتحوّل القرب إلى بُعد لقوله تعالى ﴿وَنَادَاهُمَا﴾ والنداء هو للبعد، ولأنه قبل المخالفة فيها قيل لهما ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ وبعد المخالفة ﴿تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ وأُمِرا بالنزول إلى الأرض ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (البقرة:٣٦) ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ (البقرة:٣٦) بكل ما تعني الحياة في الأرض من تحاسد وتنافس وتزاحم يؤدي إلى الصراع والعدوان والظلم ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة:٣٦ - الأعراف:٢٤).

وأدرك آدم (عليه السلام) وزوجه الخذلان الذي أصابهما واعترفا بخطأهما، وطلبا من الله تعالى بصدق العفو والمغفرة والرحمة لستر

عورتهما الباطنية ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف:٢٣).

فاستجاب الله التواب الرحيم الشفيق دعاءهما ولم يخذلهما ويتركهما لنفسيهما، بل علّم آدم أسماءً[1] يتوسل بها إلى الله تبارك وتعالى ليقبل توبته، ففعل بصدق وإخلاص وتوسل آدم لربه بتلك الأسماء العزيزة على الله تعالى فتاب الله عليه ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة:٣٧) واصطفاه وجعله نبياً ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (طه:١٢٢)، وكتب الله تعالى عليهما وذريتهما التكليف المبني على الحرية والاختيار ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:٣٨- ٣٩) ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ (الأعراف:٢٥).

---

(١) ورد في عدة روايات أنها أسماء النبي محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله تعالى عليهم أجمعين) (البرهان: ١/ ١٥٣-١٥٨ ٢،٥،٦،١٠،١١- ١٧ عن الكافي: ٨/ ٣٠٥ ذيل الحديث ٤٧٢ وروى نحوه ابن المغازلي في المناقب: ٦٣/ ح٨٩، الدر المنثور: ١/ ١٤٧، ينابيع المودة: ٦٧ والعياشي: ١/ ٤١/ ح٢٧،٢٨ والتفسير المنسوب للعسكري (عليه السلام): ٢٢٤/ ح١٠٥/ ١٠٦ وفي بعضها أن الكلمات (لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي وأنت خير الغافرين، لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سواء وظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني وأنت أرحم الراحمين، لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم) (روضة الكافي: ٣٠٤/ ح٤٧٢).

ونبيّن هنا بعض الأمور:

١- ثبت بالأدلة النقلية والعقلية أن الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين) معصومون لا تصدر منهم الصغائر فضلاً عن الكبائر، ولا يصدر منهم الزلل سهواً ولا غفلة ولا جهلاً فضلاً عن العمد في كل أفعالهم وحالاتهم، لذا حمل مشهور العلماء قوله تعالى ﴿وَعَصَى﴾، ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ على ترك الأولى والأرشد والأفضل له، وأنّ النهي في الآيات الكريمة محمول على التنزيه والإرشاد لما فيه مصلحة آدم وزوجه، وعليه فالمعصية هنا ليست بمعناها الاصطلاحي أي الذنب، وتكون توبة آدم من فعل المرجوح والمفضول وترك الراجح والأفضل.

٢- لم تبيّن الآيات الكريمة ما هي هذه الشجرة التي نهى الله تعالى عنها لعدم مدخليتها في الغرض المراد من الآيات الكريمة، فلا داعي لإيراد الروايات التي تحدّدها خصوصاً وأن أكثرها ضعيفة السند.

وقيل: إنها كانت رمزاً ومظهراً للدنيا كما كانت تظهر الدنيا للمعصومين (عليهم السلام) على صورة امرأة حسناء في الحوادث المرويّة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام)، فالميل إليها والأكل منها من التعلق بالدنيا، الذي يوجب الشقاء والتعب والنكد ﴿فَتَشْقَى﴾ وهو ممنوع على خلفاء الله تعالى في أرضه.

وورد في بعض روايات التأويل عن الإمام العسكري (عليه السلام) أن المراد بها (شجرة العلم، فإنها لمحمد وآله خاصة دون غيرهم ولا يتناول

منها بأمر الله إلا هم، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّـجَرَةَ﴾ (البقـرة:٣٥) تلتمسان بذلك درجة محمـد وآل محمـد (صـلوات الله تعـالى علـيهم أجمعين) وفضلهم فإن الله تعالى خصّهم بهذه الدرجة دون غيرهم، وهي الشجرة التي من تناول منها بإذن الله أُلهِم علم الأولين والآخرين من غير تعلم، ومن تناول منها بغير إذن خاب عن مراده وعصى ربـه)[1] وظلـم نفسه لأنه حمّلها ما لا تطيق وادعى منزلة بغير حق وانكشفت له سـوأته أي نقصه وعجزه عن بلوغ درجـة أكمـل الخلـق (صـلوات الله تعـالى عليهم أجمعين).

٣- ورد في أكثر من روايـة فـي الكـافي أن الله تعـالى (نهـى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك، ولو لـم يشـأ أن يـأكلا لمـا غلبت مشيئتهما مشيئة الله، وأمر أبراهيم أن يذبح إسماعيل ولم يشـأ أن يذبحه، ولو شاء ذبحه لما غلبت مشـيئة إبـراهيم مشـيئة الله تعـالى)[2] فتعلقت مشيئة الله تعالى بهبوط آدم (عليه السلام) إلـى الأرض، لأن دار الـدنيا مع ما فيها من المشقة والعناء والألم إلا أنها دار التكامل والارتقاء، ولـم ينل آدم مقام الاجتباء والاصطفاء إلا بعد هبوطه إلى الأرض، فالإنسـان خلق ليمارس وظيفته في خلافـة الله تعـالى علـى الأرض، لكـن عبـر مراحل بدأت ببيان فضله ومنزلته بأمر السجود لآدم وإسكانه الجنة، ثـم

(١) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ٢٢١، البرهان: ١/ ١٤٢/ ح١.

(٢) الكافي: ١/ ١١٧/ ح٣-٤.

النهي عن الاقتراب من الشجرة والأكل منها حتى تبدو سوأتهما إذا ارتكبا المخالفة فيهبطا إلى الأرض، فمصلحة النهي في الجعل وليس المجعول كما يقال في المصطلح نظير الأمر بذبح إسماعيل (عليه السلام)، وفي رواية تفسير القمي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (فلمّا أسكنه اللّه الجنّة وأباحها له إلاّ الشّجرة لأنّ الله تعالى خلق خلقةً لا تبقى إلاّ بالأمر والنّهي والغذاء واللّباس والإسكان والتّناكح. ولا يدرك ما ينفعه ممّا يضرّه إلاّ بالتّوقيف)[1] أي بالنص الشرعي والتعبد به والوقوف عليه.

٤- في معنى (السوأة) قال الخليل: ((السوء: نعت لكل شيء رديء، وأساء فلان أي قبح صنعه، والسوأة كل عمل وأمر شائن، والسوأة فرج الرجل والمرأة)) وقال في وجه جمع (سوءات) في الآية ((لأن العرب إذا أرادوا شيئين من شيئين من خلقةٍ في نفس الشيء نحو القلب واليد، قالوا: قلوبهما - في قوله تعالى ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (التحريم:٤) - وأيديهما ونحو ذلك)) وقال الصاحب: ((السوء الاسم الجامع للآفات والداء)) وقال الراغب: ((السوء كل ما يغمّ الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجية من فوات مال وجاه وفقد حميم)) وقال أبو هلال: ((الفرق بين السوء والقبيح: أن السوء مأخوذ من أنه يسوء النفس بما قربّه لها وقد يلتذ بالقبيح صاحبه كالزنا وشرب الخمر والغصب)) وقال ابن الأثير: ((السوأة في الأصل: الفرج،

(١) تفسير القمي: ١/ ٤٣.

ثم نقل إلى كل ما يستحيا منه إذا ظهر من قول أو فعل)) وقال المصطفوي: ((السيء ما يكون غير مستحسن في ذاته، سواء كان في عمل أو موضوع أو حكم أو أمر قلبي أو معنوي أو غيرها))[1].

والخلاصة: أن إطلاق السوأة على الفرج لأنه مما يقبح إظهاره، وتوجب الهم والغم إذا أطلع عليها الناس.

وفي الآيات الكريمة دلالات وعبر:

١- أن فتنة الشيطان عظيمة فلا بد أن يكون الحذر والترقب بمستواها، وأن قدراته على الإغواء والإضلال ضخمة، فهو من أول لحظة لممارسته تهديده بإغواء بني آدم كان يمتلك كل هذه المعلومات عن طبيعة الإنسان وغرائزه وميوله وطرق إغوائه، قال تعالى ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف:٢٧) والعدو غير المرئي تكون مواجهته صعبة جداً مع امتلاكه العدد والعدّة اللازمة لعمله، قال تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ (الإسراء:٦٤) وفي الحديث الشريف (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)[2] وقد نجح في إغراء أبينا آدم (عليه السلام) مع الإمكانيات العظيمة التي هيّأها الله تعالى له والتحذيرات الشديدة، فكيف بالناس

(١) نقلناها عن مصادرها بواسطة (المعجم في فقه لغة القرآن: ٣٦/ ٣٥٦ وما بعدها).

(٢) بحار الأنوار: ٦/ ١٨، الكافي: ٢/ ٤٤٠ بلفظ آخر: (عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إن آدم (عليه السلام) قال: يا رب سلطت علي الشيطان وأجريته مني مجرى الدم).

اليوم وقد ازدادت خبرة إبليس وشياطينه وكثرت عدّتهم وعددهم وتعرفوا على مداخل الإنسان أكثر أعوذ بالله تعالى منه ومن شياطينه، لكن الذي يهوّن الخطب أنه ليس له سلطان إلا بالوسوسة وحديث النفس ولا يغتّر به إلا الذين دخلوا في ولايته ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:٢٧)، أما المؤمنون فهم داخلون في ولاية الله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (محمد:١١).

٢- بناءً على أن المنهي عنه أولاً وبالذات هو الأكل من الشجرة لذا ترتبت النتيجة وهي الهبوط إلى الأرض عليه، لكن النهي تعلق بالاقتراب من الشجرة، وهذا يعني أن المطلوب ليس تجنب نفس المعصية فقط بل كل ما يؤدي إليها ويغري بها من المقدمات وإن كانت جائزة، ولا يخدع الإنسان نفسه بأنه بعيد عن المعصية وأنه يستطيع مسك زمام نفسه ولا يقع فيها، فإن الشيطان سيجرّه إليها بعد ذلك، كمن يزعم أن محادثته على (الخاص) مع امرأة أجنبية هو لتعليمها المسائل الشرعية، أو مباحثة الدروس العلمية في الجامعة، أو مناقشة شؤون العمل، ولا يلبث أن يجدا نفسيهما قد وقعا في العلاقة المحرّمة وغيرها من الأمثلة التي ذكرناها في خطاب سابق[١].

(١) تقدم في خطاب رقم (٧٤٣) بعنوان: (احذر خدع الشيطان من أول خطوة).

لذا حذّر المعصومون (عليهم السلام) من الاقتراب من المعصية كما ورد في الحديث الشريف: (إن لكل ملك حمى، وحمى الله محارمه، فمن رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه) [1].

٣- أن الله تعالى يريد بأوامره ونواهيه تحقيق السعادة والخير للإنسان، ولكن الإنسان يظلم نفسه فيختار حياة العناء والمشقة بمخالفته لما يريده الله تعالى وعدم التزامه بما عاهد الله تعالى عليه وإنه تبارك وتعالى لم ينهه عن شيء – كالأكل من الشجرة – إلا بعد أن أمّن حاجاته كلها من الحلال ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ (طه: ١١٨) فارتكاب الأشياء المحرمة حينئذٍ فيه ظلم كبير ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

٤- إن الله تعالى لم يتدخل لمنع إبليس من غواية آدم (عليه السلام) وجبره على عدم الوقوع في المخالفة لعدة فوائد:

أ- ليعرف آدم (عليه السلام) عدوه الحقيقي وليتعرف على طريقته في الخداع والمكر وأدوات عمله قبل النزول إلى الأرض ودخول ساحة الصراع الفعلية معه.

ب-ليتعلم ما يجب وما لا يجوز، وما ينبغي وما لا ينبغي عند نزوله إلى الأرض أما الجنة فهي ليست دار التكليف.

ت-ليرى بعين اليقين العاقبة الوخيمة لمعصية الله تعالى والخروج عن زي العبودية حيث يطرد من الجنة ويحرم السعادة ويبتلى بالشقاء.

---

(١) وسائل الشيعة: ٢٧/ ١٦٧/ ح٣٣٥٠٧، عن تفسير جوامع الجامع: ٣٥.

ث-لتثبيت سنة الاختيار وأن الإنسان يقرر مصيره بإرادته لذلك فهو مسؤول عنه، وإن النهي عن الشجرة كان لاختبار الطاعة.

ج- عدم الاتكال على النفس والثقة المطلقة بحصانتها من الخطأ، والتجرد من العُجُب والكبر، ولا بدية الاعتصام بالله تعالى والتوكل عليه وطلب تأييده.

٥- إن الأرض وما عليها من الحياة الدنيا هي دار التكامل ومزرعة الآخرة، فلا بد لمن يريد الكمال والمقام الرفيع عند الله تعالى أن يخوض التجربة فيها، وإن كان فيها مشقة وعناء فليصبر الإنسان على ما يلاقيه لهذا الغرض، أما الجنة فهي دار التنعّم بكرامة الله تعالى وليس فيها تكليف، لذا كانت الدنيا بما تتضمنه من طاعة الله تبارك وتعالى أحبَّ إلى أولياء الله من الجنة، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (الجلسة في الجامع خير لي من الجلسة في الجنة، فان الجنة فيها رضا نفسي، والجامع فيه رضا ربي)[1].

٦- على الإنسان أن لا يثق بوعود إبليس وتسويلاته التي تلائم شهوات النفس الأمارة بالسوء ولا يسترخي للأحلام الوردية التي يصورها له ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ (الحديد:١٤) ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ (الأنفال:٤٨) بل لا بد أن ينظر في الأمور بالحكمة ودراسة العواقب.

---

(١) إرشاد القلوب- الديلمي: ٢١٨/٢.

٧- إن إبليس وشياطينه من الجن والإنس ركزّوا في إغوائهم للناس على نزع لباس الستر والعفاف والحياء المادي بالتعري والكشف عمّا أوجب الله تعالى ستره، والمعنوي بارتكاب المعاصي وهتك لباس العفاف والحياء والورع ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف:٢٦) ليحرمهم من جنة النّعيم والسعادة التي تتحقق بطاعة الله تعالى والحياة في رعايته ليسقط إنسانيتهم ويحوّلهم إلى حيوانات همها إشباع الغرائز وتلبية الشهوات التي لا تقف عند حد ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٢٧).

إن أبرز سمات الفرد العاصي لله تعالى والمجتمع الجاهلي البعيد عن شريعة الله تعالى هو انكشاف السوأة بكل معانيها وفقدان العفّة، وقد بالغت المجتمعات الفاسقة في هذا المجال وتتسابق في كشف العورات ولم يتبقَّ لها ذرة من عفةٍ أو حياءٍ، وامتهنوا هذا الانحطاط وجعلوه سلعة لتمرير مشاريعهم الشيطانية، فهي حاضرة في الإعلانات التجارية وفي المسابقات الرياضية والفعاليات الفنية بل في سائر مظاهر الحياة.

وهم يتهمون المؤمنين بالتخلف وهم في الحقيقة أهل التخلف لأن العري كان سمة الأجيال الأولى من البشر غير المتحضّر قبل أن يتعلم أي شيء ثم لما رشد الإنسان اعتنى بالملابس للستر والتجمل والوقاية من الأضرار المتنوعة ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ (النحل:٨١).

وإذا أردنا أن نتقدم خطوة باتجاه تأويل الآية الذي أوردناه في الروايات، وأنَّ الأكل من الشجرة الموجب لانكشاف السوأة هو عدم مراعاة فروض الولاية لأهل البيت (عليهم السلام) الذين منهم يؤخذ الإسلام المحمدي الأصيل، فإن الولاية تؤدي إلى العفّة، والعفّة تؤدي إلى الولاية، وإن الشخص يحرم من نعمة الولاية بمقدار نقص العفاف عنده وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يدعو الناس إلى الالتزام بالعفاف ليلحقوا به قال (عليه السلام): (فأعينوني بورع واجتهاد وعفةٍ وسداد)[١] وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (إنما شيعة علي من عف بطنه وفرجه، واشتد جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر)[٢] وركّز دعاء الإمام الحجة (عليه السلام) في زمن الغيبة الكبرى على اتصاف النساء بها (وعلى النساء بالحياء والعفة)[٣].

وأن مبغض أمير المؤمنين (عليه السلام) وناصب العداوة له متهم في طهارة مولده وبعيد عن السلوك العفيف، وتنطبق هذه النتيجة على ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا ثلاثة، ولد زنا ومنافق ومن حملت به أمه وهي حائض)[٤] وأحوال

(١) نهج البلاغة: ٣/ ٧٠، بحار الأنوار: ٤٠/ ٣٤٠.

(٢) الكافي: ٢/ ٢٣٣/ ح٩.

(٣) مصابيح الجنان: ١٧١، عن مصباح الكفعمي.

(٤) علل الشرائع: ٥٨.

الذين أسسّوا النصب والعداء لأمير المؤمنين (عليه السلام) تثبت ذلك، وسعوا إلى غلق أبواب العفّة كالمنع من الزواج المؤقت ليقع الناس في الزنا، وليكثر المعادون لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وهكذا كان قتلة[1] الأنبياء (صلوات الله تعالى عليهم أجمعين).

وعندما وقف الإمام السجاد (عليه السلام) في مجلس يزيد وهو يعرّف نفسه ومما قال (عليه السلام): (أنا ابن قليلات العيوب، نقيات الجيوب)[2] فإنه (عليه السلام) كان يعرّض بأعداء أهل البيت (عليهم السلام) الذين عُرِفوا بالفضائح والموبقات.

(١) خذ مثلاً عاقر ناقة صالح، وقاتل النبي يحيى بن زكريا (صلوات الله عليهما) وعبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد علاقة خائنة مع (قطام).

(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٥٦.

خطاب المرحلة
(٧٦١)

الإعداد للعمل علامة على صدق الراغب فيه[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ، لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (التوبة:٤٦-٤٧).

قاعدة من قواعد العمل الصادق المخلص تبيّنها الآية الكريمة من خلال أحد فصول غزوة تبوك التي وقعت في السنة التاسعة للهجرة بعد فتح مكة[٢]، فقد نقل التجّار القادمون من الشام أن هرقل الروم قد حشد جيشاً كبيراً في الشام يريد غزو المدينة للقضاء على الإسلام والمسلمين وانضمت إليه القبائل الشامية، فأمر النبي (صلى الله عليه وآله) أصحابه بالتهيؤ للخروج إلى تبوك وبعث إلى القبائل حوله وإلى مكة وإلى من أسلم من القبائل العربية فحثّهم على الخروج إلى الجهاد في خطبة مؤثرة، فَرَغِب الناس في الجهاد لما سمعوها من رسول الله (صلى الله عليه وآله)،

(١) من درس التفسير الأسبوعي الذي يلقيه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه في النجف الأشرف على طلبة البحث الخارج يوم الأربعاء ١٠/جمادي أولى/ ١٤٦٦هـ- المصادف ٢٠٢٤/١١/١٣م.

(٢) أنظر: البداية والنهاية- ابن كثير: ٥/ ٥، تاريخ الطبري: ٢/ ٣٧٣.

وقدمت القبائل من العرب ممن استنفرهم، وعسكر في ثنية الوداع خارج المدينة، وأمر أهل الجِدَة أن يعينوا من لا قوة به، فكان سفراً بعيداً شاقاً ﴿وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ (التوبة:٤٢) في ظروف صعبة للغاية سماها القرآن ﴿سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ (التوبة:١١٧).

فكانت هذه الغزوة امتحاناً للمجتمع المسلم تَميَّز فيه المؤمن الصادق من المنافق، فالمؤمنون الصادقون بادروا إلى التهيؤ والاستعداد، ومن لم يجد فقد وصفتهم آية أخرى من السورة ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ (التوبة:٩٢).

أما المنافقون فقد تخلّفوا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وآثروا الراحة والدعة متذرّعين بأنواع الادعاءات، فنزلت الآيات الكريمة من سورة التوبة قوية في فضحهم[1] وكذب دعاويهم، وتهديدهم بالخزي في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة، ((وتخلف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوم من أهل الثبات والبصائر لم يكن يلحقهم شك ولا ارتياب ولكنهم قالوا نلحق برسول الله (صلى الله عليه وآله)، منهم أبو خيثمة وكان قوياً وكانت له زوجتان وعريشان - وهو ما يستظل به- فكانت زوجتاه قد رشّتا عريشيه وبرّدتا له الماء وهيئتا له طعاماً، فأشرف على عريشه، فلما نظر إليهما قال والله،

(١) من أسماء سورة التوبة (الفاضحة).

ما هذا بإنصاف[1] رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، قد خرج في الضِحّ - أي الشمس - والريح وقد حمل السلاح مجاهداً في سبيل الله وأبو خيثمة قوي قاعد في عريشه وامرأتين حسناوين! لا والله ما هذا بإنصاف، ثم أخذ ناقته فشدّ عليها رحله فلحق برسول الله (صلى الله عليه وآله)، فنظر الناس إلى راكب على الطريق فأخبروا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): كن أبا خيثمة، فاقبل وأخبر النبي بما كان منه فجزاه خيراً ودعا له.

وكان أبو ذر رحمه الله تأخّر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثلاثة أيام وذلك أن جمله كان أعجف - أي مهزول - فلحق بعد ثلاثة أيام به، ووقف عليه جمله في بعض الطريق فتركه وحمل ثيابه على ظهرِهِ، فلما ارتفع النهار نظر المسلمون إلى شخص مقبل، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): كن أبا ذر، فقالوا هو أبو ذر، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أدركوه بالماء

---

(١) هذا الشعور الصادق يكشف عن علاقة خاصة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليست علاقة الحق والواجب أو الحرام والحلال أو الخوف من العقوبة والطمع في المكافأة وهي المؤثرات التي تضمن طاعة الأتباع لرئيس الدولة، بل علاقة الحب وإنصاف القائد من النفس ومراقبة تقديمه على النفس دائماً، وهي العلاقة التي أسس لها القرآن وحث عليها في مثل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ (التوبة:٢٠)، وهذه العلاقة تكشف لنا عن قوة الطاعة التي يريد الإسلام تأسيسها في دولة آل محمد صلوات الله عليهم، تضمن ولاء الأتباع ظاهراً وباطناً وطاعتهم حتى مع أمن الخوف وغياب الطمع، وتحثهم على المزيد دائماً وتقلل الأعمال في أعينهم وتخوفهم من قليل الذنب وتجعل الإنسان يوجب على نفسه المستحب ويحرم المكروه المرخّص به.

فإنه عطشان فأدركوه بالماء، ووافى أبو ذر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه إداوة فيها ماء، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا أبا ذر، معك ماء وعطشت؟ فقال: نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي؛ انتهيت إلى صخرة وعليها ماء السماء فذقته فإذا هو عذب بارد، فقلت لا أشربه حتى يشربه حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال رسول الله: يا أبا ذر، رحمك الله، تعيش وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك، وتدخل الجنة وحدك، يسعد بك قوم من أهل العراق يتولون غسلك وتجهيزك والصلاة عليك ودفنك))[1].

في هذه الأجواء تفضح الآية الكريمة المنافقين الذين تكاسلوا وخذلوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتقول: أنهم لو كانوا صادقين في إرادة الخروج معك لبان عليهم ذلك من خلال التحضير والإعداد للخروج لكنهم لم يفعلوا.

وجاءت ﴿عُدَّةً﴾ نكرة فأفادت عدة مداليل:

١- الإطلاق أي أنهم لو كانوا صادقين في إرادة الخروج معك للجهاد كان بإمكانهم تهيئة أيَّ عدّة يلبون بها نداء الجهاد سواء كانت مالية أو بدنية أو بتجهيز غير القادرين ونحو ذلك، لكنهم لم يهيئوا أي شيء.

٢- دلالتها على القلة لتوبيخ المتقاعسين بأنهم لم يتخذوا أهبة الخروج حتى بالحد الأدنى وهي النية كما ورد في رواية العياشي في

(١) تفسير البرهان: ٤/ ٢٧٩-٢٨٠/ ح١، عن تفسير علي بن إبراهيم: ١/ ٢٩٤.

تفسيره عنه (عليه السلام) قال: (يعني بالعدّة النية، يقول: لو كان لهم نية لخرجوا)[١].

٣- التفخيم أي للدلالة على لزوم تهيئة العدة اللازمة لكل عمل بما يتطلبه، ووجوب تحمّل مسؤولية أي عمل بما يناسبه، فقتال الروم بأعدادهم الكبيرة وسلاحهم ذي البأس الشديد يتطلب عدة تناسبهم لإرعابهم ودفع خطرهم قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال:٦٠) بينما هم تهرّبوا من المسؤولية بكل مستوياتها وتفاصيلها وبأعذار واهية.

ولما لم يريدوا لأنفسهم الخير بطاعة الله تبارك وتعالى فقد سلب منهم التوفيق ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ (التوبة:٤٦) فحرموا من طاعة الله تعالى والمضي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (التغابن:٦) وباؤا بسخط من الله تعالى.

﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ أي أقعدهم وحبسهم عن الخروج لا بجبرهم وإكراههم ولكن بحرمانهم من تأييده وتوفيقه فلم يستطيعوا الخروج، وكمثال على توفيق الله وخذلانه ما حكته الآيات الكريمة عن معركة بدر ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾ (الأنفال:٤٣)، فالإنسان بذاته ضعيف عاجز ويحتاج إلى توفيق من الله تعالى ليفعل الطاعة، وليست متاحة له متى شاء وكيف

(١) تفسير العياشي: ٢/ ٨٩/ ح٦٠، البرهان: ٤/ ٢٨٢/ ح٢.

شاء (ولا ميسِّر لما عسَّرت، ولا ناصر لمن خذلت)[١] (وَإِنْ خَذَلَني نَصْرُكَ عِنْدَ مُحارَبَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطانِ فَقَدْ وَكَلَني خِذْلانُكَ إِلى حَيْثُ النَّصَبُ وَالْحِرْمانُ)[٢].

﴿وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ القائل مجهول فإن كان من المنافقين كما أخبر تعالى في آية أخرى ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (التوبة:٨٦)، فالأمر واضح، ولعله تعبير عن لسان حالهم المنافق، وإن كان القائل هو الله تعالى فإنه ليس بمعنى النطق باللسان، وإنما بمعنى تعلّق الإرادة بالقعود، وقد شرحناه مفصلاً في قبس قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس:٨٢)[٣]، وإن سلوكهم المنافق هو الذي أوجب ذلك، فهذا ليس أمراً تشريعياً حتى يقال بمنافاته مع الأمر بخروجهم إلى الجهاد.

وفي هذا التثبيط مصلحة للقاعدين ولعموم المسلمين، أما لهم فلحمايتهم من آثام وأوزار إضافية يحملونها لو خرجوا؛ لأنهم سيثيرون الفتن في جيش المسلمين ويتسبّبوا في وهنهم وضعفهم كما عبرت الآية

(١) الصحيفة السجادية: ٥٧، الدعاء السابع.

(٢) مصابيح الجنان: ٩٦، دعاء الصباح.

(٣) راجع قبس قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس:٨٢) في تفسير من نور القرآن.

التالية فيزدادون إثماً إلى إثمهم، ففي تثبيطهم عن الخروج رحمة بهم مع أنهم عاصون، وهكذا يحمي الله تعالى المؤمنين أيضاً فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إن من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رقاده ولذيذ وساده فيتهجد لي الليالي، فيتعب نفسه في عبادتي فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين؛ نظراً مني له وإبقاءً عليه، فينام حتى يصبح فيقوم وهو ماقت لنفسه، زارٍ عليها، ولو أخلي بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله من ذلك العجب فيصيره العجب إلى الفتنة بأعماله، فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله ورضاه عن نفسه، حتى يظن أنه قد فاق العابدين وجاز في عبادته حد التقصير، فيتباعد مني عند ذلك، وهو يظن أنه يتقرب إليّ)[1].

وأما لمصلحة المسلمين؛ فلكي يتعرّفوا على المنافقين، ويتخلّصوا من شرهم ومكائدهم، فإنهم ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ﴾ أي معكم في صفوفكم ﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً﴾ أي اضطراباً وقلقاً وتشوشاً مما يثبّط عزيمة المسلمين ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ أي أسرعوا في التغلغل بين صفوفكم، لأن الإيضاع يعني الإسراع في الحركة، فتنتشر شبهاتهم وشكوكهم وفتنهم كسريان النار في الهشيم، وهدفهم أنهم ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ بتمزيق وحدتكم وتخويفكم وتثبيط عزائمكم، ومما يزيد المشكلة أنه ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ ويوجد في المسلمين جماعة من

(١) بحار الأنوار: ٦٨/ ١٥١.

ضعاف البصيرة يتلقون منهم بدون تثبّت ورويّة والرجوع إلى أهل الخبرة في هذا المجال كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء:٨٣) ووجود مثل هؤلاء السماعين السذّج الذين تنطلي عليهم الإشاعات والأكاذيب هو الذي ينجح مكائد الأعداء، ولو كان الجيش واعياً فطناً فإنها لا تؤثر أثرها، وربما أراد بالسماعين الجواسيس الذين يتلقون الشكوك والشبهات من الأعداء وينشرونها بينكم مما يقصم ظهر الجيش كما حصل لجيش أمير المؤمنين (عليه السلام) في صفين فانشق آلاف الخوارج وتشوشت أفكار عدد كبير من الباقين، لذا ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في التحذير من هذه الظاهرة (عوِّد أذنك حسن الاستماع ولا تصغِ إلى ما لا يزيد في صلاحك استماعه فإن ذلك يصدي القلوب ويوجب المذام)[1].

وقال (عليه السلام) لبعض أمراء جيشه: (فانهدْ بمن أطاعك إلى من عصاك، واستغن بمن انقاد معك عمّن تقاعس عنك، فإنّ المتكاره مغيبُه خيرٌ من مشهده، وقعوده أغنى من نهوضه)[2].

ويمكن استفادة عدة دروس وعبر من الآية الكريمة:

(١) غرر الحكم للآمدي: ٤٢١١.

(٢) نهج البلاغة: ٣/ ٦، الكتاب الرابع

١-إن أي هدف يراد الوصول إليه وأي غرض يراد تحقيقه لا بد من تهيئة كل المقدمات اللازمة التي يتطلبها ابتداءً من الإرادة والنية الصادقة والعزم الراسخ ثم العمل، وهذا واضح فلا يحتاج إثبات وجوب مقدمة الواجب إلى بحث مفصّل في علم الأصول، وإلا كانت أماني فارغة ويعدّ من السخرية بنفسه، كما ورد كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر)[1]؛ إذ يكون فعله عبثياً، وروي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قوله: (من سأل اللهَ التوفيق ولم يجتهد فقد استهزأ بنفسه)[2].

إن الاستعداد يقوي العزم ويُخلص النية ويزيد من الوعي بالعمل، وقد لا يوفق الإنسان للعمل فيكتب له أجر النية، وقد يعلم الله منه الصدق من استعداده فيصرف عنه مؤونة العمل والبلاء ويكتب له ثوابه.

وهذه قاعدة عامة في الحياة سواء على مستوى الدراسة وطلب العلم أو الكسب أو العلاقات الاجتماعية أو مراتب الكمال وغير ذلك، وقد شرحنا ذلك في قبس سابق[3] من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ

(١) وسائل الشيعة (آل البيت): ٧/ ١٤٥.

(٢) كنز الفوائد، للكراجكي: ١/ ٣٣٠، بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٥٦.

(٣) راجع قبس قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ (الإسراء:١٩) في تفسير من نور القرآن.

وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ (الإسراء:١٩)، فمن يريد الفوز في الآخرة بجنة عرضها السماوات والأرض لا بد أن يسعى لها سعيها المناسب والموصل إليها، ومن يدعو للإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) بالفرج وينتظر خروجه عليه أن يعدَّ نفسه بالتقوى والعمل الصالح، أما الكسل والتراخي والتسويف فإنه يحرم صاحبه من الطاعة، وإن الشيطان يتربّص به ليصدَّه عن العمل الصالح، فليكن حذراً وقلقاً من تسويلات النفس الأمّارة بالسوء، لئلا تؤدي به إلى مقت الله والحرمان من طاعته، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ومَن تردّد في الريب وطئته سنابك الشياطين)[1].

وتتضمن الأحاديث الشريفة أمثلة كثيرة لمثل هذا الإعداد لصلاة الليل مثلاً بالنوم المبكر وتقليل وجبة العشاء والدعاء بالمأثور وغيرها، أو الإعداد للحج بالادخار اليومي للمال ولو القليل حتى تجتمع عنده الاستطاعة ونحو ذلك.

٢-قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ فالله تبارك وتعالى لا يكره ذات الإنسان؛ لأنه خلقه في أحسن تقويم وأعدّه لرسالة عظيمة، إنما يكره عمله السيئ، إلا أن يتحول ذاته إلى معدن خبيث تصدر منه الأفعال القبيحة ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران:٥٧) وفي هذا درس بليغ على مستوى علاقاتنا الاجتماعية بالآخرين فإن المعمول به لدى الناس كراهة

(١) نهج البلاغة، الحكمة رقم (٣١).

الشخص والحقد عليه وتسقيطه لمجرد صدور فعل كرهه الآخر منه، فلا بد من التفريق بين الشخص وعمله والتعامل معه بإنصاف وموضوعية، وقد فصلنا الكلام في هذا الدرس الاجتماعي في قبس سابق[١]، وألحقنا به بحثاً في تفسير قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن الله يحب العبد، ويبغض عمله)[٢].

٣-إن طاعة الله تعالى كالحضور في صلاة الجمعة أو قيام الليل أو المشي إلى زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) أو المشاركة في الزيارة الفاطمية وغير ذلك ليست شرعة لكل وارد كما يقال، وإنما هي ألطاف إلهية خصَّ بها عباداً صادقين مخلصين ولا تُنال إلا بتوفيق الله تعالى لذا ورد في الدعاء (اللّهُمَّ ارْزُقْنا تَوْفِيقَ الطَّاعَةِ وَبُعْدَ المَعْصِيَةِ)[٣] أما الكسول والمتخاذل فلا نصيب له منها.

٤- المهم عند القيام بعمل ما أو إقامة مشروع ما هو نوعية العاملين لا عددهم، فقد يكون وجود بعض ضعاف النفوس والبصائر مضرّاً بالعمل ومثبّطاً للعزائم ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ

(١) راجع قبس قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ (الأعراف:٢٠١) في تفسير من نور القرآن.

(٢) نهج البلاغة: ٢/ ٤٤.

(٣) مفاتيح الجنان: ١٦٣.

غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:٢٤٩) فالفئة القليلة المتصفة بالصبر والإخلاص والتقوى تفوق في عملها الفئة الكثيرة المجرّدة من هذه الصفات، فلا يحزن المؤمنون لتخلف جماعة عن العمل.

٥- إن بعض الأمور قد نراها شراً لنا ونحزن لحصولها - كتخلف جمع من أهل المدينة عن الخروج إلى الجهاد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحسب الآية الكريمة - إلا أنه في الحقيقة خير للمؤمنين، فليكونوا راضين بقضاء الله تعالى ومطمئنين بقدره ومسلمين لأمره.

٦- التحذير من الاستماع لأي حديث على الفضائيات، أو كلام منقول في الكتب أو منشور على مواقع التواصل الاجتماعي، ويجب التثبت منه والرجوع إلى أهل الاختصاص للاستيثاق منه؛ فإن الإعلام من أهم أدوات الحرب الناعمة التي شنّها أعداء الإسلام، أما الساذج الغافل الذي يروّج الأخبار الكاذبة المرجفة بالمجتمع المسلم أو المؤدية إلى تزلزل عقائدهم وانحراف أخلاقهم وسلوكهم أو تخريب ثقافتهم فإنه يبوء بإثم عظيم.

وخير مثال على مَن يعدّ العدة للعمل أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) كحبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة الأسديين فإنهما تخفّيا[1] في عشيرتهما بعد أن خذل أهل الكوفة مسلم بن

(١) إبصار العين، للسماوي: ٧٦، ٨٢.

عقيل (رضوان الله عليه) حتى استشهد، وأحكم عبيد الله بن زياد قبضته على الكوفة، وطوّقها من جميع الجهات، وكان مصير شيعة علي القتل والاعتقال، فلم يشاءا أن يُحرما من نصرة الإمام الحسين (عليه السلام)، وظلا يتحرّيان أخبار الإمام (عليه السلام) حتى سمعا بنزوله أرض كربلاء فخرجا إلى نصرته بخطة أفلتا بها من الحصار المضروب على الكوفة، حتى نالا شرف الشهادة بين يدي أبي عبد الله (عليه السلام)، فطوبى لهم وحسن مآب وحشرنا الله تعالى في زمرتهم مع النبي وآله الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

خطاب المرحلة
(٧٦٢)

السيدة الزهراء (عليها السلام): المثل الأعلى للعفاف[١]

قال الله تبارك وتعالى ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً﴾ (مريم:١٧)

صورة سامية يرسمها القرآن الكريم لعفاف الصديقة مريم بنت عمران (عليها السلام) فإنها لم تكتفِ بحجابها الشخصي وإنما اتخذت إجرائين آخرين لتحقيق المزيد من الصون والعفاف:

١- أنها اتخذت مكاناً منعزلاً بعيداً عن الاحتكاك مع الناس ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً[٢]﴾ (مريم:١٦)، ولعل هذا المكان الشرقي -كما في الميزان- هو المحراب المخصوص للعبادة الذي ذكرته الآية الكريمة ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً﴾ (آل عمران:٣٧).

٢- أسدلت دونها حجاباً ساتراً حتى لا ترى معالمها أو حركاتها وإن كانت محجّبة، ولتتفرغ لعبادة ربها وتنقطع عن كل ما يشغلها عنها

(١) من درس التفسير الأسبوعي الذي يلقيه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على طلبة البحث الخارج في مكتبه في النجف الأشرف يوم الأربعاء ٢٤/جمادي أولى/١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٤/١١/٢٧م.

(٢) اتخاذها مكاناً شرقياً لعله لارتباط أوقات الصلاة بالشمس من حين الفجر والشروق إلى غروب الشمس الذي يستدل عليه بذهاب الحمرة المشرقية بناءً على ما في شريعة الإسلام.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً﴾، ولكي تسلم عبادتها من الرياء إذا اطمأنت لعدم الناظر إليها، ولكي لا تعطي فرصة النظر المجاني إليها من قبل الرجال الأجانب.

هذا العفاف وهذا الاحتجاب عما سوى الله تبارك وتعالى الذي تميزت به مريم (عليها السلام) جعلها محل ثناء الله تبارك وتعالى في أكثر من موضع وعبّر عنها بأنها ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ (الأنبياء:٩١) واستحقت لقب صديّقة ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ (المائدة:٧٥) وهي صيغة مبالغة من الصدق حيث يتطابق القول والفعل، وبذلك كانت أهلاً للفيض الإلهي، واستحقت أن يهبها الرسول العظيم عيسى (عليه السلام) ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (التحريم:١٢).

هذه هي مريم الصديقة في عفافها فأين نساء النصارى منها؟ وبماذا يواجِهْنها يوم القيامة حينما يدّعين الانتساب إليها وقد أغراهن الشيطان بإظهار كل مفاتنهن أمام الملأ وارتكبن أفحش المحرمات، ففقدن قيمة الكرامة والسمو والرفعة والطهر والنقاء وأصبحن مبتذلات وسلعاً تجارية، روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قوله: (يؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة التي قد افتتنت في حسنها فتقول: يا ربِّ حَسَّنتَ خلقي - أي جعلتني جميلة حسناء- حتى لقيت ما لقيت - من الافتتان والانحراف بسبب ذلك فأنا معذورة-، فيجاء بمريم (عليها السلام) فيقال: أنت

أحسن أو هذه؟ قد حسّناها فلم تُفتَتن، ويُجاء بالرجل الحسَن الذي قد افتتن في حسنه فيقول: يا رَبّ حَسّنتَ خَلقي حتى لقيت من النساء ما لقيت فيجاء بيوسف (عليه السلام) فيقال: أنت أحسن أو هذا؟ قد حسناه فلم يفتتن)[1].

وضربت لنا السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) المثل الأعلى للعفاف، ومن صور سلوكها (عليها السلام) عندما حتّم عليها الواجب أن تخرج إلى مسجد أبيها (صلى الله عليه وآله) لتردع المنقلبين عن غيّهم، وتعيد الحق إلى أهله، وتثير في أصحاب أبيها (صلى الله عليه وآله) حميّة الدين، تقول الرواية (لاثت خمارها على رأسها - أي لفّته بالمقنعة وغطّته- واشتملت بجلبابها - أي أحاطت نفسها به- وأقبلت في لُمّةٍ من حفدتها -أي جماعة من مريداتها والمواليات لها- ونساء قومها تطأ ذيولها، ونيطت دونها مُلاءة)[2].

فلم يشغلها هول المصاب عن مراعاة العفاف الكامل، ولم تكتفي (سلام الله عليها) بالملابس الساترة لبدنها والطويلة التي تغطّي قدميها وتخطّ بالأرض حتى إنها (عليها السلام) تطأها عند السير، وإنما اتخذت أكثر من إجراء:

١- مضت في جمع من النساء حتى لا تتميز معالمها حين تكون بينهن.

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ٢٢٨/٨/ح٢٩١.

(٢) الاحتجاج: ١٣٢/١.

٢- ضربت حجاباً دون الرجال حتى لا يرى شخصها.

وكما أن الله تعالى كافأ مريم (عليها السلام) على عفافها الكامل بأن وهبها روح الله وكلمته، فإنه تبارك وتعالى كافأ السيدة الزهراء (عليها السلام) بأن وهبها ذرية معصومة جعلهم أئمة للخلق أجمعين، قال النبي (صلى الله عليه وآله) مستعملاً نفس التعبير القرآني: (إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار)[١]؛ لأنهم معصومون سلام الله عليهم.

ومن صور عفافها ما رواه الإمام السجاد (عليه السلام) قال: (أن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، استأذن عليها أعمى فحجبته، فقال لها النبي (صلى الله عليه وآله): لم حجبتِه وهو لا يراك؟ فقالت: يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشم الريح، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): أشهد أنكِ بضعة مني)[٢].

وكان أهم طلب عندها أن تُكفى مؤونة الخروج من البيت بما يتطلبه من ظهور شخصها أمام الرجال الأجانب، هذا النهج الذي عبّرت عنه بقولها (عليها السلام): (خير للنساء أن لا يرين الرجال، ولا يراهن الرجال)[٣]، وهو منهج القرآن الكريم الذي اختصره بقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (الأحزاب:٣٣).

---

(١) معاني الأخبار - الشيخ الصدوق: ١٠٧.

(٢) مستدرك الوسائل: ١٤/ ٢٨٩.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣/ ٥٤.

روي عن أبي عبد الله، عن أبيه (عليه السلام) قال: (تقاضى علي وفاطمة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الخدمة، فقضى على فاطمة بخدمة ما دون الباب، وقضى على علي بما خلفه، قال: فقالت فاطمة: فلا يعلم ما داخلني من السرور إلا الله؛ بإكفائي رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحمّل رقاب الرجال)[1].

ولكمال عفافها فقد كان بالها مشغولاً بما بعد الموت حيث تعارفوا يومئذٍ على تشييع الجنازة بوضعها ظاهرة حيث ترى معالم الميت الخارجية من وراء الكفن، (قالت لأسماء بنت عميس: اصنعي لي نعشاً يواري جسدي، فإني قد ذهب لحمي - وهكذا صنعت الأحزان والآلام بها-، فقالت لها: يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألا أريك شيئاً يُصنع في أرض الحبشة، قالت فاطمة: بلى، فصنعت لها مقدار ذراع من جرايد النخل، وطرحت فوق النعش ثوباً فغطّاه، فقالت فاطمة (عليها السلام): سترتيني سترك الله من النار)[2].

فالمطلوب إذن ليس فقط ارتداء الحجاب الشخصي الكامل وإنما الالتزام بكل ما يتطلبه العفاف والحياء من إجراءات وتجنّب كل حركة أو حالة أو كلام أو مظهر ينافي السلوك العفيف، أي توفير بيئة وظروف العفاف أيضاً، وعلى الرجال مساعدة النساء في تحقيق هذه

(١) بحار الأنوار: ٤٣/ ٨١.

(٢) بحار الأنوار: ٧٨/ ٢٥٥.

الحالة السامية صوناً لهم ولهن ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ (الأحزاب:٥٣) ونحو ذلك من الإجراءات.

فعلى جميع النساء أن يتخذن من السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) مثلاً أعلى في العفّة والحياء ويقاومن إغراء شياطين الجن والإنس الذين يبذلون الأموال الطائلة ويسخّرون التقنيات المثيرة والجاذبة والإعلام المؤثر من أجل تجريد المرأة من عفافها وحيائها وإبراز مفاتنها للرجال من خلال دور الأزياء وهوس الموضة ومسابقات الجمال، ونشروا مراكز الترفيه والمساج والتجميل وإقامة الحفلات الماجنة، لأنهم يعتبرون النساء أفتك سلاح في حربهم المسعورة على الدين والأخلاق وقيم الكرامة والعزة والسمو والرفعة ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾ (النساء:٢٧).

لقد كانت السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بما جسّدت من تعاليم الدين ملهمة للنساء عبر التأريخ بأن يتّخذن مسلك العفاف والطهر والنقاء، وبنات الإسلام والسيدة الزهراء (عليها السلام) هُنّ الوحيدات من نساء العالم اللواتي يجسّدن هذا السلوك، ولعلكم شاهدتم مقطع الفيديو للمرأة الفلسطينية العفيفة التي استطاعت فرق الإنقاذ بمشقّة من سحبها من تحت الأنقاض الهائلة بسبب العدوان الصهيوني الغادر وكان همّها أثناء سحبها من تحت الأنقاض تعديل حجابها وغطاء رأسها الذي

انكشف جزء منه بسبب القصف الوحشي.

إن مراعاة العفاف والحياء لم يمنع السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من ممارسة وظائفها في التبليغ الديني وتعليم النساء ونصرة الحق، والحضور في المواقف المفصلية التي تتطلب حضورها، كإلقائها الخطاب في مسجد أبيها (صلى الله عليه وآله) واحتجاجها المفحم للمتصدّين، مضافاً إلى أداء واجباتها العائلية والبيتية بأكمل وجه، فما هو مبرر النساء اليوم وفي كل يوم للخضوع لغرائزهن واتباع شهواتهن والافتتان بما عندهن من وسائل الإغراء، حتى إن بعض المتدينات يخرجن عن حدود العفة في المناسبات الاجتماعية أو في أماكن العمل أو الدراسة أو ضمن العلاقات الأسرية وغير ذلك.

خطاب المرحلة
(٧٦٣)

السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) والوعد بالفتح[1]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ (المعارج:٥-٧).

الآية الكريمة فيها تسلية ومواساة للنبي (صلى الله عليه وآله) وتطييب لقلبه وتخفيف لآلامه التي كان يتجرّعها من مشركي قريش، وكذلك فإنها تحمل معنى التهديد والوعيد لأعداء الإسلام من نهايتهم المخزية والبائسة في الدنيا والآخرة ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (البقرة:١٧٥)، وتقول للنبي (صلى الله عليه وآله): إن يوم القيامة الذي نقتصّ فيه من أعداء الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) والإنسانية يرونه بعيداً، أي يعتقدون بأنه بعيدٌ عن الواقع وغير ممكن بحكم عقولهم القاصرة وأنه لا وجود له واستغراقهم في الماديات، فيتساءلون مستنكرين: إذ كيف يُبعث الإنسان من قبره بعد أن يتلاشى جسده في القبر ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (الصافات:١٦)، وهم يرونه بعيداً زماناً أيضاً ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ (ق:٣) فهو عندهم بحكم العدم، لكنهم في قرارة أنفسهم

(١) الخطاب الفاطمي السنوي العشرون بفضل الله تعالى ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على حشود الزوار المعزّين في ساحة ثورة العشرين في النجف الأشرف يوم الخميس ٣/جمادي الآخرة/ ١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٤/١٢/٥م.

يعترفون به، ولا يستطيعون نفيه وهذا ظاهر من زعمهم أن آلهتهم ستشفع لهم ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (يونس:١٨).

فيُطَمئِنُّ الله تعالى نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله) من خلال الآيات الكريمة بأننا نرى يوم القيامة واقعاً حتماً بلا ريب، وأن وقوعه قريبٌ لحكم العقل والفطرة السليمة، لأنه مقتضى العدالة وإنصاف المظلوم من الظالم، وتقتضيه الحكمة وإلا كان خلق الناس عبثاً، وهو قريب زماناً أيضاً عند مَن تكون رؤيته خارج الزمان، فالحوادث والأمور الزمانية السابقة واللاحقة كلها حاضرة عنده كشريط من الصور والأحداث، ولأن عمر الدنيا مقابل الخلود في الآخرة لا شيء، ولأن يوم القيامة آتٍ، ((وكل آتٍ قريب))[1] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾ (الأحزاب:٦٣) ومهما طال عمر الكفار والمعاندين في الدنيا فإنهم ميتون، وستنكشف الحقيقة جلية أمامهم، وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته)[2]، فما أقربهم من يوم الجزاء، وحينئذٍ لا يبقى لهم شيء مما حرصوا عليه من متاع الدنيا مهما طالت مدته ولا يدفع عنهم العذاب ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ، ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ، مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ (الشعراء:٢٠٥-٢٠٧).

(١) نهج البلاغة: ١/ ١٩٧.

(٢) ميزان الحكمة: ٤/ ٢٩٥٤، عن كنز العمال: ٤٢٧٤٨، ٤٢١٢٣.

وسرعان ما تحقق وعد الله تعالى فيهم، فقد قتل الله تعالى صناديد قريش وطغاتها في معركة بدر، بل إنهم يتعذّبون بالنار التي أجّجوها بظلمهم ومعاصيهم وهم في دار الدنيا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (التوبة:٤٩)، أي الآن وليس أنها ستحيط بهم يوم القيامة فقط ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:٨١) فأيَّ بُعدٍ يتشبثون به ويخدعون به أنفسهم؟

وإلى أن تتحقق هذه النهاية الشقيّة للكافرين والسعيدة للمؤمنين تأمر الآية الكريمة السابقة بالصبر الجميل ﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً﴾ وهو الصبر الذي يكون لوجه الله تعالى ورضاً بقضائه وتسليماً لأمره وثقة بوعده، ليس فيه شكوى ولا اعتراض ولا ضجر ولا كسل، على النحو الذي سلّى به النبي يعقوب (عليه السلام) نفسه عند فقد ولده يوسف النبي (عليه السلام) ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف:١٨) قال الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير الصبر الجميل: أنه (بلا شكوى)[1]، ومثل هذا الصبر يكون حافزاً على العمل والتقدم وليس مثبّطاً أو محبطاً، والله تعالى قادر على أن يحقق المطلوب فوراً من دون انتظار، لكنه تعالى أراد للأمور أن تجري بأسبابها ليتميز الصابر المحتسب العامل عن غيره فيثيب المحسن على إحسانه.

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ١/ ٣٠٠، البرهان: ٥/ ١٣٤/ ح٣٣.

وما على المؤمنين إلا التربص والانتظار والثقة التامة بوعد الله تعالى ليروا ما يحلّ بالكافرين ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ (التوبة:٥٢) ﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ (يونس:١٠٢).

وإذا لاحظنا الآية الكريمة ضمن سياق الآيات السابقة عليها[١] ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (المعارج:١) التي دلّت الروايات على أنها نزلت في المعترضين على تنصيب النبي (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) خليفةً من بعده ووليّاً لأمر الأمة في يوم الغدير[٢]، وقالوا ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال:٣٢)، وعلى هذا فالآيات الكريمة تتوعد الذين أنكروا ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) بالعذاب القريب.

أيّها الأخوة والاخوات:

وللآية الكريمة معنى أوسع من هذا يقوّي إيماننا، ويربط على قلوبنا، ويعيننا على تحمّل كل ما نلاقيه في حياتنا ويكون بلسماً

---

(١) تناولناها في قبس قوله تعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (المعارج:١) في تفسير من نور القرآن.

(٢) نقل العلامة الأميني (قدس سره) في كتاب (الغدير: ١/ ٤٦٠-٤٧١) الواقعة عن ٢٩ محدثاً ومفسراً، ونقله من العامة الحسكاني في شواهد التنزيل: ٣٨١/٢، والحافظ أبو عبيد بن سلام في تفسيره (غريب القرآن: ٨٦).

لجراحنا، وهو أن كل مشكلة تحصل لنا، أو أزمة تمرُّ بنا، أو أمر يتعسّر علينا أو ابتلاء سواء في البدن أو الرزق أو الأمن أو المصائب والابتلاءات في الأهل والأقرباء والأحبّة أو الكوارث العامة التي تعاني منها الأمة، والتحديات المعقّدة التي تواجهها، وترى أنها مستعصية على الحل وأن الخروج منها بعيد المنال وقد يحصل اليأس منه، فعليك أن تتذكر حينئذٍ هذه الآية الكريمة وتستحضرها في وجدانك لتعيد إليك الأمل والاطمئنان وتزيد في إيمانك، وتقّوي عزيمتك، وترفع درجتك عند الله تعالى، فإنها تعدك بأنَّ العقدة ستحلّ، والخطر سيزول، ويتحوّل الفشل إلى نجاح وسيأتي الفرج بأقرب ما يكون ومن حيث لا تحتسب، (فَكَمْ يا إِلهِي مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ فَرَّجْتَها وَهُمُومٍ قَدْ كَشَفْتَها وَعَثْرَةٍ قَدْ أَقَلْتَها وَرَحْمَةٍ ... فَكَمْ مِنْ مَوْهِبَةٍ هَنِيئَةٍ قَدْ أَعْطانِي وَعَظِيمَةٍ مَخُوفَة قَدْ كَفانِي، وَبَهْجَةٍ مونِقَةٍ قَدْ أَرانِي)[1] وما عليك إلا حسن الظن بالله تعالى والاستعانة بالصبر الجميل المحرك نحو العمل الصالح قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة:٤٥) من دون أن تذكر الآية أن الاستعانة بالصبر على ماذا؟ ليبقى مطلقاً ومفتوحاً، فإن الاستعانة بالصبر والصلاة يكون على كل شيء، فبالصبر ينال الظفر والدرجات الرفيعة، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (إن العبد ليكون له عند الله الدرجة لا يبلغها بعمله فيبتليه الله في جسده أو يصاب بماله أو يصاب

(١) من دعاء الافتتاح الذي يستحب في ليالي شهر رمضان المبارك.

في ولده فإن هو صبر بلّغه الله إياها)[١]، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (عند تناهي الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء)[٢] وعليكم أن تحسنوا الظن بالله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ (يوسف:١١٠).

وعلى هذا الفهم فإن ضمير (هم) في ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ يعود إلى المؤمنين، وبذلك تؤسس الآية الكريمة قاعدة عامة توجّه سلوك المؤمن، وتجعل قلبه مفعماً بالأمل والانشراح، وتجعله مندفعاً نحو العمل الإيجابي المثمر المبارك، فلنستفد منها في كل شؤون حياتنا.

أيها الموالون المجتمعون على محبّة السيدة الزهراء (عليها السلام):

لقد وعت السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) هذه الحقيقة القرآنية وكانت على ثقة تامة بوعد الله تعالى، لذا وقفت متحدية طغيان القوم لتحذرهم من مغبّة ظلمهم وعدوانهم وانقلابهم على تعاليم الدين ووصية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأن هذه النهاية التي يرونها بعيدة هي قريبة منهم وتراها السيدة الزهراء (عليها السلام) رأي العين، ومما قالت (فدونكموها فاحتقبوها باقية العار، موسومة بغضب الجبار، وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطّلع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا

(١) التمحيص لابن همام الاسكافي: ٥٨.

(٢) نهج البلاغة: ٤/ ٨٢.

أي منقلب ينقلبون، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون)[١].

وقالت (عليها السلام): (أمَا لعمري لقد لقحتْ، فنظرة ريثما تُنتج، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ - أي عاقبة - ما أسّس الأولون، وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وبِهَرج شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم! وأنى بكم وقد عميت عليكم! ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ (هود:٢٨))[٢].

وسرعان ما حلّ بهم ذلك، وكانت البداية ضياع دينهم وآخرتهم وانحرافهم عن شريعة الله تبارك وتعالى، روى البخاري بسنده عن الزهري قال: (دخلت على أنس بن مالك - الصحابي - بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي (صلى الله عليه وآله) إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيّعت)[٣] يحصل ذلك وأصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) لا زالوا موجودين.

أيها الأحبّة: -

إن الباطل والظلم والعدوان مهما تفرعن وتجبّر وطغى، وظنّ بعدم وجود من يردعه فإن نهايته قريبة وغير متوقعة، فمن كان يتصور

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ١/ ١٣٤.

(٢) الاحتجاج: ١/ ١٣٩.

(٣) صحيح البخاري: ٦٧/ كتاب ٩ مواقيت الصلاة، باب ٧ ح ٥٢٩، ٦٣٠.

أن نجاة النبي موسى (عليه السلام) والذين آمنوا معه تكون بتلك الطريقة وهي إغراق فرعون وجيشه العظيم في الماء في اللحظة التي يئس المؤمنون فيها من النجاة ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ، قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء:٦١-٦٢)؟ وهل كان أصحاب الكهف يتوقعون أن نجاتهم تكون بالنوم ثلاثمائة وتسعة أعوام حتى انتشر التوحيد وأضمحلّ الكفر؟ ومن كان يصدّق أن النمرود الطاغية المتجبّر تنهي حياته حشرة، والأمثلة لا تعد ولا تحصى.

وهكذا يوم الظهور الميمون لإمامنا المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) مهما رأوه بعيداً عن التصور ومستحيلاً، فإنه قريب وسينعم برؤيته واتّباعه المؤمنون، وسيشرق نوره على الأرض كلها، وهو ما ورد في دعاء العهد (اللهُمَّ اكشِف هذِهِ الغُمَّةَ عَن هذِهِ الأُمَّةِ بِحُضُورِهِ وَعَجِّل لَنا ظُهُورَهُ إِنَّهُم يَرَونَهُ بَعِيداً وَنَراهُ قَرِيباً)[1] وورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قوله: (إن الشيعة تربى بالأماني منذ مائتي سنة)[2] أقول: ولا زالت الأمة تُرّبى بالأمل بعد ألف ومئتي عام.

فإن الفتح يشرق من داخل النفس ثم يتحقق في الخارج ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١)،

(١) مفاتيح الجنان: ٦١٧.

(٢) بحار الأنوار: ٥٢/ ١٠٢.

وما زال الأمل يحدونا بقرب الفرج والنصر، وظهور دين الإسلام المحمدي الأصيل على الدين كله ولو كره الكافرون والمستكبرون جعلنا الله تعالى وإياكم من أنصاره والممهدين له والممكَّنين في دولته المباركة إنه نعم المولى ونعم النصير.

خطاب المرحلة

(٧٦٤)

داء التكبر: سوء عاقبته وأسباب علاجه[1]

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (غافر:٥٦).

تحليل نفسي لسبب صدود المعاندين عن الحق وعدم اذعانهم به وعنادهم، فإن الآية الكريمة تنفي أن يكون سبب جدالهم في آيات الله هو عدم وضوح الحق لديهم، أو الشك في صدق هذه الآيات، ولا أنهم يجرون حواراً بناءً يطلبون به الوصول إلى الحقيقة، وإنما هم يخوضون في هذا الجدال والخصام غير المستند إلى الدليل والبرهان ودافعهم فيه منحصر بمرض نفسي مترسّخ فيهم وهو الكبر ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل:١٤) فيتوهمون أنهم بهذا الاستكبار والإعراض يدحضون الحق ويهزمونه بهذا الصخب والضجيج والتشويش على الرسالة وصاحبها وكل رسالة إصلاحية ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ (غافر:٥)، وليرضوا

(١) من درس التفسير الأسبوعي الذي يلقيه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه في النجف الأشرف على طلبة البحث الخارج يوم الأربعاء ١٦/جمادي آخرة/١٤٦٦هـ- الموافق ٢٠٢٤/١٢/١٨م.

أنفسهم الأمارة بالسوء التي تأبى أن تكون تبعاً للنبي (صلى الله عليه وآله) وهو (يتيم أبي طالب) أو أن يجلسوا مع العبيد والمستضعفين من المؤمنين.

لكن الله تبارك وتعالى يطمئن نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله) ومن خلاله جميع المؤمنين بأن المعاندين لا يستطيعون تحقيق مرادهم، ولا يبلغون هدفهم في إبطال الحق بهذا الجدال العقيم، الذي يغلق على قلوبهم منافذ النور، وإن ما حسدوك عليه ويريدون زواله عنك وانتقاله إليهم كالنبوة والزعامة حيث كانت قريش تحسد بني هاشم على النبوة لأنه مقام لا يستطيعون منافستهم فيه، أو أن الآية عنت اليهود - كما في بعض الروايات - فإنهم ((يريدون رجوع المُلك إليهم عند خروج الدجال)) ((وإن الكبر الذي ليس هم ببالغيه: توّقع أمر الدجال، فتكبرّوا متربصين يتوقعون خروج الجدال، فأعلم الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله) أن هذه الفرقة التي تجادل لا تبلغ خروج الدجال))[1].

﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولا يدرك بالأماني والسعي بالباطل، والضمير في (بالغيه) يعود إلى الكبر، فيكون من ذكر السبب وهو الكبر الذي دعاهم إلى الجدال، وإرادة المسبب وهو دحض هذه الدعوة المباركة، فلا يحزنك جدالهم وإعراضهم لأن الله تعالى مذلُّهم ومحبطٌ لأعمالهم فلا يتحقق لهم ما يريدون، وهذا شأن كل من يسعى إلى هدفه بالوسائل الباطلة، بل هو مصير كل عمل لا

(١) الدر المنثور: ٥/ ٣٥٣، والتبيان: ٦/ ٨٨، ومجمع البيان: ٤/ ٥٢٩.

يُبنى على أساس الإخلاص لله تعالى وصدق النية والحجة الشرعية ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ (الفرقان:٢٣) ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

والكبر والتكبّر أي توهم العظمة في النفس وتفخيم الأنا، وهو وصف لا يليق بالعبد الضعيف الذليل العاجز الفقير الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فكيف يريد التلبّس بهذه الصفة المختصة بالخالق العظيم المتكبر الجبار، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (يقول الله جل وعلا: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار)[1] وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (الكبر رداء الله، فمن نازع الله شيئاً من ذلك اكبّه الله في النار).

لذا وصفت الآيات الكريمة هؤلاء الواهمين بأنهم مستكبرون أي طالبون للكبر ومنتحلون للتكبّر من غير استحقاق له، فإن الله تعالى هو ﴿الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ (الحشر:٢٣)، وإنما وظيفة الإنسان استشعار هذه العبودية والخضوع والفقر والحاجة لله تبارك وتعالى، وإنه يزداد كمالاً كلما ازداد تواضعاً وعبودية لله تعالى، ويتحقق ذلك بزيادة معرفته بصفات الله الحسنى.

ثم تقدم الآية الكريمة العلاج بالدعوة إلى تنقية النية والدافع وتطهير الباطن من خلال الاستعاذة بالله تعالى للتخلص من هذه الرذيلة

(١) الحديث والذين بعده في ميزان الحكمة: ٧/ ٤١٧.

الخُلقية، ومن تأثير المتصفين بها ومكرهم وجدالهم بالباطل من غير حجة أو دليل، ويكفي في احتقارهم أن الله تعالى يأمر بالاستعاذة منهم.

وتُطمئنُ الآية الكريمة النبي (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين مرة أخرى بأن الله تعالى سميع لدعاء عباده، بصير بأحوالهم وظروفهم ومعاناتهم وحوائجهم، وبما يصلح حالهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة، مضافاً إلى ما تضمنته الآية السابقة من تطمين وتوجيهات عملية، قال تعالى ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (غافر:٥٥).

والكبر من أصول الرذائل الخلقية الذي تترشح منه صفات خبيثة كثيرة كالعصبية والحسد والبغي والاستعلاء وعدم الانصاف والصد عن الحق، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (احذر الكبر فإنه رأس الطغيان ومعصية الرحمن)[١]، وقال (عليه السلام): (أقبح الخلق التكبر)[٢]، ولو تركه الإنسان ولم يعالجه فإنه سيملأ كيانه ويترسخ في قلبه ويصبح المحرك لسلوكه ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾.

وكان الكبر سبب إباء إبليس السجودَ لآدم (عليه السلام) وعصيان الخالق العظيم ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ، إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾ (ص:٧٣-٧٤) فكان جزاؤه الطرد من رحمة الله وجنتَّه

(١) غرر الحكم: ح ٢٦٠٩.

(٢) غرر الحكم: ح ٢٨٩٨.

المحرمة على المتكبرين ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (الأعراف:١٣)، فهو صغير عند الله تعالى، وعند الناس ورد في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة في صور الذر، يطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى)[١].

وهو الذي دفع قادة الانقلاب في السقيفة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فخالفوا أمر النبي (صلى الله عليه وآله) في تعيين الولي من بعده ففتحوا باب الصراع والاقتتال والانحراف على الأمة إلى يوم القيامة وكانوا يبرّرون فعلتهم (كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على الناس بجحاً)[٢].

وصِفَة الكبر راسخة في النفوس الأمّارة بالسوء فإنها نزّاعة إلى التكبر والاستعلاء حتى إلى ادعاء الربوبية لو وجدت لذلك سبيلاً، وقول فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النازعات:٢٤) لا يختص به، لكن عدم إظهارها يكون لفقدانه ما يصول به، وإن هذه الصفة تظهر على الإنسان في أنماط متعددة من السلوك، كاحتقار الآخرين والاستعلاء عليهم، وعدم الجلوس إلا في صدر المجلس، أو عدم الاذعان بصواب رأي الآخر مع اعتقاده بذلك، أو الترفع عن بدء الآخرين بالسلام وغير

(١) المحجة البيضاء: ٦/ ٢١٥.

(٢) ابن الأثير: ٣/ ٦٣، وتاريخ الطبري: ٤/ ٢٢٣.

ذلك، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (إياكم والكبر، فإن الكبر يكون في الرجل وأن عليه العباءة)[١] وهو كناية عن تظاهره بالزهد في الدنيا واعتزال الناس فيقال عنه: أنه لبس العباءة.

وإن كثيراً من طالبي المقامات الروحية العالية ينطلقون من الكبر والأنانية فلا يزدادون إلا بعداً لعدم سلوكهم السبيل الصحيح الموصل إلى الله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ (الفرقان:٢١) ولذا حذّر المعصومون (سلام الله عليهم) من هذه الرذيلة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إياكم والكبر، فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم)[٢] وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (فاعتبروا بما كان من فعل اللّه بإبليس، إذ أحبط عمله الطّويل، وجهده الجهيد، وكان قد عبد اللّه ستّة آلاف سنة لا يدرى أمن سنيّ الدّنيا أم سنيّ الآخرة عن كبر ساعة واحدة، فمن بعد إبليس يسلم على اللّه بمثل معصيته)[٣]؟!

وقد تعرضت آيات كثيرة لما يسببه الكبر من آثار سيئة في الدنيا والآخرة، منها ما تقدم من الطرد من الجنة ومن رحمة الله تعالى والصغار عند الله تعالى وعند الناس ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا

(١) كنز العمال: ح رقم ٧٧٣٥.

(٢) كنز العمال: ح رقم ٧٧٣٤.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف:٤٠)، و(منها) أنه يوجب الشحناء والعداوة ويمحق المودة، أما التواضع فإنه يجلب المودة، قال تعالى ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة:٨٢) وأنه يوجب شدة سكرات الموت، قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام:٩٣) ويؤدي إلى عدم قبول الحق تكبراً على أهله ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (الأعراف:٧٦) ويدعوه إلى عدم الإيمان بيوم الحساب ليبرّر لنفسه تصرفاته ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (غافر:٢٧) ويوجب مقت الله تبارك وتعالى والطبع على القلب ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (غافر:٣٥) والمتكبر يستنكف عن الاعتراف بالخطأ والنصيحة بالتصحح ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (المنافقون:٥) وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (الكبر قد يكون

في شرار الناس من كل جنس - أي في اراذل الناس ووضيعهم - ، والكبر رداء الله، فمن نازع الله عز وجل رداءه لم يزده الله إلا سفالاً، إن رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ في بعض طرق المدينة وسوداء تلقط السرقين فقيل لها: تَنَحّي عن طريق رسول الله، فقالت: إن الطريق لمعرض، فهمّ بها بعض القوم أن يتناولها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: دعوها فإنها جبّارة)[1]، فلم تمنعها وضاعتها وخسّتها من التجبّر والتكبّر مما يدل على رسوخ هذه الصفة في البشر وعدم اقتصارها على أولي الحول والقوة.

فعلى المؤمن أن يلتفت إلى هذا الداء ويتعهد نفسه بالتهذيب وقلبه بالتطهير، وإلا ساقته نفسه إلى الهلكة من حيث يشعر أو لا يشعر، والشيطان يعلم ذلك، لهذا فإن الكبر من أعظم وسائله للإغواء وأوسع مداخله لتحريك النفس الأمّارة بالسوء، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (فأطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبيّة، وأحقاد الجاهليّة، فإنّما تلك الحميّة تكون في المسلم من خطرات الشّيطان ونخواته، ونزغاته ونفثاته، واعتمدوا وضع التّذلّل على رءوسكم، وإلقاء التّعزّز تحت أقدامكم، وخلع التّكبّر من أعناقكم، واتّخذوا التّواضع مسلحة، بينكم وبين عدوّكم

(١) الكافي: ٢/ ٣٠٩، باب (الكبر)، ح٢.

إبليس)[١]، وقال (عليه السلام): (فالله الله في عاجل البغي، وآجل وخامة الظّلم، وسوء عاقبة الكبر، فإنّها مصيدة إبليس العظمى، ومكيدته الكبرى، التي تساور قلوب الرّجال مساورة السّموم القاتلة، فما تكدى أبداً، ولا تشوى أحداً: لا عالماً لعلمه، ولا مُقلاّ في طمره)[٢].

ومبرزات الكبر الموجود في النفس الإنسانية ومظهراته عديدة كالسلطة ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ (الزخرف:٥١) والزعامة بكل أشكالها السياسية والاجتماعية والعشائرية حتى الدينية، والعلم ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الأعراف:١٧٥) والمال[٣] والجاه والعصبة من الأولاد والإخوة والأتباع ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ (النمل:٣٣) ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ (فصلت:١٥) وهو منطق الدول المستكبرة اليوم وفي كل زمان، وهذه لو تحققت لصاحب النفس الكريمة فإنها تكون

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢ وهي المسماة بالخطبة القاصعة.

(٢) المصدر السابق.

(٣) راجع قبس قوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ (العلق:٦-٧) في تفسير من نور القرآن.

مدعاة للتواضع وفعل الخير والإحسان إلى الناس، وإنما يسقط في امتحانها ذو النفس اللئيمة الذي يعاني من عقدة الحقارة والدونية، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا يتكبر إلا وضيع خامل)[1] وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما من رجل تكبّر أو تجبّر إلا لذلّة وجدها في نفسه)[2].

وقد دأب علماء الأخلاق على تقسيم علاج الرذائل الخلقية إلى علمي وعملي، فعلاج الكبر العلمي ما ذكرناه من معرفة حقوق الربوبية ووظائف العبودية والتفاته إلى ضعفه وهوانه ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴾ (المرسلات:٢٠) ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ (النساء:٢٨) ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ (الروم:٥٤)، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (عجبت لابن آدم أوله نطفة وآخره جيفة وهو قائم بينهما وعاء للغائط، ثم يتكبر)[3].

فالإنسان خلق من ضعف وهوان، وهو صائر إلى الضعف والهوان، فلا يليق به إلا التواضع واستشعار الذلة والفقر والحاجة إلى الرب الغني العزيز المقتدر، روى الإمام السجاد (عليه السلام) قال: (وقع بين سلمان الفارسي رحمه الله وبين رجل كلام وخصومة،

(١) غرر الحكم: ح ١٠٨٠٨

(٢) الكافي: ٢/ ٣١٠/ ح١٧.

(٣) علل الشرائع: ١/ ٢٧٦.

فقال له الرجل: من أنت يا سلمان؟ فقال سلمان: أما أولي وأولك فنطفة قذرة، وأما آخري وآخرك فجيفة منتنة، فإذا كان يوم القيامة ووضعت الموازين فمن ثقل ميزانه فهو الكريم، ومن خف ميزانه فهو اللئيم)[1].

أما العلاج العملي فيكون بالتواضع لله تبارك وتعالى ولسائر الخلق وتدريب النفس عليه إن لم يكن متّصفاً به، وأن لا يرى لنفسه فضلاً أو تقدماً على الناس، روى الشيخ الصدوق في الخصال عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (في المؤمن عشر خصال) إلى أن قال: (والعاشرة وما العاشرة! لا يرى أحداً إلا قال: هو خير مني وأتقى، إنما الناس رجلان فرجل هو خير منه وأتقى، وآخر هو شر منه وأدنى، فإذا رأى من هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به، وإذا لقي الذي هو شر منه وأدنى قال: عسى خير هذا باطن وشره ظاهر، وعسى أن يختم له بخير، فإذا فعل ذلك فقد علا مجده، وساد أهل زمانه)[2].

وقد ذكرت الروايات بعض العلاجات للكبر، روي عن أبي ذر الغفاري (رضوان الله عليه) قال: (دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مسجده.. فقلتُ: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أوصني بوصية ينفعني الله بها، فقال: .. يا أبا ذر، من مات وفي قلبه

(١) الأمالي للصدوق: ٧٠٨/ ح٩٧٦.

(٢) الخصال: ٤٣٣، أبواب العشرة.

مثقال ذرة من كبر لم يجد ريح الجنة إلا أن يتوب قبل ذلك، فقال: يا رسول الله، إني ليعجبني الجمال حتى وددت أن عِلاقة سوطي وقِبال نعلي حسن، فهل يرهب علي ذلك؟ قال: كيف تجد قلبك؟ قال: أجده عارفاً للحق مطمئناً إليه، قال: ليس ذلك بالكبر، ولكن الكبر أن تترك الحق وتتجاوزه إلى غيره، وتنظر إلى الناس ولا ترى أن أحداً عرضه كعرضك ولا دمه كدمك)[١]، وقال الإمام السجاد (عليه السلام): (من قال: أستغفرُ الله وأتوب إليه، فليس بمستكبر ولا جبار، إن المستكبر مَن يصرّ على الذنب الذي غلبه هواه فيه، وآثر دنياه على آخرته)[٢].

ومما ورد في خطبة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في مسجد أبيها (صلى الله عليه وآله) في مصالح التشريعات الإلهية: (فجعل الله الصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر)[٣] فالصلاة لو أقيمت حق قيامها فإنها علاج الكبر لأنها ﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت:٤٥) وفيها من الأفعال ما يزيل الكبر عملياً كالركوع والسجود وأذكار التسبيح والتعظيم والتكبير وتذكّر الوقوف بين يدي الله يوم القيامة، وما فيها من الدعاء والتذلل وإظهار الحاجة إلى الله تبارك وتعالى، فإن الدعاء يقوِّي عزيمة المؤمن ويربطه بالعطاء اللامتناهي، روى الشيخ الكليني بسند صحيح عن زرارة

(١) بحار الأنوار: ٧٤/ ٩٠، نقلاً عن مكارم الأخلاق للطبرسي.

(٢) بحار الأنوار: ٩٠/ ١٩٣.

(٣) الاحتجاج: ١/ ١٢٨.

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنْ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر:٦٠) قال (عليه السلام): (الدعاء، وأفضل العبادة الدعاء)[١]، فالدعاء علاج فعّال للكبر، وتركه للشعور بالاستغناء وعدم الحاجة استكبار وفي دعاء مكارم الاخلاق للإمام السجاد (عليه السلام): (ولا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تحدث لي عزا ظاهرا إلا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها)[٢].

(١) الكافي: ٢/ ٣٣٩/ ح١.

(٢) الصحيفة السجادية: ١١٠.

خطاب المرحلة
(٧٦٥)

دعوة كريمة إلى الإنفاق في سبيل الله تعالى من كل ما يتيسّر[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة:٢٤٥).

دعوة من الله تبارك وتعالى مع حثٍّ وترغيب على إقراض الله تعالى، وقد تكرّر في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد:١١) وقوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد:١٨) وقوله تعالى ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (التغابن:١٧) وغيرها، ويصل في بعضها إلى صيغة الأمر ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ (المزمل:٢٠).

ومعنى القرض لغةً هو القطع، وعرفاً ما تقتطعه من مالك وتملّكه إلى آخر لتقضاه أي مشروطاً بإرجاعه - كما عن ابن

---

(١) من درس التفسير الأسبوعي الذي يلقيه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه في النجف الأشرف على طلبة البحث الخارج يوم الأربعاء ٣٠/جمادي آخرة/١٤٦٦هـ- الموافق ٢٠٢٥/١/١م.

فارس[١] - وقال الراغب: ((سُمّي ما يدفع إلى الإنسان من المال بشرط ردّ بدله قرضاً))[٢]، ويراد بالقرض في هذه الآيات بحسب الروايات الشريفة مطلق الإنفاق في سبيل الله تعالى لتحقق معناه، وهو أن تقطع شيئاً من مالك وتهبه لله تبارك وتعالى لتستوفي أجره وجزاءه يوم القيامة؛ فتكون الآية من قبيل قوله تعالى ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٦١).

والقرض من مصاديق الدَين الذي هو أعم منه لأنه يشمل كل في الذمة كالشراء بالآجل أو الضمان، وقد عبّرت جميع الآيات الكريمة التي تعرضت لهذه الدعوة المباركة بالقرض وليس بالدين، ولعل نكتةً لطيفة في ذلك هي أن القرض لوحظ فيه حال المقرض وهو عمل صالح يقوم به طلباً للأجر فيُضاعف الثواب لفاعله، أما الدين فلوحظ فيه جانب المدين وهو من الإدانة وفيه حالة من الإذعان لإرادة الدائن، والاستسلام لشروط الجزاء.

وزادها لطافة وصف القرض بالحسن في كل الموارد لتقييد الفعل بكونه مخلصاً لله تعالى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

(١) معجم مقائيس اللغة- ابن فارس: ٧١/٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٤٠٠/١.

(المائدة:٢٧) خالياً من شوائب المنة والاستعلاء والإهانة والرياء والتنافس مع الآخرين ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ (البقرة:٢٦٤) وأن يكون المال طيباً من كسب حلال ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ (البقرة:٢٦٧) وأن لا يكون مقترناً بمحرم وأشنعه الربا ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (البقرة:٢٧٥) ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ (البقرة:٢٧٦) وأن يكون من أحسن المال وأكثره نفعاً للقابض لأنه من البر فلا بد أن يتصف بأوصافه ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران:٩٢) واختصرها قوله تعالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص:٨٣).

فإذا كان الإنفاق حسناً فقد وعد الله تعالى فاعله بجزاء حسن لا حدود له ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾، روى الشيخ الصدوق (رضوان الله تعالى عليه) بسنده عن أبي أيوب الخزاز قال: (سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: لما نزلت هذه الآية على النبي(صلى الله عليه وآله): ﴿مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيرٌ مِنهَا﴾ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اللهم زدني، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشرُ أَمثَالِهَا﴾ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اللهم زدني، فأنزل الله

عز وجل ﴿مَنْ ذَا الذِي يُقرِضُ اللهَ قَرضاً حَسَناً فيُضاعِفَهُ لَهُ أَضعَافاً كَثِيرةً﴾ فعلم رسول الله (صلى الله عليه وآله): أن الكثير من الله عز وجل لا يحصى وليس له منتهى)[1].

وروى الشيخ الصدوق في الخصال عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (قال الله جل جلاله: إني أعطيت الدنيا بين عبادي قيضاً - أي مقايضة، وفي نسخة فيضاً، وفي الكافي: قرضاً - فمن أقرضني منها قرضاً أعطيته بكل واحدة منهن عشراً إلى سبعمائة ضعف وما شئت من ذلك)[2].

إن المؤمن الواعي ليشعر بالخجل أمام الله تبارك وتعالى الذي وهبه ألوان النعم بلا مقابل كرماً منه وتفضّلاً، ثم يحثه ويستثيره ويستنهضه ليقرض العبد ربه بعض ما وهبه له ﴿أَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الحديد:٧) وفي الدعاء (وَأَنْتَ الْوَهَّابُ، ثُمَّ لِمَا وَهَبْتَ لَنَا مِنَ الْمُسْتَقْرِضِينَ)[3]، وفوق ذلك فإنه يعده بمضاعفة الأجر على ذلك أضعافاً كثيرة، فهو تبارك وتعالى يأخذ من عباده هذا القليل وينميه اضعافاً مضاعفة ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ (البقرة:٢٧٦) ويعيده اليهم أضعافاً كثيرة يوم الفاقة والحاجة إليه، وأن الله تعالى قادر على أن يكفي ذلك المحتاج ويغنيه

(١) معاني الأخبار: ٣٩٧، نور الثقلين: ١/ ٢٤٣.

(٢) الخصال: ١٣٠/ ح١٣٥.

(٣) من دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة.

كما أغنى غيره لكنه تبارك وتعالى اراد أن يجري الخير على يد الغني ليثيبه ويرفع درجته شفقة منه ورحمة بعباده، فنعم الرب ربنا اللطيف الكريم العطوف، وبئس العبيد نحن إن لم نستجب لدعوته إلى ما يحيينا ونسعى لرضاه تبارك وتعالى.

روى العلامة الطبرسي في مجمع البيان عن الكلبي في سبب نزول الآية قال: ((إن النبي(صلى الله عليه وآله) قال: (من تصدق بصدقة فله مثلها في الجنة) فقال أبو الدحداح الأنصاري، واسمه عمرو[1] بن الدحداح: يارسول الله، إن لي حديقتين إن تصدقت بإحداهما[2]، فإن لي مثليها في الجنة؟ قال: نعم. قال: وأم الدحداح معي؟ قال: نعم. قال: والصبية معي؟ قال: نعم. فتصدق بأفضل حديقتيه، فدفعها إلى رسول الله. فنزلت الآية، فضاعف الله له صدقته ألفي ألف، وذلك قوله: ﴿أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾. قال: فرجع أبو الدحداح، فوجد أم الدحداح والصبية في الحديقة التي جعلها صدقة، فقام على باب الحديقة، وتحرج أن يدخلها فنادى: يا أم الدحداح، قالت: لبيك يا أبا الدحداح. قال: إني قد جعلت حديقتي هذه صدقة، واشتريت مثليها في الجنة، وأم الدحداح معي، والصبية معي.

---

(١) اسمه في المعاجم: ثابت من بني عمر بن عوف

(٢) في رواية القرطبي:((قال أبو الدحداح: أن لي حديقتين احداهما بالسافلة والأخرى بالعالية والله لا املك غيرهما قد جعلتهما قرضاً لله تعالى، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اجعل أحدهما لله والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك)) (تفسير القرطبي: ٣/ ٢٣٨).

أقول: لأن النفقة على العيال من أعظم الصدقة، ولكيلا يبقى ابو الدحداح معدماً يطلب من الناس

قالت: بارك الله لك فيما شريت، وفيما اشتريت، فخرجوا منها، وأسلموا الحديقة إلى النبي. فقال النبي: (كم نخلة متدل عذوقها لأبي الدحداح في الجنة)))[1]. وفي رواية القرطبي عن زيد ابن أسلم ((ثم اقبلت ام الدحداح على صبيانها تخرج ما في افواههم وتنفض ما في اكمامهم حتى افضت إلى الحائط الاخر)) أقول: هذه من الأمثلة السامية لعظمة تأثير القرآن الكريم والقيادة الحكيمة للنبي (صلى الله عليه وآله) في أمة كانت في حضيض الجاهلية.

ثم قال تعالى: ﴿وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة:٢٤٥) وفيه رد على زعم اليهود الذي حكته الاية الكريمة ﴿لقدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء﴾ (ال عمران:١٨١)، روى الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (القبض من الله تعالى المنع، والبسط منه الاعطاء والتوسيع، كما قال الله عز وجل ﴿وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ ترجعون﴾ (البقرة:٢٤٥) يعني يعطي ويوسع، ويمنع ويقبض)[2] فإن الله تعالى هو ﴿الرَّزَّاقُ﴾ فهو يقبض الرزق عن قوم ويبسطه لآخرين، فليعلم من عنده فضل من المال هذه الحقيقة وأن ما عنده هو من الله تعالى حتى لا يتوقف عن العطاء

(١) مجمع البيان: ٢/ ٧٨، ط. مؤسسة التأريخ العربي، وتوجد روايات عديدة عن القضية في الدر المنثور، المجلد الأول: ٧٤٦، ط. دار الفكر.

(٢) التوحيد - الشيخ الصدوق: ١٦١/ح٢.

في سبيل الله تعالى، وإن الله تعالى هو الذي يقبض العطاء من المنفق وهو الذي يبسط الجزاء الأوفى له عاجلاً في الدنيا وآجلاً في الاخرة، فلا يتخوّف من الإنفاق ولا يدع الشيطان يوسوس له بأن الإنفاق تلف للمال وضياع، وأن الأحجى هو ادخار المال للفاقة والحاجة حتى اشتهر المثل العامي (الفلس الأحمر ينفع في اليوم الأسود) وهو صحيح بلحاظ الإسراف وصرف المال في غير الأمور الراجحة، وليس لتعطيل الإنفاق في سبيل الله تعالى.

﴿وإلَيهِ تُرجَعُونَ﴾ فإنكم جميعاً مبعوثون يوم القيامة وراجعون الى ربكم ﴿إنَّا لله وانا إلَيهِ رَاجِعُونَ﴾ وحينئذٍ ﴿تُوفّى كُلُّ نَفسٍ مَا كَسَبت﴾ (البقرة:٢٨١) و﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ (الكهف:٣٠) ومادامت الامور ترجع إلى الله تبارك وتعالى وبيده فان الجزاء بالأضعاف المضاعفة متوقع ومرجو ممن له ﴿خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (المنافقون:٧).

وستجدون أن ما أعطيتم في سبيل الله هو الباقي الذي تنتفعون به، أما ما بخلتم به فقد تلف ولم تستفيدوا منه، روي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذبح شاة ووزع لحمها على الفقراء، فسأل عائشة عما بقي منها، فقالت: ما بقي منها إلا كتفها، فقال (صلى الله عليه وآله): بقي كلها إلا كتفها)[1].

(١) صحيح الترمذي: حديث رقم ٢٤٧٠.

وهنا يثار سؤال، بأن الله تعالى ﴿غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران:٩٧) فالله هو الغني المطلق ووصفه في دعاء الافتتاح (الباسِطِ بالجودِ يَدَهُ، الَّذي لا تَنقُصُ خَزائِنُهُ وَلا تَزيدُهُ كَثرَةُ العَطاءِ إلاّ جوداً وَكَرَماً)[١] وفي أدعية شهر رجب (يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنّناً منه ورحمة)[٢] فما حاجته تبارك وتعالى إلى طلب القرض من عبده الفقير المطلق ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر:١٥) وكيف نفهم هذه الدعوة الكريمة من الله تبارك وتعالى؟.

وقبل الإجابة لا بد أن نسلِّم بالحقيقة المذكورة في السؤال، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد:١١) ... ولم يستقرضكم من قُلٍّ، ....، واستقرضكم وله خزائن السماوات والأرض وهو الغني الحميد. وإنما أراد أن يبلوكم أيكم أحسن عملاً)[٣].

ويمكن أن يكون الجواب بوجوه:

١- بلحاظ المعنى المتبادر من مثل هذه الآيات المباركة وبيّنته الأحاديث الشريفة حيث يراد من الإقراض مطلق الإنفاق في سبيل الله

(١) مصابيح الجنان: ٥٣٩.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٨٦.

(٣) نهج البلاغة: ٢/ ١١٤.

تعالى، وقد نسب الله تعالى قبض المال إليه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ (التوبة:١٠٤) وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (إن الله تبارك وتعالى يقول: ما من شيء إلا وقد وكلت من يقبضه غيري إلا الصدقة، فإني أتلقفها بيدي تلقّفاً)[١].

والجواب بأنَّ في هذه النسبة إلى الله تبارك وتعالى تعظيماً لشأن هذا العمل الصالح حيث شرّفه الله بنسبته إليه، وعلى المنفق أن يلتفت إلى هذه الحقيقة ليبادر إلى الانفاق، وأن يعلم بأنه إنما يعطي إلى الله تعالى فلا يشعر بالمن والاستعلاء، كما أن في هذه النسبة تكريماً للمؤمن وصون مكانته حينما جعل الله تعالى نفسه قابضاً نيابة عن المؤمن، فإكرام المؤمن من إكرام الله تعالى، وتؤيده الأحاديث الشريفة مثل قول النبي (صلى الله عليه وآله) وهو يشير إلى الكعبة المشرفة: (والله للمؤمن أعظم حرمة منك)[٢].

٢- بتقدير مضاف، وهو أن العطاء يكون حقيقة لولي الله تعالى، وفي ذلك روايات عديدة، فقد روى الشيخ الكليني بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (ما من شيء أحب لله من اخراج الدراهم إلى

(١) الكافي - الشيخ الكليني: ٤/ ٤٧/ح٦.

(٢) بحار الأنوار: ٦٤/ ٧١، عن مشكاة الأنوار، وقريب منه مارواه الصدوق في الخصال: ٢٧/ح٩٥، والمفيد في الاختصاص: ٣٢٥.

الإمام، وإن الله ليجعل له الدرهم في الجنة مثل جبل أحد، ثم قرأ الآية الكريمة وقال: هو والله في صلة الإمام)[١]، وروى الشيخ الصدوق (رضوان الله تعالى عليه) عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه (سُئل عن قول الله عز وجل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ قال (عليه السلام): نزلت في صلة الامام)[٢].

٣- بالنظر إلى المعنى اللغوي للإقراض وهو أن تقطع شيئاً منك وتعطيه للآخر لتستوفيه وتقضاه لاحقاً وهو لا يختص بالإنفاق المالي، فإن المراد بإقراض الله تعالى كل الطاعات المقرّبة إليه سبحانه، فكل ما تقدمه من جهد بدني أو مالي أو علمي أو فكرة أو خطة أو معلومة أو نشاط اجتماعي أو أخلاقي وغيرها في سبيل الله تعالى فهو إقراض لله تعالى لأنك تطلب استيفاء أجره من الله تعالى، لذلك اقترنت دعوة الإقراض بهذا المعنى العام من تقديم الاعمال الصالحة في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾ (المزمل:٢٠)، وإن الآية محل البحث جاءت في سياق الحث على الجهاد في سبيل الله تعالى، فقد قال عز من قائل في الآية السابقة: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٤٤) حيث أن التضحية بالنفس في سبيل الله تعالى أعظم وجوه

(١) اصول الكافي ١/٤٥١/ ح٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٧٢/ ح١٧٦٣.

الإنفاق والبر، قال: (فوق كل ذي بر بر حتى يقتل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر)[١].

واقترنت في الآية الأخيرة من سورة المزّمّل بتلاوة القرآن وقيام الليل وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والاستغفار، وقد فهمها اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذا المعنى الواسع لذا طبقوها على طاعات كثيرة كالتوسعة على العيال وقول (سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله اكبر) وقراءة سورة التوحيد[٢].

وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى: ﴿أَقْرَضُوا اللَّهَ﴾ أي قدموا بين يدي الله تعالى كل عطاء من أنفسكم وأموالكم وجهودكم وتفكيركم ليجزيكم به اضعافا مضاعفة لا حدود لها، فالقرض المطلوب ليس ناشئاً من حاجة وانما هو لإرباحكم واستثمار لما وهبكم الله تعالى من النعم، كمن يودع في المصارف لأجل الفائدة بغض النظر عن الحكم الشرعي.

ومن وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الإمام الحسن (عليه السلام): (وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلاَ تَجِدُهُ،

(١) الكافي: ٥/ ٥٣.

(٢) الدر المنثور: ١/ ٧٤٧.

وَاغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ في حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ في يَوْمِ عُسْرَتِكَ)[١].

واخرج البيهقي في شعب الايمان عن الحسن قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يروي ذلك عن ربه عز وجل انه يقول: يابن ادم أودع من كنزك عندي ولا حرق ولا غرق ولا سرق اوفيك احوج ما تكون إليه)[٢].

ومن هذه الطاعات القرض بالمعنى الأخصّ أي المعروف في المصطلح الفقهي والعرفي، وقد حثّت عليه الأحاديث الشريفة كالآيات الكريمة، ففي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوباً الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقلت: يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة)[٣] وعنه (صلى الله عليه وآله): (من أقرض مؤمناً قرضاً ينتظر به ميسوره كان ماله في زكاة، وكان هو في صلاة من الملائكة حتى يؤديه إليه)[٤] وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: (من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر)[٥].

---

(١) نهج البلاغة: ٣١.

(٢) الدر المنثور: ١/ ٧٤٨.

(٣) كنز العمال: رقم ١٥٣٧٤، وكثرت رواية الحديث في مصادرنا كما في ثواب الأعمال: ١٦٧، وفي بحار الأنوار: ١٠٣/١٣٨-١٣٩.

(٤) ثواب الأعمال: ١٦٦/ ح١.

(٥) كنز العمال: ١٥٣٩٨.

ومما يؤسف له انحسار هذا العمل الإنساني وعدم اقدام أهل السعة على انشاء (صندوق القرض الحسن) الذي له بركات عظيمة على المجتمع، وفي هذا العزوف خسارة لطاعة عظيمة، وإن وجدت بعض الأسباب لقطع سبيل المعروف عديدة (منها) الأرباح المغرية التي يعطيها بعض المضاربين في السوق لمن يستثمر أمواله عندهم وهم غالباً مغامرون لا يهمهم مصير المال لأنهم لم يشقوا باكتسابه، فيخسرون هذه الأموال وتكون نهايتهم في السجون أو الهروب إلى خارج البلد.

(ومنها) مماطلة المقترضين وعدم تسديد ما بذمتهم خصوصاً إذا أمنوا العقوبة، وبفعلهم هذا يقطعون سبيل المعروف.

ونحن نستقبل شهر رجب الأصب وايام الله تبارك وتعالى ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ﴾ (إبراهيم:٥) وهو ما يليه من شعبان وشهر رمضان من اعظم مواسم الطاعة والتقرب إلى الله تبارك وتعالى وتتأكد فيها الدعوة إلى اقراض الله تبارك وتعالى بكل عمل صالح مثمر، ومن كلٍّ بما يتيسر له ويحسنه ويناسبه والله ولي التوفيق.

خطاب المرحلة
(٧٦٦)

دعوة للاقتباس من نور كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام)[١]

أشتهر وصف كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنه ((دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين))[٢]، وليس في هذا الوصف أيه مبالغة لأنه (عليه السلام) هو ((القرآن الناطق))[٣] وهو (عليه السلام) صنو القرآن، ولا يفترقان بنص حديث الثقلين المشهور الذي رواه الفريقان، وهو (عليه السلام) الذي أئتمنه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على تأويل القرآن وبيان حقائقه وأخبره بأنه سيقاتل على التأويل كما قاتل هو (صلى الله عليه وآله وسلم) على التنزيل[٤]، فكان (عليه السلام) ترجمان القرآن.

لما وقع الخوارج ضحية خديعة معاوية وعمر بن العاص حينما طلبا الاحتكام إلى كتاب الله فهددوا أمير المؤمنين (عليه السلام) بالحرب وتمزيق الجيش إذا لم يقبل التحكيم كما قال أوائلهم ((حسبنا كتاب الله)) فحذرهم (عليه السلام) من الوقوع في الفتنة وأن

---

(١) تقرير كلمة ارتجلها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في درسه بمناسبة ذكرى ميلاد أمير المؤمنين (عليه السلام) في ١٣/رجب/١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٥/١/١٤م.

(٢) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد: ج١/ ص٢٤.

(٣) (ولما أراد أهل الشام أن يجعلوا القرآن حكما بصفين. قال: الإمام علي (عليه السلام): أنا القرآن الناطق) ينابيع المودّة: ٢١٤/١/ح٢٠.

(٤) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي: ج١/ ص١٧٤.

القرآن لابد له من ناطق قال (عليه السلام): (هذا القرآن كتاب بين أيديكم إنما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولابد له من ترجمان وإنما ينطق عنه الرجال)[١] ويقصد به نفسه الشريفة، وقد شرحنا في خطاب سابق[٢] معنى أن علياً (عليه السلام) هو النقطة، لأنه كالنقطة التي تعطي بحركتها على الحروف معانيها وتميز بينها، وبدونها تكون الكلمات مجملة ومبهمة، وكذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) فإنه بيّن المعاني الحقيقية للقرآن الكريم.

وكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) كالقرآن الكريم لا يختص تفوّقه بالفصاحة والبلاغة وإن كانت هذه سمة بارزة فيه شهد بذلك أعداءه، روى ابن ابي الحديد في مقدمة شرح النهج أن محقن الضبي دخل على معاوية فسأله من أين جئت، قال: ((جئتك من عند أعيى الناس![٣] قال: يا ابن اللخناء لعليّ تقول هذا؟! وهل سنّ الفصاحة لقريش غيره؟))[٤]، وإنما لأنه رشحه من أنوار القرآن الكريم.

---

(١) نهج البلاغة: ٥/٢.

(٢) راجع ملحق قبس قوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (سورة الفاتحة:١) في تفسير من نور القرآن.

(٣) أي لا يحسن التكلم.

(٤) مقدمة الشارح: ج١/ ص٢٢، سفينة البحار: ٨٣/٧.

ولو صُنّفت[1] خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) وكلماته في نهج البلاغة ومستدركاته وغرر الحكم وغيرها لوجدته يتناول نفس قضايا القرآن الكريم.

ومن تلك القضايا:

١- المعارف الإلهية من التوحيد والمعاد والمبدأ والمنتهى وسائر العقائد الحقه وعجائب المخلوقات، وفي أول كلمة من أول خطبة له في النهج بعد الحمد والثناء قوله (عليه السلام) (أول الدين معرفته).

٢- قصص الأنبياء العظام والتنبيه إلى مواضع العبرة والتأسي فيها خصوصاً مما سمعه ورآه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

٣- عظمة القرآن الكريم وأسراره ودوره في صلاح البشرية وهدايتها، والدعوة إلى العمل به.

٤- اصطفاء أهل البيت (عليهم السلام) وأفضليتهم على الناس أجمعين وأنهم السبيل الموصل إلى الله تبارك وتعالى ومغبّة التخلف عنهم، وصفات الإمام الحق.

٥- أحوال الإنسان في الحياة الدنيا وما بعدها والوصف الدقيق للموت وكيفية حلوله بالإنسان والدعوة إلى الاتعاظ به.

---

(١) أُلِفّ أكثر من كتاب في هذا المجال يحُسُن الاستفادة منها.

٦- الوصايا والنصائح والتوجيهات الاجتماعية والانتفاع من التجارب الحكيمة والخبرات الكاملة، وبيان الأخلاق الفاضلة والتحذير من الرذائل الخلقية.

٧- أسس الدولة الصالحة والمجتمع الصالح، ومقومات الحياة الكريمة للإنسان والعدالة الاجتماعية، وأمور السياسة وتوجيه أعمال الولاة، وصفات الحاكم من وجهه نظر الإسلام.

٨- الحث على الجهاد في سبيل الله تعالى، وبيان آداب الحرب وعوامل النصر وأسباب الهزيمة، والقيمة الكبرى للشهادة في سبيل الله تعالى.

٩- فضح الشبهات العقائدية والفكرية والرد عليها وإنقاذ الأمة من الضلالات والشكوك وبيان أسباب نشوء الفتن وتمددها واتساعها.

١٠- الحث على التقوى والعمل الصالح والتزهيد في الدنيا الخادعة وتهذيب النفس والدعوة إلى تطبيق الشريعة في سائر نواحي الحياة والتفقه في الدين.

١١- معالجة القضايا الاقتصادية والاجتماعية والمشاكل التاريخية للأمم كالفقر والطبقية وعبادة الطواغيت والاستكبار والاستئثار والانانية.

١٢- بناء الأسرة الصالحة وبيان مسؤوليات كل فرد والواجبات والحقوق.

١٣- عرض القضايا التاريخية والملابسات التي حصلت ووجه الحق فيها حتى لا تسيء الأمة اتخاذ المواقف بإزائها وتبني عليها عقائد وأفكار وسلوكيات خاطئة.

وحينما عنون السيد الشريف الرضي (رضوان الله تعالى عليه) الكتاب بنهج البلاغة كان يعلم أنه ليس نهجاً للبلاغة فقط وإنما لكل فضيلة ومكرمة وسعادة على نحو القرآن الكريم، ولعله أراد تمرير الكتاب بهذا العنوان الذي لا يثير الأجواء المشحونة بالطائفية والمعادية لمنهج أهل البيت (عليهم السلام) والسائرين عليه.

وكان السلف الصالح يتواصون بالتأمل في خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) وكلماته، ووجدتُ في إحدى إجازات المحقق النائيني (رضوان الله تعالى عليه) الوصية بالمداومة على قراءة خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) عقيب تلاوته سورة ألهاكم التكاثر[1]، وقد أدركنا خطباء ذلك الزمن وقد جرى ديدنهم على افتتاح مجالس الوعظ والإرشاد بخطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) وهي غالباً في الموعظة وذكر الموت وأحوال القبر والآخرة والتحذير من الاغترار بالدنيا ثم يشرحونها ويعززون كلامهم بالشواهد القرآنية والتاريخية والأدبية، ونقل جدي لأبي المرحوم شيخ

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٠.

الخطباء الشيخ محمد علي اليعقوبي عن أخيه الشيخ مهدي وهو جدي لأمي: أنني لا أبالغ إذا قلت إنه كان يحفظ ثلاثة أرباع نهج البلاغة[١]، وسمعت والدي يقول عن بعض العادات المنبرية التي كان يسير عليها أنه أخذها عن أبيه عن جده الشيخ يعقوب وكلهم خطباء معروفون عن المرحوم الشيخ جعفر الشوشتري الواعظ الشهير الذي كان يحضر مجلسه في الصحن الحيدري الشريف أكابر العلماء ومراجع الدين.

لذا فنحن بحاجة إلى نهضة علوية مباركة للاستفادة من كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) الموجودة في نهج البلاغة وغيره كمستدركه الذي يزيد عليه بأربع مرات وقصار كلماته في غرر الحكم الذي هو مجلد يضاهي كتاب النهج ومن أدعيته ومناجاته، حتى لا نكون كمعاصريه الذين تعلقت قلوبهم بالدنيا فسئموا مواعظه وقالوا له: لقد أبرمتنا بكثرة مواعظك[٢]، فإننا وإن أفتقدنا شخصه (عليه السلام) ألا أنه موجود بيننا بكلماته وكأنه يخطب فينا.

ولنجعل هذه النهضة شكراً عملياً للنعمة العظيمة التي وهبنا الله تعالى إياها في هذا اليوم المبارك بميلاد أمير المؤمنين (عليه السلام) في جوف الكعبة، ولتكن بمثابة الهدية التي نقدمّها له (عليه السلام) في ذكرى ميلاده الميمون وجزءً من الاحتفال بهذه المناسبة العطرة.

---

(١) البابليات: ٣/ ص٢٦٠ القسم الثاني ط.الثانية.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤/ ص٣٢٤، أعيان الشيعة: ج٧/ ص٧٢.

ويمكن أن تكون هذه النهضة من خلال عدة إجراءات عملية:

١- إضافة درس شرح نهج البلاغة إلى المنهج الدراسي في الحوزة العلمية.

٢- تضمين المجالس والمحاضرات خطب وكلمات أمير المؤمنين (عليه السلام).

٣- تأسيس المراكز المتخصصة بتصنيف كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام)وتحليلها وشرحها.

٤- ترجمة كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى اللغات المختلفة ليتعرف العالم على جوانب الكمال في شخصيته العظيمة ولتستفيد الأمم منه ما يعالج مشاكلها النفسية والاجتماعية والحضارية.

إن من حق الشيعة أن يفخروا بأنهم من أتباع هذا الإمام العظيم في الدنيا وفي الآخرة حيث يقول الله تبارك وتعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء:٧١) فيدعى الشيعة بإمامهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، فمن هم أئمة الآخرين يا ترى؟ وأي شيطان من شياطين الجن والإنس يقودهم.

نسأل الله تعالى الاستقامة على دينه والثبات على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) وأن يحشرنا في زمرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

خطاب المرحلة
(٧٦٧)

أجعل همَّك التزود للآخرة [١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾ (المزمل:٢٠) وقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة:١١٠).

التقدم مقابل التأخر، والمراد بالتقديم هنا التزّود للآخرة التي سنقدم عليها بفعل الصالحات وتقديمها إلى يوم الحساب والجزاء في الآخرة التي هي قدّامنا ونحن نتحرك إليها وهي مآلنا، فاستعمل التقديم بلحاظ هذه الحركة، فمن عمل صالحاً فقد قدّم لآخرته، ومن ترّكه وخلّفه في الدنيا فقد أخرّه، والا فإن الدنيا مقدّمة على الآخرة بلحاظ الزمان وبلحاظ ورودها علينا كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ (ق:٢٨)، ولذا سميت الآخرة لإنها متأخرة عن الدنيا الحاضرة.

---

(١) من درس التفسير الأسبوعي الذي يلقيه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على طلبة الحوزة العلمية والبحث الخارج في مكتبه في النجف الأشرف يوم الأربعاء ١٤/رجب/١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٥/١/١٥م.

وقد وردت كلمة ﴿خَيْرٌ﴾ مطلقة في الآية الكريمة لتشمل كل عمل مقرّب إلى الله تعالى وفيه نفع للمجتمع في دنياهم وآخرتهم، ولا تختص بالعبادات المعروفة أو الإنفاق المالي ومن أرقى مصاديقه التفقه في الدين ونشر المعارف الدينية بين الناس وتعلميهم الأحكام الشرعية، ويشمل مثلاً رعاية الشباب والأطفال، وإقامة المعارض الثقافية، ونشر كلمات الوعي والهداية، والإصلاح بين المتخاصمين، والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها، كالذي قلناه[1] في الإقراض في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ (الحديد:١٨)، وقد وقع نفس المقطع أيضاً قبل هذه في نفس الآية الكريمة، قال الفيض الكاشاني (كصلاةٍ ومالٍ تنفقونه في طاعة الله تعالى، او جاه تبذلونه لإخوانكم المؤمنين تجرّون به إليهم المنافع وتدفعون به المضار)[2].

وفي إضافة كلمة ﴿لِأَنفُسِكُم﴾ وهي مقرونة بلام الاختصاص أو الملك مزيد عناية بأن مرجع هذا الخير اليكم وإن كان ظاهراً في الدنيا

(١) ما تقدم في خطاب رقم (٧٦٥) بعنوان: (دعوة كريمة إلى الإنفاق في سبيل الله تعالى من كل ما يتيسَّر) فراجع.

(٢) تفسير الصافي: ١٦٣/١.

أنه لنفع غيركم كالصدقة للفقير أو مساعدة الآخرين وقضاء حوائجهم، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء:٧)، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت:٤٦) وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (يوماً ما أحسنت إلى أحد قط! فرفع الناس رؤوسهم تعجباً، فقرأ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾)[1] وقال الإمام علي (عليه السلام): (إنك إن أحسنت فنفسك تكرم، وإليها تحسن؛ إنك إن أسأت فنفسك تمتهن وإياها تغبن)[2].

وإذا أضاع الإنسان عمره في التفاهات واللغو فإنه سيندم على عدم تقديمه لآخرته، وستكون حسرته كبيرة ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (الفجر:٢٤) أي الآخرة ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت:٦٤) ﴿حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَ﴾ (الأنعام:٣١) ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ (الزمر:٥٦)، ولا ينفعه حينئذٍ الندم لأنَّ وقت العمل قد انتهى وأغلقت أبوابه.

---

(١) نثر الدر: ١/ ٢٩٣.

(٢) غرر الحكم: ٣٨٠٨ و٣٨٠٩، عيون الحكم والمواعظ: ١٧٢ / ٣٥٩٥ و٣٥٩٦.

وفي الآية الكريمة حث وترغيب على الازدياد من أعمال البّر كلها والطاعات المقرّبة إلى الله تعالى كما في الدعاء (واجعل الحياة زيادة لي في كل خير)[1].

قوله تعالى: ﴿تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ أي ستجدون نفس ما قدمتم من أعمال مسجلة عند الله تعالى، ومحفوظة بحقائقها ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾ (آل عمران:٣٠)، ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:١١٥) وفي هذا الوعد ثمرتان مباركتان:

أ- ﴿تَجِدُوهُ﴾ وفيه تطمين للعاملين بان أعمالكم مسجّلة عند الله تعالى مهما كان العمل ضئيلاً وغير ذي قيمة في نظر الناس كالابتسامة في وجوه الآخرين والسلام عليهم ورفع الأذى عن طريق المسلمين فقد وردت الأحاديث بأنها كلها مما توجب الاجر العظيم[2] ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾

(١) الصحيفة السجادية: ص٥٤٨.

(٢) عن كتاب شعب الإيمان أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) (كنز العمال: ٥٢)، وفي دعوات الراوندي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (نزعك القذاة، عن وجه أخيك عشر حسنات، وتبسمك في وجهه حسنة، وأول من يدخل الجنة أهل المعروف)، وعن المحجة البيضاء أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (إن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى في امرأته).

[الكهف: ٣٠] لأن الله تعالى محيط احاطة تامة بعباده وما يصدر عنهم ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة:٧)، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾ (الزلزلة:٧)، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (وما قدمته من خير فعند من لا يبخس الثواب، وما ارتكبته من شر فعند من لا يعجزه العقاب)[1].

ب- ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ وليس كأي عمل تقدمونه لغير الله تعالى، وإنَّ الله تعالى كريم يتفضل على عباده فيجازي الحسنة بأضعافها وبأحسن منها ﴿هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾ (المزمل:٢٠)، فمادامت هذه الاعمال لله تبارك وتعالى وهو الذي يجازي عليها ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة:١١١).

قوله تعالى: (هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾ هذا العمل الصالح خير أكيد من ابتغاء غير وجه الله تعالى به، ومن تركه والكسل والخمول والقعود

(١) غرر الحكم: رقم ٣٢٤٩.

عن فعل الخير كما ورد في الصوم ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (البقرة:١٨٤)، أو أن حقائق هذه الأعمال الصالحة التي ستنكشف في الآخرة هي أجمل وأسمى بكثير من نفس الفعل الذي نقوم به في الدنيا كما ورد[1] من أدخل السرور على قلب أخيه المؤمن فإنه سيجده سروراً في قبره على هيئة مخلوق جميل وهكذا، وهذا معنى آخر للخيرية كما أن حقائق الأعمال الشريرة التي تنكشف في الآخرة هي أسوأ من نفس العمل السيئ كالغيبة التي تظهر بصورة أكل لحم الأخ الميت.

﴿وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾ لأن فاعله سيثاب عليه بأضعاف كثيرة لا تحصى، وقد أطلقت كلمة ﴿خَيْراً﴾ و﴿أَجْراً﴾ هنا لتفيد معنى أوسع من ثواب الآخرة، لأن كثيراً من الأعمال الصالحة توجب مضافاً إلى الأجر: خيراً في الدنيا كسعة الرزق وطول العمر في عافية وقرة العين في الأهل

(١) قال أبو عبد الله (عليه السلام) (إذا بعث المؤمن من قبره خرج معه مثال من قبره يقدمه أمامه وكلما رأى المؤمن هولا من أهوال يوم القيامة قال له المثال لا تحزن ولا تفزع وأبشر بالسرور والكرامة من الله فلا يزال يبشره بالسرور والكرامة من الله حتى يقف بين يدي الله جل جلاله فيحاسبه حسابا يسيرا ويأمر به إلى الجنة والمثال أمامه فيقول له المؤمن رحمك الله نعم الخارج كنت معي من قبري وما زلت تبشرني بالسرور والكرامة حتى رأيت ذلك فمن أنت؟ قال: فيقول أنا السرور الذي كنت أدخلته على أخيك المؤمن خلقني الله منه لا بشرك) ثواب الأعمال- الشيخ الصدوق:١٥٠، وقريب منه ما أورده ابن كثير في تفسيره، أنظر: ج٢/ ص٢٢٢.

والولد وكثرة البركة والتوفيق، ودفع الشرور والبلايا والمكاره عنه، وقد نصّت الأحاديث الشريفة الكثيرة على ذلك[١].

فعلى الإنسان أن يكون حريصاً على عمره فلا ينفق أوقاته إلا فيما ينفعه في آخرته فيقدمّه لها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر:١٨)، لأنه سيأتي اليوم الذي ينظر فيه المرء في صحيفة أعماله وما قدّم لآخرته ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (القيامة:١٣)، بما قدّم لآخرته، وبما بخل به فتركه وأخرّه في دنياه، ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار:٤-٥)، وهذه الحقائق كلها قد بيّنها الله تبارك وتعالى وحذّر من وقوعها ودعا إلى الاستعداد لها ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾ (النبأ:٤٠).

وقد دعا الله تبارك وتعالى عباده إلى تهيئة الزاد لهذه الرحلة الطويلة وتقديمه أمامهم، ولأن هذه الرحلة مجهولة للإنسان ولم يرجع إلينا أحد من ذلك العالم ليخبرنا بما ينفعنا في تلك الحياة، فقد رفع الله تعالى حيرتنا وأجاب سؤالنا ابتداءً رحمةً منه وكرماً وبيّن لنا خير زادٍ

(١) للوقوف على تلك الأحاديث راجع كتاب ثواب الأعمال للشيخ الصدوق (رضوان الله عليه)

نقدمه لآخرتنا، قال تعالى: ﴿تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة:١٩٧) فخير ما يقدمه الانسان لآخرته التقوى وما تقتضيه من أفعال وتروك، وفي نهج البلاغة أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) زار مقبرة بجوار الكوفة وسلّم على أهلها (ثم التفت إلى أَصحابه فقال: أَمَا لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لِأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ ﴿خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾)[1].

وبذلك تحلّ الآية الكريمة أعقد مشكلة تواجهها البشرية وهي الخوف من الموت، فإن الإنسان الصالح الذي استعد لآخرته وقدَّم لها الزاد الذي يوفّر له السعادة هناك فإنه سيكون راضياً بقضاء الله تعالى مسروراً بلقاء الله تعالى مطمئناً إلى أن الموت ليس فناءً ولا نهاية الحياة، بل بوابة ينطلق منها إلى الخلود في عالم رحيب فيه من النعم ما لا عين رأت ولا أذُن سمعت خالداً فيها ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ، وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر:٢٧-٣٠) لذا لم يكن الموت يشكّل عقبة في طريق أولياء الله الصالحين، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (وَاللهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ)[2]، وإنما يخافه من لم يقدّم لآخرته ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (البقرة:٩٦).

(١) نهج البلاغة: ٤/ ٣١.

(٢) نهج البلاغة (شرح عبده) ص ٣٦.

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): (جاء رجل إلى أبي ذر فقال: يا أبا ذر ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمرتم الدنيا وأخربتم الآخرة، فتكرهون أن تُنقلوا من عمران إلى خراب)[١]، وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لرجل سأله عن علة كراهة الموت (فَقَالَ لَهُ مَا لِي لَا أُحِبُّ الْمَوْتَ فَقَالَ لَهُ أَلَكَ مَالٌ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدَّمْتَهُ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمِنْ ثَمَّ لَا تُحِبُّ الْمَوْتَ)[٢]، وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (هل لك مال؟ فقدم مالك بين يديك، فإن المرء مع ماله، إن قدمه أحبّ أن يلحقه، وإن خلفه أحب أن يتخلف معه)[٣]، وكذا من تقدّمه أحبابه إلى الآخرة أشتاق إلى لقائهم كما هو واضح في رثاء السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) لأبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي رثاء أمير المؤمنين (عليه السلام) للصديقة الطاهرة الزهراء (عليها السلام)[٤].

ولأهمية قضية التقديم للآخرة والاستعداد للموت وما بعده فقد شغلت حيّزاً كبيراً من القرآن الكريم، فقد جاء المقطع الذي نحن بصدده في سياق آية كريمة تأمر بالصلاة والزكاة وقيام الليل وتلاوة القرآن والإنفاق في سبيل الله تعالى والإقراض الحسن والسعي في الأرض طلباً

(١) الكافي: ٢/ ٤٥٨ /ح٢٠.

(٢) الخصال: ١٣/ ح٤٧.

(٣) كنز العمال: ٤٢١٣٩.

(٤) أنظر: بحار الأنوار للمجلسي: ٤٣/ ١٧٧. والكافي للشيخ الكليني: ١/ ٤٥٨/ ح٣.

للرزق[١] ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ (المزمل:٢٠) ثم قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم﴾ أي من هذه الأعمال الصالحة وغيرها، وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ، وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون:١٠-١١).

والأحاديث الشريفة عن المعصومين (عليهم السلام) في هذا المعنى غزيرة، فمن وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر في استثمار ما عند الإنسان من قوة وإمكانات لزيادة الرصيد في الآخرة قال (صلى الله عليه وآله): (يا أبا ذر، اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)[٢]، ومن خطب أمير المؤمنين (عليه السلام): (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ؛ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ، وَأَخْرِجُوا

(١) روى في الدر المنثور، والعلامة الطبرسي في (مجمع البيان: ١٠/ ٩٣) عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (إيما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء) ثم قرأ المقطع المذكور من الآية الكريمة.

(٢) مكارم الأخلاق، للشيخ الطبرسي: ٤٥٩، ط. السادسة.

مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ. إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ، وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ؟ لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ، فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً، وَلَا تُخْلِفُوا كُلًّا فَيَكُونَ فَرْضاً عَلَيْكُم)[١]، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما قدّمت من دنياك فلنفسك وما أخرت منها فللعدو)[٢]، وقال (عليه السلام): (إنك لن يغني عنك بعد الموت إلا صالح عمل قدمته فتزود من صالح العمل)[٣]، وقال (عليه السلام): (أكثر سرورك على ما قدمت من الخير وحزنك على ما فات منه)[٤]، وقال (عليه السلام): (بادروا بأعمالكم وسابقوا آجالكم، فإنكم مدينون بما أسلفتم مجازون بما قدّمتم ومطالبون بما خلّفتم)[٥].

وبينوا (سلام الله عليهم) أن كلَّ ما يمكن تقديمة للآخرة من علم أو جهد أو مال أو فكر أو خطة أو مشروع بخل به الإنسان في الدنيا ولم يبتغ به رضوان الله تعالى ولم يقدمه لآخرته فإنه سيكون سبباً لندمه، قال الامام الحسن (عليه السلام) في

(١) نهج البلاغة: ٢/ ١٨٣، بحار الأنوار، للعلامة المجلسي: ٧٥/ ٦٧، ط. الوفاء- بيروت.

(٢) غرر الحكم: ح٢٧٢٨.

(٣) غرر الحكم: ح٢٨٦٧.

(٤) غرر الحكم: ح ٢٦٣١.

(٥) غرر الحكم: ح٢٧٩٥.

وصيته لجنادة ابن أبي أمية: (واعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قُوْتك إلا كنتَ فيه خازناً لغيرك)[١].

روت عائشة (أنَّهم ذبحوا شاةً ووزعوا لحمها فقالَ النَّبيُّ (صلى الله عليه وآله) ما بقيَ منْها؟ قالتْ ما بقيَ منْها إلَّا كتفُها. قالَ (صلى الله عليه وآله): بقيَ كلُّها غيرَ كتفِها)[٢].

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (تصدقوا ولو بصاع من تمر ولو ببعض صاع ولو بقبضة وببعض قبضة ولو بتمرة ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة لينة فان أحدكم لاق الله فقائل له الم افعل بك ألم أجعلك سميعاً بصيراً ألم اجعل لك مالاً وولداً فيقول بلى فيقول الله تبارك وتعالى فانظر ما قدمت لنفسك قال فينظر قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يجد شيئاً يقي به وجهه من النار)[٣].

ونُقل في الأثر أن أحد أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) أوصى بالتصدق بكمية كبيرة من التمر بعد وفاته فأشرف النبي (صلى الله عليه وآله) على توزيعه حتى نفدت وبقيت تمرة في شق الحائط، فقال (صلى الله عليه وآله): لو أنفق هذه التمرة بيده في حياته كانت خيراً له من كل

(١) بحار الأنوار: ٤٤/ ١٣٨.

(٢) سنن الترمذي: ٤/٦٤٤/ح٢٤٧٠؛ رياض الصالحين- النووي: ١٨٨/ح٥٥٧.

(٣) وسائل الشيعة (آل البيت)- الحر العاملي: ٩/ ٣٧٩/ ح١.

هذا بعد وفاته، ومع الالتفات إلى ما دلت عليه الروايات الشريفة من أن الوصية بشيء كفعله في الحياة[١].

وهذا المعنى قد ذكره النبي (ﷺ) في خطبته التي استقبل بها شهر رمضان المبارك لما اشتكى الصحابة من الفقر وعدم قدرتهم على الإنفاق، قال (ﷺ): (اتقوا الله ولو بشقّ تمرة، اتقوا الله ولو بشربة ماء)[٢]، اللهم أرزقنا (الاستعداد للموت قبل حلول الفوت)[٣].

(١) أنظر: ميزان الحكمة – محمد الريشهري: ج٤/ ص٣٥٥٠.

(٢) مصابيح الجنان: ٥٢٤.

(٣) الصحيفة السجادية: ٢٧٧.

خطاب المرحلة
(٧٦٨)

﴿إِنَّ الحسنات يذهبن السيِّئات﴾[١]

قال الله تبارك وتعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (هود:١١٤).

وعد جميل يثلج صدور التائبين العائدين الى الله تعالى الذين آلمهم وخز الضمير وتقريع النفس اللوامة، والطامحين الى محو ما في صحائف أعمالهم من نقاط سوداء خلّفتها المعاصي، والمتطلعين الى الأمل بحياة صالحة طيبة جديدة، والطامعين في تكسير قيود الذنوب التي تعيق السعي نحو الكمال، ولولا هذا القانون الالهي الكريم لانسدَّ طريق التكامل والرقي؛ لأن الذنوب تتراكم وتجعل القلب مكدراً غير قابل للهداية والصلاح ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين:١٤) روى في الدر المنثور عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (مثل الذي يعمل الحسنات على أثر السيئات كمثل رجل عليه درع من حديد ضيقة تكاد تخنقه فكلما عمل حسنة فك حتى يحل عقده كلها)[٢].

---

(١) من درس التفسير الأسبوعي الذي يلقيه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على طلبة الحوزة العلمية والبحث الخارج في مكتبه في النجف الأشرف يوم الأربعاء ٦/شعبان/١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٥/٢/٥م.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، طبعة دار الفكر، ج٤، ص: ٤٨٦.

وهذا الوعد أحد مظاهر الرحمة التي كتبها الله على نفسه قال تعالى ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الانعام:١٢) وقد تكرر هذا المعنى في القرآن الكريم كقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت:٧).

روى الشيخ الكليني (رضي الله عنه) في الكافي بسنده عن الثقة الفَضْلِ بْنِ عُثْمَانَ الْمُرَادِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) يَقُولُ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(صلى الله عليه وآله وسلم): أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَهْلِكْ عَلَى اللَّهِ بَعْدَهُنَّ إِلَّا هَالِكٌ- يَهُمُّ الْعَبْدُ بِالْحَسَنَةِ فَيَعْمَلُهَا فَإِنْ هُوَ لَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ حَسَنَةً بِحُسْنِ نِيَّتِهِ وَإِنْ هُوَ عَمِلَهَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْراً وَيَهُمُّ بِالسَّيِّئَةِ أَنْ يَعْمَلَهَا فَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَإِنْ هُوَ عَمِلَهَا أُجِّلَ سَبْعَ سَاعَاتٍ وَقَالَ صَاحِبُ الْحَسَنَاتِ لِصَاحِبِ السَّيِّئَاتِ وَهُوَ صَاحِبُ الشِّمَالِ لا تَعْجَلْ عَسَى أَنْ يُتْبِعَهَا بِحَسَنَةٍ تَمْحُوهَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ- ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ...﴾)[1].

وقد وقع هذا الوعد الكريم عقب الأمر بالصلاة ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ فقدّم ذكر المصداق الابرز والاقوى على ذكر القاعدة الكلية، مما يكشف عن أنّ اداء

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ج٢/ ص٤٢٩، باب من يهم بالحسنة أو السيئة، ح٤.

الصلوات في أوقاتها له تأثير فعّال في محو السيئات والعفو عنها، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (إِذَا قَامَ الْعَبْدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَانَ هَوَاهُ وَقَلْبُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى انْصَرَفَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)[1]، ومع تكرّر الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة فان فرصة التخلّص من الذنوب تكون عظيمة، روى في تفسير العياشي عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَحَدَهُمَا(عليهما السلام)يَقُولُ: (إِنَّ عَلِيّاً (عليه السلام) أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ أَيَّةُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَرْجَى عِنْدَكُمْ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾ (النساء:٤٨-١١٦) قَال(عليه السلام): حَسَنَةٌ وَلَيْسَتْ إِيَّاهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (النساء:١١) قَال(عليه السلام): حَسَنَةٌ، وَلَيْسَتْ إِيَّاهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣) قَال(عليه السلام): حَسَنَةٌ، وَلَيْسَتْ إِيَّاهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (الانعام:١٣٥) قَال(عليه السلام): حَسَنَةٌ، وَلَيْسَتْ إِيَّاهَا، قَالَ: ثُمَّ أَحْجَمَ النَّاسُ![2]

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت)؛ ج٨١/ ص٢٦١.

(٢) أحجم الناس- بتقديم المهملة-: كفوا ونكثوا هيبة.

فَقَال(عليه السلام): مَا لَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ؟ قَالُوا: لا وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ قَال(عليه السلام): سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) يَقُولُ: أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ﴾ وَقَرَأَ الْآيَةَ كُلَّهَا، وَقَالَ (صلى الله عليه وآله وسلم): يَا عَلِيُّ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَقُومُ إِلَى وُضُوئِهِ فَتَسَاقَطُ عَنْ جَوَارِحِهِ الذُّنُوبُ، فَإِذَا اسْتَقْبَلَ اللَّهَ بِوَجْهِهِ وَقَلْبِهِ لَمْ يَنْفَتِلْ عَنْ صَلَاتِهِ وَعَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ شَيْءٌ، كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، فَإِنْ أَصَابَ شَيْئاً بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى عَدَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ثُمَّ قَالَ (صلى الله عليه وآله وسلم): يَا عَلِيُّ، إِنَّمَا مَنْزِلَةُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ لِأُمَّتِي كَنَهَرٍ جَارٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ، فَمَا ظَنَّ أَحَدُكُمْ لَوْ كَانَ فِي جَسَدِهِ دَرَنٌ ثُمَّ اغْتَسَلَ فِي ذَلِكَ النَّهَرِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ، أَكَانَ يَبْقَى فِي جَسَدِهِ دَرَنٌ فَكَذَلِكَ وَاللَّهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ لِأُمَّتِي)[1].

وأي أمل ينعش القلوب أكثر من هذا الشعور بأنه مهما ابتعد عن الله تعالى وكثر خطأه فانه يستطيع العودة اليه تبارك وتعالى إذا تاب بصدق وشعر بالخجل من ربه، ثم وقف خاشعاً يصلي لربه المتعال، وحينئذٍ سيفرح الله تعالى بعودته أشدّ الفرح ويمحو عنه خطاياه.

وفي مجمع البيان عَنْ أمير المؤمنين عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) فِي الْمَسْجِدِ نَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ فَقَامَ رَجُلٌ

(١) تفسير العيّاشيّ: ج٢/ ص١٦١. وينظر: البرهان في تفسير القرآن: ج٣ / ص١٤٣.

فَقَالَ يَارَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْباً فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ (ﷺ) الصَّلَاةَ قَامَ الرَّجُلُ فَأَعَادَ الْقَوْلَ فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا هَذِهِ الصَّلَاةَ وَأَحْسَنْتَ لَهَا الطَّهُورَ قَالَ بَلَى قَالَ فَإِنَّهَا كَفَّارَةُ ذَنْبِكَ)[1].

وفيه ايضا: عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: (كُنْتُ مَعَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، وَأَخَذَ مِنْهَا غُصْنًا يَابِسًا فَهَزَّهُ حَتَّى تَحَاتَّ وَرَقُهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا عُثْمَانَ، أَلَا تَسْأَلُنِي لِمَ أَفْعَلُ هَذَا؟ قُلْتُ: وَلِمَ تَفْعَلُهُ؟ فَقَالَ: هَكَذَا فَعَلَ بِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَأَنَا مَعَهُ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَأَخَذَ مِنْهَا غُصْنًا يَابِسًا، فَهَزَّهُ حَتَّى تَحَاتَّ وَرَقُهُ فَقَالَ (ﷺ): يَا سَلْمَانُ: أَلَا تَسْأَلُنِي لِمَ أَفْعَلُ هَذَا؟ قُلْتُ: وَلِمَ تَفْعَلُهُ؟ قَالَ (ﷺ): إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ، كَمَا يَتَحَاتُّ هَذَا الْوَرَقُ، وَقَالَ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ إلى آخرها)[2].

وقد قلنا في قبس سابق[3]: ان للصلاة تأثيراً في منع المعاصي قبل الوقوع فيها، وفي محوها بعد ذلك، أي أن تأثيرها على نحو الدفع والرفع، فهي قبله تنهى عنه وتحصّن الانسان منه وتمنع من السقوط فيه

(١) مجمع البيان فى تفسير القرآن: طبعة مؤسسة التاريخ العربي، ج٥/ ص ١٩٠.

(٢) مسند احمد بن حنبل: ط الرسالة، ج٣٩ / ص١١١. وينظر: مجمع البيان فى تفسير القرآن: طبعة مؤسسة التاريخ العربي، ج٥/ ص١٩٠.

(٣) راجع قبس قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت:٤٥) وقبس: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾ (يونس:٩٨) في تفسير نور القران.

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت:٤٥) وفي رواية (أَنَّ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يُصَلِّي الصَّلَاةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) وَيَرْتَكِبُ الْفَوَاحِشَ فَوُصِفَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) فَقَالَ إِنَّ صَلَاتَهُ تَنْهَاهُ يَوْماً مَا فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَابَ)[1]. وهي ترفع الذنوب وتمحوها بعد وقوعها ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ وان هذه الآية تحمل معنى الدفع أيضاً ((لان الدوام على فعل الحسنات يدعو الى ترك السيئات، فكأنها يذهبن بها)) كما عن العلامة الطبرسي[2].

﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ (هود:١١٤) ايراد هذه الوعود والقوانين والسنن فيها تذكير، للمؤمنين بما يضمن سعادتهم وفلاحهم، وتبصرةٌ ينتفعون بها ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات:٥٥) وليتذاكروا فيما بينهم هذه النعم الإلهية.

وبضم هذه الآية الكريمة إلى التي تليها ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (هود:١١٥) يتحقق معنى قوله تعالى ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة:٤٥) وقوعهما بعد قوله تعالى ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ

(١) بحار الأنوار (ط- بيروت) ج٧٩ ؛ ص١٩٨. وينظر: الكشف والبيان (تفسير ثعلبي)، ج٧، ص٢٨١ بزيادة في آخره: فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ألم أقل لكم إنّ صلاته تنهاه يوما ما). وأيضا: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٨/ ٤٤٧.

(٢) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي: ٥/ ٣٤٦.

ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ (هود:١١٣) يفيد معنى حركياً رسالياً حاصله أننا نُهينا عن الركون إلى الظالمين، واجتنابه بما يتضمن من اغراءات السلطة والشهرة والمال وتهديد المخالف بالقتل والتعذيب يتطلب مناعة وتقوى شديدة لا يمكن تحصيلها إلا بالصبر والصلاة ((فلكي نقاوم اغراء السلطة والثروة اللتين يعتمدهما الظالم، ونقاوم ضغوطهما الشديدة، ولكي تبقى نفوسنا صامدة أمام التضليل، ونمتلك ثقة بقدرتنا على التحدي، بل وأيضاً لكي نستعيد ثقتنا بأنفسنا ونُكفِّر عن الذنب العظيم الذي ترتكبه عادة الجموع المستضعفة، وهو يأسهم من روح الله، وتأليههم للطغاة الظالمين، واعتقادهم بأنهم لا يقهرون، لكل ذلك لا بد أن نستعين بالصبر والصلاة))[1].

ولا يختص هذا الوعد الصادق بالصلاة وإن كانت هي أبرز المصاديق، بل هو مطلق لكل الحسنات، قال الإمام الصادق (عليه السلام): ((لَا يَغُرَّكَ النَّاسُ مِنْ نَفْسِكَ – كما أثنوا بصلاحك – فَإِنَّ الْأَمْرَ يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ دُونِهِمْ – وأنت المحاسب على أفعالك والله يعلم بحقيقتك – لَا تَقْطَعِ النَّهَارَ بِكَذَا وكَذَا فَإِنَّ مَعَكَ مَنْ يَحْفَظُ

(١) من هدى القرآن: ٨٩/٤

عَلَيْكَ ولَـمْ أَرَ شَـيْئاً قَـطُّ أَشَـدَّ طَلَبـاً ولَـا أَسْـرَعَ دَرَكـاً مِـنَ الْحَسَـنَةِ لِلذَّنْبِ الْقَدِيمِ))[1].

ومن تلك الحسنات:

١- الورع عن محارم الله تعالى قال تعـالى ﴿إِن تَجْتَنِبُـوا كَبَـائِرَ مَـا تُنْهَوْنَ عَنْـهُ نُكَفِّـرْ عَـنكُمْ سَـيِّئَاتِكُمْ وَنُـدْخِلْكُم مُّـدْخَلًا كَرِيمًـا﴾ (النساء:٣١).

٢- حسـن الخلـق: روي عـن الإمـام الصـادق (عليه السلام) قَـالَ: (إِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ يُذِيبُ الْخَطِيئَـةَ كَمَـا تُـذِيبُ الشَّـمْسُ الْجَلِيـدَ وَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ لَيُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ)[2].

٣- إغاثـة[3] الملهـوف: عـن امير المـؤمنين (عليه السلام) قـال: (مِـنْ كَفَّـارَاتِ الـذُّنُوبِ الْعِظَـامِ إِغَاثَـةُ الْمَلْهُـوفِ وَالتَّنْفِـيسُ عَـنِ الْمَكْرُوبِ)[4].

٤- الحـج والعمـرة: قـال امير المـؤمنين (عليه السلام) (إِنَّ أَفْضَـلَ مَـا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّـهِ سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالَى... وَحَـجُّ الْبَيْـتِ

(١) ثواب الأعمال: ١٣٤، تفسير البرهان: ١١١/٥/ ح٥.

(٢) الزهد؛ ص٢٩ ، باب حسن الخلق والرفق والغضب، ح٧٣ . وينظـر: إرشـاد القلـوب إلـى الصواب (للديلمي)؛ ج١؛ ص١٣٣.

(٣) أَغَاثَهُ: (إِغَاثَةً) إِذَا أَعَانَهُ وَنَصَرَهُ فَهُوَ (مُغِيثٌ). ينظر: المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى؛ ج٢؛ ص٤٥٥، مادة غوث.

(٤) نهج البلاغة (بشرح محمد عبده)، باب الحكم، الحكمة: ٢٤.

وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ)[١]، وعن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا)[٢].

٥- زيارة المعصومين (عليهم السلام) مثلاً ورد في زيارة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)يوم الغدير أن الله تعالى يغفر بها ذنوب ستين سنة كما في مصباح الشيخ الطوسي[٣]، وفي كامل الزيارات عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ إِلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) فَلَهُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِهِ بِكل خُطْوَةٍ مَغْفِرَةُ ذُنُوبه)[٤].

٦- كثرة السجود روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) كَثُرَتْ ذُنُوبِي وضَعُفَ عَمَلِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) أَكْثِرِ السُّجُودَ فَإِنَّهُ يَحُطُّ الذُّنُوبَ كَمَا تَحُطُّ الرِّيحُ وَرَقَ الشَّجَرِ.)[٥].

---

(١) نهج البلاغة (بشرح محمد عبده)، الخطبة: ١١٠.

(٢) دعائم الإسلام؛ ج١؛ ص٢٩٤. ورواه الشيخ الصدوق عن الامام الصادق (عليه السلام)، ينظر: من لا يحضره الفقيه؛ ج٢؛ ص٢٢٠.

(٣) مصباح المتهجد وسلاح المتعبد، ج٢، ص٧٣٧.

(٤) كامل الزيارات، النص، ص١٣٣.

(٥) وسائل الشيعة: ١٠٢/٤، الأمالي(للصدوق)، النص، ص٤٩٩.

٧- الصلاة على محمد وال محمد: روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مَا يُكَفِّرُ بِهِ ذُنُوبَهُ فَلْيُكْثِرْ مِنَ الصَّلَوَاتِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ فَإِنَّهَا تَهْدِمُ الذُّنُوبَ هَدْماً)[1].

وينبغي الالتفات الى امور:

أولاً: لا يجوز الاتكال على هذه الوعود الالهية بشكل يوجب الاغترار والانجرار نحو المعاصي فهذا من تسويل الشيطان، قال تعالى ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء:١٧)، روى العياشي في تفسيره عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْكَرْخِيِّ قَالَ: (إِنِّي عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) يا فلان انْظُرْ بِمَا ذَا تَقْطَعُ يَوْمَكَ وَلَيْلَتَكَ وَاعْلَمْ أَنَّ مَعَكَ مَلَكاً كَرِيماً مُوَكَّلًا بِكَ يَحْفَظُ عَلَيْكَ مَا تَفْعَلُ وَيَطَّلِعُ عَلَى سِرِّكَ الَّذِي تُخْفِيهِ مِنَ النَّاسِ فَاسْتَحْيِ وَلَا تُحَقِّرَنَّ سَيِّئَةً فَإِنَّهَا سَتَسُوؤُكَ يَوْماً وَلَا تُحَقِّرَنَّ حَسَنَةً وَإِنْ صَغُرَتْ عِنْدَكَ وَقَلَّتْ فِي عَيْنِكَ فَإِنَّهَا سَتَسُرُّكَ يَوْماً وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَضَرَّ عَاقِبَةً وَلَا أَسْرَعَ نَدَامَةً مِنَ الْخَطِيئَةِ وَأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ طَلَباً وَلَا أَسْرَعَ دَرَكاً لِلْخَطِيئَةِ مِنَ الْحَسَنَةِ أَمَا إِنَّهَا لَتُدْرِكُ الْعَظِيمَ الْقَدِيمَ الْمَنْسِيَّ عِنْدَ عَامِلِهِ فَيَجُدُّ بِهِ وَيُسْقِطُ وَيَذْهَبُ

(١) الأمالي(للصدوق)؛ ص٧٣، المجلس١٧، ح٤.

بِهِ بَعْدَ إِسَاءَتِهِ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾)[1].

ثانياً: ان الوعد وان كان مطلقا الا انه بدلالة الاحاديث الاخرى كقول امير المؤمنين في معنى الاستغفار[2] يتطلب الاقتران بالندم والعزم على الترك واعادة الحقوق الى أهلها، ولعله من معاني ﴿ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ فاللام للاختصاص وهو ذكرى لخصوص الذاكرين.

ثالثاً: لا بد من المناسبة بين نوع الحسنات وعددها مع ما اقترف من السيئات، من كتاب امير المؤمنين الى محمد بن ابي بكر لما ولاه مصر (... فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُكَفِّرُ بِكُلِ حَسَنَةٍ سَيِّئَةً قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾...)[3] فلا يمحو ذنب سفور المرأة وتبرجها مثلاً بأن تقرأ شيئاً من القرآن وإن كان هذا خيراً كثيراً إذا كانت باقية على سفورها وانما بان تتحجب وتلتزم بمتطلبات العفاف، روى سماعة ابن مهران قَالَ: (سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجِبَالِ عَنْ رَجُلٍ أَصَابَ مَالًا مِنْ أَعْمَالِ السُّلْطَانِ فَهُوَ يَتَصَدَّقُ مِنْهُ وَيَصِلُ قَرَابَتَهُ وَيَحُجُّ لِيُغْفَرَ لَهُ مَا اكْتَسَبَ وَهُوَ يَقُولُ ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ

(١) تفسير العيّاشيّ ج٢/ ص١٦٣، بحار الانوار: ١٦٦/١٥، تفسير البرهان.

(٢) نهج البلاغة بشرح الشيخ محمد عبده: الحكم، الحكمة: ٤١٤.

(٣) الأمالي (للمفيد)؛ ص٢٦٢. المجلس: ٣١.

يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ﴾ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) إِنَّ الْخَطِيئَةَ لَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ وَلَكِنَّ الْحَسَنَةَ تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ)[١].

رابعاً: قد لا يكون لبعض الذنوب كفارة الا عمل مخصوص كطلب الرزق الحلال روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوباً لَا يُكَفِّرُهَا صَلَاةٌ وَلَا صَوْمٌ[٢] قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا يُكَفِّرُهَا قَالَ (صلى الله عليه وآله) الْهُمُومُ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ)[٣].

خامساً: على المؤمن أن يتجنب ذكر سيئةٍ لأخيه المؤمن أو فضحه بها أو تسقيطه، إذ لعل صلاته أو حسنة فعلها محت عنه تلك السيئة وقد تورط هو بمعصية الإساءة إلى أخيه المؤمن، نعم من حق أخيك عليك أن تنصحه بموعظة حسنة وتلفت نظره بأدب وتوقير، وبهذا الأدب القرآني وأمثاله تسمو الاخلاق وتتحقق الألفة والموّدة بين المؤمنين وينزع الغلّ من صدورهم وتظللهم رحمة الله تبارك وتعالى.

سادساً: يوجد بين الحسنات والسيئات تدافع فكما ان الحسنات تمحو السيئات وفق الآية محل البحث، فإن بعض

(١) تفسير العياشي: ١٦٢/٢، ح٧٧، البرهان: ١١٥/٥، ح١٤.

(٢) في البحار والمستدرك: صدقة.

(٣) قطب الدين الراوندى، سعيد بن هبة الله، الدعوات (للراوندي)/ سلوة الحزين، ص٥٦. عنه البحار: ٧٣/ ١٥٧ صدر/ ح٣، المستدرك: ٢/ ٤١٥/ ح٩.

الذنوب تأكل الحسنات وتبطلها، وذكرت الاحاديث منها العجب والحسد والغيبة، وهو حبط الأعمال الذي ذكرته الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة:٢٦٤) وقال تعالى ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ (الفرقان:٢٣) ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تفسير الآية: (لأَعْلَمَنَّ أَقْوَاماً مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هَبَاءً مَنْثُوراً أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها)[1].

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ غَرَسَ اللَّهُ لَهُ بِهَا شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ غَرَسَ اللَّهُ لَهُ بِهَا شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَرَسَ اللَّهُ لَهُ بِهَا شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ غَرَسَ اللَّهُ لَهُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَجَرَنَا فِي الْجَنَّةِ لَكَثِيرٌ قَالَ نَعَمْ وَلَكِنْ إِيَّاكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا عَلَيْهَا نِيرَاناً فَتُحْرِقُوهَا)[2].

---

(١) كنز العمال: ط.الرسالة، ج١٦، ص٦،ح١٣٦٨٦، وبمضمونه عن الإمام الصادق (عليه السلام) في الكافي: ٨١/٢/ ح٥.

(٢) الأمالي للصدوق: ص٦٠٨.

روى مسلم في صحيحه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (أتدرون ما المُفلّس؟ قالوا: المُفلّس فينا من لا درهم له ولا متاع له، فقال (صلى الله عليه وآله): المفلّس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)[1]، أقول: وردت بمضمونه روايات عن أهل البيت (عليهم السلام).

وفي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ مَلَكَيْنِ إِلَى أَهْلِ مَدِينَةٍ لِيَقْلِبَاهَا عَلَى أَهْلِهَا فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الْمَدِينَةِ وَجَدَا رَجُلًا يَدْعُو اللَّهَ وَيَتَضَرَّعُ فَقَالَ أَحَدُ الْمَلَكَيْنِ لِصَاحِبِهِ أَمَا تَرَى هَذَا الدَّاعِيَ فَقَالَ قَدْ رَأَيْتُهُ وَلَكِنْ أَمْضِي لِمَا أَمَرَ بِهِ رَبِّي فَقَالَ لَا وَلَكِنْ لَا أُحْدِثُ شَيْئاً حَتَّى أُرَاجِعَ رَبِّي فَعَادَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقَالَ يَا رَبِّ إِنِّي انْتَهَيْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَوَجَدْتُ عَبْدَكَ فُلَاناً يَدْعُوكَ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ فَقَالَ امْضِ بِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ فَإِنَّ ذَا رَجُلٌ لَمْ يَتَمَعَّرْ وَجْهُهُ غَيْظاً لِي قَط)[2].

ورد في وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) (صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام وإن المبيرة الحالقة للدين فساد ذات البين)[3]،

(١) صحيح مسلم: ١٨/٨، بحار الأنوار: ج٦٩/ ص٦.

(٢) الكافي (ط. الإسلامية) ج٥، ص٥٨.

(٣) الكافي: ٥١/٧.

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (ألا إن في التباغض الحالقة لا أعني حالقة الشعر ولكن حالقة الدين)[١].

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق (عليه السلام): (أتقوا الحالقة فإنها تميت الرجال، قلت: وما الحالقة؟ قال: قطيعة الرحم)[٢].

ومن دعاءٍ لأمير المؤمنين (عليه السلام): (اللهم واستغفرك لكل ذنب يمحق الحسنات ويضاعف السيئات)[٣].

---

(١) الكافي: ٣٤٦/٢٤.

(٢) الكافي: ٣٤٦/٢٤.

(٣) ميزان الحكمة: ٢٣٣/٢، عن البلد الأمين: ٤٣.

خطاب المرحلة
(٧٦٩)

درس حسيني في الثبات على المبدأ[١]

في ذكرى الميلاد الميمون للإمام الحسين (عليه السلام)، ينقدح في الذهن سؤال يقودنا إلى موعظة، وهو أن الإمام الحسين (عليه السلام) لما أخرج رضيعه إلى الجيش الاموي المعادي وطلب منهم أن يأخذوه ويسقوه ماءً وأختلف الجيش فيما بينهم حتى حسم الملعون حرملة الأسدي النزاع ورمى الرضيع بسهم فذبحه وهو على صدر أبيه (سلام الله تعالى عليه)، والسؤال: هو لماذا لم يوجه حرملة السهم إلى نحر الإمام الحسين (عليه السلام) ويقتله وينهي المعركة بسرعة؟ خصوصاً وأن الجيش الأموي كان يعاني من هزيمة نفسية في داخله، لأنهم يعرفون أن من يقاتلون ويقتلون هو سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وريحانته وسيد شباب أهل الجنة وخامس أهل البيت الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فمصير من يشارك في قتله النار حتماً، وقد خرجوا للحرب تحت ظل التهديد بإعدام كل من يتخلف عن الخروج، وكان القائد العام للجيش وهو عمر بن سعد متردداً كثيراً في الخروج كما تشهد أبياته التي وصف فيها حاله وهو يتقلب على فراشه عشية خروجه

(١) كلمة ارتجلها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في بداية درسه يوم الأحد ٣/شعبان/ ١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٥/٢/٢م، بمناسبة ذكرى ميلاد الإمام الحسين (عليه السلام).

إلى قتال الإمام الحسين (عليه السلام)، كما أن أبرز قادة الجيش الأموي وهو الحر الرياحي قد تمرّد على أوامر السلطة وأعلن توبته وتحوّل إلى جيش الإمام الحسين (عليه السلام)، وكانت كتائب الأعداء تنهار وتنهزم أمام مبارز واحد من أصحاب الحسين (عليه السلام) يخرج إليهم، ففي ضوء هذه الازمة الخانقة التي كانت تعصف بالجيش الأموي، يكون الأجدى وفق قواعد الحرب حسمها بسرعة قبل أن يتسع التمرد.

والجواب: أن قتل الإمام الحسين (عليه السلام) كان الخيار الأخير للقيادة الأموية لأنه يكلّفهم كثيراً حيث يصنع من الحسين (عليه السلام) رمزاً ملهماً للأمة وتزداد النقمة عليهم ويفتضح زيف سلطتهم، وكان هدفهم من هذه الجرائم إحداث ضغط نفسي شديد على الإمام الحسين (عليه السلام) ليجلبوه إلى بيعة يزيد ليكتسبوا بذلك شرعية سلطتهم ويسكتوا جميع المعارضين ويشككوا الامة في قدسية الإمام الحسين (عليه السلام) وعلو مقامه، وإن تحشيدهم سبعين ألف مقاتل مع علمهم بأن عدد أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) سبعين، لأن الحر الرياحي أعترض قافلة الحسين (عليه السلام) حين دخوله حدود العراق وعرف أن كل الذين جاؤوا معه لا يزيدون عن سبعين فتحشيد ألف مقابل كل واحد هو مظهر من عملية كسر إرادة الإمام الحسين (عليه السلام) وإشعاره بعدم جدوائية حركته وأنها عملية انتحارية لا قيمة لها.

وقد كشف الإمام الحسين (عليه السلام) هدفهم هذا بقوله (ألا وأن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة والذلة – أي بين سل السيوف لقتله أو مبايعته ليزيد مع ما فيه من ذلة – وهيهات منّا الذلة)[1].

وأظهر الإمام الحسين (عليه السلام) من قوة الإرادة ورباطة الجأش والشجاعة وقوة القلب والثبات على المبادئ مالا يصدر إلا منه حتى استشهد، فكان هو المنتصر بدمه وهزم أعداءه وذهبوا إلى مزابل التاريخ، فعلينا التأسي بالإمام الحسين (عليه السلام) في التمسك بالمبادئ الحقة والثبات عليها، خصوصاً نحن الحوزة العلمية لان المجتمع يعتبرنا قادته فلابد أن نقاوم الاغراءات والضغوط والتهديدات ولا نتنازل عن كرامتنا ومبادئنا.

ومن الشواهد المعاصرة ما حصل للسيد الشهيد محمد باقر الصدر (رضوان الله تعالى عليه) فقد كان صدام المقبور يرسل له الوفد تلو الوفد لإقناعه بالعدول عن مواقفه وكانت سقف مطالبهم عالية أولاً ظناً منهم بانه مرعوب من تهديداتهم بالقتل وسيقبل كل ما يريدون مقابل نجاته فطلبوا منه أن يخرج في مقابلة تلفزيونية ويمجّد بقيادة صدام ويتبرأ من حركة الشباب الرساليين الثائرين ويلغي فتواه بحرمة الانتماء إلى حزب البعث الحاكم، فلم يكترث لهم وأعلن عن استعداده

(١) أنظر: اللهوف على قتلى الطفوف، والإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، والصحيح من مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وغيرها من المصادر.

للشهادة في سبيل الله تعالى حتى جاءه مدير الامن العامة ولم ينجح في انتزاع أي شي مما يريدون فقال له قبل خروجه أننا سنقتلك ونبكي عليك، لأنه يعرف شخصيته الفذة التي هي فخر للإسلام والعروبة والعراق، فاختار له الله تعالى الشهادة ليعلي مقامه وذهب أعداءه إلى مثواهم في جهنم وبئس المصير.

خطاب المرحلة
(٧٧٠)

الصلوات الشعبانية للإمام السجاد (عليه السلام) وثيقة مهمة في العقائد والأخلاق والسياسة[١]

الصلوات الشعبانية المروية عن الإمام السجاد (عليه السلام) في ظاهرها دعاء بليغ جليل القدر، وهي في حقيقتها بيان عميق في العقائد والأخلاق وفي السياسة أيضاً، فمن يتصور أن الإمام السجاد (عليه السلام) أنكفأ على نفسه وأعتزل الحياة العامة عملاً بالتقية المشددة بعد استشهاد أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه البررة فإنه واهم حيث تتضمن الصلوات الشعبانية فقرات عديدة.

فهي تعدّد أولاً مناقب أهل البيت (عليهم السلام) وفضائلهم التي اختصهم الله تعالى بها دون الناس ففاقوا الخلق أجمعين وهي مضامين أحاديث نبوية شريفة، فقال (عليه السلام) في مستهل الدعاء[٢] (اللهم صلي على محمد وآل محمد شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة[٣] ومعدن

---

(١) كلمة قصيرة ارتجلها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في بداية درسه يوم الثلاثاء ٥/شعبان/١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٥/٢/٤م، بمناسبه ذكرى ميلاد الإمام السجاد (عليه السلام).

(٢) مفاتيح الجنان: ٢٠٨.

(٣) أي تختلف إليهم الملائكة هبوطاً وصعوداً، وفي الرواية عن أبي حمزة الثمالي قال: (دخلت على علي بن الحسين (عليه السلام) فاحتبست في الدار ساعة ثم دخلت البيت وهو يلقط شيئا وأدخل

العلم وأهل بيت الوحي) لذا فهم سادة الخلق وأئمتهم وقادتهم وولاة أمورهم (اللهم صل على محمد وال محمد الطيبين الأبرار الأخيار الذين أوجبت حقوقهم وفرضت طاعتهم وولايتهم).

وفي الفقرة الأخرى يبين (عليه السلام) حاجة الأمة جميعاً لهم وعدم استغنائهم عن الرجوع إليه (اللهم صل على محمد الكهف الحصين وغياث المضطر المستكين وملجأ الهاربين وعصمة المعتصمين) فهم الكهف الحصين الذي يحمي عقائد الناس ويضمن لهم النجاة والأمان فأمروا بالإيواء إليه، قال تعالى ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ (الكهف:١٦) وفي هذا تأكيد لإمامتهم كما نقل عن الخليل الفراهيدي أنه سأل عن الدليل على إمامة علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال ((حاجة الناس إليه واستغناؤه عن الناس))[1].

ثم يبين وظيفة الأمة تجاههم وهي ملازمتهم والأخذ عنهم واتباعهم وعدم الزيغ عن تعاليمهم (اللهم صل على محمد وآل

يده من وراء الستر فناوله من كان في البيت، فقلت: جعلت فداك هذا الذي أراك تلتقط أي شئ هو؟ قال: فضلة من زغب الملائكة ، فقلت: وجعلك فداك وانهم ليأتونكم؟ فقال: يا أبا حمزة انهم ليزاحمونا على متكائنا) (مناقب آل أبي طالب، ج٣، ابن شهر آشوب، ص٢٧٧).

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الطتاب والسنة والتاريخ- الريشهري/ ٨/ ٤١٨.

محمد الفلك الجارية في اللجج الغامرة يأمن من ركبها ويغرق من تركها المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق) وفي هذا تذكير بالحديث النبوي الشريف (إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح (عليه السلام)، من دخلها نجا، ومن تخلف عنها غرق)[1] فالذين تقدموا على اهل البيت (عليهم السلام) وتقمصوا الخلافة زوراً وبهتاناً هم مارقون عن الدين، وفي هذا تعريض بالخلفاء والملوك المتصدين وسلب لشرعيتهم وهي أعلى أشكال المعارضة السياسية، والمتأخر عنهم من الناس الذين لم يتبعوهم وابتعدوا عنهم زاهقون لأنهم ضلوا الطريق، أما الناجي فهو الموالي المتبع لهم واللازم لطريقتهم فإنه سيلحق بأئمته (عليهم السلام) قال تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء:٧١).

ومن هذا يظهر أن الإمام السجاد (عليه السلام) لم يلجأ إلى السكون والدعة ويجلس مكتوف الأيدي متذرعاً بعدم أمكانية العمل الاجتماعي بسبب قسوة يزيد اللعين ومن تبعه من أجلاف بني أمية، بل عمل بتكتيك جديد وهو أسلوب الدعاء الذي غذى من خلاله الأمة بأصول العقائد والمعرفة الإلهية والأخلاق الفاضلة والتعريف بالقادة الحقيقيين وهم أئمة اهل البيت (عليهم السلام) وتحذير الأمة من الفتن والضلالات

(١) الأمالي - الشيخ الطوسي: ٧٣٣/ ح٢؛ المعجم الصغير للطبراني: ٢٢/٢؛ مجمع الزوائد- الهيثمي: ١٦٨/٩.

والانحراف ونحو ذلك مما هو موجود في خزائن الصحيفة السجادية، وهكذا القادة العظماء فإنهم لا يتوقفون عند انغلاق الفرصة وإنما يعملون على صنع فرص أخرى.

فمثلاً حينما لم يجد (عليه السلام) الفرصة متاحة له لتأسيس الحوزات العلمية التي تعلِّم الناس فقه أهل البيت (عليهم السلام) وسيرتهم لجأ إلى أسلوب آخر وهو شراء العبيد وتعليمهم ومعايشتهم ليطلعوا على سيرة الإمام (عليه السلام) عن قرب، وفي نهاية كل شهر رمضان يجمعهم ويعظهم ويطلب منهم الصفح عن كل تقصير صدر منه تواضعاً لله تعالى ويبلغهم عفوه وصفحه عن اساءتهم، ثم يعتقهم ويعطيهم ما يكفي لمؤونتهم فيصبح هؤلاء دعاة إلى اهل البيت (عليهم السلام) وحملة لعلومهم، وخلال سنوات قصيرة أصبح فقهاء الأمصار الإسلامية في نهاية القرن الأول الهجري من الموالي، وكان نخبة أصحابه (عليه السلام) منهم مثل سعيد بن جبير الذي وصف بأنه جهبذ العلماء وما من أحدٍ إلا وهو محتاج إلى علمه وقد قتله الحجاج الثقفي وكذا يحيى ابن ام الطويل وأبو خالد الكابلي.

وبعد أن كان شعار الأعداء يوم عاشوراء ((لا تبقوا لأهل هذا البيت من باقية)) انتشر التشيّع في جميع بلاد المسلمين، حيث كانت تصل وفود الموالين في موسم الحج إلى الإمام

الباقر (عليه السلام) من العراق وبلاد فارس وغيرهما، وكل ذلك ببركة العمل الدؤوب الذي قام به الإمام السجاد (عليه السلام) بصمت لكن سمعه كل الناس.

((اللهم صل على محمد وآل محمد صلاة كثيرة تكون لهم رضا ولحق محمد وآل محمد أداءً وقضاءً بحول منك وقوة يا رب العالمين اللهم صل على محمد وآل محمد وأعمر قلبي بطاعتك ولا تخزني بمعصيتك).

خطاب المرحلة
(٧٧١)

الحسد رأس الرذائل[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾ (النساء:٥٤).

الحسد من أسوأ الرذائل الخلقية والصفات المذمومة وأجلبها للشقاء لصاحبها في الدنيا والآخرة، وهي تكشف عن نفس مريضة وقلب حقود، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الحسد شر الأمراض)[٢] وقال (عليه السلام): (رأس الرذائل الحسد)[٣] وقال (عليه السلام): (الحسد مرض لا يؤسى)[٤] أي لا يعالج بالدواء كما تعالج الأمراض البدنية وإنما يحتاج إلى معرفة ومجاهدة للنفس وتزيّن بالفضائل كحب الآخرين وإنصافهم وتمني الخير لهم.

وقد تزامن وجود هذه الرذيلة مع خلق الإنسان الأول فقد حسد

---

(١) من درس التفسير الأسبوعي الذي ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه في النجف الأشرف على طلبة البحث الخارج والحوزة العلمية يوم الأربعاء ٢٠/شعبان/١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٥/٢/١٩م.

(٢) غرر الحكم: ٣٣٢.

(٣) غرر الحكم: ٥٢٤٢.

(٤) غرر الحكم: ١٣٧٨.

إبليس آدم (عليه السلام) وعصى أمر ربّه بالسجود له وتسبب في هبوطه من الجنة فطرد من رحمة الله تعالى واستحق اللعنة إلى أبد الآبدين، وحسد قابيل ابن آدم أخاه هابيل حتى قتله.

والحسد هو من دفع أهل السقيفة للتآمر حتى يصرفوا الخلافة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) و(فقال عمر: يا بن عباس أتدري ما منع الناس منكم؟ فقلت: لا، قال: لكني أدري، قلت: فما هو؟ قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة)[1] فجرّوا على الأمة الويلات والكوارث إلى قيام يوم الدين: روى في الدر المنثور عن ابن الزبير في الموفقيات عن ابْن عَبَّاس (أَن مُعَاوِيَة قَالَ: يَا بني هَاشم إِنَّكُم تُرِيدُونَ أَن تستحقوا الْخلَافَة كَمَا استحقيتم النُّبُوَّة وَلَا يَجْتَمِعَانِ لأحد وتزعمون أَن لكم ملكا فَقَالَ لَهُ ابْن عَبَّاس: أما قَوْلك أَنا نستحق الْخلَافَة بالنبوّة فَإِن لم نستحقها بالنبوّة فَبِمَ نستحقها وَأما قَوْلك أَن النُّبُوَّة والخلافة لَا يَجْتَمِعَانِ لأحد فَأَيْنَ قَول الله ﴿فقد آتَيْنَا آل إِبْرَاهِيم الْكتاب وَالْحكمَة وآتيناهم ملكا عَظِيما﴾ فالكتاب النبوّة وَالْحكمَة السّنة وَالْملك الْخلَافَة نَحن آل إِبْرَاهِيم أَمر الله فِينَا وَفِيهِمْ وَاحِد وَالسّنة لنا وَلَهُم جَارِيَة وَأما قَوْلك زَعمنَا أَن لنا ملكا فالزعم فِي كتاب الله شكّ وكل يشْهد أَن لنا ملكا لَا تَمْلِكُونَ يَوْمًا إِلَّا ملكنا يَوْمَيْنِ وَلَا شهرا إِلَّا ملكنا شَهْرَيْن وَلَا حولا إِلَّا ملكنا حَوْلَيْنِ)[2].

(١) الكامل لابن الأثير: ٣/ ٦٣، وتاريخ الطبري: ٤/ ٢٢٣.

(٢) الدر المنثور٢/ ٥٦٨.

والحسد غريزة راسخة في نفس الإنسان الأمّارة بالسوء حتى ورد في الحديث النبوي الشريف (ثلاث لا يسلم منها (منهن) أحد: الطيرة، والحسد، والظن، قيل: فما نصنع؟ قال: إذا تطيرت فامض، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تحقق)[1] وقد ذكر الحديث كيفية قمع تأثيرها ومجاهدتها حتى تزول (إذا حسدت فلا تبغ) وقد ذكر الحديث أشكال البغي الذي يجرّ إليه الحسد، روى الشيخ الصدوق في الخصال عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال لقمان لابنه: للحاسد ثلاث علامات: يغتاب إذا غاب، ويتملق إذا شهِد، ويشمت بالمصيبة)[2] فإذا منع الإنسان نفسه من القيام بهذه الأفعال قربة إلى الله تعالى فإنها ستنتهي إلى إزالة أصل الصفة بإذن الله تعالى، أو حماية نفسه من الوقوع في آثارها المهلكة، قال العلامة المجلسي (قدس سره): ((فأما تغيير الطبع فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه، ما دام ملتفتا إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقاً بحب الله تعالى مثل السكران الواله، فقد ينتهي أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بعين واحدة، وهو عين الرحمة، ويرى الكل عباد الله، وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم، ويرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه، ويعود العدو إلى منازعته أعني الشيطان، فإنه ينازع بالوسوسة، فمهما قابل

(١) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي: ٥٥/ ٣٢٠.

(١) بحار الأنوار: ٧٠/ ٢٤٣.

ذلك بكراهة ألزم قلبه، فقد أدى ما كلفه))[١].

ويطلق الحسد على تمني زوال النعمة عن الآخر، سواء ضمّ إليه تمني حصول الحاسد على مثل تلك النعمة أو لا لضعف في همته أو عجز في امكانياته قال الإمام علي (عليه السلام): (الحاسد يرى أن زوال النعمة عمن يحسده نعمة عليه)[٢]، وسواء كانت النعمة مادية أو معنوية كما أشارت إليه الآية الكريمة وغيرها.

ويزداد الحاسد شقاءً باعتراضه على قضاء الله تعالى وإرادته، إذ كررت الآية ثلاثاً على ان هذه النعمة من ﴿مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فماذا يعني التألم من حصول الآخر عليها وتمني زوالها غير الاعتراض على ما أراد الله تبارك وتعالى، روى الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال الله عز وجل لموسى بن عمران (عليه السلام): يا ابن عمران، لا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي، ولا تمدّنّ عينيك إلى ذلك، ولا تتبعه نفسك فإن الحاسد ساخط لنعمي، صادّ لقسمي بين عبادي، ومن يك كذلك فلستُ منه وليس مني)[٣].

وروى ابن مسعود عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (ألا لا تعادوا نعم

(١) بحار الأنوار: ٧٠/ ٢٤٣.

(٢) غرر الحكم: ١٨٣٢.

(٣) الكافي: ٢/ ٣٠٧.

الله، قيل يا رسول الله؟ ومَن الذي يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس)[1] ولو كانوا عقلاء سليمي القلب لسألوا الله تعالى من فضله ما يريدون وهو المسمى بالغبطة فإن صاحبها يفرح لحصول الآخرين على النعم ونسأل الله تعالى من يرزقه مثلها فإن مصدر النعم كلها فضل الله تعالى ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد:٢٩) ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء:٣٢).

وإذا أدى الحسد بصاحبه إلى الكيد للمحسود وتسقيطه والافتراء عليه والنيل منه والقيام بأفعال انتقامية منه فسيضيف الحاسد وبالاً إلى وباله، لذلك يدعو الله تبارك وتعالى إلى الاستعاذة من شر الحاسد ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق:٥).

وتشير الآية الكريمة إلى أنَّ الحسد هو الذي يدفع الكفار والمنحرفين والفاسقين إلى معاداة المؤمنين والكيد لهم لأنهم يعرفون حقيقة نعمة الإيمان التي يرفل بها المؤمنون بالله تعالى، والحق الذي هم عليه والسعادة والحياة الطيبة التي هم فيها، وليست عندهم الإرادة والعزم لمجاهدة أنفسهم وكبح شهواتهم والسيطرة على غرائزهم ليتساموا ويكونوا كالمؤمنين فيحسدونهم ويعملون جاهدين على حرمانهم من هذه النعمة العظيمة ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً

(١) شرح نهج البلاغة:١/ ٣١٥.

مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة:١٠٩) ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (البقرة:١٠٥).

وتقع الآية في سياق فضح الصفات اللئيمة عند اليهود فذكرت الآيتان السابقتان البخل والحسد وزعمهم أن المشركين أهدى من المؤمنين وتحالفهم مع المشركين والكفار ضد المؤمنين مما أوجب لعنة الله عليهم.

فالمراد بالناس في الآية الكريمة بمقتضى السياق هم جماعة المؤمنين، ولكن لما كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته المعصومون (عليهم السلام) أكمل الخلق وأشرفهم والمخصوصين بالنعم التامة ولأنهم الأصل في وصول نعمة الإيمان إلى الناس فقد كانوا أكثر الناس عرضة للحسد، وهو يبين ما اشتهر في مصادرنا[1] عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (نَحْنُ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ عَلَى مَا آتَانَا اللَّهُ مِنَ الْإِمَامَةِ دُونَ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ)[2] وفي حديث آخر (نحن الذين يحسدوننا على ما

(١) الكافي والتهذيب ومعاني الاخبار وبصائر الدرجات وتفسير القمي والعياشي، راجع البرهان: ٧٣/٣.

(٢) البرهان: ٢/ ٩٣.

آتانا الله من فضله) ورواه أيضاً جملة من أعلام العامة[١].

والآية الكريمة ظاهرة في ذلك لأنها بيّنت بعض ما أعطى الله تبارك وتعالى آل إبراهيم وهم (سلام الله عليهم) المصداق الأكمل من آل إبراهيم وبقرينة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران:٣٣) فآل عمران سواء أريد بهم موسى بن عمران أو مريم بنت عمران هم عنوان آخر غير آل إبراهيم، وبقرينة الآية الكريمة التي ذكرت دعاء إبراهيم وإسماعيل (صلوات الله عليهما) عند بناء البيت، فقالا: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ (البقرة:١٢٨) فالمقصود بآل إبراهيم في دعائهما ذريته من إسماعيل (عليه السلام)، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (نحن آل إبراهيم)[٢]، فهذه القرائن كلها تدلّ على ان المراد بالناس المحسودين في الآية الكريمة هم النبي وآله المعصومون (سلام الله عليهم).

وفي قوله تعالى ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾ (النساء:٥٤) حسم لحسدهم وقطع لأملهم بأن الله تعالى قد أعطى كل ذلك للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله المعصومين (عليهم السلام) فلا ينفعهم حسدهم ومكائدهم شيئاً، ورد في تفسير العياشي عن الإمام الباقر (عليه السلام): ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ﴾؟ فقال: النبوة، قلت:

(١) كابن المغازلي الشافعي في المناقب والقندوزي في ينابيع المودة، وابن حجر في الصواعق.
(٢) بحار الأنوار: ٢٨/ ٢٧٥.

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾؟ قال: الفهم والقضاء، قلت: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾؟ فقال: الطاعة)[١] وهي الطاعة الواجبة التي تستلزمها الإمامة والولاية فهي الملك العظيم.

وقد روى في الكافي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: (الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة، من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله فهو الملك العظيم)[٢]، ويبعّد أن يكون المراد الملك الدنيوي المحض عدم استحقاقه الامتنان العظيم إلا أن يكون وسيلة لإحقاق الحق كالذي كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وسيكون للإمام المهدي الموعود (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

ولعل في ترتيبها إيماءاً إلى أن المناصب الإلهية لا تنال إلا بالعلوم والمعارف الإلهية (الكتاب) و(الحكمة) في التصرف والسلوك.

وقد حذّر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة المعصومون (عليهم السلام) من الحسد وما يسببه من عواقب وخيمه فإنه:

١- يمحق دين الحاسد ويحبط عمله، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ألا أنه قد دبَّ إليكم داء الأمم من قبلكم وهو الحسد، ليس بحالق الشعر لكنه حالق الدين)[٣] وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا تحاسدوا فإن

(١) الكافي: ١/ ٢٠٦.

(٢) الكافي: ١/ ١٨٦.

(٣) أمالي الطوسي: ١١٧/ ح١٨٢.

الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب)[١] وعن الإمام الباقر (عليه السلام) مثله. ومن وصية الإمام الصادق (عليه السلام) لأبي جعفر مؤمن الطاق بعد أن وصف الحسدة لإخوانهم بأنهم أبغضهم إليه قال: (والله لو قدم أحدكم ملء الأرض ذهباً على الله ثم حسد مؤمناً لكان ذلك الذهب مما يكوى به في النار)[٢]، وفي بعض الروايات (أن في السماء الخامسة ملَكاً يمرّ به عمل عبد له ضوء كضوء الشمس، فيقول: قف فأنا ملك الحسد، اضرب به وجه صاحبه فإنه حاسد)[٣].

٢- يضر بالحاسد قبل المحسود، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لله در الحسد ما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله)[٤] وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (الحاسد مضرّ بنفسه قبل أن يضرَّ بالمحسود، كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة ولآدم (عليه السلام) الاجتباء)[٥].

٣- أن الحاسد يجلب لنفسه الشقاء والهم ونكد العيش لأنه يصرف وقته وجهده وتفكيره في كيفية الكيد لصاحب النعمة وسلبها منه قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد: نفس

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٦.

(٢) بحار الأنوار: ٧٨/ ٢٨٨، عن تحف العقول، لابن شعبة الحراني: ٣٠٩.

(٣) بحار الأنوار: ٧٠/ ٢٦٢، سفينة البحار: ٢/ ١٧٩.

(٤) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ١/ ٣١٦.

(٥) بحار الأنوار: ٧٣/ ٢٥٥/ ح٧٣.

دائم، وقلب هائم وحزن لازم)[١] ونظمه الشاعر بقوله:

قل للحسود إذا تنفّس حسرةً يا ظالماً وكأنّهُ مظلومُ.

وعنه (عليه السلام) قال: (يكفيك من الحاسد أنه يغتّم وقت سرورك)[٢]، ونظمه الشاعر بقوله:

إني لأرحمُ حاسديّ لحرِّ ما ضمنت صدورهمُ من الأسعارِ

نظروا صنيع الله لي فعيونهم في جنةٍ وقلوبهم في نارِ[٣]

وقال (عليه السلام): (الحسد أحد العذابين)[٤] وقال: (ثمرة الحسد شقاء الدنيا والآخرة)[٥].

٤- الحسد سبب رئيسي لكثير من الجرائم الموبقة كالقتل والتخريب والدعاوى الكيدية المؤدية إلى السجن أو تغريم الأموال، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الحرص والكبر والحسد دواعٍ إلى التقحّم في الذنوب، والشر جامع مساوي العيوب)[٦] وعما حكاه القرآن الكريم حسد أخوة يوسف حتى تآمروا على قتله وهم أولاد أنبياء.

٥- وإذا ابتلي بالحسد العلماء والقادة الدينيون ففي الخصال عن أمير

---

(١) بحار الأنوار: ٧٣/ ٢٥٦/ ح٢٩.

(٢) ميزان الحكمة: ٢/ ٣٧٦، عن كنز الفوائد.

(٣) بحار الأنوار: ٧٠/ ٢٦٢.

(٤) غرر الحكم: ١٦٣٥.

(٥) غرر الحكم: ٤٦٣٢.

(٦) نهج البلاغة: ٤/ ٨٧.

المؤمنين (عليه السلام) قال: (إن الله عز وجل يعذب ستة بستة: العرب بالعصبية، والدهاقنة بالكبر، والأمراء بالجور، والفقهاء بالحسد، والتجار بالخيانة، وأهل الرستاق بالجهل)[1]، فإن البلاء سيكون أعظم لأنه سيؤدي إلى صرف طاقات الأمة واهتمامها إلى صراع داخلي مقيت فتهمل القضايا المصيرية وتتمزق الأمة ويحصل بينها الشقاق والعداوات بدل المودّة والأخوَّة، وقد حكى القرآن الكريم في الآيتين السابقتين أن علماء السوء من اليهود تحالفوا مع السلطات الطاغوتية في علاقة تخادم وتبادل المصالح فيشرعنون لهم حكمهم الظالم ويزعمون أنهم بذلك يحققون مصالح عليا للبلاد والعباد ويخدعون الناس بما عندهم من العلم ليسوقوهم وراء إرادة الطواغيت ويصفونهم بأنهم أهدى من المؤمنين من أجل دنيا زائفة يحصلون عليها فإذا قام المصلحون بتوعية الأمة وانكشف زيف علماء السوء خذلهم الله تعالى ونبذهم المجتمع وحينئذٍ يتخلى الطواغيت عنهم لأنهم سوف لا يخدمون مشروعهم فيخسرون الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً ، أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً ، أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ

(١) الخصال، للشيخ الصدوق: ٣٢٥، والاختصاص، للشيخ المفيد: ٣٢٥.

نَقِيراً﴾ (النساء:٥١-٥٣).

وفي مقابل هذا التحذير الشديد من الحسد وعواقبه الوخيمة فقد بيّن المعصومون (صلوات الله عليهم أجمعين) المنزلة الرفيعة لمن طهّر قلبه من الحسد، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (بينما موسى بن عمران يناجي ربه ويكلّمه إذ رأى رجلاً تحت ظل عرش الله، فقال: يا رب: من هذا الذي أظلّه عرشك فقال: يا موسى هذا ممن لم يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله)[1] وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (من ترك الحسد كانت له المحبة عند الناس)[2].

فالمؤمن يفرح بحصول الآخرين على النعم ويتمنى لهم الخير، ويسأل الله تعالى أن يتفضل عليه بمثلها أو أحسن منها وتسمّى هذه الحالة الغبطة وهي ليست مذمومة، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن المؤمن يغبط ولا يحسُد، والمنافق يحسد ولا يغبط)[3].

(١) بحار الأنوار: ٧٣/ ٢٥٥/ ح٢٥.

(٢) بحار الأنوار: ٧٧/ ٢٣٧/ ح١.

(٣) بحار الأنوار: ٧٣/ ٢٥٠/ ح٧.

خطاب المرحلة
(٧٧٢)

لتعرف المرأة مكانتها العظيمة حتى لا تخدَع[١]

للمرأة مكانه عظيمة في الإسلام حيث اعتبرها من أعظم نعم الله تعالى، بحيث قرنتها الأحاديث الشريفة مع نعمة الإسلام التي هي الأعظم على الإطلاق لأن فيه سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، روى الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه عن رسول الله (صلوات الله تعالى عليهم أجمعين) قال: (ما استفاد أمرؤ مسلم فائدة بعد الاسلام أفضل من زوجة مسلمة تسرّه إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله)[٢].

والمرأة من نعم الجنة التي زيّن الله تعالى بها الدنيا وقد مرّ بي حديث مضمونه ((أن الله تعالى جاء ببعض نعم الجنة إلى الدنيا ليتذوقوها فتشتاق نفوسهم إلى الجنة)) ويندفعون إلى العمل الصالح الذي يوصلهم إليها، وقد صرّح القرآن الكريم كثيراً بأن الحور العين من نعم الجنة فتكون مصداقاً لهذا الحديث.

---

(١) من حديث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع أعضاء هيئة محمد الأمين (صلى الله عليه وآله) النسوية في كربلاء يوم الجمعة ١٣/رمضان/١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٥/٣/١٣م.

(٢) الكافي: ٥/ ٣٢٧.

وكيف لا تكون كذلك وهي تمارس أعظم وظيفة وهي صناعة الإنسان أي أنها تشبه وظيفة القرآن الكريم من هذه الناحية، وحينما يفتخر الإنسان بأنه ألّف كتاباً أو أبدع شيئاً أو أبتكر نظرية علمية وتقام احتفالات لتكريمه، فإن المرأة أولى بهذا الاهتمام لأنها تصنع أهم عنصر في الموجودات وهو الإنسان، وكمؤشر لعظمة المرأة فقد جعل الله تعالى نسل نبيّه الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كله من امرأة وهي الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، ووصفها بالكوثر لأن منها الخير الكثير وأمتنّ الله تعالى على نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بها فقال: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر:١) وكان في هذا كسر لشوكة الجاهلية التي كان وأد البنات من عاداتها وقال الله تعالى فيهم ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (النحل:٥٨).

وللمرأة قدرة على الارتقاء في سلَّم الكمال بحيث تستطيع التفوق على كثير من الرجال، حتى أن الله تعالى ضرب مثلاً للمؤمنين رجالاً ونساء في بلوغ الدرجات الرفيعة امرأتين وهما زوجة فرعون ومريم بنت عمران[1]، قال تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ

(١) فصلنا الكلام في قبس قوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ (مريم:١٦) في تفسير من نور القرآن.

فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (التحريم:١١-١٢).

وقد أهتم الإسلام بالمرأة في جميع مراحل حياتها، منذ ولادتها حتى اكتمالها مروراً بتربيتها، فعلى صعيد الفرح إذا رزق مولودة أنثى روى الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (البنات حسنات والبنون نعمة، والحسنات يثاب عليها والنعمة يسأل عنها)[١] ونقل الإمام الصادق (عليه السلام) عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (نعم الولد البنات، ملطفّات مجهزات مؤمنات مباركات مفليات)[٢].

وزجر الإسلام بقوة من يكره كون المولودة أنثى، ففي الكافي أنه (أُتِيَ رجل وهو عند النبي (عليه السلام) فأخبر بمولود أصابه فتغير وجه الرجل فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): مالك؟ فقال خير، فقال: قل، قال: خرجت والمرأة تمخض فأخبرت أنها ولدت جارية، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): الأرض تقلها والسماء تظلها، والله يرزقها وهي ريحانة تشمها) وأضاف الإمام الصادق (صلى الله عليه وآله): (وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا بنات)[٣].

وفي ثواب رعاية البنات وتربيتهن روى الإمام الصادق (عليه السلام) عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات

(١) ثواب الأعمال: ٢٣٩/ ح١، الكافي: ٦/ ٦/ ح٨، الفقيه: ٣/ ٣١٠/ ح٥.

(٢) وما بعده الكافي: ٦/ ٥/ ح٥، ح٦.

(٣) الكافي: ٦/ ٦/ ح٦.

وجبت له الجنة، فقيل يا رسول الله: واثنتين؟ فقال: واثنتين، فقيل: يا رسول الله: وواحدة، فقال (صلى الله عليه وآله): وواحدة)[١]، وروى الإمام الرضا (عليه السلام) عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (إن الله تبارك وتعالى على الإناث أرأف منه على الذكور، وما من رجل يدخل فرحة على امرأة بينه وبينها حرمة إلا فرحه الله تعالى يوم القيامة)[٢].

وعندما تنقل المرأة إلى بيت زوجها فقد كثرت الآيات والروايات في إكرام الزوجة وحبّها واحترامها كقوله (صلى الله عليه وآله): (ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم) وقال (صلى الله عليه وآله): (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)[٣]، وبيان الثواب العظيم لكل عمل تقوم به مهما كان بسيطاً كمناولة زوجها شربة ماء فضلاً عن الأعمال العظيمة كإنجاب الأطفال وتربيتهم.

وفي تقاسم المسؤوليات بين الرجل والمرأة روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (تقاضى علي وفاطمة (عليها السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الخدمة، فقضى على فاطمة بخدمة ما دون الباب، وقضى على علي بما خلفه، قال: فقالت فاطمة: فلا يعلم ما داخلني من السرور إلا الله بإكفائي رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحمل

(١) الكافي: ٦/ ٦/ ح١٠، الفقيه: ٣/٣١١/ ح١٥٠١.

(٢) الكافي: ٦/ ٦/ ح٧.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢٠/ ص ١٧١.

رقاب الرجال)[1] أي كفاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) الخروج من الدار والاختلاط بالرجال مع ما يسبّبه ذلك من نقص في الكمال.

من هنا تعرف أن التصرفات السيئة التي تصدر من بعض المسلمين وفيها ظلم للمرأة أو حرمان لحقوقها فهي ليست من الإسلام في شيء وفاعلها له عذاب أليم وقد أمرت الآيات الكريمة كما في سورة الطلاق والأحاديث الشريفة الكثيرة بأن يراقب الرجل تقوى الله تعالى في علاقته بالمرأة، وقد تنسب بعض هذه التصرفات زوراً أو جهلاً إلى الإسلام كممارسة التسلط غير المشروع على المرأة مستنداً إلى قوله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (النساء:٣٤) وهو نابع من الجهل أو التعسف في فهم الآية الكريمة لأنها لا تمنح الرجل الاستبداد والتعالي بل هي تنظم الأسرة ادارياً لأنها نواة تكوين المجتمع فتجعل الرجل هو المدير وتذكر مبررين لذلك ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ (النساء:٣٤) فهو أمر تنظيمي صرف لا يبيح أي ظلم وعدوان.

هذه إطلالة سريعة على المكانة العظيمة للمرأة ودورها الكبير في هذا الوجود، فعليها أن تلتفت إلى قدرها ومكانتها حتى تحفظ قيمتها وتمنع نفسها من الابتذال والضياع في التفاهات والانقياد وراء الشهوات والانخداع بمكر الشياطين الذين يريدون خداع المرأة بعناوين جذابة

(١) مستدرك الوسائل: ١٣/ ٤٨.

كالحرية وتمكين المرأة ونحو ذلك وهدفهم هتك حجابها وسلب عفّتها وحيائها لتتحول إلى سلعة بيد الرجال ووسيلة لإشباع شهواتهم ولتدمير المجتمعات وافسادها وتحويلها إلى تجمعات حيوانية يسهل قيادها وأسسوا لذلك ما سموها بمنظمات المجتمع المدني وخدعوا الحكومات بتأسيس قسم تمكين المرأة في كل مؤسسات الدولة ووضعوا قوانين وتشريعات تشّجع على تفكيك الأسرة وتهديم الأواصر الاجتماعية وتجريم أساليب التربية الصالحة واعتبارها عنفاً أسرياً يحاسب عليه.

وإن من أهم الوسائل التي تقوّي صمود الإنسان خصوصاً المرأة أمام المغريات وعدم تعريض النفس للذنوب والمعاصي الموجبة للشقاء هو هذا الالتفات إلى القيمة الكبرى للنفس والغرض الأسمى التي خُلِقت من أجله وأنه خليفة الله تعالى في أرضه قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته)[١].

ويوصي الإمام (عليه السلام) بأن لا يشغل الإنسان نفسه إلا بما يوجب له الجنة والسعادة الأبدية، قال الإمام علي (عليه السلام): (إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها إلا بها)[٢].

(١) نهج البلاغة: قسم الحكم، ٤٤٦.

(٢) البحار: ٧٨/ ١٣/ ح ٧١.

خطاب المرحلة
(٧٧٣)

لماذا يكره أكثر الناس الحق؟ أمير المؤمنين (عليه السلام) مثالا[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (المؤمنون:٧٠)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (الزخرف:٧٨).

قال ابن فارس ((حق: يدل على إحكام الشيء وصحته، فالحق نقيض الباطل)) وقال الراغب ((الحق: المطابقة والموافقة)) وفي المصباح ((حق الشيء إذا وجب وثبت، وحقيقة الشيء منتهاه وأصله مشتمل عليه)) وحق الشيء: بلوغ غايته قال سيبويه ((قالوا: هذا العالم حق العالم يريدون بذلك التناهي، وأنه بلغ الغاية فيما يصفه به من الخصال))[٢] كما في الحديث (لا يبلغ المؤمن حقيقة الإيمان حتى لا يعيب مسلماً بعيب هو فيه)[٣] يعني خالص الإيمان ومحضه وكنهه.

ويتحصل من مجموعها إن معنى الحق فيه ركنان: الثبوت والاستحكام كما في قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ

(١) خطبتا صلاة العيد الفطر السعيد لسنة ١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٥/٣/٣١م.

(٢) المعجم في فقه لغة القرآن: ١٠/١٣ عن ابن سيده في المحكم: ٤٧٤/٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث- ابن الأثير: ٤١٥/١؛ مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ٢٠٣/٢٦، عن النهاية: ٤١٥/١.

وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (الرعد:١٧) مع كونه مطابقاً للواقع وموافقاً للغرض الصحيح، قال الطوسي ((الحق: وضع الشيء في موضعه على ما تقتضيه الحكمة))[1]، ولذا كان الحق نقيضاً للباطل تارة بلحاظ فقدان الركن الأول فيه فإن الباطل لا استحكام فيه ولا ثبوت قال تعالى ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ (الإسراء:٨١) ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ (الأنفال:٨)، ونقيضاً للضلال تارة أخرى بلحاظ فقدان الركن الثاني، قال تعالى ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ (يونس:٣٢).

و﴿الْحَقُّ﴾ من الأسماء الحسنى لأن وجود الله تعالى وتوحيده وصفاته الحسنى هو الحق المطلق وكما عليه الأكثر في تفسير الآية التالية ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾، قال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (النور:٢٥) والعلم هنا بمعنى ارتفاع حجاب الغفلة وإلا فإن هذه الحقيقة لا يجهلها أحد﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ (النمل:١٤)، قال تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ (الحج:٦٢) وقال تعالى ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ (الأنعام: ٦٢) ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ

(١) التبيان: ٦/ ٢٨٦.

الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (يونس: ٣٢) فهو سبحانه الحق وما نزّله حق، وما حكم به حق، وما قضى به حق، وما وعد به حق، ومن بعثهم حق وما دعا إليه حق، وما سوى ذلك باطل وضلال وزُخرُف وغرور، وعلى هذا فلا يتوقع من عاقل أن يترك الحق ويسير خلف الباطل مع ما فيه من الضلال والابتعاد عن الواقع والصواب.

لكن النتائج كانت على العكس كما تنبئ الآيتان الكريمتان فإن أكثر الناس عزفوا عن الحق وكرهوه وقاوموه، واستمرأوا الباطل ونصروه، وهي نتيجة غريبة لكنها حقيقة واقعة كرّرها القرآن الكريم بحسرةٍ وأسف، وقد أكدّها في عشرات الآيات الكريمة بألفاظ متعددة مثل (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون، لا يشكرون، لا يعلمون) أو مثل قوله تعالى ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (الإسراء:٨٩) ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف:١٠٣)، وقد لا يكون كرههم للحق عناداً واستكباراً وإنما لجهلهم والتضليل الذي مارسه كبارهم الذين يثقون بهم، قال تعالى ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء:٢٤) بل إن كثيراً من المؤمنين ليسوا صادقين في إيمانهم ويتزلزلون عند تعرضهم للفتنة والابتلاء ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف:١٠٦).

وتكرار لفظ الحق صريحاً في المقطع الثاني مع أن الاولى الإتيان بضمير يرجع إليه فيكون (وأكثرهم له كارهون) وهو ما يعرف بالإظهار في موقع الإضمار لإفادة حالة عامة وهي كره مطلق الحق بما هو حق وليس فقط الحق الذي جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المقصود باللفظ الأول، ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ وكذا في الآية الثانية، فانتقل الكلام من الخاص إلى العام.

والغريب أن الناس تدعي أنها تريد الحق وتخرج مظاهرات للمطالبة بالحقوق وإقامة العدالة لكنهم يكرهون الحق ولا يقيمون العدالة في حياتهم، قال أمير المؤمنين (عليه السلام)في خطبة خطبها في صفين: (فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ[1] وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصاً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلًا مِنْهُ وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ. ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ

(١) أي أن تنظيرات الناس في وصف الحق وتعريفه ومصاديقه كثيرة وكلٌ منهم يدلي بدلوه، لكنهم في مجال التطبيق والعمل بالحق لا يلتزمون به وتضيق نفوسهم بتحملّه.

فِي وُجُوهِهَا وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ)[١].

وتوجد قلة تتحدث بالحق وتعمل به، ومما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصفهم: (قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ لَا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا وَلَا مَظِنَّةً إِلَّا قَصَدَهَا قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ)[٢].

وقد دلّت الروايات الشريفة على ان المصداق الأكمل والأوضح للحق الذي لا ريب فيه هو رسول الله وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما)، وقد تواتر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (علي مع الحق والحق مع علي، اللهم أدر الحق معه حيث دار)[٣]، وروى هذا المعنى علي بن إبراهيم في تفسيره قال: (الحق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام)، والدليل على ذلك قوله ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (النساء:١٧٠) يعني بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام))[٤] ويشهد له ما ورد من الروايات في تفسير

(١) نهج البلاغة: ٢/ ١٩٨، الخطبة: ٢١٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٨٧

(٣) البحار: ٣٨/ ٢٦ باب (أنه مع الحق والحق معه).

(٤) البرهان: ٢٢/٧ عن تفسير القمي: ٩٢/٢ ورواها أيضاً في ٢٨٩/٢ عند آية الزخرف ٧٨.

قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأنفال:٣٢) حيث نزلت في النعمان بن الحارث الفهري الذي أنكر بيعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الغدير بالإمامة والخلافة من بعده[١].

وثبت هذا الحق من بعده لأولاده الأئمة المعصومين (عليهم السلام) ففي زيارة الجامعة الكبيرة (وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ)[٢] فالحق منهم يؤخذ وإليهم يعود وهو لازم لهم لأنهم أصله ويجريه الله تعالى إلى الخلق من خلالهم، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (وَخَلَّفَ - رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)- فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ)[٣]، كما ورد في الزيارة (إِرَادَةُ الرَّبِّ فِي مَقَادِيرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ إِلَيْكُمْ وَتَصْدُرُ مِنْ بُيُوتِكُمْ)[٤]، وقال الإمام السجاد (عليه السلام) في الصلوات الشعبانية: (الْمُتَقَدِّمُ لَهُمْ مارِقٌ وَالْمُتَأَخِّرُ عَنْهُمْ زاهِقٌ واللاّزِمُ لَهُمْ لاحِقٌ)[٥].

---

(١) راجع قبس قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:١١٠) في تفسير من نور القرآن.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٩٩/ ١٢٩.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٠.

(٤) الكافي: ٤/ ٥٧٧ ط.الإسلامية، وهي من الزيارات المطلقة للامام الحسين (عليه السلام) في كتب الزيارات، وفيها عبارات كثيرة تبيّن علو مقامهم (عليهم السلام).

(٥) مصباح المجتهد: ١/ ٤٥، مفاتيح الجنان في أعمال شهر شعبان.

فحق محمد وآل محمد عظيم لا يحيط به الا الله تعالى، وقد حصلت معجزات لمن سأل الله تعالى بحق محمد وآل محمد في دعائه كالمرأة التي شفيت من العمى[١].

فكثر اعداءهم لأن أكثر الناس تكره الحق، وقد أستمر هذا الكره لكل ما هو حق ومن يسير على طريق الحق، ودفع شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) وأتباعه ثمناً باهظاً من أرواحهم وأموالهم وسائر حقوقهم لأنهم على الحق، روى البرقي في المحاسن عن أبي بصير قال: (قلت لابي جعفر جعلت فداك اسم سمينا به استحلت به الولاة دماءنا وأموالنا وعذابنا، قال: وما هو؟ قال: الرافضة، فقال أبو جعفر: إن سبعين رجلاً من عسكر فرعون رفضوا فرعون فأتوا موسى(عليه السلام) فلم يكن في قوم موسى (عليه السلام) أحد أشّد اجتهاداً وأشدّ حباً لهارون منهم فسمّاهم قوم موسى الرافضة فأوحى الله تعالى الى موسى (عليه السلام) أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة فاني نحلتهم، وذلك اسم قد نحلكموه الله)[٢].

وفي أمالي الطوسي قال: (دخل سماعة بن مهران على الصادق (عليه السلام) فقال له: يا سماعة من شر الناس؟ قال: نحن يا ابن رسول الله، قال: فغضب حتى احمرت وجنتاه ثم استوى

(١) بحار الأنوار: ٤٢/ ٤٤، عن تفسير فرات الكوفي، سفينة البحار: ٢/ ٢١.

(٢) المحاسن: ١/ ١٥٧، بحار الأنوار: ٦٨/ ٩٧، سفينة البحار: ٣/ ٣٨٤.

جالساً وكان متكئاً فقال: يا سماعة من شر الناس عند الناس؟ فقلت: والله ما كذبتك يا ابن رسول الله نحن شر الناس عند الناس لأنهم سمونا كفاراً ورافضة، فنظر إلي ثم قال: كيف بكم إذا سيق بكم إلى الجنة، وسيق بهم إلى النار؟ فينظرون إليكم ويقولون: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ (ص:٦٢))[1].

وبقي شيعة أهل البيت (عليهم السلام) منزّهين عن الحقد والكره والظلم والانتقام، قال ابن ابي الحديد وهو معتزلي: (إن بشر الوجه وطلاقة المحيّا والتبسم والهيبة التي كانت من أخلاق أمير المؤمنين (عليه السلام) بقيت متوارثة في محبيه واوليائه إلى الآن، كما بقي الحقد والخشونة والوعورة في الجانب الآخر، وقال: ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوايدهم يعرف ذلك)[2].

أسباب كره الحق:

ذكرت الآية التالية أحد أسباب كرههم للحق وهو أنه يخالف أهوائهم ويضع حدوداً لأنانيتهم وشهواتهم واطماعهم، وهم يريدون ديناً ونظاماً للحياة يلبي شهواتهم ويحفظ مصالحهم ويعزّز نفوذهم وامتيازاتهم، فيدعهم وشركَهم ويُبقي لهم أصنامهم

(١) بحار الأنوار: ٦٨/ ١١٧.

(٢) بحار الأنوار: ٤١/ ١٤٧، سفينة البحار: ٢/ ٢١، عن شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٥.

لأنها مصدر ثروتهم وأن يبيح لهم الفحشاء والمنكر ونحو ذلك مما تشتهيه أنفسهم، لكن هذا غير ممكن، لأنه يؤدي إلى ضياع الضوابط والمعايير الصحيحة، لأن الكون كله خلق بحق ويدبّره الله تعالى بالحق بلا فرق بين التشريع والتكوين، فالخروج عن نظام الكون وقوانينه وترك الأشياء تسير عبثاً ينتج عنه ضلال وفساد كبير ولا يمكن أن يأمر به إله الحق، قال تعالى في الآية التالية ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون:٧١) ومما يريدون بأهوائهم اتخاذ شركاء لله تعالى وهذا عين الفساد ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء:٢٢) وأن أهواء الناس متفاوتة ومتناقضة فاتباع أهوائهم يؤدي إلى الصراع والفناء، فلا تتحقق سعادة الإنسان التي هي الغاية من وجوده إلا بالسير وفق النظام الكوني الذي رسمه الله تعالى وأودعه في فطرة الإنسان وجعل الدين منهاجاً له ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (الروم:٣٠).

ويمكن ذكر أسباب أخرى لكره الحق وأهله وعدائهم والسعي لاستئصالهم هي التي أوجبت كثرة أعداء علي (عليه السلام)

باعتباره ميزان الحق الذي يدور معه حيثما دار، وقد تناولتها في كلمة سابقة[١] قال الأزري في هائيته مشيراً إلى هذا المعنى:

خصّك الله في مآثر شتى هي مثل الأعداء[٢] لا تتناهى

منها:

١- الحسد، قال تعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة:١٠٩) وقد توسعنا[٣] في شرح هذه الظاهرة عند تفسير قوله تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٥٤) قال الإمام الباقر (عليه السلام): (نحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلق الله أجمعين)[٤] وقد أعترف غاصبو حق أمير المؤمنين (عليه السلام) وظالمو أهل البيت (عليهم السلام) بأن قريشاً كرهت أن تجتمع النبوة والخلافة فتذهب بالفخر كله[٥].

---

(١) خطاب المرحلة: ٨/ ٢٣٨.

(٢) في بعض المصادر (الاعداد)، والمعنى صحيح فان الاعداد مفتوحة لا نهاية لها وكذلك مناقب امير المؤمنين (عليه السلام)

(٣) ما تقدم في القبس رقم: ٢٤٣.

(٤) الكافي: ١/ ١٥٩/ ح١.

(٥) الكامل لابن اثير: ٢/ ٤٣٩، تاريخ الطبري: ٤/ ٢٢٣، المسترشد في امامة علي بن ابي طالب (عليه السلام): ٦٨٣.

وهذا الحسد غريزة متأصلة في مرضى القلوب والمبتلين بعقدة الحقارة، قال الشاعر:

إن يحسدوك على علاك فإنما متسافل الدرجات يحسد من علا.

٢- إن الحق ناصح أمين للناس يتحرى مصلحتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وهم لا يحبون من ينصحهم ويرشدهم ويدلّهم على عيوبهم ليهديهم إلى الكمال قال تعالى ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف:٧٩) قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أمحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة)[١] وهو يعلم أن النصيحة مرّة لا يستسيغها الناس لكنه (عليه السلام) كان يقول (مرارة النصح أنفع من حلاوة الغش)[٢] وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (اتبع من يبكيك وهو لك ناصح، ولا تتّبع من يضحكك وهو لك غاش)[٣] وقيل للإمام الرضا (عليه السلام) (إن قوماً من أهل بيتك يتعاطون أموراً قبيحة فلو نهيتهم عنها فقال: لا أفعل، فقيل: ولم؟ قال: لأني سمعت أبي يقول النصيحة خشنة)[٤].

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٣١.

(٢) غرر الحكم: ٩٧٩٩.

(٣) المحاسن: ٢/٤٤٠/ ح٢٥٢٦.

(٤) عيون اخبار الرضا للشيخ الصدوق: ١/ ٢٦١/ باب ٢٨/ ح٣٨، فيما جاء عن الامام علي بن موسى (عليه السلام) من الاخبار المتفرقة.

٣- الاختلاف الطبيعي مع الحق بسبب خبث المعدن وسوء السريرة فيتحول إلى باطن خبيث يكره خصال الخير والنبل والكمال، ونقصد بالطبع ما كان مكتسباً بسبب المعاصي والذنوب وعدم الإصغاء لصوت الهداية والصلاح لا الطبع الأولي وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها فإنها لا تأبى الحق، ولو جبل الإنسان فطرياً على كراهة الحق لكان معذوراً في عدم قبوله، لذا كان حب علي (عليه السلام) ميزاناً يميِّز بين من أصله طيّب أو خبيث، فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن علي (عليه السلام) (والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي الأمي إليّ أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق)، وروى الترمذي في صحيحه بسنده عن أم سلمة قالت (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: لا يحبّ علياً منافق ولا يبغضه مؤمن)[1].

وحربهم على الحق وأهله ليست شريفة ولا نظيفة بل يستعملون فيها أقذر الأدوات من البهتان والكذب والتدليس والخداع والمكر من أجل الحيلولة بين الناس والاستماع إلى الحق كاتهام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالجنون كما حكت الآية مع أن ما

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، صحيح الترمذي: ٢٩٩/٢ وراجع مصادره لدى العامة في فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٢٥٣/٢.

جاء به عين الحكمة والصواب ولو كان من صنع مجنون لكان مضطرباً فيه اختلاف كثير فكيف عجزوا عن مجاراته والإتيان بمثله، فهم يعلمون أنه حق وأن اتهاماتهم له باطلة، لكنهم يغلفون دوافعهم الحقيقية بعناوين تخدع العامة فتنطلي عليهم الحيلة ويصدقون الكذب، سئل مروان بن الحكم عن قتالهم لعلي (عليه السلام) وسبِّه على المنابر وهل إنه كان مسؤولاً عن دم عثمان كما زعموا فقال مروان: (ما كان أحدٌ أدفع عن عثمان من علي (عليه السلام) فقيل له: ما لكم تسبّونه على المنابر؟ قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك)[1].

هذا ما سجّلناه من دواعٍ وأسباب، ولعله توجد غيرها يكتشفها المتتبع، ولكن ماذا كانت النتيجة، قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال:٣٠) فكانوا كلما أوغلوا في معاداة علي (عليه السلام) وسبّه على المنابر والافتراء عليه والانتقاص منه كان علي (عليه السلام) يرتفع ويزداد تألّقاً حتّى اعترفوا بذلك فقال قائلهم: ((إن بني أمية لهجوا بسبّ علي بن ابي طالب في مجالسهم ولعنوه على منابرهم فإنما يأخذون بضبعيه إلى السماء مدا))[2].

(١) الصواعق المحرقة: ١/ ١٦٣، مجموعة محققين مؤسسة الرسالة لبنان/ ١٩٩٧، شرح- نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ١٣/ ٢٢٠.

(٢) أمالي الطوسي: ٥٨٨ المجلس:٢٥/ ح٦، والضبع وسط العضد من اليد.

هذه الظاهرة المؤلمة في حياة البشر تتكرر أيضاً بدرجات متفاوتة طبعاً مع كل الأنبياء والرسل والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) ومع العلماء الربانيين العاملين المخلصين ولنفس الأسباب المتقدّمة، ممّا يوجب الحسرة والألم والاستنكار والاستغراب قال تعالى ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾ (يس:٣٠).

وتُبقي الآية الكريمة باب الأمل بتحقق الهداية والصلاح مفتوحاً حيث وصفت المعرضين عن الحق بالأكثرية وهذا يعني وجود قلة تحب الحق وتعتنقه وتثبت عليه، لأنهم حافظوا على سلامة فطرتهم.

لذا على العاملين الرساليين أن لا يستوحشوا طريق الحق لقلة سالكيه وأن لا يشعرهم كثرة أعدائهم بالإحباط واليأس فهذا دليل نجاحهم وتأثيرهم في الناس، ولو كانوا فاشلين ولا يمتلكون القدرة على الإصلاح والتغيير لما عاداهم أحد ولا حسدهم أحد.

وقد أكّدت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة على التمسك بالحق والتواصي به والصبر عليه وإن كان شديداً، قال تعالى ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر:٣) قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحق

أحبَّ إليه - وإن نقصه وكرثه - من الباطل وإن جرَّ إليه فائدة وزاده)[١] وقال الإمام الصادق (عليه السلام) لمن كره حكماً شرعياً على خلاف هواه: (يا هذا اصبر على الحق فإنه لم يصبر أحد قط لحق إلا عوّضه الله ما هو خير له)[٢] وفي تحف العقول عن أبي محمد (عليه السلام) قال: (ما ترك الحقَّ عزيزٌ إلا ذل، ولا أخذ به ذليل إلا عزّ)[٣].

وحذر المعصومون (عليهم السلام) من التجاوز على أهل الحق، روى الشيخ الصدوق بسنده عن عبد الأعلى عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (من دخل مكة مبرّءاً من الكبر غفر ذنبه، قلت: وما الكبر؟ قال: غمص[٤] الحق وسفه الخلق، قلت: وكيف ذاك؟ قال: يجهل الحق ويطعن على أهله)[٥].

ويجب الالتفات إلى أمرين تضمنتهما كلمةُ لأمير المؤمنين (عليه السلام):

١- أن مجرد عدم نصرة الحق وخذلانه هو نصرة للباطل.

٢- أن الحق يعرف بالحجة والبرهان فإذا ثبت صار هو المعيار في

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٥.

(٢) بحار الانوار: ٧٠/ ١٠٧ عن تنبيه الخاطر.

(٣) بحار الانوار: ٧٢/ ٢٣٢.

(٤) غمص من باب ضرب، أي احتقره وعابه وتهاون بحقه كما في مجمع البحرين.

(٥) بحار الانوار: ٢/ ١٤٢.

تمييز أهله عن غيرهم وليس العكس بأن يخدع بعناوين كبيرة يجعلها المقياس لمعرفة الحق فيترك العمل بما قام عليه الدليل من القرآن والأحاديث الشريفة ويتبع قول فلان وفلان لأنهم أضفوا على انفسهم عناوين ذات قدسية، كالذي وقع فيه أصحاب الجمل[1]، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في الذين توقفوا عن بيعته: (وقيل إن الحارث بن حوط أتاه (عليه السلام)، فقال له: أتراني أظن أن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟ فقال (عليه السلام): يا حار، إنك نظرت تحتك، ولم تنظر فوقك فحرت، إنك لم تعرف الحق فتعرف أهله، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه. فقال الحارث: فإني أعتزل مع سعد بن مالك وعبد الله بن عمر. فقال (عليه السلام): إن سعداً وعبد الله بن عمر لم ينصرا الحق، ولم يخذلا الباطل)[2].

---

(١) وهي حالة مستمرة حيث يكون المعيار (قال فلان) أو (هل من المعقول أن يكون قول فلان ليس حقاً) ونحو ذلك، مثلاً الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (النساء:١١٢) ثم يأتي شخص فيرمي مؤمناً موالياً يعمل لإعلاء كلمة الله تعالى ونشر تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) وخدمة الناس ببهتان وكذب، فمن رد عليه قوله لمخالفته للقرآن فهذا منهج الحق والقرآن، ومن أخذ منه ونشر كلامه فهذا ممن أخذ من الرجال وليس من الحق، أو ترد الرواية عن ابي عبد الله (عليه السلام) يقول: (من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروءته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان) (الكافي: ٢/ ٣٥٨) فيتركها ويتبع فلاناً في تسقيط المؤمنين افتراءً عليهم مستدلاً بقول فلان وهو يعلم مجافاته للحق.

(٢) نهج البلاغة: حكمة (٢٦٢).

روى عبد الرحمن بن الحجاج قال: (كنا في مجلس أبان بن تغلب فجاء شاب فقال: يا أبا سعيد أخبرني كم شهد مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) قال: فقال له أبان: كأنك تريد أن تعرف فضل علي (عليه السلام) بمن تبعه من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: فقال الرجل: هو ذاك، فقال: والله ما عرفنا فضلهم إلا باتباعهم علياً (عليه السلام))[1].

وكلما امتد الزمان ازدادت الهجمة على الحق وأهله وأتباعه وكثر أعداء الحق وانضم إليهم من لم تتوقع منهم ذلك مصداقاً لقول الإمام الصادق (عليه السلام): (والله لتمحصن، والله لتميزن، والله لتغربلن، حتى لا يبقى منكم إلا الأندر)[2]، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله)[3].

وهنا قد يثار سؤال بأنه وردت روايات تحث على لزوم الجماعة وعدم الانشقاق عنهم وأن الحق معهم كقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (والزموا السواد الأعظم فإن يد الله مع الجماعة

(١) رجال النجاشي: ١٢، رقم: ٧.

(٢) ميزان الحكمة: ٣/ ٢٣٦٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٧.

وإياكم والفرقة، لأن الشاذين من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب)[1] فكيف ينسجم هذا مع ما أفادت الآية الكريمة من ذم الأكثرية وابتعادهم عن الحق.

والجواب أن الجماعة التي أُمرنا بملازمتها هي التي بنت نظامها على الحق واجتمعت عليه فالارتباط بها يكون عملاً بالحق الذي هم عليه وليس لمجرد أنها أكثرية عددية فإنها لا تغني من الحق شيئاً لانسياقها وراء الأهواء والشهوات وميلها إلى الأنانية الموجبة للصراع والتنازع فيقود إتّباعها إلى الضلال والفساد كما أخبرت الآية الكريمة وتشهد به التجارب، لكن أكثر الناس يميلون إلى السير مع الأكثرية من دون تدبر في العواقب دفعاً للمشاكل وحبّاً للراحة حتى أنشأوا مثلاً قالوا فيه: ((حشر مع الناس عيد)) فالأكثرية بما هي أكثريه عددية لا قدسية فيها ولا تنتج حقاً إلا بمقدار موافقتها للحق، ولو أردنا أن نعتمد رأي الأكثرية فلا بد من توعيتها وزيادة بصيرتها ورشدها والعمل وفق المنهج الرباني الرشيد السديد.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٧.

خطاب المرحلة

(٧٧٤)

تعدد المرجعيات حالة إيجابية

إن تعدد المرجعيات الدينية الجامعة لشروط التصدي للإفتاء حالة إيجابية من عدة جهات:

١-إن مراجع الدين مجتهدون ينتمون الى مدارس علمية متعددة ضمن الأطار العام الذي حدده الائمة المعصومون (عليهم السلام)، ولهم ممارسة طويلة في استنباط الأحكام الشرعية من القرآن الكريم والسنة الشريفة، ولكل منهم مبانٍ استخرجها من أصولها المقررة بعد جهد طويل، ولهم مناهج نظرية وعمليّة في التحقيق والبحث حتى الوصول الى الأحكام الشرعية المبرئة للذمة، وبذلك يكون في تعددهم إثراء للحركة العلمية، وينفتح طلبة العلم من خلالهم على أفق واسع من طرق البحث وعمق النظر.

٢-فيها سعة على المكلّف، لأن المرجع قد يتردّد في بعض الأحكام لتعارض الأدلة في المسألة مع فقد المرجّحات، أو لإجمال الدليل وعدم حصول الاطمئنان وتوفّر الحجة التامّة على الحكم في المسألة، فيُلزم المكلف بالإحتياط، وقد يكون العمل وفق الإحتياط شاقّاً على المكلف، فيجيز المرجع له الرجوع الى مجتهدٍ آخر من محتملي الأعلمية يرخّص

له فيها، ويتخلّص المكلف من الإحتياط، وهذا أحد معاني الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن اختلاف أمتي رحمة)[1]

٣-إن الشيعة وهم أتباع المرجعيات الدينية لهم ثقافات متعددة، وميول متنوعة، وقناعات مختلفة في التعاطي مع شؤون الحياة، خصوصاً مع التطوّر الهائل في وسائل التواصل الاجتماعي والسيل العارم من الشبهات والتحديات، مع التزامهم جميعاً بالأحكام الشرعية، وهؤلاء المقلّدون يعيشون في بيئات متباينة، فبعضهم يرى أهمية حفظ الأوضاع الخاصة للشيعة، وبعضهم يعتقد بضرورة العمل الاجتماعي والحركي والسعي لإقناع الناس بالإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعضهم يرى ضرورة المشاركة في الحياة السياسية بمقدار ما تُتاح له الفرصة وفق ظروف بلده وهكذا، فيراعي ذلك في اختيار مرجع تقليده الذي نسلّم انه ضمن دائرة محتملي الاعلمية وجامع لشروط التصدي.

وفي ضوء هذا كله فإنّ تعدد المرجعيات الدينية وتنوع إتجاهاتها في العمل وفهم المسؤوليات المناطة بهم يوفّر لعموم الشيعة حاضنة لقناعاتهم وميولهم، وبذلك يتم احتواء جميع الشيعة، أما لو

(١) معاني الأخبار: ١٥٧/ ١، كنز العمال: ٢٨٦٨٦.

كانت المرجعية ذات نمط واحد فأن جزءاً من الشيعة قد يفكّر بالانتماء الى جهات أخرى تلبّي طموحه، ظنّاً منه انه يستطيع المحافظة على التزامه الديني، لكنه يبتعد عن خط المرجعية وربما عن الدين اصلاً، كما حدث في بعض الفترات السابقة حيث اقتنع قسم من شباب الشيعة بالشيوعية حتى انبرى السيد الشهيد محمد باقر الصدر (رضوان الله تعالى عليه) والّف (إقتصادنا) و(فلسفتنا) وأعاد للشيعة إعتزازهم بهويتهم وثقتهم بأنفسهم.

ونصيحتي التي لابّد من العمل بها لجميع المؤمنين أن ينظروا الى حالة تعدد المرجعيات المبرئة للذمة بهذه الرؤية الحضارية، وأن لا يجعلوا منها سبباً للتعصّب والانحياز ومعاداة الآخر، فإنها من صُنع الاستكبار العالمي وشياطين الجن والأنس، يمررونها عن طريق المتزلفين والجهلة والمنتفعين الذين لا ورع لهم.

محمد اليعقوبي

١٨-شوال-١٤٤٦هـ- ١٧-٤-٢٠٢٥م

خطاب المرحلة
(٧٧٥)

الطمع يورث الشقاء[١]

قال الله تبارك وتعالى ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾

مدّ العين تعبير مجازي عن إطالة نظرها إلى الشيء وامتلائها منه وتركيزه إليه، وزهرة الحياة الدنيا أي متاعها وزينتها، كالأموال والبنين والأزواج والعقارات والسلطة والجاه والصحة والرفاهية وغيرها، وذكروا في نصبها عدة وجوه ككونها مفعولاً به لـ﴿مَتَّعْنَا﴾ بمعنى جعلنا، أو أنها بدل الهاء في ﴿بِهِ﴾ على الموضع كما تقول: مررت به أخاك، أو أنها ((حال من الضمير في ﴿بِهِ﴾ أي متعنا به حال كونه زهرة الحياة الدنيا، أو إنه منصوب على أنه تمييز من الضمير، وتكون إشارة إلى أن التمتع إنما يتحقق من زهرة الحياة الدنيا فقط وليس له حقيقة))[٢].

فالآية الكريمة فيها كناية عن النهي عن إطالة النظر إلى ما عند الآخرين من متاع الدنيا نظرة تعلق وحب وانبهار وإعجاب

---

(١) من درس التفسير الأسبوعي الذي ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه في النجف الأشرف على طلبة البحث الخارج والحوزة العلمية يوم الأربعاء ٢٤/شوال/١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٥/٤/٢٣م.

(٢) التحقيق: ٣٧٧/٤.

وتعظيم، وكأنَّ الحصول على هذه الأمور الدنيوية هي غاية المنى كالتي حكاها الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (القصص:٧٩)، لأن الدنيا مهما تكن كبيرة وواسعة وتملأ العين إعجاباً فإنها إلى زوال فلا قيمة لها إلا بمقدار ما يقدّم الإنسان منها لآخرته، لذا شبّهها بالزهور الجميلة المتفتحة المملوءة حسناً إلا أنها سريعة الذبول والتلف، فهم وإن تمتعوا وشعروا بلذّة آنية إلا أنها ستؤدي بهم إلى عاقبة سيئة.

مضافاً إلى أن الله تبارك وتعالى ما ترك أولئك العصاة يتمتعون بهذه النعم إلا لتكون فتنة لهم حتى يختبر تصرفهم فيها ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (الملك:٢) ولتتم الحجة عليهم وتقطع أعذارهم ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (المؤمنون:٥٥) وقال تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (آل عمران:١٧٨) وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أنه يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبيّن الساخط لرزقه، والراضي بقسمه، وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم)[1].

(١) نهج البلاغة: قصار الكلمات، رقم ٩٣.

ولولا هذه السُنة الإلهية لما استحق غير المؤمن شيئاً من هذه الدنيا، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (... لو أن الدنيا كانت تعدل عند الله (عز وجل) جناح بعوضة ما سقى الكافر والفاجر منها شربة من ماء)[١].

فالدنيا لا تستحق كل هذا الاهتمام وشغل الفكر بما عند هذا وذاك؛ فإنه يوجب زيادة الهم ويشغل عما يجب أن يكرِّس الإنسان حياته لتحصيله وهو رضا الله تبارك وتعالى: (وَاكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي الاهْتِمَامُ بِهِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْهُ...)[٢].

وفي مدّ البصر هذا باب للشيطان يدخل منه إلى أعماق النفس ليثير فيها عدم الرضا بما قسم الله تعالى والسخط على قضائه وقدره عندما يقيس نفسه بالمترفين ويزهده فيما عنده من النعم، ويصبح ناقماً على ربّه وعلى الناس وينكّد حياته ويعلّقه بالأماني الباطلة، قال الامام الصادق (عليه السلام) (تجنبوا المنى فإنها تذهب بهجة ما خُوِّلْتم وتستصغرون بها مواهب الله عندكم وتُعقبكم الحسرات فيما وهمتم به أنفسكم)[٣] فيُسلَب نعمة الشكر وحينئذ يمنع من الزيادة وتزول النعمة، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (النعم تدوم بالشكر)[٤]، وروي عن الرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

---

(١) الأمالي – الشيخ الطوسي: ٥٣١.

(٢) دعاء مكارم الأخلاق: من أدعية الصّحيفة السّجادية.

(٣) وسائل الشيعة: ١٢/ ٣٩.

(٤) غرر الحكم: ١/ ٣٦/ ح١١٣٠.

(إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح الله لكم من زهرة الدنيا قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله قال: بركات الأرض)[1].

فالأحجى بالعاقل أن يرضى بما عنده ويسأل الله تعالى من فضله، ويشكر الله تبارك وتعالى ويصبر على ما حُرم منه، ولينظر إلى ما عند الله تعالى لا إلى ما عند الناس، فإن كل هذه النعم من رزق الله تعالى، وحينئذ يفوز برضوان الله تعالى وكرامته وسعادة الدنيا والآخرة وهذا ما تلفت الآية الكريمة إليه في نهايتها ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه:١٣١)، وبقرينة مقابَلتها مع متاع الدنيا قد يكون المراد به رزق الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (القصص:٦٠)، وقال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ (الضحى:٤).

وبهذا فإن في الآية تسلية للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن معه عن فقرهم وحرمانهم وهم يرون ما يتمتع به طواغيت قريش من الترف والحياة المرفهة والنعيم الذي لا يحصى، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (لما نزلت هذه الآية استوى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جالساً ثم قال: من لم يتعزَّ بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، ومن أتبعَ بصرَه ما في أيدي الناس طال همه، ولم يشفِ غيظَه، ومن لم يعرف أن عليه نعمة إلا في مطعم أو مشرب

(١) الدر المنثور: ٣١٣/٤.

قصُر أجله ودنا عذابه)[١]، فمن سفه التفكير ونقصان العقل أن يظّن أن النعم مقصرة على المأكل والمشرب والمسكن ونحو ذلك والغفلة عن النعم الآخرى خصوصاً المعنوية كالأيمان والعمل الصالح وولاية أهل البيت (عليهم السلام) فأنها لا تعدلها نعمة[٢].

وروى في الدر المنثور عن أبي رافع قال: (أضاف النبي (صلى الله عليه وآله) ضيفاً ولم يكن عند النبي (صلى الله عليه وآله) ما يصلحه فأرسلني إلى رجل من اليهود أنْ بعنا أو أسلفنا دقيقاً إلى هلال رجب، فقال: لا، إلا برَهنٍ، فأتيت النبي (صلى الله عليه وآله) فأخبرته، فقال: أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه، اذهبْ بدرعي الحديد، فلم أخرج من عنده حتى

(١) تفسير القمي: ٢/ ٦٦.

(٢) عن الإمام الهادي (عليه السلام) عن ابائه عن موسى بن جعفر (صلوات الله عليهم أجمعين) قال (إن رجلا جاء إلى سيدنا الصادق (عليه السلام) فشكا إليه الفقر، فقال (عليه السلام): ليس الامر كما ذكرت وما أعرفك فقيراً. قال - الفقير ظناً منه ان الإمام (عليه السلام) يكذبّه فيما ادعى من الفقر -: والله يا سيدي ما استبنت - أي ما حققتَّ في حالي وما استوضحتها لتتأكد من صدق كوني فقيراً - وذكر من الفقر قطعة والصادق (عليه السلام) يكذبه، إلى أن قال (عليه السلام) له: خبّرني لو أعطيت بالبراءة منّا مائة دينار - والدينار يساوي مثقالاً من الذهب - كنت تأخذ؟ - أي تتبرأ من ولايتنا بهذا الثمن - قال: لا - وبدأ الإمام يزيد المبلغ - إلى أن ذكر الإمام (عليه السلام) ألوف الدنانير والرجل يحلف أنه لا يفعل، فقال (عليه السلام) له: من معه سلعة يعطى بها هذا المال وهو لا يبيعها هل هو فقير!) (الأمالي - الشيخ الطوسي: ٢٩٧/ ح٥٨٤).

نزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ...﴾ كأنه يعزيه عن الدنيا)[1].

والآية الكريمة تقدّر نزوع الغريزة الإنسانية إلى نعم الدنيا وميلها إليها ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران:١٤) لذلك فهي لا تنهى عن هذا الميل الغريزي بل تحث الآيات الكريمة على السعي للحصول عليه من مصادره المشروعة ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ (الملك:١٥)، ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء:٣٢) واستثماره في موارده المحلّلة، وإنما تنهى عن التعلق بالدنيا والتأسف لفوت شيء منها والتقاتل عليها وتضييع العمر في طلب فضولها.

وقد خوطِب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا التأديب وهو محرز فيه، لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) شرطوا لله تعالى على أنفسهم الزهد في الدنيا (إذ اخترتَ لهم جزيل ما عندك، من النعيم المقيم، الذي لا زوال له ولا اضمحلال بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها فشرطوا لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء به)[2]، ولكن من باب إياك أعنى واسمعي يا جارة لكي يعرف أهل الرئاسة الدينية

(١) الدر المنثور: ٤/ ٣١٣.

(٢) مصابيح الجنان: ١٦٠، من دعاء الندبة.

والدنيوية، وأولياء الأمور أنهم أولى بهذا التوجيه وعدم الانبهار بما مُتِع به الآخرون لأنه سيؤثر سلباً على بصيرتهم ورؤيتهم للأمور وعلى قراراتهم وقد يجامل أحدهم ويصانع ويتنازل عن بعض مبادئه طمعاً بما عند الآخرين، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (الطمع يُذهب الحكمة من قلوب العلماء)[1]، وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (إن الصفاة الزَلال الذي لا تثبت عليه أقدام العلماء: الطمع)[2].

ويجب التفريق بين ما نهت عنه الآية الكريمة، والسعي إلى تحصيل نعم الله تعالى المتنوعة والتي سمّاها تعالى خيراً ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْراً﴾ (البقرة:١٨٠) وفضلاً ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ (الجمعة:١٠)، والاستفادة منها في قنواتها المشروعة ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٢).

وليس كل طمع مذموم فإنّ الطمع في كرامة الله تعالى ونيل المقامات الرفيعة عنده سبحانه من المكارم قال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ (المائدة:٨٤).

---

(١) كنز العمال: ٧٥٧٦.

(٢) الجامع الكبير- الجلال السيوطي: ٩/٤/ ح١١١٩٧.

والآية الكريمة تعالج في الإنسان مرضاً نفسياً وهو عدم القناعة بما عنده، واجتماعياً وهو الطمع بما عند الناس والرغبة في الحصول على مثل ما عندهم بأن تكون له أموال ضخمة وعقارات وسيارات فارهة كهذا، وأزواج وبنين كذاك وغير ذلك، ويقضي حياته بالتأسف والحسرات، وقد يتحول إلى الحسد والبغي على الآخرين ومحاوله تحصيل تلك الأمور الدنيوية بطرق غير مشروعة، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ثمرة الطمع الشقاء)[1]، وقال (عليه السلام): (ثمرة الطمع ذل الدنيا والآخرة)[2]، وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قوله: (ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذله)[3].

وقد لا يكون هو مبتلى بهذا المرض الخطير لكن أهله كوالديه وزوجته وأولاده يضغطون عليه ويحرضونه وينتقصون منه لأنه ليس كالآخرين، وهو وجه لما في الآية الكريمة التالية من الأمر بالصبر والصلاة وعلى نحو قوله الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة:٤٥) وأن لا يتأثر بضغوط الأهل بل يكون هو المؤثر فيها ويقودهم نحو الخير قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ

(١) غرر الحكم: ٤٦٠٩.

(٢) غرر الحكم: ٤٦٣٩.

(٣) الكافي – الشيخ الكليني: ٣٢٠/٢، باب الطمع، ح١.

أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه:١٣٢).

وهذا كله نتيجة ضعف النفس والجهل بأن ما عند هؤلاء المترفين وبال عليهم في الدنيا لأنه موجب للهمّ والعداوات والصراعات ومَشغَلة للفكر في الدنيا، وسوء العاقبة في الآخرة؛ لأن هذه الأمور الدنيوية تكون غالباً من مصادر غير مشروعة، أو أن المتمتع بها لم يؤدِّ ما فيها من حقوق شرعية، أو أنه يصرفها في موارد لا ترضي الله تبارك وتعالى ونحو ذلك، فليعلم من حُرِم من بعض النعم في الدنيا أن ذلك رحمةً به وشفقةً عليه، وإذا رأى ثواب الله تعالى في الآخرة على ذلك الحرمان فسيدرك عظمة نعمة الله عليه.

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مُحذِّراً من الطمع: (إياك واستشعار الطمع، فإنه يشوب القلب شدة الحرص، ويختم على القلوب بطبائع حب الدنيا، وهو مفتاح كل سيئة ورأس كل خطيئة، وسبب إحباط كل حسنة)[١]، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (غشَّ نفسه من شرّبها الطمع)[٢]، وقال (عليه السلام): (الطمع رِقٌّ مؤبَّد)[٣]، وقال (عليه السلام): (أكثر مصارع العقول تحت

(١) ميزان الحكمة: ٥/ ٢٦٠ عن أعلام الدين: ٣٤٠/ ح٢٤.

(٢) غرر الحكم: ٦٤٠١.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة ١٨٠.

بروق المطامع)[١]، وقال (عليه السلام): (مَن لم ينزه نفسه عن دناءة المطامع فقد أذل نفسه وهو في الآخرة أذل وأخزى)[٢].

وقد دعا المعصومون (عليهم السلام) إلى تحرير النفس من هذه الرذيلة قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن أردتَ أن تقرّ عينك وتنال خير الدنيا والآخرة فاقطع الطمع عمّا في أيدي الناس)[٣].

والخطوة الأولى في معالجة الطمع هي بالالتفات إلى هذه الحقائق ووعيها ومعرفتها والتبصر فيها، وبإدراك ما في التخلص من الطمع من بركات، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (مَن أراد أن يعيش حرّاً أيام حياته فلا يُسكنِ الطمع قلبه)[٤].

وللوصول إلى هذه النتائج عملياً لا بد من شحذ الهمة والتحلي بالورع قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في علاج الطمع: (ضادّوا الطمع بالورع)[٥].

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٢١٩.

(٢) غرر الحكم: ٨٨٧١

(٣) بحار الأنوار: ٧٣/ ١٦٨/ ح٣.

(٤) ميزان الحكمة: ٢٦٠/٥، عن تنبيه الخواطر: ٤٩/١؛ ونُسب الى عبد الله بن خبيق الأنطاكي، أنظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء- أبو نعيم الأصبهاني: ١٦٩/٩؛ ربيع الأبرار ونصوص الأخيار- الزمخشري: ٢٧٠/٣؛ ونسبه الى بعضهم صاحب كتاب المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين: ص٨٣.

(٥) غرر الحكم: ٥٩١٦.

ومن العلاجات العملية معايشة المحرومين والنظر في أحوالهم ومخالطة الصالحين بحيث نهى الله تبارك وتعالى عن صرف النظر عنهم في مقابل النهي عن مد البصر إلى المترفين في ثنائية رائعة قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ (الكهف:٢٨).

خطاب المرحلة
(٧٧٦)

نشر الكراهية والبغضاء في المجتمع من عمل الشيطان[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة:٩١).

روي في مجمع البيان والدر المنثور عن جملة من المحدّثين عن سعد بن أبي وَقاص قَالَ: (فيِّ نزل تَحْرِيم الْخمر صنع رجل من الأَنْصَار طَعَاماً فَدَعَانَا فَأَتَاهُ نَاس فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا حَتَّى انتشوا من الْخمر، وَذَلِكَ قبل أَن تحرم الْخمر، فتفاخروا فَقَالَت الأَنْصَار: الأَنْصَار خير وَقَالَت قُرَيْش: قُرَيْش خير، فَأَهوى رجل بِلحي جزور فَضرب على أنفي ففزره فَكَانَ سعد مفزور الْأنف، قَالَ: فَأتيت النَّبِي (صلى الله عليه وآله) فَذكرت ذَلِك لَهُ فَنزلت هَذِه الْآيَة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ..﴾ (المائدة:٩٠) إِلَى آخر الآيَة)[٢].

---

(١) من درس التفسير الأسبوعي الذي ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه في النجف الأشرف على طلبة البحث الخارج والحوزة العلمية يوم الأربعاء ٢ /ذو القعدة /١٤٤٦ الموافق ٢٠٢٥/٤/٣٠.

(٢) مجمع البيان: ٢٣٩/٣، الدر المنثور: ٣/ ١٥٨.

وفي رواية سَالم بن عبد الله (إن سعد بن أبي وَقاص وأصحاباً لَـهُ شربوا فَاقْتَتلُوا فكسروا أنف سعد فَأَنْزل الله ﴿..إِنَّمَا الْخَمْـرُ وَالْمَيْسِـرُ..﴾ الْآيَة).

فالآية الكريمة تبيّن أشد مفاسـد الخمـر والقمـار التـي أوجبـت تحريمهما المؤكد والتي يسعى الشيطان لإحداثها بواسطتهما وهو إلقـاء العداوة والبغضاء بين المؤمنين، فإن هذا الفعل رجـس، أي عمـل قـذر خبيث يُتنزَّه منه من فعل الشيطان، ومن يقوم به فإنه من جنـد الشـيطان ومساعد له ﴿شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْـضٍ زُخْـرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾ (الأنعام:١١٢)، وأن فلاح المؤمنين ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ في اجتناب كل رجس من عمل الشيطان ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ وتنقية المجتمـع مـن هذه الأرجاس، بل تنقية النفس أولاً مـن الأحقـاد والضـغائن والحسـد والكراهية فإنها تكدّر القلب وتلوث النفس وتشغل الفكـر وتصـدّ عـن ذكر الله تعالى، وأشدها فتكاً نشر الكراهية وإثـارة البغضـاء بـين أفـراد المجتمع، وكأنَّ هدف الشيطان من إغرائكم بالخمر والميسر هـو إيقـاع العداوة والبغضاء بينكم، وصدّكم عن ذكر الله، وعن الصلاة، فهذه هـي أهدافه الإستراتيجية كما يقال ولا يملّ من ممارستها.

لذا فإن نشر الكراهية وإيقاع العداوة والبغضاء بين المـؤمنين مـن الجرائم الكبرى؛ لأنها تمزّق الأمة الواحدة وتهـدر طاقاتهـا وإمكاناتهـا، ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِـن بَعْـدِ قُـوَّةٍ أَنكَاثـاً﴾ (النحـل:٩٢)

وتفقدها عزّتها وكرامتها وقوّتها ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال:٤٦)، فيضعفون جميعاً أمام العدو المتربص بهم، وتشغلهم عن ذكر الله تعالى كما صرحت الآية، وتصرف اهتمامهم إلى التفاهات بل تؤدي بهم إلى الموبقات، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (مَن بالغَ في الخصومة أثِم)[1]، والأخطر من ذلك أنها تضيّع الهدف الأسمى الذي أرسل الأنبياء وأنزلت الشرائع من أجل تحقيقه، وهو وحدة الأمة ولمّ شملها ومعالجة الاختلافات فيما بينهما ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى:١٣).

فيريد الشيطان بإغراءاته ووساوسه تهديم هذين الغرضين الإلهيين (إقامة الدين وجمع أمر الناس)، فلا بد من إفشال مشروع شياطين الإنس والجن بنشر المحبة والوئام والألفة والتسامح والتعاون على الخير.

وإنما ذكرت الخمر والميسر لأن الآية بصدد بيان تحريمهما، وإلا فإن أدوات الشيطان لإحداث الفتنة ونشر الكراهية والعداوة والبغضاء بين المؤمنين عديدة، وعلى رأسها إثارة العصبيات القومية أو الطائفية أو العشائرية أو الحزبية أو الفئوية أو الحماس لرمز أو لفريق رياضي وأمثالها.

---

(١) نهج البلاغة: ٤/ ٧٢/ حكمة: ٢٩٨.

وقد كان رسول الله (ﷺ) حازماً في وأد هذه الفتنة ومسارعاً إلى إطفائها لأن أي تأخير أو تساهل يؤدي إلى زيادة اشتعالها ما يعسر معه معالجتها، كالذي حصل حين عودة النبي (ﷺ) والمسلمين من إحدى الغزوات وحصل شجار بين بعض أفراد الجيش من المهاجرين والأنصار ونادى كل منهما قومه ونادى زعيم المنافقين (يَا بني الأَوْس والخزرج عَلَيْكُم صَاحبكُم وحليفكم) وكاد القتال أن يقع بينهما، وفيها قال زعيم المنافقين ابن أبي سلول: (وَالله مَا مثلنَا وَمثل مُحَمَّد إِلَّا كَمَا قَالَ الْقَائِل: سمّن كلبك يَأْكُلك وَالله لَئِن رَجعْنَا إِلَى الْمَدِينَة ليخرجن الْأَعَز مِنْهَا الْأَذَل)، فَسمع ذَلِك النَّبِي (ﷺ) فَقَالَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَة)[1] ثم أمر أصحابه بالرحيل فوراً والرجوع إلى المدينة، ونزلت الآية المتضمنة هذا المعنى من سورة (المنافقون).

وقد حذّر النبي (ﷺ) أمته في وقت مبكر من سريان هذا الداء إليهم فقال (ﷺ): (دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: البغضاء والحسد)[2].

ولذا نهى النبي (ﷺ) عن مخاصمة الآخرين واستجلاب عداوتهم وإثارة شحنائهم، قال رسول الله (ﷺ): (ما أتاني جبرائيل (عليه السلام) قطّ إلا وعظني، فآخر قوله لي: إياك ومشارَّة الناس - أي

(١) الدر المنثور: ٨/ ١٧٦.

(٢) معاني الأخبار: ٣٦٧.

مخاصمتهم - فإنها تكشف العورة وتذهب بالعز)[١]، وفي حديث آخر (فإنها تظهر العرّةَ - أي الأمر القبيح المكروه - وتدفن الغُرّةَ - أي الحسن والعمل الصالح-)[٢]، لأن كلاً من الخصمين سيجهد في التفتيش عن عيوب الآخر ونقائصه ولو لم يجد فإنه سيفتري عليه أو يخلط الأمور، وسيكون المؤمن هو المغلوب ظاهراً في هذه المخاصمة لأنه يتورع عن الكذب والبهتان والغيبة والتدليس والافتراء ونشر الفاحشة، ويتجنب ما يؤدي إلى إفتتان الناس وضلالهم وابتعادهم عن الدين، ويظهر من بعض الأحاديث الشريفة أن هذا البلاء مكتوب على المؤمن، ففي رسالة الإمام الصادق (عليه السلام) إلى النجاشي أنه قال: (وحدثني أبي، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام)، أنه قال: أخذ الله ميثاق المؤمن أن لا يُصدَّق في مقالته ولا يَنتصِف من عدوه، وعلى أن لا يشفي غيظه - لو حاول ذلك- إلا بفضيحة نفسه - بما يفتريه الخصم-؛ لأن كل مؤمن مُلجَم - ومقّيد بالورع- ، وذلك لغاية قصيرة وراحة طويلة - بعد صبره على الأذى-، وأخذ الله ميثاق المؤمن على أشياء أيسرها عليه مؤمن مثله يقول بمقالته يبغيه ويحسده...)[٣].

(١) الكافي: ٢/ ٣٠٢.

(٢) أمالي الطوسي: ٤٨٢/ ح١٠٥٢.

(٣) بحار الأنوار: ٧٢/ ٣٩٤، عن رسالة الغيبة للشهيد الثاني، والوسائل: ١٧/ ١٢٠، أبواب ما يكتسب به/ باب ٤٩/ ح١.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) (ما نُهيت عن شيء بعد عبادة الأوثان كما نهيت عن ملاحاة[١] الرجال)[٢]، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ألا إن في التباغض الحالقة، لا أعني حالقة الشعر ولكن حالقة الدين)[٣].

وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (ألا أنبئكم بشر الناس؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من أبغض الناس وأبغضه الناس)[٤]، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (من زرع العدوان، حصد الخسران)[٥]، وقال (عليه السلام): (من ضنّ - أي شح وحرص- بعرضه فليدع المراء)، وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (إياكم والخصومة فإنها تفسد القلب وتورث النفاق)[٦].

وورد النهي عن المخاصمة حتى في الأمور الدينية إذا كانت لأجل إظهار الغلبة واستفزاز الآخر وتوهينه الموجب لنفوره، روى الشيخ الكليني بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام)

---

(١) الملاحاة: المنازعة والمخاصمة والمجادلة. ومنه (من لاحاك فقد عاداك).

(٢) تحف العقول: ٤٢.

(٣) الكافي: ٢/ ٢٥٨/ ح١.

(٤) رواه الصدوق في معاني الأخبار: ١٩٦/ح٢، وفي الفقيه: ٤/ ٤٠٠/ ح٥٨٥٨، وفي الأمالي: ٣٨١/ ح١١.

(٥) غرر الحكم: ٨٠٣٣

(٦) ميزان الحكمة: ٥/ ٣٩٨، عن حلية الأولياء: ٣/ ١٤٨، بحار الأنوار: ١٨٦/٧٥.

قال: (ولا تخاصموا بدينكم الناس، فإن المخاصمة مُمرِضةٌ للقلب)[١].

وقال العلامة المجلسي (قدس سره) في الشرح: ((أي لا تجادلوا مجادلة يكون غرضكم فيها المغالبة والمعاندة بإلقاء الشبهات الفاسدة، لا ظهور الحق، فإن المخاصمة على هذا الوجه تمرض القلب بالشك والشبهة، والأغراض الباطلة))[٢].

وشبّه أمير المؤمنين (عليه السلام) بمثال لطيف كيف أن الرد بالمثل يؤدي إلى استمرار الخصومة وازديادها، قال (عليه السلام): (الكلام ذكر والجواب أنثى فإذا اجتمع الزوجان فلا بد من النتاج)[٣].

وقد يلبّس الشيطان على المؤمنين ويخدعهم فيضفي على خصوماتهم غطاءً شرعياً مقدّساً كما في الحديث (كم من ضلالة زخرفت بآية من كتاب الله)[٤] وكم من خصومة زُخرفت بمبرر ديني، ولهذا تجد أهل الدنيا يتناسون خصوماتهم في الأعياد والمصائب والمخاطر وكأنهم لم يكونوا تخاصموا من قبل،

(١) الكافي: ٢/ ٢١٣.

(٢) بحار الأنوار: ٦٥/ ٢٠٩.

(٣) الخصال - الشيخ الصدوق: ٧٢/ ح١١١.

(٤) عيون الحكم والمواعظ- الليثي الواسطي: ٣٨١؛ وفي المحاسن: ١/ ٢٢٩/ ح١٥٩، وفيه: (كونوا نقاد الكلام فكم من ضلالة زخرفت بآية من كتاب الله).

ولكن بعض المحسوبين على الدين يحتفظون بعداواتهم جيلاً بعد جيل بسبب ما أضافوه لخصوماتهم من المبررات المقدسة واتخاذهم دينهم دخلاً بينهم.

وحثّ المعصومون (بسم الله الرحمن الرحيم) على بذل الوسع في احتواء الخصوم وامتصاص نقمتهم وردم الفجوة بينهم وإيضاح الأمور لهم لعل شبهة وقعوا فيها، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الاستصلاح للأعداء بحسن المقال وجميل الأفعال، أهون من ملاقاتهم ومغالبتهم بمضيض القتال)[1]، وبيّن كيفية ذلك وقال (عليه السلام): (احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك)[2].

ويقع ضمن هذا الإطار ما صدر من التوجيه للشيعة بأن يتواصلوا مع عامة الناس حتى المخالفين في مناسباتهم ويحضروا في مساجدهم كقول الإمام الصادق (عليه السلام): (عليكم بالورع والاجتهاد، واشهدوا الجنائز، وعودوا المرضى، واحضروا مع قومكم مساجدهم وأحبّوا للناس ما تحبّون لأنفسكم، أما يستحي الرجل منكم أن يعرف جارُه حقَّه، ولا يعرف حقَّ جاره)[3]، وقال (عليه السلام) في حديث آخر: (إنه لا بد لكم من

(١) غرر الحكم: ح ١٩٢٦.

(٢) عيون الحكم والمواعظ- الليثي الواسطي:. ١٩٧٧

(٣) الكافي: ٢/ ٤٦٤/ ح٣، بمعنى أنكم أولى أن تفوقوا الناس وتسبقوهم للمكارم.

الناس، إنّ أحداً لا يستغني عن الناس حياته، والناس لا بد لبعضهم من بعض)[١]، وقال (عليه السلام) في معنى ذلك: (كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم، يكون افتقارك إليهم في لين كلامك وحسن بشرك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزّك)[٢].

وأوصوا (عليهم السلام) بالصبر وتحمل الأذى لتجنب اتساع دائرة العداوة والبغضاء، وطمْأنهم بأنّ صبرهم بعين الله وأجره، وأن خصمكم سيدفعه سعيه للغلبة إلى الوقوع في الكبائر كالكذب والبهتان والافتراء، وهذه الأوزار ستكون كفارة لذنوبكم، فأي نصرٍ أعظم من هذا تريدون، ومما ورد في ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا يستطيع أن يتقي الله من خاصم)[٣] وقول الإمام زين العابدين (عليه السلام): (كفى بنصر الله لك أن ترى عدوك يعمل بمعاصي الله فيك)[٤]، ومثله عن الإمام الصادق (عليه السلام): (كفى المؤمن من الله نصرةً أن يرى عدوه يعمل بمعاصي الله)[٥].

---

(١) الكافي: نفس الموضع، ح١.

(٢) معاني الأخبار: ٢٦٧.

(٣) نهج البلاغة: ٤/ ٧٢/ حكمة: ٢٩٨.

(٤) تحف العقول: ٢٧٨.

(٥) الخصال - الشيخ الصدوق: ٢٧/ ح٩٥.

فعلى المؤمن أن تكون له أسوة من ربّه -كما ورد في الحديث[١]- ومن الصفات الحسنى (سريع الرضا) فيزول ما في قلبه من غيظ على أخيه المؤمن بسرعة، وهذا ما أكّده حديث الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (حقد المؤمن مقامه - أي بمقدار وجوده في الموضع الذي حصلت فيه الحادثة- ثم يفارق أخاه فلا يجد عليه شيئاً، وحقد الكافر دهره)[٢].

لكن المؤسف أن أخبار آخر الزمان تؤكد وقوع هذه الفتن، روي عمن سمع الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) يقول: (لا يكون الأمر الذي تنتظرونه حتى يبرأ بعضكم من بعض، ويتفل بعضكم في وجوه بعض، ويشهد بعضكم على بعض بالكفر، ويلعن بعضكم بعضاً. فقيل له: ما في ذلك الزمان من خير؟ فقال الحسين (عليه السلام): الخير كله في ذلك الزمان، يقوم قائمنا ويدفع ذلك كله)[٣].

وهذا من الأسباب المؤخرة للظهور الميمون لأنه يرى شيعته وقاعدته التي يعوِّل عليها في بناء دولته المباركة وهم يتراشقون بينهم ويسقّط بعضهم بعضاً مما يؤدي إلى تحطيمهم جميعاً، فكم يعيش (عجل الله فرجه الشريف) من مرارة وألم بسبب ذلك، وإنَّ حزنه يفوق فرح أعدائه

(١) الحديث الشريف: (تخلقوا بأخلاق الله) بحار الأنوار - المجلسي: ٥٨ /١٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ٧٢/ ٢١١/ ح٧، عن كتاب ابن قولويه.

(٣) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي، وغيره.

المستكبرين بهذا التفرق والضياع والتيه، ففي رسالة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) إلى الشيخ المفيد (ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد المأخوذ عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا)[1].

إن الله تبارك وتعالى يوقد في آياته الكريمة جذوة الحرص لدى عباده المؤمنين على وحدة الأمة، والاسى[2] والأشفاق من تفرقها في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء:٩٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون:٥٢) وكأنما يريد الله تعالى أن يقول للمؤمنين هذه الأمة أمتكم ووحدتها وكرماتها أمانة فاتقوا الله فيها، ليثير فيهم الحرص عليها، فحافظوا عليها واحدة، ما دمتم تعبدون رباً واحداً تحملكم عبادته على الحفاظ عليها، وفي تمزقكم عبادة غيره.

ولعله لأجل ذلك كانت التوصية للبقاء مع الجماعة مهما حصل فيها من تقصيرات، فروي أن يد الله مع الجماعة ونهي عن

---

(١) الاحتجاج: ٢/ ٢٧٣.

(٢) روى الصدوق في كتاب التوحيد (ص١٦٨) في تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ (الزخرف:٥٥) عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إن الله لا يأسف كأسفنا ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مدبرون فجعل رضاهم لنفسه رضاً وسخطهم لنفسه سخطاً وذلك لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه فلذلك صاروا كذلك).

الشذوذ عنها، ليس لأن الجماعة دائماً على الحق، ولكن لأنها تمثل صنيعة النبي (صلى الله عليه وآله) وحاضنة دينه، ولكي لا تتمزق هذه الأمة، ويصعب على المصلحين جمعها مرة أخرى ومخاطبتها إذا تقطعت اوصالها وتقاطع أبناؤها فيما بينهم، ووجد المتعصبون من يقنن لهم تلك الخلافات والتقاطعات حتى تصبح تراثاً وجزءاً من هوية المتقاطعين، نظير ما فعله هارون (عليه السلام) حين بقي بين بني إسرائيل ولم ينفصل عنهم وهم في فتنة عبادة العجل، كما اقتصه سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ، قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ، قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ، أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ، قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (طه:٩٠-٩٤).

خطاب المرحلة
(٧٧٧)

﴿ليشهدوا منافع لهم﴾[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا البَائِسَ الفَقِيرَ﴾ (الحج:٢٨).

تبيّن الآية الكريمة الغرض من الدعوة إلى الحج والأذان به الذي ورد في الآية السابقة ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج:٢٧) فاللام هنا للتعليل أو لبيان الغاية من تلبية نداء الحج وهو شهود تلك المنافع.

والشهود الذي يدل على الحضور الوجداني والتلبس بالحالة والاندكاك فيها أبلغ تعبير عن كمال الانتفاع من مثل ليحصلوا ونحوه، مع ما فيه من الدلالة على أن الحضور الميداني في الفعاليات الدينية موجب للانتفاع بآثارها المباركة.

وهي بذلك تكون أحد الشواهد على أن الأحكام الشرعية

---

(١) درس التفسير الأسبوعي الذي يلقيه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على طلبة الحوزة العلمية في النجف الاشرف يوم الأربعاء ١٦-ذق-١٤٤٦هـ- الموافق ١٤-٥-٢٠٢٥م.

تنطلق من ملاكات واقعية على نحو جلب المصلحة كما في المقام أو دفع المفسدة كما في آية تحريم الخمر.

وقد جاءت ﴿مَنَافِعَ﴾ نكرة للتعظيم فلا يدركون سعة وعظمة هذه المنافع، ولا يمكنهم الإحاطة بها كلها، ولتفيد الإطلاق وتشمل كل منفعة دنيوية كانت أو أخروية، ولا تختص بالدنيوية كما ربما يستظهر من المقابلة مع ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ أو لأنّ المنافع وردت في مواضع أخرى بهذا المعنى كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (المؤمنون:٢١)، وتؤكد الأحاديث الشريفة ذلك كقول النبي (صلى الله عليه وآله) (من أراد الدنيا والآخرة فليؤم هذا البيت)[١] وعدة احاديث آتية.

وهي منافع لهم وتعود بالمصلحة عليهم أفراداً وأمةً، و﴿هُمْ﴾ هنا قد لا تختص بمن حضر الموسم وإنما تعمّ من لم يحضر من عموم المسلمين، ورد في علل الفضل بن شاذان عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (مع ما في ذلك -أي الحج- لجميع الخلق ممن يحج وممن لا يحج)[٢]، وورد في حديث عن الامام الصادق (عليه السلام) قَالَ: (... وإن الله يدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج منهم، ولو اجتمعوا على ترك الحج لهلكوا وهو قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ

(١) الفقيه: ١٤١/٢/ ح٦٤١.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ١/ ٩٧، علل الشرائع: ٢٧٣.

لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ﴾(البقرة:٢٥١))[١].

وقد ذكرت الآيات الكريمة بعض المنافع كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾ (المائدة:٩٧)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً﴾ (البقرة:١٢٥)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران:٩٦).

روى الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن الربيع بن خثيم قال: (شَهِدْتُ أَبَا عَبْدِالله (عليه السلام) وَهُوَ يُطَافُ بِهِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ فِي مَحْمِلٍ، وَهُوَ شَدِيدُ المَرَضِ، فَكَانَ كُلَّمَا بَلَغَ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ أَمَرَهُمْ فَوَضَعُوهُ بِالْأَرْضِ فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ كُوَّةِ المَحْمِلِ حَتَّى يَجُرَّهَا عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ يَقُولُ (عليه السلام): ارْفَعُونِي. فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ مِراراً فِي كُلِّ شَوْطٍ، قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ الله؛ إِنَّ هَذَا يَشُقُّ عَلَيْكَ. فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾، فَقُلْتُ: مَنَافِعَ الدُّنْيَا أَوْ مَنَافِعَ الْآخِرَةِ؟ فَقَالَ (عليه السلام): الْكُلَ)[٢].

وروى سلمة بن محرز قال: (كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فقال له أبو الورد: رحمك الله، إنك لو كنت أرحت بدنك من

(١) الكافي: ٢/ ٤٥١/ باب: أن الله يدفع بالعامل عن غير العامل/ ح١.

(٢) الكافي: ٤/ ٤٢٢ .

المحمل، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): يا أبا الورد، اني أحب أن أشهد المنافع التي قال الله عز وجل: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ إنه لا يشهدها أحد إلا نفعه الله، أما أنتم فترجعون مغفوراً لكم، وأما غيركم فيحفظون في أهاليهم وأموالهم)[1].

وروى الشيخ الصدوق (رضوان الله تعالى عليه) بسنده عن هشام بن الحكم قال: (سألت أبا عبد الله (عليه السلام) فقلت له: ما العلّة التي من أجلها كلف الله العباد الحج والطواف بالبيت؟ فقال: إن الله عز وجل خلق الخلق لا لِعلّة إلا أنه شاء ففعل فخلقهم إلى وقت مؤجل، وأمرهم ونهاهم ما يكون من أمر الطاعة في الدين ومصلحتهم من أمر دنياهم فجعل فيه الاجتماع من المشرق والمغرب ليتعارفوا، ولينزع كل قوم من التجارات من بلد إلى بلد، ولينتفع بذلك المكاري والجمال، ولتُعرف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله، وتُعرف أخبارُه، ويُذكر ولا ينسى، ولو كان كل قوم إنما يتّكلون على بلادهم وما فيها هلكوا وخربت البلاد، وسقط الجلب والأرباح، وعميت الأخبار ولم يقفوا على ذلك فذلك علة الحج)[2].

وشرح الإمام الرضا (عليه السلام) بعض تلك المنافع في ما كتبه

(١) وسائل الشيعة: ١١/ ١٠١.

(٢) علل الشرائع: ٤٠٥/ ح٦.

إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل فقال (عليه السلام): (وعلّة الحج الوفادة إلى الله تعالى وطلب الزيادة والخروج من كل ما اقترف وليكون تائباً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل، وما فيه من استخراج الأموال وتعب الأبدان وحظرها الشهوات واللذات والتقرب بالعبادة إلى الله عز وجل والخضوع والاستكانة والذل شاخصاً إليه في الحر والبرد والأمن والخوف دائباً في ذلك دائماً، وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع والرغبة والرهبة إلى الله عز وجل، ومنه ترك قساوة القلب وجسارة الأنفس ونسيان الذكر وانقطاع الرجاء والعمل وتجديد الحقوق وحظر النفس عن الفساد ومنفعة من في شرق الأرض وغربها ومن في البر والبحر ممن يحج وممن لا يحج مِن تاجرٍ وجالبٍ وبائع ومشترٍ وكاسب ومسكين وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها كذلك ﴿لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ﴾)[1].

ففي الحج منافع دنيوية وأخروية وهذا مجرد تقسيم فني، وإلا فإن (الدنيا مزرعة الآخرة) وهي ممر لها والمقرّ هناك فكل ما في الدنيا هو للآخرة ولاكتساب رضا الله تبارك وتعالى.

أما المنافع الدينية فقد سجلت الأحاديث الشريفة جملة منها:

١- إن الحج مظهر التوحيد الخالص ونفي الشركاء الظاهرين

(١) عيون أخبار الرضا: ١/ ٩٧.

والمخفيين حيث يخرج من كل التعلّقات بالأهل والمال والوطن والاحباب وغيرها، ويشخص مخلصاً إلى الله تبارك وتعالى، ولا يوجد كالحج ما يثير هذه الكوامن الفطرية ويدعو إلى التمسك بها، فالحج فرار إلى الله تبارك وتعالى من كل ما سواه، وتحرّر من كل الأغلال التي تكبّل الإنسان وتشدّه إلى الأرض وتعيق نهوضه نحو التكامل، روى الشيخ الكليني بسنده عن أبي جعفر (عليه السلام)، في تفسير قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللّهِ﴾ قال: (حجُّوا إِلى اللَّهِ عزَّ و جلَّ)[1].

وفي رواية الفقيه بسنده عن زيد بن علي عن أبيه الإمام السجاد (عليه السلام) قال: (يعني حجّوا إلى بيت الله، يا بني إن الكعبة بيت الله فمن حج بيت الله فقد قصد إلى الله، والمساجد بيوت الله فمن سعى إليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه)[2].

٢- والحج فرار إلى الله تبارك وتعالى من الذنوب والمعاصي طمعاً بما وعد الله عز وجل من غفران الذنوب ليبتدئ حياةً جديدة بصفحة بيضاء قال الإمام السجاد (عليه السلام): (لما

(١) البرهان: ٥/ ١٧٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ١/ ١٩٩.

وقف النبي (صلى الله عليه وآله) بعرفة وهمت الشمس أن تغيب قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا بلال، قل للناس فلينصتوا، فلما انصتوا قال: إن ربكم تطول عليكم في هذا اليوم وغفر لمحسنكم، وشفَّع محسنَكم في مسيئكم، فأفيضوا مغفورا لكم)[1]، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (الحَاجُّ مَغْفُورٌ لَهُ ومَوْجُوبٌ لَهُ الجَنَّةُ ومُسْتَأْنَفٌ لَهُ العَمَلُ، ومَحْفُوظٌ فِي أَهْلِهِ ومَالِهِ)[2]، وقال (عليه السلام): (الحاج إذا دخل مكة وكل الله به ملكين يحفظان عليه طوافه وصلاته وسعيه، فإذا وقف بعرفة ضربا على منكبه الأيمن، ثم قالا: أمّا ما مضى فقد كفيته، فانظر كيف تكون في ما تستقبل)[3].

٣- إن فيه تعظيماً لبيت الله الحرام وإدامة لذكر الله تعالى وتحليقاً في الأجواء الروحية واستذكاراً لجهود الأنبياء العظام (عليهم السلام) الذين قدموا كل ما عندهم[4] من أجل إقامة

(١) وسائل الشيعة: ١١/ ٩٥ .

(٢) الكافي: ٤/ ٢٥٢.

(٣) وسائل الشيعة: ١١/ ١٠٣/ ح٣٢.

(٤) كخليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) الذي جاء بزوجته وبطفله الصغير اسماعيل (عليه السلام) إلى تلك الأرض وهي وادٍ مقفر لأجل إقامة الصلاة: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ

الحنيفية، وفي تلك الديار المقدسة معالم الدعوة الإلهية المباركة وشاهد أحداثها، فأداء الشعائر التي سنوها (سلام الله عليهم) فيه إدامة لذكرهم ومشروعهم الإلهي، وما يلازمه من تعظيم شعائر الله وزيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين) ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢) قال الإمام الصادق (عليه السلام): (لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة)[١] لذا حرم تعطيل الكعبة ويجب على ولي الامر إجبار الناس على الحج وزيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)[٢].

٤- تتجلى في الحج وحدة المسلمين وعزّتهم وقوتهم ويتحقق به مراد الله تبارك وتعالى ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون:٥٢) حيث تذوب كل

لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم: ٣٧) ثم يؤمر بذبح ولده اختياراً وابتلاءً ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ، سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الصافات: ١٠٢-١٠٩)، فتضمن الحج ذبح الهدي تذكيراً بتلك التضحية العظيمة طاعة وتسليماً لأمر الله تبارك وتعالى.

(١) الكافي: ٤/ ٢٧١/ ح٤.

(٢) وسائل الشيعة: ١١/ ٢٣/ باب٥/ ح٢٤.

الخصوصيات القومية والعرقية والطائفية والجغرافية والقبلية والطبقية فلا فرق بين أسود وأبيض ولا بين عربي وأعجمي ولا بين رئيس ومرؤوس، وباختصار فإن الحج ليس يصنع الإنسان فقط وإنما يصنع الأمة ويحييها ويبعثها بهذا المؤتمر المليوني العظيم، وهذا ما يرعب أعداء الإسلام لذا يعملون جاهدين على إفراغ شعائر الحج من مضامينها وأهدافها الحقيقية.

٥- وفي الحج اختبار حقيقي لطاعة العباد لخالقهم العظيم، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الأَنْعَامِ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الحَمَامِ. جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلاَمَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلاَئِكَتِهِ المُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ. جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ لِلإِسْلاَمِ عَلَماً، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً، فَرَضَ حَجَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ)[1].

وروى الشيخ الكليني عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (وهذا

(١) نهج البلاغة: ٢١.

بيت استعبد الله به عباده ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثهم على تعظيمه وزيارته، وجعله محل أنبيائه، وقبلة للمصلين له، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدي إلى غفرانه)[١].

٦- إنه فرصة للتفقه في الدين والتعرف على أحكام الشريعة وسيرة الأولياء العظام والدعوة إلى الله تبارك وتعالى؛ ونشر التعاليم الحق الى كل انحاء العالم، فإن عدداً كبيراً من الحجاج لا يحظى بلقاء العلماء والفضلاء في بلدانهم ولا يعرفهم أصلاً، فيوفر الحج فرصة للقائهم والاستفادة من علومهم ومعارفهم، وفي علل الفضل بن شاذان عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (مع ما فيه من التفقّه ونقل أخبار الأئمة (عليهم السلام) إلى كل صقع وناحية كما قال اللّه عز وجل: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ (التوبة: ١٢٢))[٢].

٧- ما فيه من الثواب العظيم والمنازل الرفيعة عند الله تعالى؛ واستجابة الدعاء وقضاء حوائج الدنيا والآخرة روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (إذا أخذ الناس منازلهم بمنى نادى منادٍ من قبل الله عز وجل: إن أردتم أن أرضى فقد

(١) بحار الأنوار: ٣/ ٣٣.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢/ ١١٩.

رضيت)[١]، ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (التوبة:٧٢)، وفي صحيحة محمد بن مسلم عن أحدهما (عليهما السلام) قال: (ودَّ مَن في القبور لو أنّ له حجة واحدة بالدنيا وما فيها)[٢]، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (الحجاج يصدرون على ثلاثة أصناف صنف يعتق من النار، وصنف يخرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه، وصنف يحفظ في أهله وماله، فذاك أدنى ما يرجع به الحاج)[٣].

أما المنافع الدنيوية فتظهر في عدة مجالات:

١- اجتماعية: حيث يتعارف المسلمون من أصقاع الأرض ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات:١٣) ويطّلع بعضهم على شؤون البعض الآخر وتتقوى العلاقات بينهم، ويتبادلون الهموم والآمال ويخططون لمشاريع مشتركة فيها الخير والسعادة لهم، وقبل الحج يقوم مَن عزم عليه بلقاء أقربائه وأصدقائه وتبادل براءة الذمة معهم ومعالجة المشاكل بينهم واستعادة المحبة والموّدة ليفد على ربّه مخلصاً سليم القلب نقياً من المكدّرات وحراً من الأغلال.

(١) الكافي: ٤/ ٢٦٢/ باب: فضل الحج والعمرة وثوابهما/ ح٤٢.

(٢) التهذيب: ٥/ ٢٣/ ح٦٧.

(٣) وسائل الشيعة: ١١/ ٩٣/ ح٢.

٢- أخلاقية: فإن الحاج يستلهم من المشاعر المقدسة وما تختزنه من المعاني الروحية ومن استذكار مواقف القادة العظام أخلاقاً راقية وثباتاً على الحق وشوقاً إلى الاستنان بهم والمضي على طريقهم، وكذا يستفيد من أخلاق رفاقه ويتعلم منهم ما لم يكن يعلم من حسن السيرة ويتجنب ما يُحرم ويُكره، وإن طول فترة السفر والاختلاط مع ناس متنوعي الثقافة والمزاج ومختلفي المراتب في العلم والمعرفة يبرز معالم الشخصية الحقيقة للإنسان مهما حاول إخفاءها وإظهار صورة جميلة في الحياة الاعتيادية.

٣- اقتصادية: يبيّن الإمام الصادق (عليه السلام) جملة منها في رواية هشام بن الحكم المتقدمة، وروى الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام): (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): حجوا تستغنوا)[1]، وقال الإمام الرضا (عليه السلام): (إن الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير الخبث من الحديد)[2] وقد وعد الله تعالى من ينفق شيئاً في سبيله يخلفه له، قال تعالى ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ (سبأ:٣٩) وفي خصوص الحج فقد ورد استحباب الانفاق، روى الشيخ الصدوق بسنده عن

(١) الفقيه: ٢/ ١٧٣/ ح٧٦٤.

(٢) تهذيب الأحكام: ٥/ ٢٢/ ح٦٥.

الامام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): مَا مِنْ نَفَقَةٍ أَحَبَّ إِلَى اَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ نَفَقَةِ قَصْدٍ وَيُبْغِضُ اَلْإِسْرَافَ إِلاَّ فِي اَلْحَجِّ وَاَلْعُمْرَةِ فَرَحِمَ اَللَّهُ مُؤْمِناً كَسَبَ طَيِّباً وَأَنْفَقَ مِنْ قَصْدٍ أَوْ قَدَّمَ فَضْلاً)[1] وهي تشمل الهدايا التي يجلبها، قال الامام الصادق (عليه السلام)هَدِيَّةُ اَلْحَجِّ مِنَ اَلْحَجِّ)[2]، والحج يحرك عجلة الاقتصاد بنحو عام فيشمل الحاج وغيره، وقد بيّن الامام الصادق (عليه السلام) جملة من المنافع الاقتصادية في رواية هشام بن الحكم المتقدمة، فإنَّ توجه الملايين إلى الديار المقدسة سنوياً يحرّك قطاعات واسعة كالنقل والخدمات الفندقية والطعام وتجارة البضائع المختلفة والبناء، وأن الهدي وحده يتطلب استهلاك ملايين الأنعام سنوياً، وإن الحجاج يُخرِجون قبل سفرهم ما بذممهم من الحقوق الشرعية كالخمس ورد المظالم ويعطونها إلى الفقراء وهي مبالغ ضخمة تعطي قوة شرائية للطبقة المحرومة فيتحرك السوق.

٤- صحية: فإن الأطباء والحكماء يوصون بالسفر وتغيير شكل الحياة الرتيبة لتحسين الصحة والمزاج، روي في الكافي

(١) الفقيه: ٣/ ١٠٢/ ح٤٠٨

(٢) الكافي: ٤/ ٢٨٠/ ح٥

بسنده عَنْ الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أنهُ قَالَ: (قَالَ عَلِيٌّ بْنُ الحُسَيْنِ (عليه السلام): حُجُّوا واعْتَمِرُوا تَصِحَّ أَبْدَانُكُمْ، وتَتَّسِعْ أَرْزَاقُكُمْ، وتُكْفَوْنَ مَؤونَاتِ عِيَالِكُمْ)[1].

نسأل الله تبارك وتعالى أن يشركنا في أجور الحجاج وصالح أعمالهم وأدعيتهم.

(١) الكافي: ٤/ ٢٥٢/ ح١.

خطاب المرحلة
(٧٧٨)

ولاية علي بن ابي طالب (عليه السلام) في القران الكريم[١]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة:٥٥)

تُعرِّف الآية الكريمة من هو صاحب الحق في ولاية أمور الناس، الولاية التي هي أعظم أركان الإسلام وأوثق أسسه، روى الشيخ الكليني (رضوان الله تعالى عليه) في الكافي بسنده عن زرارة عن الإمام الباقر (عليه السلام) قَالَ: (بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ عَلَى الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ والحَجِّ والصَّوْمِ وَالولَايَةِ، قَالَ: زُرَارَةُ فَقُلتُ وَأَيُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: الوَلَايَةُ أَفْضَلُ؛ لِأَنَّهَا مِفْتَاحُهُنّ وَالوَالِي هُوَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِنَّ[٢]... ثُمَّ قَالَ (عليه السلام) ذِرْوَةُ الأَمْرِ وسَنَامُهُ وَمِفْتَاحُهُ وَبَابُ الأَشْيَاءِ وَرِضَا الرَّحْمَنِ الطَّاعَةُ لِلإِمَامِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ومَنْ تَوَلَّى فَما أَرْسَلناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ (النساء:٨٠) أَمَا لَوْ أَنَّ رَجُلاً

(١)خطبتا صلاة عيد الأضحى المبارك السنة ١٤٤٦هـ - الموافق ٧/ ٦/ ٢٠٢٥م

(٢) إذ بالولاية تفتح الأبواب لمعرفة أحكام الدين وآدابه ومعارفه وحقائقه، والولي الحق هو الذي يدل الناس على كل ذلك (فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلتُ عَنْ دِينِي) (الكافي: ١/ ٣٣٧/ ح٥) فالولاية ذروة معارف الدين وحقائقه وأصوله وأرفع شيء فيه، وبطاعة الولي الحق يصل الانسان إلى طاعة الله تعالى، ومن سلك غير هذا الطريق لا يستحق على الله تعالى شيئاً مما وعد به لمخالفته شرطه إلا أن يشمله فضل الله وسعته ورحمته.

قَامَ لَيْلَهُ وصَامَ نَهَارَهُ وتَصدَّقَ بِجَمِيعِ مَالِهِ وحَجَّ جَمِيعَ دَهْرِهِ ولَمْ يَعْرِفْ وَلَايَةَ وَلِيِّ اللَّهِ فَيُوَالِيَهُ ويَكُونَ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ بِدَلَالَتِهِ إِلَيْهِ مَا كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وعَزَّ حَقٌّ فِي ثَوَابِهِ ولَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ ثُمَّ قَالَ (عليه السلام): أُولَئِكَ المُحْسِنُ مِنْهُمْ يُدْخِلُهُ اللَّهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ)[1]، وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام): (قَالَ: بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ عَلَى الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ والصَّوْمِ[2] والحَجِّ والوَلَايَةِ ولَمْ يُنَادَ بِشَيْءٍ كَمَا نُودِيَ بِالوَلَايَةِ)[3].

والولاية مصدر خير وبركة وأمان للخلق أجمعين كالنبوة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧) والإمامة كذلك قال الإمام الصادق (عليه السلام): (لو خلت الأرض طرفة عين من حجة لساخت بأهلها)[4]، وهي مظهر لرحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء، روى في الخرائج عن الإمام الهادي (عليه السلام) أنه قال ليوسف النصراني الذي زاره (عليه السلام): (... إِنَّ أَقْوَاماً يَزْعُمُونَ أَنَّ وَلَايَتَنَا لَا تَنْفَعُ أَمْثَالَكَ كَذَبُوا واللَّهِ إِنَّهَا لَتَنْفَعُ أَمْثَالَكَ..)[5].

وننقل هذه الرواية في فضل ولاية أهل البيت (عليهم السلام) وعظيم منزلتها وأنها لا يعدلها شيء، روي عن يونس (بن ظبيان) أنه قال للإمام

(١) الكافي: (ط- الإسلامية)/ ج٢/ ص١٨.

(٢) في بعض النسخ [والصيام].

(٣) الكافي: (ط- الإسلامية)/ ج٢/ ص١٨.

(٤) بحار الأنوار: ٢٣/ ٢٩.

(٥) الخرائج والجرائح: ١/ ٣٩٨، وأيضا يُنظر: بحار الأنوار: ٥٠/ ١٤٤.

الصادق (عليه السلام): (لَولَائِي لَكُمْ ومَا عَرَّفَنِيَ اللَّهُ مِنْ حَقِّكُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا قَالَ يُونُسُ: فَتَبَيَّنْتُ الغَضَبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ (عليه السلام): يَا يُونُسُ قِسْتَنَا بِغَيْرِ قِيَاسٍ، مَا الدُّنْيَا ومَا فِيهَا؟ هَل هِيَ إِلَّا سَدُّ فَوْرَةٍ- أي من الجوع- أَوْ سَتْرُ عَوْرَةٍ وأَنْتَ لَكَ بِمَحَبَّتِنَا الحَيَاةُ الدَّائِمَةُ)[1].

والولاية المقصودة في الآية الكريمة هي ولاية أمر الأمة بكل ما تتضمنه من القيمومة والحاكمية وتدبير الشؤون والتصرف في الانفس والأموال، والنظر في ما فيه صلاح المولّى عليه وفلاحه عن قرب ومباشرة، وهي التي وردت في الآية الكريمة ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب:٦) بمعنى أنّه أحق بأنفس المؤمنين من أنفسهم، وأمرُه حاكم على أمرهم، وهي التي أخذ إقرارهم عليها يوم الغدير إذ قال لهم: (... ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا: اللهم بلى ....)[2]، ومن باب أولى الولاية على أموالهم وسائر شؤونهم، فهي ولاية الحاكمية والسلطنة على التصرف فيهم، ووجوب الطاعة ومن تجب طاعتهم حيث جعل الله تعالى ولايتهم وطاعتهم كولايته وطاعته سبحانه، قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء:٥٩)، وقد أكّد الإمام الصادق (عليه السلام) ذلك في رواية الكافي (فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ورَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا﴾ قَالَ (عليه السلام)

(١) تحف العقول: ٣٧٩/ ط- جماعة المدرسين، وأيضاً يُنظر: بحار الأنوار: ٧٨/ ٢٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ٣٧/ ٢٢٥.

إِنَّمَا يَعْنِي أَوْلَى بِكُمْ أَيْ: أَحَقُّ بِكُمْ وبِـأُمُورِكُمْ وأَنْفُسِـكُمْ وأَمْـوَالِكُمُ ... والَّذِينَ آمَنُوا يَعْنِي عَلِيّاً وأَوْلَادَهُ الأَئِمَّةَ (عليهم السلام) إِلَى يَوْمِ القِيَامَـةِ ... فَكُـلُّ مَنْ بَلَغَ مِنْ أَوْلَادِهِ مَبْلَغَ الإِمَامَةِ يَكُونُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ مِثْلَهُ[1] فَيَتَصَدَّقُونَ وهُمْ راكِعُونَ)[2].

روى في الكافي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (... وَصَـلَ اللَّهُ طَاعَةَ وَلِيِّ أَمْرِهِ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ (صلى الله عليه وآله) وطَاعَةَ رَسُـولِهِ بِطَاعَتِـهِ فَمَـنْ تَرَكَ طَاعَةَ وُلَاةِ الأَمْرِ لَمْ يُطِعِ اللَّهَ ولَا رَسُولَه ...)[3]، وفيه أيضاً بسنده عَنِ الحُسَيْنِ بْنِ أَبِي العَلَاء قَالَ: (ذَكَرْتُ لِـأَبِي عَبْـدِ اللَّـهِ (عليه السلام) قَوْلَنَـا فِـي الأَوْصِيَاء إِنَّ طَاعَتَهُمْ مُفْتَرَضَةٌ قَالَ: فَقَالَ (عليه السلام): نَعَمْ، هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّـهُ تَعَالَى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِـنْكُمْ﴾ (المائـدة:٦١) وهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّـهُ عَـزَّ وجَـلَ ﴿إِنَّمـا وَلِـيُّكُمُ اللَّـهُ ورَسُـولُهُ والَّـذِينَ آمَنُوا﴾)[4].

عن هذه النعمة العظيمة وعن هذا الأساس المتين للإسلام تتحدث الآية الكريمة، فتبدأ بـ﴿إِنَّمَا﴾ التي تفيد الحصر فتحصر حق الولاية بالله تبارك وتعالى خالق الخلق ورازقهم ومدبر شؤونهم، ومنـه إلـى النبـي

(١) في بعض النسخ المطبوعة والوسائل [بهذه النعمة].

(٢) الكافي: (ط- الإسلامية)/ ج١/ ص٢٨٨/ ح٣.

(٣) الكافي: (ط- الإسلامية)/ ج٢/ ص٤٧، بحار الانوار: ١٠/٦٩.

(٤) الكافي: (ط- الإسلامية)/ ج١/ ص١٨٧.

(صلى الله عليه وآله) ومنه إلى جماعة مصطفاة ومستخلصة من المؤمنين وصَفْتهم بأنهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة حال كونهم راكعين.

وقد تواترت الروايات من طرق الفريقين[1] أنها نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عندما تصدق بخاتمه في صلاته وهو راكع، ونقل العلامة المجلسي عن السيد أبن طاووس: قَالَ السَّيِّدُ فِي كِتَابِ سَعْدِ السُّعُودِ: (رَأَيْتُ فِي تَفْسِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ العَبَّاسِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مَرْوَانَ أَنَّهُ رَوَى نُزُولَ آيَةِ ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...﴾ فِي عَلِيٍّ (عليه السلام) مِنْ تِسْعِينَ طَرِيقاً بِأَسَانِيدَ مُتَّصِلَةٍ كُلُّهَا أَوْ جُلُّهَا مِنْ رِجَالِ المُخَالِفِينَ لِأَهْلِ البَيْتِ (عليهم السلام)....)[2]، وقد أحصى ابن شهر آشوب في المناقب جمعاً من مصادر هذه الواقعة وأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذين رووها[3]، وقال الآلوسي: «... وغالب الأخباريين على أنها نزلت في علي (كرم الله وجهة)...)[4].

روى جمع من المفسرين وجامعي المناقب منهم الثعلبي في

(١) نقل صاحب تفسير الفرقان: ٨/ ٣٥٦، أن السيد المرعشي النجفي (رضوان الله تعالى عليه) أخرج في (ملحقات إحقاق الحق: ٢/ ٣٩٩- ٤٠٨) نزول هذه الآية في الامام علي (عليه السلام) عن ٣١ مصدراً.

(٢) بحار الأنوار: ٣٥/ ٢٠١. ط- بيروت.

(٣) مناقب آل أبي طالب (عليهم السلام)- ابن شهر آشوب: ٣/ ٢.

(٤) روح المعاني: ٣/ ٣٣٤، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط: ١، ١٤١٥ هـ .ق.

تفسيره بالإسناد عن أبي ذر الغفاري (رضوان الله تعالى عليه) قال: - في حديث- (أمَا إني صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) يَوْماً مِنَ الأَيَّامِ صَلَاةَ الظُّهْرِ، فَسَأَلَ سَائِلٌ فِي المَسْجِدِ فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ فَرَفَعَ السَّائِلُ يَدَهُ إِلَى السَّمَاء وقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي سَأَلتُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فَلَمْ يُعْطِنِي أَحَدٌ شَيْئاً، وكَانَ عَلِيٌّ (عليه السلام) رَاكِعاً فَأَوْمَى بِخِنْصِرِهِ اليُمْنَى إِلَيْهِ، وكَانَ يَتَخَتَّمُ فِيهَا، فَأَقْبَلَ السَّائِلُ حَتَّى أَخَذَ الخَاتَمَ مِنْ خِنْصِرِهِ، وذَلِكَ بِعَيْنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله)، فَلَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ مِنْ صَلَاتِهِ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاء .... إلى أن قال: فَوَاللَّهِ مَا اسْتَتَمَّ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) الكَلِمَةَ حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ جَبْرَئِيلُ (عليه السلام) مِنْ عِنْدِ اللَّه (سبحانه وتعالى)، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اقْرَأْ، قَالَ: ومَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: اقْرَأْ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾)[1].

وقال في الدر المنثور: (أخرج الخطيب في المتفق عن ابن عباس قال تصدق علي بخاتمه وهو راكع فقال النبي (صلى الله عليه وآله) للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذاك الراكع فأنزل الله ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ورَسُولُه وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ...)[2].

ولوضوح المنقبة لدى الأصحاب فقد كانت مما احتج به أمير المؤمنين (عليه السلام) عليهم يوم الشورى فقال (عليه السلام): (... نَشَدْتُكُمُ اللَّهَ،

(١) الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): ٤/ ٨٠؛ دار إحياء التراث العربي، ط: ١، ١٤٢٢ هـ .ق.

(٢) الدر المنثور: ٣/ ١٠٤، ط: دار الفكر، وقد أخرج الرواية بطرق عديدة.

أَفِيكُمْ أَحَدٌ، نَزَلَتْ فِيهِ: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ورَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكاةَ وهُمْ راكِعُونَ﴾ غَيْرِي؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ لَا...)[1]، فقال حسان بن ثابت:

أبا حَسنٍ تفديكَ نَفسي وأُسرَتي ... وكُلُّ بطيءٍ في الهُدى ومُسارِعِ
أيذهبُ مدحٌ من مُحِبِّكَ ضائِعاً ... وما المدحُ في جنبِ الإلهِ بضائِعِ
فأنتَ الذي أعطيتَ إذ كُنتَ راكعاً ... عليٌّ فدتك النفسُ يا خيرَ راكِعِ
فأنزلَ فيكَ اللَه خيرَ ولايةٍ ... وبيّنها في محكماتِ الشرائِعِ

وقال أيضاً:

مَن ذا الذي بخاتمِه تصدَّقَ راكعاً ... وأَسرِّها في نفسهِ إسرارا
مَن كانَ باتَ على فراشِ محمدٍ ... ومحمّدٌ أَسرى يَؤمٌّ الغارا
مَن كانَ في القرآن سُمّيَ مؤمناً ... في تِسعِ آياتٍ تُليـنَ غزارا[2]

وقد أكدت الآية التالية أن هذه الولاية هي الحدّ الفاصل الذي يميّز حزب الله الغالب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾ (المائدة:٥٦)، روى الشيخ الطوسي بسنده عن أنس بن مالك عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنم لم يجز عليه إلا من معه جواز فيه ولاية علي بن أبي طالب، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾

(١) المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب (عليه السلام): ص٣٥٣.

(٢) موسوعة الأمام علي بن أبي طالب للشهري: ٢/ ٢٠٢.

(الصافات:٢٤) يعني عن ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام))[١].

لكن الحساد والمبغضين والمضلّلين لم يذعنوا لهذا الأمر الإلهي وعاندوه، روى الشيخ الكليني بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (بُني الاسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه- يعني الولاية-)[٢]، وروى أيضاً بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه عن جده (عليهم السلام) فِي قَوْلِهِ عَزَّ وجَلَ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها﴾ (النحل:٨٢) قَالَ: (لَمَّا نَزَلَتْ[٣] ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ورَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكاةَ وهُمْ راكِعُونَ﴾ اجْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) فِي مَسْجِدِ المَدِينَةِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ الآيَةِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنْ كَفَرْنَا بِهَذِهِ الآيَةِ نَكْفُرُ بِسَائِرِهَا وإِنْ آمَنَّا فَإِنَّ هَذَا ذُلٌّ حِينَ يُسَلِّطُ عَلَيْنَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مُحَمَّداً صَادِقٌ فِيمَا يَقُولُ ولَكِنَّا نَتَوَلَّاهُ ولَا نُطِيعُ عَلِيّاً فِيمَا أَمَرَنَا قَالَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها﴾ يَعْرِفُونَ يَعْنِي وَلَايَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وأَكْثَرُهُمُ الكافِرُونَ بِالوَلَايَةِ)[٤].

---

(١) أمالي الطوسي: المجلس الحادي عشر/ ح١١/ ٢٩٠، الرقم: ٥٦٤.

(٢) الكافي: ٢/ ١٨/ ح٣.

(٣) الآية في سورة المائدة التي هي من اواخر سورة القرآن نزولاً.

(٤) الكافي: (ط - الإسلامية)/ ج١/ ص٤٢٧.

ولذلك احتاج الأمر إلى موقف جلي حاسم يقطع الطريق على المنكرين وذلك ما حصل في بيعة الغدير، روى الشيخ الكليني بسند صحيح عن جمع من فضلاء أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام) قَالَ: (أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ رَسُولَهُ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ وأَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ورَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكاةَ﴾ وفَرَضَ وَلَايَةَ أُولِي الأَمْرِ فَلَمْ يَدْرُوا مَا هِيَ فَأَمَرَ اللَّهُ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) أَنْ يُفَسِّرَ لَهُمُ الوَلَايَةَ كَمَا فَسَّرَ لَهُمُ الصَّلَاةَ والزَّكَاةَ والصَّوْمَ والحَجَّ فَلَمَّا أَتَاهُ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ ضَاقَ بِذَلِكَ صَدْرُ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وتَخَوَّفَ أَنْ يَرْتَدُّوا عَنْ دِينِهِمْ وأَنْ يُكَذِّبُوهُ فَضَاقَ صَدْرُهُ وراجَعَ رَبَّهُ عَزَّ وجَلَّ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ إِلَيْهِ ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة:٦٧) فَصَدَعَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ فَقَامَ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ (عليه السلام) يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ فَنَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَةً وأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الغَائِبَ ... وقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام) وكَانَتِ الفَرِيضَةُ تَنْزِلُ بَعْدَ الفَرِيضَةِ الأُخْرَى وكَانَتِ الوَلَايَةُ آخِرَ الفَرَائِضِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَ ﴿...اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي...﴾ (المائدة:٣) قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام): يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ لَا أُنْزِلُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ هَذِهِ فَرِيضَةً قَدْ أَكْمَلْتُ لَكُمُ الفَرَائِضَ)[1].

ومنه يتضح وجه اهتمام أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بعيد الغدير،

(١) الكافي (ط- الإسلامية)/ ج١/ ص٢٨٩.

وحثهم المؤمنين[١] في أقطار الأرض على الحضور عند مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) في النجف لإظهار عزة ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) لتجديد البيعة معه، وإبراز هوية الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) والدعاء بالثبات على ولايتهم، قال الإمام الرضا (عليه السلام) لأحد أصحابه المقربين: (يا ابن أبي نصر أينما كنت فاحضر يوم الغدير عند أمير المؤمنين (عليه السلام) فإن الله يغفر لكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة ذنوب ستين سنة، ويعتق من النار ضعف ما أعتق في شهر رمضان، وفي ليلة القدر وليلة الفطر، والدرهم فيه بألف درهم لإخوانك العارفين...)[٢]، وبولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) كمل الدين وتمت النعمة، وأنزل الله تعالى في ذلك اليوم ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾.

ولذا كانت قضية الغدير أهم قضايا الإسلام التي يجب إثارتها والاحتجاج بها، وهداية الناس إليها، لأن ولاية أهل البيت (عليهم السلام) تحفظ الإسلام النقي الأصيل وتحصّن الأمة من الانحراف وتحفظ وحدتها وهيبتها وعزتها، وما انفرط عقد الأمة وتاهت في أتون الصراعات إلا

(١) راجع الخطاب(٧٢٤) الخاص بهذا التوجيه في موسوعة خطاب المرحلة: ج١٣/ ص٤٦٢/ بعنوان: (حثّ المؤمنين من مختلف البلدان على زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الغدير وتعظيم شعائره).

(٢) وسائل الشيعة: ١٤/ ٣٨٨/ باب١١/ ح١.

عندما أضاعت ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام).

ورغم وضوح هذه الحقائق وتواترها لكن المخالفين الذين يصعب عليهم الاعتراف بهذا الحق لأمير المؤمنين (عليه السلام) شككوا في دلالة الآية على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) فقالوا بأن الولاية هنا بمعنى النصرة والمحبة وليس ولاية أمر الأمة، وهذا مردود؛ لأن الآية تفيد حصر الولاية بالموصوف فيها والحصر يعني نفيها عمّن سواه واختصاصها به، والنصر والمحبة يشترك فيها جميع المؤمنين ولا تختص بأحد من المؤمنين دون غيره كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة:٧١).

((ووجه آخر في الدلالة على أن الولاية في الآية مختصة، أنه سبحانه قال: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ فخاطب جميع المؤمنين، ودخل في الخطاب النبي (صلى الله عليه وآله) وغيره، ثم قال: ﴿ورَسُولُهُ﴾ فأخرج النبي (صلى الله عليه وآله) من جملتهم، لكونهم مضافين إلى ولايته، ثم قال: ﴿والَّذِينَ آمَنُوا﴾ فوجب أن يكون الذي خوطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية، وإلا أدى إلى أن يكون المضاف هو المضاف إليه بعينه، وإلى أن يكون كل واحد من المؤمنين ولي نفسه، وذلك محال...))[1].

وشككوا أيضاً من جهة أن الآية وردت بصيغة الجمع فكيف يراد بها الواحد؟ وهي شبهة لا قيمة لها مقابل الروايات المتواترة، وقد رواها

(١) مجمع البيان: ٣/ ٢١٢.

الصحابة وهم أعرف بلسان العرب ولم يجدوا في ذلك حزازة، مع أن التعبير بالجمع عن المفرد مألوف ومتداول في لغة العرب للتفخيم أو أي غرض آخر، وهو مستعمل في القرآن الكريم. كما في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ (المنافقون:٨) وقد نزلت في مقولة زعيم المنافقين ابن أبي سلول، وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ (المائدة:٥٢) وقد ورد أنها نزلت فيه أيضاً، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة:٢١٥) والسائل واحد، والآية الأولى من سورة الممتحنة ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالمَوَدَّةِ﴾ وهي في حاطب ابن أبي بلتعة.

ولو تنزلنا فإن الممنوع استعمال لفظ الجمع في المفرد، وليس إعطاء ضابطة عامة كلية يمكن أن يحظى بها كثيرون لتحفيزهم على الوصول إليها لكنها لم تنطبق إلا على واحد كما في المقام، على أننا لا نفهم من هذا الوصف العلية لاستحقاق الولاية بحيث يدور الاستحقاق مدارها وإنما أريد بها الإشارة إلى المستحق والتعريف به وقد رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ: (وَاللَّهِ لَقَدْ تَصَدَّقْتُ بِأَرْبَعِينَ خَاتَماً وأَنَا رَاكِعٌ لِيَنْزِلَ فِيَّ مَا نَزَلَ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) فَمَا نَزَلَ)[1].

وقالوا أيضاً: إن التصدق بخاتم ليس من الزكاة، وهو مردود؛ لأن

(١) أمالي الصدوق: ١/ ١٨٦، تحقيق مؤسسة البعثة، وينظر أيضاً: مناقب آل أبي طالب (عليهم السلام)- ابن شهرآشوب: ٤/٣.

الزكاة أطلقت في القرآن على كل إنفاق في سبيل الله تعالى وليس على خصوص الحصة المعلومة.

وقالوا: إن علياً (عليه السلام) معروف بخشوعه في الصلاة حتى استلوا سهما من رجله وهو يصلي دون أن يحسّ بالألم فكيف سمع كلام السائل؟

وفيه غفلة عن أن الخشوع إنما ينافي الغفلة عن الله تعالى والانشغال بأمور الدنيا ولا يعني الغياب عن الوعي وعدم الإحساس بما حوله، والالتفات إلى الأمور التي فيها طاعة الله تبارك وتعالى كإجابة السائل من طاعة الله تعالى فهو عبادة في عبادة.

فلنتعرف على أولي الأمر الحقيقيين، روى الشيخ الكليني في الكافي والشيخ الصدوق في التوحيد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال أمير المؤمنين (عليه السلام) أعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان)[1]، فهذه أولويات ولي الأمر وهذه وظائفه وبها يعرف، وقد جسّد أمير المؤمنين الإحسان بما نطقت به الآية الكريمة من الإحسان إلى الناس حتى وهو في حال الصلاة وهذا الحديث حجة على الذين يتصدون لولاية أمور الأمة بالسيف وتزييف الحقائق والمكائد وبغير استحقاق ويزعمون أنهم أولو الأمر الذي عناهم الله تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي

(١) الكافي: ١/ ٨٥، التوحيد: ٢٨٦.

الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء:٥٩) لكن أعمالهم تفضحهم، لأنها بعيدة عما ذكره الحديث الشريف من الوظائف.

ولنتمسك بهذه الولاية ولنحافظ على حدودها وآدابها، روي في تحف العقول من وصية الامام الباقر (عليه السلام) لجابر الجعفي (... واعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا تَكُونُ لَنَا وَلِيّاً حَتَّى لَو اجْتَمَعَ عَلَيْكَ أَهْلُ مِصْرِكَ وقَالُوا إِنَّكَ رَجُلُ سَوْءٍ لَمْ يَحْزُنْكَ ذَلِكَ ولَوْ قَالُوا إِنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ لَمْ يَسُرَّكَ ذَلِكَ ولَكِنِ اعْرِضْ نَفْسَكَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ كُنْتَ سَالِكاً سَبِيلَهُ زَاهِداً فِي تَزْهِيدِهِ رَاغِباً فِي تَرْغِيبِهِ خَائِفاً مِنْ تَخْوِيفِهِ فَاثْبُتْ وأَبْشِرْ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ مَا قِيلَ فِيكَ وإِنْ كُنْتَ مُبَايِناً لِلقُرْآنِ فَمَا ذَا الَّذِي يَغُرُّكَ مِنْ نَفْسِكَ إِنَّ المُؤْمِنَ مَعْنِيٌّ بِمُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ لِيَغْلِبَهَا عَلَى هَوَاهَا فَمَرَّةً يُقِيمُ أَوَدَهَا[1] ويُخَالِفُ هَوَاهَا فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ ومَرَّةً تَصْرَعُهُ نَفْسُهُ فَيَتَّبِعُ هَوَاهَا فَيَنْعَشُهُ اللَّهُ[2] فَيَنْتَعِشُ ويُقِيلُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ فَيَتَذَكَّرُ ويَفْزَعُ إِلَى التَّوْبَةِ والمَخَافَةِ فَيَزْدَادُ بَصِيرَةً ومَعْرِفَةً لِمَا زِيدَ فِيهِ مِنَ الخَوْفِ وذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٢٠٠) ...)[3].

ولنحذر الطرد والحرمان منها، وعدم الثبات عليها، ومن موجبات

(١) الأود: العوج. وقد يأتي بمعنى القوّة.

(٢) نعشه اللّه: رفعه وأقامه وتداركه من هلكة وسقطة. وينعش أي ينهض- وينشط.

(٣) تحف العقول: ٢٨٤، بحار الأنوار: ٧٨/ ١٦٢.

الطرد تشويه صورة المؤمن في المجتمع والحط من منزلته وإسقاطه من أعين الناس خصوصاً اذا كان بأخبار مفتراة وشبهات وضلالات لا واقع لها، روى في الكافي بسنده عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: (قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام)): مَنْ رَوَى عَلَى مُؤْمِنٍ رِوَايَةً يُرِيدُ بِهَا شَيْنَهُ وهَدْمَ مُرُوءَتِهِ لِيَسْقُطَ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْ وَلَايَتِهِ إِلَى وَلَايَةِ الشَّيْطَانِ فَلَا يَقْبَلُهُ الشَّيْطَانُ)[1].

أقول: إخراجه من ولاية الله تعالى أمر طبيعي لأنه أثبت بتسقيطه للمؤمنين أن ولايته لله تعالى غير صادقة ولا يستحق أن ينتسب إليها، وأما عدم قبول الشيطان بولايته سواء كانوا شياطين الإنس أو الجن، فإن براءة شياطين الإنس من اتباعهم ومنفذي إرادتهم يثبتها الواقع المعاش حيث يتبرأون منهم بعد فعلتهم الشنيعة ويزعمون أنهم لا يمثلونهم، والقرآن حافل بحكاية هذه الحوارات بين المستكبرين وأتباعهم كقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ (سبأ:٣٢).

وأما شياطين الجن فقد حكى القرآن جملة منها، كإغراء المشركين بالخروج إلى حرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بدر ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي

(١) الكافي: (ط- الإسلامية)/ ج٢/ ص٣٥٨.

بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال:٤٨)، وذلك لأن إبليس يعرف من الله تعالى ما لا يعرفه هؤلاء التافهون.

أو لأن المؤمن ينجّيه الله تعالى من التسقيط وهدم المروءة فيرى الشيطان أن غرضه من هذا التشويه لم يتحقق فيرفض انتساب الفاعل إليه.

وقيل في وجه عدم قبول الشيطان: أن فعله أشنع من فعل إبليس الذي عصى أمر ربه بالسجود لآدم (عليه السلام) إلا أنه لم يسقط آدم (عليه السلام) في أعين الملائكة ولم ينقل عنه ما يشينه[1].

(١) بحار الأنوار: ٧٥/ ١٦٨.

خطاب المرحلة

(٧٧٩)

بيان: حول تعرّض المنشآت العسكرية والمدنية في جمهورية إيران الإسلامية للقصف الصهيوني[١]

بسم الله ذي القوة المتين

ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم

لم يكن مفاجئاً ما قام به الكيان الصهيوني الغاصب هذا اليوم من اعتداءات وحشية على التجمعات السكنية والمعالم الحضارية من منشآت نووية ومراكز لخدمة الشعب في الجمهورية الإسلامية الإيرانية الشقيقة، فإن فلسفة هذا الكيان بُنِيَت على الظلم والعدوان والاستكبار واحتقار الآخرين، قال الله تعالى ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ (التوبة:٨) وانما أنشأته الدول المستكبرة في قلب بلاد المسلمين ليكون رأس الحربة في تنفيذ مشاريعها العدوانية لاستعباد الشعوب وسرقة ثرواتها.

(١) قامت الطائرات الصهيونية فجر الجمعة بقصف مواقع عسكرية ومنشآت نووية ومحال إقامة قادة عسكريين في عدة مدن إيرانية، من بينها العاصمة طهران. وردت إيران بإطلاق صواريخ باليستية ومسيّرات الى عاصمة الكيان تل أبيب ومدن أخرى، مما أوجب ذعراً وهلعاً، ثم توقفت الحرب بعد ١٢ يومًا، وقد تخلّلها قيام طائرات الشبح الأمريكية بقصف المنشآت النووية المحصنة في الجبال قرب مدينة قم.

فهذه الحرب على المسلمين مستمرة حتى يخضعوا لإرادة المستكبرين، قال الله تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة:٢١٧)، وقد وعد الله تعالى بأنهم لا يبلغون هدفهم وما كيدهم ﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (غافر:٣٧) وقال تعالى ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر:٤٣).

ولئن عزّ علينا فقدان قادة كبار وعلماء خبراء في الطاقة النووية التي تخدم احتياجات الشعب، إلا أن العدو يعاني من الرعب والخوف والهزيمة أكثر، قال الله تعالى ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ (النساء:١٠٤) والفرق بيننا وبينهم ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ (النساء:١٠٤) فإن مآل الجميع الى الموت ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران:١٨٥)، ولكن شتّان بين من يُختم له بالشهادة والسعادة الأبدية وبين من يعيش المذلّة والخزي في الدنيا وعذاب الجحيم في الآخرة.

نسأل الله تعالى أن يُخلف على الأمة الإسلامية بقادة أكفاء مخلصين وعلماء خبراء صالحين، وأن يُظهر دينه على الدين كلّه ولو كره الكافرون ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم:٦)، فإن عزاءنا وسلوتنا في أن نرى الإسلام ديناً مهيمناً يخفق لواؤه في ربوع الأرض، ويعجّل بظهور بقية الله الأعظم (أرواحنا له الفداء) ويمكّن له دولته المباركة.

محمد اليعقوبي

الجمعة- ١٦- ذح-١٤٤٦هـ

٢٠٢٥/٦/١٣م

خطاب المرحلة
(٧٨٠)

الغدير: أعظم أعياد الإسلام، ومسؤوليتنا عنه[1]

السلام عليكم يا إخوة الإيمان والولاية ورحمة الله وبركاته

نحتشد اليوم عند أمير المؤمنين (عليه السلام) امتثالاً لأمر الله تعالى إذ قال: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ (إبراهيم:٥)، ويوم الغدير من أعظم أيام الله تعالى بحسب وصف القرآن الكريم له، وطاعة لأمر المعصومين (عليهم السلام) على لسان الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (أينما كنت فاحضر يوم الغدير عند أمير المؤمنين (عليه السلام) فإن الله يغفر لكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة ذنوب ستين سنة، ويعتق من النار ضعف ما أعتق في شهر رمضان وفي ليلة القدر وليلة الفطر، والدرهم فيه بألف درهم لإخوانك العارفين، فأفضِلْ على إخوانك في هذا اليوم وسُرَّ فيه كل مؤمن ومؤمنة، ثم قال: يا أهل الكوفة لقد أعطيتم خيراً كثيراً، وإنكم لممن امتحن الله قلبه للإيمان مستقلون مقهورون ممتحنون يصب البلاء عليكم صباً، ثم يكشفه كاشف الكرب العظيم، والله لو عرف الناس فضل هذا

(١) كلمة وجّهها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) عبر شاشة التلفزيون إلى جمع كبير من الشباب وطلبة الجامعات ضمن فعاليات عيد الغدير التي أقامها في النجف الأشرف ملتقى العلم والدين لسنة ١٤٤٦هـ- المصادف ١٥/ ٦/ ٢٠٢٥م.

اليوم بحقيقته لصافحتهم الملائكة في كل يوم عشر مرات)[1].

ففي مثل هذا اليوم أمر الله تعالى رسوله (صلى الله عليه وآله) وهو في طريق عودته من حجة الوداع ومعه سبعون ألفاً من المسلمين أن يتوقفوا عن السير في هذا الموضع الذي له خصوصية حيث تتفرق عنده طرق المسير إلى ديار المسلمين ومناطقهم المختلفة، وأن يبلّغهم أمراً عظيماً يعادل الرسالة كلها بحيث لو لم يبلّغه فكأنه لم يبلّغ من الإسلام شيئاً، وأنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة:٦٧).

ونفّذ النبي (صلى الله عليه وآله) ما أراد الله تعالى وألقى خطبة مفصّلة بيّن فيها معالم الإسلام إلى أن قال: (إني قد دُعيت ويوشك أن أجيب.. ثم أخذ بعضد عليّ فرفعها قائلاً: أيها الناس، ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال اللهم من كنت مولاه فهذا علي مولاه: اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه وانصر من نصره، واخذل من خذله وأبغض من أبغضه وأعِن من أعانه وأحبّ من أحبّه وأعزّ من أعزّه، إنما أكمل لكم الدين بولايته وإمامته، فإني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ

(١) وسائل الشيعة: ج١٤/ ص٣٨٨ ، أبواب المزار وما يناسبه: باب٢٨/ ح١، ط. آل البيت (عليهم السلام).

الحوض)[١].

وبعد ان أكمل النبي (صلى الله عليه وآله) خطبته نصب خباءً وجلس فيه للتهنئة وقال: هنئوني هنئوني[٢] وأجلسَ معه أخاه ووصيه علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعمّمه بعمامته السحاب وقال له: (إنها تيجان العرب)[٣]، وطلب من المسلمين أن يبايعوه بالإمامة والولاية، وكان أول من بايعه الشيخان وقال عمر: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)[٤]، قال أبو سعيد الخدري لم ينصرفوا حتى نزلت الآية ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسلام دِيناً ﴾ (المائدة:٣).

فعظمة عيد الغدير لأنه اليوم الذي استجاب الله تعالى فيه دعاء نبيه (صلى الله عليه وآله) الذي كان يلهج به دائماً (اللهم إن موسى سألَكَ فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (طه: ٢٥، ٢٦) فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ

(١) الغدير: ج١/ ص١٧٦، وقد روى الواقعة ١١٠ من الصحابة.

(٢) عيد الغدير في الإسلام: ص٦٨.

(٣) الفرقان في تفسير القرآن: ٩/ ٤١ عن الحافظ الديلمي.

(٤) روى ذلك كثيرون كالإمام أحمد في مسنده وابن جرير الطبري في تفسيره والرازي في تفسيره وابن الأثير في النهاية وابن حجر في الصواعق المحرقة وابن دحلان في الفتوحات الإسلامية.

إِلَيْكُمَا﴾ (القصص:٣٥) اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم فاشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي، علياً اشدُدْ به ظهري)[1] فأنزل الله تعالى قرآناً بتعيين علي الولي من بعده.

وهو اليوم الذي تحقق فيه الانتصار النهائي على أعداء الإسلام من كفار ومشركين وأهل الكتاب ومنافقين، حيث حصل لديهم اليأس من القضاء على الإسلام أو إيقاف زحفه بعد أن كانوا يمنّون أنفسهم بذلك عند موت رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتخلص من حامل الرسالة حيث تموت الرسالة بموت حاملها، فعيّن الله تبارك وتعالى حامل الرسالة الجديد الذي يخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فتحقق الانتصار النهائي الكامل عليهم.

وهو اليوم الذي كمل به الدين وتمت به النعمة وارتضى الله تعالى للناس الإسلام ديناً خالداً للبشرية جمعاء قيماً ومهيمناً على كل الأديان والأيديولوجيات والأنظمة البشرية.

وهو يوم الاطمئنان على بقاء رسالة الإسلام وديمومتها وخلودها بوجود أئمة معصومين يتعاقبون على حملها إلى يوم الساعة، وبذلك حفظ الإسلام النقي الأصيل من التشويه والدس والمسخ، روي عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) في تفسير إكمال الدين قال: (أي أكملت لكم

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٣ / ص٣٦١ عند الآية ٥٥ من سورة المائدة ، وشواهد التنزيل: ١/ ١٧٧، وتفسير الثعلبي وغيره من المصادر التي ذكرها في تفسير البرهان: ٣/ ٢٥٥/ ج١٠.

دينكم بإقامة حافظه)[١].

وهو يوم حماية الأمة من التشتت والضياع والتيه والتمزق والصراعات بتعيين الإمام الذي يَلُمُّ شملَ الأمة وينظّم أمورها، قالت السيدة الزهراء (عليها السلام): (وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً للفرقة)[٢].

وهو يوم هداية الأمة إلى الصراط المستقيم وهو ولاية أهل البيت (عليهم السلام) وضمان عدم سقوطها في الضلال والفساد والانحراف حيث نصب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحجة من بعده (اللهم عرّفني حجتَك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني)[٣]، وفي الحديث الشريف (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)[٤]، ففي هذا اليوم عُيّنَ لهم الحبل الممدود إلى السماء الذي (ما إن تمسكتم به لم تضلوا أبداً).

لهذا ولغيره، كان يوم الغدير أعظم عيد في الإسلام بحسب روايات كثيرة منها ما رواه الشيخ الصدوق في أماليه عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام)، قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يوم غدير خم أفضل أعياد أمتي، وهو اليوم الذي أمرني الله تعالى ذكره فيه بنصب أخي علي بن أبي طالب علماً لأمتي يهتدون به من بعدي، وهو اليوم

(١) تفسير الفرقان: ٧/ ٤٣١، عن الخصائص؟؟

(٢) الاحتجاج: ١٣٤/١.

(٣) كتاب الغيبة- النعماني: ١٦٨/١.

(٤) الكافي: ١/ ٣٧٧/ ح٣.

الذي أكمل الله فيه الدين، وأتم على أمتي فيه النعمة، ورضي لهم الإسلام ديناً)[١].

فعلينا أن نلهج دائماً بالشكر لله تعالى على نعمة الهداية للإسلام ولولاية وإمامة أهل البيت (عليهم السلام)، روى أبو يوسف البزار عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (تلا هذه الآية ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ (الأعراف: ٦٩،٧٤) فقال أتدرى ما آلاء الله؟ قلت: لا ، قال: هي أعظم نعم الله على خلقه وهي ولايتنا)[٢].

إننا في هذه اليوم نجدد التهنئة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والعهدَ والميثاقَ مع الله تبارك وتعالى بالثبات على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) والالتزام بمسؤولياتنا إزاء هذا العيد العظيم وهي:

١ - التعرف على عظمة نعمة الولاية روي عن يونس (بن ظبيان) أنه قال للإمام الصادق (عليه السلام): (لَوِلَائِي لَكُمْ ومَا عَرَّفَنِيَ اللَّهُ مِنْ حَقِّكُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا قَالَ يُونُسُ: فَتَبَيَّنْتُ الغَضَبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ (عليه السلام): يَا يُونُسُ قِسْتَنَا بِغَيْرِ قِيَاسٍ، مَا الدُّنْيَا ومَا فِيهَا؟ هَل هِيَ إِلَّا سَدُّ فَوْرَةٍ- أي من الجوع- أو سَتْرُ عَوْرَةٍ

(١) الأمالي: ص١٨٨.

(٢) الكافي: ج١/ ص٢١٧/ ح٣، من باب: أن النعمة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه: الأئمة (عليهم السلام).

وأَنْتَ لَكَ بِمَحَبَّتِنَا الحَيَاةُ الدَّائِمَةُ)[١].

علينا الاطلاع على عقيدة الإمامة والأدلة عليها وضرورتها، قال الإمام الباقر (عليه السلام): (بُني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم ينادَ بشيء كما نودي بالولاية)[٢]، ودفع الشبهات عنها.

٢ - نشر هذه المعرفة ودعوة الناس إليها بالحكمة والموعظة الحسنة، وإقناعهم بها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى:١١) ولكي نحظى بدعاء الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقلت له: فكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)[٣].

٣ - التمسك بنعمة الولاية والثبات عليها والالتزام باستحقاقاتها، فإن موالاة أهل البيت (عليهم السلام) ليست مجرد دعوى ندّعيها ونتعصب لها، ولا عاطفة عابرة تستثيرنا، وإنما هي عقيدة راسخة مقرونة بسلوك صالح وفضائل أخلاقية حتى ألّف علماؤنا كتباً في صفات الشيعة كالشيخ الصدوق، قال الإمام الصادق

(١) تحف العقول: ص٣٧٩، وأيضاً يُنظر: بحار الأنوار: ٧٨/ ٢٦٥.

(٢) الكافي: ج٢/ ص١٨، ط. الإسلامية.

(٣) معاني الأخبار: ص١٨٠.

(عليه السلام) في بيان هذه الاستحقاقات: (الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري فيسرني ذلك ويدخل علي منه السرور وقيل: هذا أدب جعفر وإذا كان على غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره)[1].

٤ - تجنب كل ما يوجب الطرد من ولاية الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام)، وسلبها كما ورد في الحديث الذي رواه في الكافي بسنده عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: (قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام): مَنْ رَوَى عَلَى مُؤْمِنٍ رِوَايَةً يُرِيدُ بِهَا شَيْنَهُ وهَدْمَ مُرُوءَتِهِ لِيَسْقُطَ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْ وَلَايَتِهِ إِلَى وَلَايَةِ الشَّيْطَانِ فَلَا يَقْبَلُهُ الشَّيْطَانُ)[2].

٥- أن نتذكر لوعة وحزن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) على تضييع الأمة لهذه الهدية الإلهية الثمينة التي تكفل لهم سعادة الدنيا والآخرة، وفي ذلك يقول الامام الصادق (عليه السلام): (إن حقوق الناس تثبت بشهادة شخصين وقد أُنكر حق جدي أمير المؤمنين (عليه السلام) وعليه سبعون ألف شاهد كانوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في غدير خم)[3]، فأصيبت الأمة بقتل وتشريد وقهر واستعباد وإذلال وجوع وتخلّف ونزاع مستمر وغير ذلك مما

(١) الكافي: ج٢/ ص٦٣٦.

(٢) الكافي: ج٢/ ص٣٥٨، ط. الإسلامية.

(٣) بحار الأنوار: ٣٧/ ١٥٨/ باب٥٢، عن العياشي والمناقب لابن شهرآشوب: ج٢/ ص٢٦٦.

ذكرته في خطاب (ماذا خسرت الأمة حينما ولّت أمرها من لا يستحق)[١].

وقد تضمنت زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) المخصوصة لهذا اليوم وكذا دعاء الندبة الذي يستحب قراءته في هذا اليوم ملحمة تحكي تأريخ الولاية والوصية وأخذ المواثيق والعهود من الرسل والأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين) عليها قبل أن تخلق البشرية، وانقلاب الناس عليها جيلاً بعد جيل حيث (لم يمتثل أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الهادين بعد الهادين والأمة مصرّة على مقته مجتمعة على قطيعة رحمه وإقصاء وُلده إلا القليل ممن وفى لرعاية الحق فيهم فقتل من قتل وسبي من سبي وأقصي من أقصي وجرى القضاء لهم بما يرجى له حسن المثوبة إذ كانت الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)[٢].

(١) راجع قبس قوله تعالى ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران: ١٤٤) في تفسير من نور القرآن، وموسوعة خطاب المرحلة: ١/ ٢٤١.

(٢) من دعاء الندبة، مصابيح الجنان: ١٦٠.

خطاب المرحلة

(٧٨١)

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة الإمام الحسين (عليه السلام) العالمية ومسؤولية إيصالها[1]

الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) مصباح هداية فبنوره يهتدي السائرون في طريق الكمال حتى بلوغ أعلى درجات القرب من الله تبارك تعالى بحسب ما يليق بشأنهم، وهو (عليه السلام) سفينة نجاة تنقذ الغارقين في بحار الذنوب والمعاصي والخطايا والجهل والضياع وتعيدهم إلى ساحل الأمان والإيمان ليبدؤوا حياة جديدة مفعمة بالأمل والسعادة، وهذا ماورد في نص زيارته (عليه السلام) في يوم الأربعين المروية عن الإمام الصادق (عليه السلام)، قال (عليه السلام): (وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ؛ لِيَسْتَنْقِذَ عِبادَكَ مِنَ الجَهالَةِ، وَحَيْرَةِ الضَّلالَة).

فالإمام الحسين (عليه السلام) لم يخرج على حكومة يزيد منافسةً في سلطة، ولا لعداء شخصي معه ولا لتسليط الأضواء الأعلامية عليه ونيل الشهرة، وإنما خرج للمطالبة بإقامة الحق والعدل ونصرة المستضعفين والمحرومين، بعد أن عطّل يزيد العمل بالدستور الذي آمنت به الأمة وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، واستئثاره بثروات الأمة

(١) كلمة وجهها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بمناسبة حلول شهر محرم الحرام/ ١٤٤٧هـ- الموافق ٢٧/ ٢٠٢٥/٦م.

وتبديدها على شهواته ونزواته، ولعبثه في مقدسات الأمة، ولإقصائه العلماء الصلحاء الأكفاء وتقريبه التافهين وتسليطهم على ولاية أمور الأمة، وغير ذلك من الجرائم الكبرى التي كان يرتكبها، قال الإمام الحسين (عليه السلام) في بيان أهدافه (أني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين..)[1]، وقال (عليه السلام) (...الا أن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتولوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيئ ...)[2] أي أنهم منعوا وصول حقوق الناس وادخروها لأنفسهم وقال (عليه السلام) (...ألا ترون أن الحق لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا، فإني لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلا برما...)[3].

وقد استسلمت الأمة لهذا الحكم الجائر خوفاً من القتل والسجن والحرمان من الرزق وأسباب المعيشة، أو طمعاً في فتات من الدنيا

(١) بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٨٢.

(٣) تحف العقول: ص٢٤٥.

يحصلون عليها من يزيد واعوانه، فقدّم الإمام الحسين (عليه السلام) دمه الزكي ومعه أهل بيته وثلة قليلة من الأصحاب ليوقظ ضمير الأمة ويعيدها إلى رشدها، وليرسم لها المسار الآخر الذي يجب أن تتبعه، ونجح (عليه السلام) في فرز خط الهدى والصلاح عن خط الانحراف والضلال بعد أن خلطهما الامويون، بحيث اصبح يزيد وابوه يخاطبان بأمير المؤمنين، وقد أقام (عليه السلام) الحجة بذلك على الأمة وهو الحجة البالغة الدامغة لأنه سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) وريحانته وبضعة منه وسيد شباب أهل الجنة بنص الأحاديث النبوية الشريف ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: ٤٢).

وحينما كان الامام الحسين (عليه السلام) ينادي يوم عاشوراء (هل من ناصر ينصرنا) لم يكن نداؤه موجها الى الموجودين في ساحة المعركة فقط، وإنما كانت دعوته موجهة إلى كل الأجيال الى يوم القيامة لكي ينصروه في تحقيق أهدافه السامية التي سعى من اجلها، ففرصة أن نكون من أنصاره التي نعبر عنها بقولنا (ياليتنا كنا معكم) موجودة لكل الأجيال، وليست هي مجرد أماني فارغة.

وفي ضوء هذا ندرك المسؤولية العظيمة الملقاة على الخطباء والشعراء والمنشدين الذين يلتف المؤمنون حولهم في هذه المناسبات، ويصغون إليهم ليتعرفوا منهم على سمو مقام

الإمام الحسين (عليه السلام) وخصاله الكريمة ودرجته الرفيعة، وعظمة حركته المباركة وأهدافه الإلهية السامية التي تتطلع إليها الإنسانية جمعاء.

فلابد أن يكون هؤلاء الأحبة في مستوى المسؤولية ويبيّنوا للناس المبادئ والقيم العليا في نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) وعلى رأسها الإخلاص لله تبارك وتعالى والانعتاق من أسر الشهوات وعبادة الطواغيت والمستكبرين ونيل الحرية الحقيقية، وإقامة العدالة الاجتماعية والمساواة بين البشر جميعاً والتحلّي بفضائل الأخلاق، والإحسان في القول والعمل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠).

ولابد ان يكون خطابهم وبيانهم والمفردات التي يستعملونها مناسبة لثقافة الناس ومستواهم الفكري وباللغات التي يفهمونها، لأن رسالة الإمام الحسين (عليه السلام) عالمية فلابد أن تصل إلى جميع الناس.

وليعلم هؤلاء الأحبة أن استخدام المنبر الحسيني للأهواء الشخصية والتعصبات والتحزبات، وتغذية الخلافات والعواطف المذمومة خيانة لله تعالى ولرسوله ولأمير المؤمنين وللإمام الحسين (صلوات الله عليهم اجمعين)، وظلم للجماهير المؤمنة

التي احتشدت لتسمع كلمة تدلّها على الحق والهدى وتصدها عن الضلال والعمى فالحذر الحذر.

ارجو أن يسدّد الله تعالى بألطافه وتأييداته هؤلاء الأحبة وكل خدّام أهل البيت (عليهم السلام) ومقيمي الشعائر المباركة وأن يدخلنا جميعاً في شفاعة الإمام الحسين وجده وابية وأمه وأخيه (صلوات الله عليهم اجمعين) إنه ولي النعم.

مختارات
من صحيفة الصادقين: الاعداد
٢٣٧ـ ٢٥٨
أخبار ـ أستفتاءات ـ قصائد

أخبار

المرجع اليعقوبي يرعى المؤتمر التبليغي لطلبة دولة الهند الدارسين في الحوزة العلمية في النجف الاشرف تحت عنوان: (رشحات التبليغ الديني في دولة الهند بين منبري ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) وعاشوراء الإمام الحسين (عليه السلام))[1]

استمراراً للمنهج المبارك الذي أختَطّتهُ المرجعية الرشيدة في رعاية مفاصل العمل الإسلامي في مختلف دول العالم، وخاصة التبليغ الديني الذي أولته اهتماماً كبيراً وأحاطتهُ برعايةٍ خاصة لكونهِ يمثل أحد ركائز رسالة الدين الاسلامي العظيم، ومبادئ مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وتيمناً بأسبوع ولاية الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد أقامت[2] مؤسسة التبليغ الإسلامي في مكتب سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مؤتمرها التبليغي لطلبة العلوم الدينية من دولة الهند الذين يدرسون في الحوزة العلمية في النجف الاشرف، تحت شعار (رشحات التبليغ الديني في دولة الهند بين منبري ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) وعاشوراء الإمام الحسين (عليه السلام))، حيث شارك في المؤتمر ما يناهز الـ(٥٠٠) طالب من

(١) نشر هذا الخبر في صحيفة الصادقين العدد ٢٣٦ الصفحة الثالثة بتاريخ السبت ٢٠٢٣/٧/٢٢م، الموافق: ٣/ محرم الحرام/ ١٤٤٥هـ

(٢) الثلاثاء ٢٢/ ذو الحجة/ ١٤٤٤هـ- الموافق:٢٠٢٣/٧/١١م.

دولة الهند، وقد إستهل برنامجهُ بقراءة آيٍ من الذكر الحكيم، ثم تلته كلمة مدير مؤسسة التبليغ الاسلامي وتضمنت (قراءة في التوأمة بين كيفية احياء المناسبات الشريفة واستثمارها في كيفية احياء النفوس وبعث الحياة المعنوية فيها)، ثم تلتها كلمة ترحيبية بأسم المرجعية الرشيدة والتي أشارت الى الاستفادة من قصة النبي نوح (عليه السلام) الذي بلّغ رسالة السماء من دون تردد أو خوف، وبعد ذلك ألقى ممثل المرجعية في دولة الهند فضيلة الشيخ (عابد علي) وباللغتين العربية والاوردية التي شكر فيها هذه المبادرة من سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله)، وتطرّق الى عدة محاور في التبليغ الديني وطريقة الدعوة الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ومراعاة خصوصية البلاد والمناطق التي تقام فيها مجالس التبليغ.

وشارك ممثل مكتب سماحة آية الله العظمى السيد الخامنئي (دام ظله) بكلمة بارك فيها الجهود المبذولة لإقامة هذا المؤتمر وتفائل فيها بتطور حركة التبليغ الديني التي ترعاها الحوزة العلمية في النجف الاشرف ببركة المراجع العظام (ادام الله ظلالهم).

وقبيل ختام المؤتمر - وقراءة التوصيات الختامية التي خَلُصَ المؤتمرون لها- قرأ أحد السادة الفضلاء أبياتاً ولائية في حب

الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم تلى ذلك قراءة التوصيات الختامية للمؤتمر والتي كان مفادها الخلاصة النقاط التالية:

١- ضرورة ذِكر ما يُثبِّت أصول العقيدة بأدلة مُحكمة قريبةٍ من الفهم العام والاهتمام ببيان التعاليم والقيم الفطريّة السّامية.

٢- الأخذ بوصايا الائمةِ الأطهار والتمسك بسيرتهم العطرة.

٣- تنوع الطرح القرآني والروائي بما يعزز هوية المنتمي لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وترك الاستعانة بالأحلام والقصص الخيالية واستيراد وإدخال الممارسات غير المنصوص عليها في الشعائر الدينية ونشر ذلك بكل الطرق المتاحة من الإلقاء الخطابي والنشر الإلكتروني.

٤- الاهتمام بالمشاكل الاجتماعية الشائعة ومعالجتها بالحكمة والموعظة الحسنة والتسلُّط على رد الشبهات والتوسع في الاستفادة من علوم اهل البيت (عليهم السلام).

٥- تسهيل المسائل الابتلائية للمكلفين والتركيز على أهمية المرجعية الدينية ونعمة الفقهاء والحوزة العلمية الشريف.

٦- مراعاة المستوى الذهني للمتلقي وتجنب ما يثير الخلاف والفرقة وضرورة التعايش مع الآخر بحكمة بما لا يهدد الوجود المؤمن ويسبب في مضايقته.

٧- اجتناب صيغ الكلام المنفرة والضارة والموهمة والحذر من القول بغير علم وبصيرة.

٨- التأكيد على مواسم إقبال النفوس وتقبل الأرواح وانشراح الصدور، كأيام الولاية العلوية والتضحية الحسينية، بما يساهم بالارتقاء بالزاد المعرفي والمعنوي لأتباع مذهب اهل البيت (عليهم السلام) ويشدهم ويربطهم بساداتهم الأطهار (عليهم السلام).

هذا وقد لاقت هذه المبادرة غير المسبوقة ارتياحاً واستحساناً لدى جل طلبة العلم وخصوصاً طلبة دولة الهند لما مثلته من رعاية كريمة والتفاتة طيبة من مرجعية سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، ولأنها تمثل انطلاقة الى حركة تبليغية واسعة وتفتح آفاقاً رحبة للعمل الاسلامي في دولة الهند بإذنه تعالى.

صبر أهل غزة أحيا القضية الفلسطينية وهزم حضارة الغرب

شارك سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) حشداً كبيراً من أساتذة وفضلاء الحوزة العلمية في النجف الاشرف في وقفة تضامنية مع من وصفهم باهلنا المظلومين المضطهدين في قطاع غزة المنكوبة[1].

وعبَّر سماحتُهُ عن الألم العميق الذي يعتصر قلبه وهو يشاهد الجرائم المروعة التي يرتكبها الكيان الصهيوني وإن أغلب الضحايا من النساء والأطفال الذين التجأوا إلى أماكن أعلن الصهاينة أنها آمنة كالمستشفيات والمدارس لكنهم لم يسلموا واختطفوا حياتهم البريئة وأستهدفهم المجرمون فيها.

وقال سماحتُهُ أن ما يدور في غزة ليست حرباً وإنما عدوان وحشي من طرف واحد وهم الصهاينة يلقون بنيران حقدهم من الجو والبر والبحر على أبرياء عُزَّل قد فاقت قوتها التدميرية القنبلة الذرية التي ألقتها أمريكا على اليابان مع حصار شامل لكل متطلبات الحياة الأساسية.

ووصف سماحتُهُ دعم الدول المستكبرة للكيان الصهيوني وتسابق رؤسائه لزيارته والتعاطف معه بانها فضيحة عظمى

(١) أقيمت الفعالية يوم ١٢/ربيع الثاني/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٣/١٠/٢٨م.

وهزيمة كبرى للحضارة المادية التي يدّعيها الغرب، وكشفت زيف ادعاءاته في حقوق الانسان وتمكين المرأة حماية الطفل ومكافحة العنف الأسري ونحو ذلك من العناوين البرّاقة التي حاولوا أن يخدعوا بها الشعوب وإذ بهم يجعلون المرأة والطفل هدفاً لمجازرهم الدموية ويتركونهم في هذه الكارثة الإنسانية الفظيعة وأغلقوا عليهم كل أمل في الحياة، مما أخرس ألسن الفسقة والمنافقين والمأجورين الذين يعتاشون على فتاتهم ولم يستطع أحد منهم أن يتحدث بهذه المفاهيم البريئة من أفعالهم.

إن أهل غزة المضّحين الصابرين ذكرّوا العالم من جديد معاناة الفلسطينيين في السجن الرهيب الذي حصرهم فيه الكيان الصهيوني ومارس كل ألوان الإذلال والحرمان والإهانة لهم ولمقدساتهم، وقضم أراضيهم لبناء مستوطنات لقطعان المنبوذين، وحرمهم من فرص الحياة الكريمة وأعتقل الآلاف بلا ذنب وأهملهم سنين.

كما ذكّروا العالم بقضية فلسطين التي أريد لها أن تنسى وسط خطط تطبيع علاقات العرب المسلمين مع الكيان الصهيوني التي أنخدع بها جملة منهم، فأفشلها أهل غزة الغيارى الصابرون.

فعلى العالم المتحضر أن ينصر الشعب الفلسطيني ويقف معه بكل الوسائل المتاحة حتى ينال حقوقه في إقامة دولة كريمة حرة عزيزة ذات سيادة واستقلال ويعيش بأمن وسلام، وبدون ذلك فإن معاناة المنطقة من القتل والتهجير والعنف وعدم الاستقرار ستكون مستمرة.

وتضمنت الوقفة قراءة الآية الكريمة ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النمل:٦٢) خمس مرات مع أدعية شريفة سائلين المولى القدير أن يعجِّل بالظهور الميمون المبارك لبقية الله تعالى هو حجته على خلقه المهدي الموعود (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وأن يفرّج عن جميع المظلومين والمحرومين في العالم لا سيَّما أبناء شعبنا الفلسطيني المضطهد وأن يردَّ كيد الظالمين المتجبرين إلى نحورهم... إنه سميع الدعاء.

تبرع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بقنينة من الدم لألفات النظر إلى قضية الأطفال المصابين بمرض سرطان الدم[1]

إحياءً لذكرى شهادة السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تبرع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بقنينة من الدم لألفات النظر إلى قضية الأطفال المصابين بمرض سرطان الدم (اللوكيميا) وفقر الدم البحري (الثلاسيميا).

ولدى لقائه بمدير مصرف الدم فرع النجف الأشرف الذي حضر مع الكادر المختص أكدّ سماحة المرجع على ضرورة إجراء الفحوص الطبية الضرورية قبل إجراء عقد الزواج للتأكد من سلامة الخطيبين ومنع توريث الحالات المرضية التي تسبّب معاناة للوالدين والطفل، وقدّم السيد المدير شرحاً موجزاً عن عمل مصرف الدم والتقدّم الذي حصل في فعالياته.

وقد حفّز تبرع سماحة الشيخ المرجع جمعاً من أعضاء مكتبه على التبرع أيضاً.

(١) بتاريخ يوم الأحد ٣/جمادي الثانية/١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٣/١٢/١٧م.

المرجع اليعقوبي: يحث على اغتنام الأيام المتبقية من شهر رمضان لإقامة سنة الاعتكاف

أكدّ سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على أهمية إقامة سُنّة الاعتكاف المباركة في العراق والدول الإسلامية والتي لا زالت تقام بشكل محدود لا يتناسب مع أهميتها وتأثيرها الكبير في البناء الروحي والمعنوي والفكري، وقال سماحتُهُ: لا غرو أن يصفها أحد الأعلام (سُنّة الاعتكاف) بـ (أم العبادات) لأنها جامعة لجملة من أهم العبادات في الإسلام، وتزداد أهميتها بملاحظة وقتها وهو العشر الأخيرة من شهر رمضان المبارك، والأيام الشريفة الأخرى في رجب وشعبان والعشر الأوائل من ذي الحجة، بكل ما تختزنه من الفضل والشرف ففي الحديث الصحيح عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) (إذا كان العشر الأواخر اعتكف في المسجد وضربت له قبة من شعر وشمر المئزر وطوى فراشه)[1].

جاء ذلك خلال استقباله للسيد تكيه ئي رئيس مؤسسة الاعتكاف في الجمهورية الإسلامية ونائبه والوفد المرافق له بمكتبه في النجف الأشرف، وأثنى سماحتُهُ على الجهود الطيبة

(١) الكافي- الشيخ الكليني: ٤/ ١٧٥/ باب الاعتكاف/ ح١.

والنشاطات المباركة التي تقوم بها هذه المؤسسة من خلال حملات التأليف والتوعية والتحشيد والترغيب بهذه الشعيرة المباركة وخلق ثقافة واسعة للتعريف والإحاطة بكل تفاصيلها أخلاقياً وفقهياً وأدبياً واجتماعياً.

وأشار سماحتُهُ إلى الثمرات والبركات الكثيرة لهذه السُنّة المباركة في حياة القادة الذين يرومون القيام بنهضة دينية أو اجتماعية أو يتبوؤون مناصب قيادية على كل المستويات إذ لا بد لهم أن يمارسوا هذه العبادة لأنها تساعدهم وتؤهلهم للنجاح في مجال عملهم.

وأستذكر سماحتهُ مضمون ما أوردهُ في بعض كلماته السابقة، بأن كل القادة الذين نجحوا في قيادة الأمة دخلوا في مرحلة الاعتكاف قبل أن يخرجوا إلى المجتمع وعلى رأسهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث كان يتعبد ويعتكف في غار حراء قبل أن يُبعث بالرسالة وسار على هديه (صلى الله عليه وآله) علماء الإسلام كالسيد الخميني (رضوان الله تعالى عليه)، والسيد الشهيد الصدر الثاني (رضوان الله تعالى عليه) الذي قضى فترة الثمانينيات من القرن الماضي بما يشبه الإقامة الجبرية والانعزال عن الناس

حيث استفاد منها كثيراً في تربية وتهذيب نفسه، قبل تصديه للمسؤولية في مطلع التسعينيات.

ولما علم سماحة المرجع اليعقوبي بأن المؤسسة أصدرت موسوعة بثمانية مجلدات عن أحكام الاعتكاف وآدابه وآثاره والجوانب الأخرى المتعلقة به لم يستغرب ورود ذلك في كلمة واحدة من القران الكريم ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ (البقرة: ١٢٥) فإن مفردات القران الكريم تستبطن ما لا نهاية له من المعاني.

ودعا سماحتهُ المؤمنين الى اغتنام الأيام المتبقية من شهر رمضان لإقامة سُنّة الاعتكاف في المساجد الرئيسية في المدن المختلفة للتزود من الآثار المعنوية والبركات التي يفيضها الله تبارك وتعالى على كل من حباه بهذا النداء المقدس.

وكان سماحتهُ قد دعا في خطاب سابق عام ٢٠٠٧م، إلى إحياء سُنّة الاعتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان[1]، وبادر إلى طبع كتاب الاعتكاف من رسالته العملية سبل السلام قبل حلول شهر رمضان المبارك من العام ١٤٢٨هـ ليتفقه المؤمنون بأحكام وآداب هذه الشعيرة المباركة.

(١) خطاب المرحلة: ٥/ ٤٥٩.

المرجع اليعقوبي يعزي بوفاة حجة الإسلام والمسلمين السيد إبراهيم رئيسي ورفاقه (رحمهم الله تعالى)

بسمه تعالى

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

صُدِمنا بالحادث المرّوع الذي تعرضت له طائرة الرئيس الإيراني حجة الإسلام والمسلمين السيد إبراهيم رئيسي، وبقينا في قلق ودعاء وتوسل إلى الله تبارك وتعالى أن لا يفجع الجمهورية الإسلامية في إيران وعارفي فضل السيد رئيسي، لكن الله تعالى شاء أن يختار له ولرفاقه البررة، كريم ثوابه ومقام النعيم عنده، فتغمدهم الله تعالى جميعاً برحمته وألحقهم بأوليائهم الطاهرين العظام.

لقد ختم حياته الشريفة بأعمال صالحة تثّقل ميزانه، حيث ذهب ليفتتح سداً عظيماً ويتفقّد أحوال الرعية في تلك المناطق النائية.

ولقد خَبرْتُه عن قربٍ عندما كان سادناً للروضة الرضوية المطهرة وعرفت فضيلته العلمية وأخلاقه الفاضلة وولايته الراسخة للنبي وآله الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين).

وبهذا المصاب الجلل أعزّي الجمهورية الإسلامية في إيران قيادةً وشعباً، وكلّي أمل بأن يتجاوزوا هذه المرحلة الصعبة المعقدة بأمان وشموخ واقتدار، كما عبروا الامتحانات العسيرة التي مرّت بها الجمهورية الإسلامية منذ خمسة وأربعين عاماً، وأنّ الأمة الإيرانية

المسلمة قادرة على إنجاب قادة أفذاذ يواصلون مسيرة العزة والكرامة، والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

محمد اليعقوبي- النجف الأشرف

١١/ذو القعدة/١٤٤٥هـ

٢٠٢٤/٥/١١م

****

سماحة المرجع الديني الشيخ اليعقوبي يؤكد على الاهتمام بالتبليغ الديني كما ونوعا..
ويدعو لتوسيع آفاق نشر مبادئ مدرسة أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) لدى استقباله للزعيم الديني الشيخ الزكزاكي

أكد سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على تضافر الجهود وحشد الإمكانيات وبذل الوسع في إيصال صوت الإسلام الأصيل إلى كل أصقاع المعمورة، وبيان عظمة مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وقدرتها على بناء الأوطان، وصيانتها وتوفير الحلول للمشاكل والتحديات التي تواجه المجتمعات.

جاء ذلك خلال استقباله[1] للزعيم الديني النيجيري جناب الشيخ إبراهيم الزكزاكي (دامت توفيقاته) بمكتبه في النجف

(١) يوم الجمعة غرة ذو القعدة الحرام ١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٤/٥/١م.

الأشرف كما أثنى على صبره وثباته رغم المحن الكثيرة التي مرّت به وبالشيعة عموماً فكان الثمن باهضاً، واستذكر قول الإمام الحسين (عليه السلام): (هوَّن ما نزل بي أنه بعين الله تعالى)[1] وقد حُلَّت جملة من هذه العقد وأزيلت بعض المعوقات بفضل الله تعالى وكرمه.

وكرر سماحتُهُ دعوته إلى الاهتمام بالتبليغ واختيار الوسائل الأكثر تأثيراً ونجاحاً والتي تتناسب مع متطلبات العصر والواقع المعاش، والتحديات الراهنة التي تواجه الامة الإسلامية، بالحكمة والموعظة الحسنة.

من جانبه عبّر الشيخ الزكزاكي عن شكره وتقديره للرعاية الأبوية التي يقدمها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) لطلبة العلم الأفارقة سواء في الحوزة العلمية في النجف الأشرف أو في أفريقيا والاهتمام بالتبليغ الديني والتوعية والإرشاد وتقديم الخدمات الإنسانية من خلال ممثلياته التي انتشرت في خمس وعشرين دولة أفريقية في شرق القارة وغربها.

(١) بحار الأنوار – المجلسي: ٤٥/ ٤٦.

وبيّن الشيخ الزكزاكي أن جهل أعداء الإسلام وتعصبهم وافتراءهم على مذهب مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ساهم بشكل كبير في نشر التشيّع في أفريقيا لأنه دفع المتلقّين إلى البحث في مصداقية هذه الأخبار حيث لا يجد المتتبعون المنصفون والباحثون عن الحقيقة أثراً لصدق الافتراءات وتخرصات الأعداء والتي حاولوا إلصاقها بأتباع أهل البيت (عليهم السلام) من جهة العقيدة والسلوك وكان ذلك سبباً في تصديقهم للمذهب الحق وانضمامهم له. فأنتشر وزاد الأتباع خلال مدة قياسية تناهز الـ ٤٥ عاماً وأصبحوا بالملايين بلطف الله تعالى وحسن توفيقه.

من جهته أشاد سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) بجهود الشيخ الضيف المباركة وقال إن الأمل منعقد عليه في أن يوسع دائرة نشاطه التبليغي الإسلامي إلى كل الدول الأفريقية وألا يقتصر على بلده نيجيريا، وأن تكون له بصمة طيبة في تلك الدول فإن مساحة الاحتياج واسعة، وأن عمر العمل الديني في أفريقيا لا يغطّي رقعه الاحتياج، فمن الضروري نشر الحوزات العلمية في سائر الدول الأفريقية لتوفير المبلّغين في أقرب وقت.

وبهذا الصدد وجه سماحتُهُ المسؤول المتابع لعمل ممثليات الدول الافريقية بمكتبه في النجف الأشرف بالتواصل

مع الشيخ الضيف من أجل تنسيق العمل وتبادل الرؤى والتعاون لإعلاء كلمة الله تبارك وتعالى ورعاية أيتام آل محمد (عليهم الصلاة والسلام).

هذا وقد ودَّع سماحتُهُ الشيخ الزكزاكي بمثل ما أستُقبِل به من حفاوة وترحيب داعياً العلي القدير أن يحفظه وأن يسدد خطاه ويرعاه بعينه التي لا تنام إنه ولي التوفيق.

ويذكر أن الشيخ الزكزاكي أسس عدة مؤسسات خيرية لتقديم مختلف الخدمات لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) وكانت انطلاقته الأولى في التبليغ قبل حوالي ٤٥ عاماً وأستمر بلطف الله تعالى إلى يومنا هذا.

خطاب الجمعة بين الواقع والطموح

حثّ سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) خطباء الجمعة وعموم المؤمنين على التذكير المستمر بفضيلة صلاة الجمعة والثواب العظيم لمن سعى إليها التي نطقت بها مئات الأحاديث الشريفة والأثار المباركة لها على صعيد الفرد والمجتمع فأنها من أعظم منافذ الوعي والإصلاح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيها عزة للمؤمنين ونصرة للدين ومن دون ذلك فإن وهج هذه الشعيرة المقدسة يذوي ويضمحل لا سامح الله.

وقال سماحتُهُ خلال لقاءه[١] بأئمة صلوات الجمعة في بغداد[٢] واللجنة المشرفة عليها اننا ما لم نلتفت الى قيمة النعمة التي بأيدينا فإننا سوف لا نحرص عليها ولا نعمل على تجديد حيويتها وتوسيع رقعة تأثيرها، فان من بيديه شيء ثمين كالذهب يصح ان يقال له: حافظ عليه واحذر من ضياعه.

وشكر سماحتُهُ خلال اللقاء أئمة صلوات الجمعة على مواظبتهم على إقامتها منذ أكثر من عشرين عاماً وما يبذلونه من جهود مضنيه في

(١) تاريخ اللقاء: الخميس ٦ ذ. ج ١٤٤٥هـ- الموافق ١٣-٦-٢٠٢٤م.

(٢) تقام صلاة الجمعة في (١٦) موقعاً من بغداد بحسب ما تسمح به المسافة الشرعية ويتناوب على امامتها حوالي (٤٠) فاضلاً.

اعداد الخطب ومؤنة التنقل الى الأماكن المتعددة لإقامتها على التناوب بينهم، وقال إن هذه الخبرة الطويلة ينبغي أن تدوَّن وتنقَّح ليستفاد منها في تعزيز هذه الشعيرة المباركة وتنمية تأثيرها وجذب المؤمنين اليها.

ورأى سماحتُهُ ان من الضروري تشكيل قسم للبحوث والدراسات تابع للمؤسسة المشرفة على إقامة صلوات الجمعة تكون مهمتُهُ تشخيص القضايا الحيوية التي ينبغي عرضها على الأمة بهذا اللقاء الأسبوعي المبارك وبيان الموقف الشرعي فيها لتكون الأمة على بصيرة من أمرها، وتغلق أبواب التشويش والتضليل والانحراف، وتُحرَّر كل تلك البحوث والدراسات في كتاب أو مجلة يوضع في متناول أئمة الجمع.

وحث سماحتُهُ الخطباء على الاستقاء من معين القرآن الكريم الصافي وعدلِه من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) في إعداد خطبهم والاستفادة منهما في معالجة القضايا الاجتماعية والأخلاقية والفكرية والدعوة الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وهو المنهج المتبع في تفسير (من نور القران) مع الدروس المستفادة منها.

ووجَّه سماحة المرجع بإقامة الورش التدريبية في داخل العراق وخارجه لتطوير مهارات الخطباء في تحرير الخطب وحسن التأثير في المتلقين.

تبرع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بالدم[1] من أجل حث المؤمنين على المواساة وإحياء الشعائر الحسينية في إطار الشريعة المقدسة

بسمه تعالى

تعظيماً لأيام نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) واستلهاماً مما تختزنه من المبادئ والقيم الإنسانية السامية والمضامين العميقة، ومواساة بهذه الفاجعة الأليمة لكل القلوب المكلومة والنفوس الجريحة.

تبرع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بالدم من أجل حثّ المؤمنين على المواساة وإحياء الشعائر الحسينية في إطار الشريعة المقدسة.

وتأتي هذه المبادرة متزامنة مع استعداد المواكب والهيئات الحسينية والمؤسسات الحكومية ومنسجمة مع حرارة قلوب المؤمنين التي صهرت المبادئ الحسينية في نفسوهم وعقولهم وهم يتهيؤون ويعدون العدة لاستقبال سيل الزائرين المليوني الهادر في الزيارة الأربعينية المباركة الذين يمموا قلوبهم وأبصارهم صوب مدينة كربلاء المقدسة حيث يرقد سيد الشهداء (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه (رضوان الله تعالى عليهم) ليقتبسوا من فيوضات عاشوراء ما يتزودون به لآخرتهم ودنياهم.

---

(١) ٢٥/ محرم الحرام/١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٤/٨/١م.

الثناء على دور المفارز الطبية في خدمة زوار الأربعين

استقبل[1] سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بعض المفارز الطبية التي تضم أطباء وممرضين وغيرهم ممن تطوعوا لخدمة زوار الإمام الحسين (عليه السلام) في ذكرى الأربعين طيلة أيام الزيارة.

وقد شكرهم سماحته على هذا العمل الإنساني العظيم الذي فيه ما نعجز عن وصفه من الثواب، حيث يواصلون الليل بالنهار لكيلا يقصروا في خدمة الزوار بحسب حالاتهم المتنوعة.

ووجّه سماحته بنشر الثقافة الصحية لدى الزوار فإن الوقاية خير من العلاج، ونستطيع تجنب كثير من الحالات المرضية بمراعاة التعليمات الصحية، حيث تصادف الزيارة ذروة أيام الحر، وأن تتضمن المنشورات كل ما ينفع الزائر في هذه الظروف، كتجنب التعرض لأشعة الشمس المباشرة في ذروتها، وتغطية الرأس والاكثار من السوائل، ومراعاة نوع الأكل وكميته،

(١) الاحد: ٢١/ المحرم الحرام/ ١٤٤٦هـ- الموافق: ٢٨/ ٧/ ٢٠٢٤م.

خصوصاً لإصحاب الأمراض المزمنة كالسكر والضغط والمعدة والقولون، وأن يهتموا بنظافة أجسامهم وملابسهم وأن لا يستمروا في المشي أوقات طويلة، وغير ذلك من النصائح المفيدة.

وننصح بكل محبّة وشفقة وحرص أن تقتصر المسيرة الراجلة على الأرض المباركة بين أمير المؤمنين (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) فينتقل المؤمنون الموالون بوسائط النقل المختلفة إلى النجف الاشرف ويبدأوا مسيرتهم إلى الحرم الحسيني المطّهر وهي طريقة السلف الصالح من العلماء والعرفاء ومن سار على نهجهم، وكذا من بغداد أو من الحلة لمن قصد كربلاء من شمالها أو شرقها، نسأل الله تعالى أن يحفظ الزوار وخدمتهم وجميع المؤمنين من كل سوء وأن يوفيهم أجور الصابرين ويدخلهم في زمرة أصحاب الحسين (عليه السلام).

مسؤولية العلماء والنخب الواعية في توجيه حركة الامة وتربيتها وتوعيتها

سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي يستقبل سماحة آية الله السيد هادي المدرسي (دامت بركاته)

أستقبل[1] سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) سماحة آية الله السيد هادي المدرسي (دامت بركاته) في مكتبه في النجف الاشرف، وتهدف مثل هذه اللقاءات الى تعزيز التواصل بين العلماء خصوصاً العاملين منهم من أجل وحدة كلمة الأمة وتنمية فرص نهوضها وازدهارها وتحليل نقاط الضعف لمعالجتها، والتأكيد على امتلاك الشعب العراقي كل مقومات الرقي والآفاق المستقبلية الرائعة، وقيادة الحضارة العلمية إذا توفرت لديه الإرادة الجدية، والتفت الى ما وهبه الله تعالى من نعمٍ مادية ومعنوية، خاصة وهو يحظى بالوجود المقدس للائمة الاطهار من اهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

كما دار الحديث حول ضرورة أن يكون لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) في جميع دول العالم دور فاعل ومؤثّر في الحياة العامة ضمن القوانين المعمول بها في تلك البلدان، ومن نافلة القول

(١) الاثنين ٢٩/ المحرم الحرام/ ١٤٤٦هـ- الموافق: ٥/ ٨/ ٢٠٢٤م.

بيان مسؤولية العلماء والنخب الواعية في توجيه حركة الامة وتربيتها وتوعيتها.

ويذكر أن هذه الزيارة هي الثانية في غضون بضعة أشهر مع أستمرار الزيارات المتبادلة للوفود من مكتبي سماحة المرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله الشريف) والمرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي.

****

تصحيح القول المشهور في عمر عائشة حين تزوجها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

المشهور لدى العامة أن النبي (صلى الله عليه وآله) تزوج أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر بعد هجرته إلى المدينة ببضعة أشهر حين أكملت التاسعة من العمر، وهو قول لا تساعد عليه الشواهد التاريخية والروايات الواردة في كتب العامة أنفسهم، وقد حقق سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في هذه القضية في كتابه عن (أم المؤمنين أم سلمة قدوة الفضائل والولاء)[1]، وتوصل إلى أن هذا القول لا تساعد عليه الشواهد التأريخية، ومنها:

(١) راجع ص ١١٦- ١١٩ من كتاب أمّ سلمة قدوة المطبوع.

١- ما ذَكَرتهُ المصادر كالبداية والنهاية لابن كثير[١] من أن أختها أسماء زوجة الزبير بن العوام تكبرها بعشر سنين، وعُمرُ أسماء حين الهجرة ٢٧ سنة لأنها توفيت سنه ٧٣ للهجرة بعد مقتل ولدها عبد الله بن الزبير بأيام ولها مئة عام[٢] فيكون عُمرُ عائشة حين الهجرة ١٧ سنة.

٢- ما روته المصادر كالإصابة لابن حجر والطبقات الكبرى لابن سعد والجامع الكبير للطبراني[٣] من أن أبا بكر كان قد زوّجها (جبير بن مطعم) ثم خلعها منه وزوجها النبي (صلى الله عليه وآله) في مكة وهذا يعني أن عائشة كانت في مكة بالعمر المتعارف في خطبة النساء وهو لا يقل عن خمس عشرة سنة ولم تكن خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) لها حالة استثنائية كالتي يفترضها القول المشهور لدى العامة.

وتزداد الحيرة إزاء تأريخ عائشة في مكة لأن (جبير بن مطعم) يومئذ مشرك، وكان ممن قَدِمَ على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المدينة لفداء أسرى بدر وأسلم في فتح مكة أو قبله بعد الحديبية[٤] فهل يعود تأريخ

(١) البداية والنهاية: ٨/ ٣٨١.

(٢) الإصابة: ٤/ ٢٣٠ رقم ٤٦ من قسم النساء، الاستيعاب بهامش الإصابة: ٤/ ٢٣٤.

(٣) الإصابة: ٤/ ٢٥٩، الطبقات الكبرى: ٨/ ٥٩، الجامع الكبير: ٢٦/ ٢٣٠.

(٤) الإصابة : ١/ ٢٢٦/ رقم١٠٩١، الاستيعاب المطبوع بهامش الإصابة: ١/ ٢٣٠.

زواجها إلى ما قبل إسلامها في مكة؟ فيكون عمرها أكبر مما ذكرناه بكثير.

٣- بل الأمر أكثر من ذلك، فإن الذي يظهر من الروايات أن لعائشة ولداً من زوج سابق لا نعلم إن كان هو جبير بن مطعم أم غيره وأسمه (عبد الله)، فقد روى البيهقي في السنن (أنها قالت: يا رسول الله الا تكنيّني فكل نسائك لها كنيه؟ فقال: بلى: أكنّيكِ بابنك عبد الله، فكانت تكنى أم عبد الله)[1]، وقد نقل المرحوم الشيخ علي الكوراني أنهم فسروا قول النبي (ﷺ) بأنه قصد أبن اختها عبد الله بن الزبير، لكن هذا غريب حيث لم يعهد أن المرأة من العرب تكنى بأبن اختها[2].

والنتيجة ان عُمرَ عائشة لم يكن أقل من سبع عشرة سنة حين تزوجها النبي (ﷺ) بعد الهجرة الشريفة بعدّة أشهر، وبذلك تبطل هذه القضية التي نسبت إلى رسول الله (ﷺ) زوراً وأُتخِذت ذريعة للانتقاص من مقامه العظيم واتهام الشريعة الإسلامية بتزويج القاصرات.

(١) سنن البيهقي: ٩/ ٣١١.

(٢) السيرة النبوية برواية أهل البيت: ٣/ ٦٠١.

معهد القضاء الشرعي[1]

أُعلنِ في الحوزة العلمية في النجف الأشرف عن تأسيس (معهد القضاء الشرعي) لإعداد قضاة يحكمون على طبق الشريعة في قضايا الأحوال الشخصية كالمواريث والطلاق والنكاح والوصية والوقف والقيمومة والحضانة وأمثالها وفضّ الخصومات بين المتنازعين.

ويقبل المعهد طلبة العلوم الدينية الذي اجتازوا مرحلة المقدمات والسطوح الابتدائية في الفقه والأصول، حيث يدرّس المعهد المراحل اللاحقة من دروس الفقه والأصول مع التخصص في ما تتطلّبه وظيفة القضاء بين الناس وإقامة ورش من قبل قضاة متمرسين للتعريف بكيفيه ممارسة الوظيفة والنظر في القضايا شكلاً ومضموناً.

ويتلقى المعهد دعماً مادياً ومعنوياً من المرجعية الرشيدة، وقد بدأ بتلّقي طلبات القبول والنظر في أهلية الراغبين، والله ولي التوفيق.

(١) نشر الخبر في العدد: ٢٥٠ من صحيفة الصادقين الصادر في ٧/ربيع الثاني/ ١٤٤٦هـ- الموافق: ٢٠٢٤/١٠/١١م.

صدر حديثا كتاب (أم المؤمنين أم سلمة قدوة الفضائل والولاء) لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

إن من يطلّع على السيرة العطرة للسيدة أم سلمة (رضي الله عنها) ينبهر بها، ويجد فيها الأسوة الحسنة للرجال والنساء معاً، ويعيش معها المراحل المتنوعة التي مرّت بها الدعوة الإسلامية المباركة منذ التباشير الأولى لارتفاع صوت التوحيد من المسجد الحرام حينما صدع به النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، حيث كانت أم سلمة (رضي الله عنها) من اللبنات الأولى في بناء الإسلام العظيم مع زوجها أبي سلمة، فلذكرهما خصوصية في قلوب المؤمنين الرساليين الذين يتذوقون عصر نزول القرآن والنقلة العظيمة التي أحدثها النبي (صلى الله عليه وآله) في حياة البشرية، ثم عاشت مرحلة المعاناة والاضطهاد والتعذيب من طواغيت قريش مما ألجأتهم إلى الهجرة عن مكة إلى الحبشة أولاً، ثم إلى المدينة المنورة حيث عاشت مع النبي (صلى الله عليه وآله) انتصارات الإسلام واتساع رقعته.

إلى أن حصلت الرزية بوفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وانقلاب الأمة على الأعقاب وإزالة الحق عن مستقره، وما تلاه من فتن

واضطراب واقتتال واقصاء لولاة الأمر الشرعيين وانتهت بمقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه الكرام، وهنا توقف القلب الكبير للسيدة ولم تستطع الحياة بعده فانتقلت إلى جوار ربها الكريم، وهي في جميع تلك المراحل كانت بمستوى المسؤولية والثبات في الموضع الذي يريده الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله).

والكتاب في ثلاثة فصول:

الأول: فضائلها وحسن شمائلها...

الثاني: تمسكها بولاية أهل البيت (عليهم السلام) وثباتها على الحق...

الثالث: تحقيقات تاريخية...

والكتاب من إصدارات دار الصادقين ويحتوي على ١٣٠ صفحة.

إقامة حفل بذكرى ميلاد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في إسطنبول[1]

أقامت ممثلية سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في تركيا احتفالاً في ذكرى ميلاد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) على قاعة بلدية ناحية افجلار في إسطنبول، وبدء الحفل بتلاوة اياٍ من القرآن الكريم، وبعدها كانت الكلمة لممثل سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي في تركيا فضيلة الشيخ احد صولحان.

وبعدها كانت الكلمة لممثلة حزب الحرية المشرفة على القسم النسوي فيه، وبعدها كانت الكلمة لمدير مؤسسة أهل البيت الإعلامية، وبعدها كان الإلقاء لأبيات من الشعر في ذكرى ميلاد مولاتنا الصديقة الطاهرة (عليها السلام) من قبل أحد شعراء اهل البيت (عليهم السلام).

(١) أقيم الحفل تزامناً مع ذكرى ميلاد سيدة نساء العالمين يوم ٢٠/ج٢/ ١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٤/١٢/٢٢م.

وبعدها كانت الكلمة لممثل سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) من النجف الأشرف فضيلة الشيخ اسعد الصفار، وبعدها كان الإلقاء لأبيات الشعر في محبة مولاتنا الزهراء (عليها السلام) من قبل احدى الفتيات، وبعدها كانت الكلمة لمدير مؤسسة الامام الرضا (عليه السلام) للعلويين في إسطنبول، وبعدها كان الإلقاء لأبيات الشعر في محبة مولاتنا فاطمة (عليها السلام) من قبل احد شعراء اهل البيت (عليهم السلام) المستبصرين، ثم خُتِم الحفلُ بردات زهرائية من قبل احد الرواديد الخدام لأهل البيت (عليهم السلام).

وكان عدد الحضور يصل إلى خمسمائة فرد تقريباً، وتم توزيع منشور يوجز فيه نبذة مختصرة من حياة سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، واختتم الحفل بدعاء الفرج لمولانا صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه الشريف).

ممثلية سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في أفغانستان تنظم مؤتمرا علميا تحت شعار: كريم أهل البيت (عليهم السلام) نموذج السلام والسخاء

تيمناً بذكرى مولد الإمام الحسن المجتبى سيد شباب أهل الجنة (عليه السلام) نظمت ممثلية سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في أفغانستان يوم الاثنين ١٦/ رمضان/ ١٤٤٦هـ- الموافق ١٧/ ٣/ ٢٠٢٥م، في مدينة كابل مؤتمراً علمياً تحت شعار:

((كريم أهل البيت (عليهم السلام) نموذج السلام والسخاء))

شهد المؤتمر حضوراً واسعاً يربو على ٥٠٠ شخصية من علماء وأساتذة وفضلاء الحوزات العلمية وأئمة المساجد الى جنب عدد من علماء العامة في ظل أجواء شهر الضيافة الإلهية وذكرى ميلاد الامام الحسن (عليه السلام).

افتتح المؤتمر بتلاوة آي من الذكر الحكيم، تلتها عدة فعاليات وبرامج متنوعة تصدرتها كلمة حجة الإسلام والمسلمين سماحة السيد عبد الله زكي عضو شورى علماء أفغانستان التي ذكر فيها لُمعاً من حياة ومواقف الإمام الحسن السبط (عليه السلام) الخالدة وأثرها في حركة التاريخ الإسلامي.

ثم كانت كلمة حجة الإسلام والمسلمين سماحة السيد عالمي بلخي رئيس أمانة مجلس علماء الشيعة في أفغانستان التي ذكر فيها دور الإمام الحسن (عليه السلام) في حفظ أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

بعدها ارتقى المنصة فضيلة الشيخ صفي الله عثماني المسؤول عن اتباع اهل البيت (عليهم السلام) في الدولة الافغانية واكد في كلمته على ضرورة اغتنام فرصة حلول الشهر الفضيل لتزكية النفس وبناء الذات مشيراً إلى شهر رمضان المبارك باعتباره (شهر صناعة الإنسان) ثم تطرق إلى شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) المباركة وذكر أنه (عليه السلام) كان أشبه الناس بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله) وأمه السيدة الزهراء (عليها السلام) كانت من نساء اهل الجنة بحسب مصادر العامة.

وقد أشاد المتحدثون وجمع من الحضور منهم عضو شورى علماء أفغانستان، ورئيس أمانة مجلس علماء الشيعة في أفغانستان بالجهود المباركة والخدمات الجليلة التي تقدمها مرجعية سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مختلف البلدان الإسلامية لا سيما دولة أفغانستان من رعاية علمية وابوية للحوزات العلمية الشيعية والاهتمام بالمؤمنين من أيتام آل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم) وذوي العسرة من الشعب الافغاني.

وفي ختام المؤتمر، قُرئت على مسامع الحضور الكريم رسالة سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) وقد تضمنت تأكيدات مهمة لطلبة العلم منها ضرورة الاستفادة من الادعية الخاصة لتعزيز علاقتهم بالله تعالى والمشاركة في المجالس الدينية والخطابات المعاصرة لمواكبة قضايا الامة، والإخلاص في العبادة والحذر من الرياء، والاقتداء بسيرة الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) في السخاء ومساعدة المحتاجين.

هذا وقد نالت هذه الفعالية صدى واسع بين اروقة الحوزة العلمية في أفغانستان فستشعر الحاضرون قيمة هكذا مؤتمرات علمية وندوات ثقافية في مثل هذه الأجواء الايمانية المباركة في دولة مثل أفغانستان التي تمر بظرف خاص.

وتم نقل هذا المؤتمر عن طريق وسائل الإعلام حيث نقل تلفزيون تمدن المؤتمر وكذلك عدة مواقع خبرية.

رسالة شكر وامتنان رفعها علماء أفغانستان الى سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

بسمه تعالى

شكراً جزيلاً على محبتكم غير المحدودة[١]...

نتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير لسماحة المرجع الأعلى للعالم الإسلامي الشيعي، آية اللّه الشيخ محمد اليعقوبي (دام عزه)، بالنيابة عن الشعب الذي كان ولا يزال تحت ظلال دعمكم الكريم وغير المشروط نرفع رؤوسنا إجلالاً، ونثني على أياديكم المباركة وقلبكم المفعم بالمحبة، الذي يتدفق كالنهر الصافي، ليصل بفيض كرمه إلى أبعد البيوت الفقيرة في أفغانستان.

إن المساعدات والخدمات الواسعة التي أقيمت بتوجيه من سماحتكم لم تكن مجرد لقمة تُوضع على مائدة الجياع، بل كانت بشرى حياة جديدة لعائلات سلبها الفقر واللجوء والحرب كل أمل.

---

(١) رسالة شكر وامتنان رفعها علماء أفغانستان والمؤسسات الشعبية والحوزات العلمية في أفغانستان لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) عبروا فيها عن تقديرهم وامتنانهم لدعمه ورعايته الأبوية للحوزات العلمية وطلبة العلم وذوي العسرة من أبناء الشعب الافغاني، ونشرت في العدد: ٢٥٦ من صحيفة الصادقين الصادر بتاريخ: ٣/شوال/١٤٤٦هـ- الموافق: ٢٠٢٥/٤/٢م.

نحن ممتنون لدعمكم الكريم في إقامة ورعاية المجالس الثقافية والعقائدية، التي تضيء كالمشاعل في ظلمات الجهل، ففي زمنٍ اجتمع فيه البعض على محو الهوية الدينية والثقافية لأتباع أهل البيت، كانت هذه المجالس حصناً منيعاً لحماية الإيمان ونشر الوعي بين أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) والعالم الإسلامي أجمع.

لم تقتصر ايادیكم البيضاء على تلبية الاحتياجات المادية للفقراء والمحتاجين، بل حملت ايضا رسالة امل إلى قلوب أنهكتها الحرب والفقر، حتى كادت أن تفقد رؤية الغد، لقد أثبتم لنا أن المرجعية ليست مجرد فتاوى ودروس، بل هي ملاذ آمن للمحرومين في خضم العواصف، وظلٌ وارفٌ لمن أنهكتهم حرارة المحن.

إن المؤسسات الثقافية والخدمية في أفغانستان تفخر بوجود مرجع مثلكم، رجل وقف في قلب معاناة هذا الشعب الفقير، ولم يبرح مكانه في ساحة آلامهم.

نسأل الله أن تبقى خدماتكم الإنسانية والثقافية نموذجاً خالداً للأجيال القادمة، وأن يُخلَّد أسمكم في تاريخ هذه الأرض رمزاً للعطاء والخدمة النقية.

وبالنيابة عن الشعب الأفغاني، والمؤسسات الخدمية والثقافية، والحوزات العلمية، نقدم لكم أسمى آيات التقدير والعرفان، ونسأل الله، بحق رحمته الواسعة أن يحفظكم بحفظه ويثبت خطاكم في طريق خدمة الأمة، ويملأ قلوبكم بنور رضاه.

ونسأله تعالى أن يجعلنا من تلاميذ مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وأن يوفقنا لنكون جنباً إلى جنب مع المرجعية في نشر العدل والمحبة تحت راية مولانا أمير المؤمنين، الإمام علي (عليه السلام).

بكل احترام وتقدير

المؤسسات الشعبية والحوزات العلمية في أفغانستان/ بلخاب

توقيع

مكتب إمام جمعة

مدرسة إمام الخميني

مجمع قائم ال محمد الثقافي

مجمع الإمام المهدي الثقافي

باكستان تحتضن مؤتمرا علمائيا مهيبا يخلد سيرة الفقيه والمرجع المجدد السيد محمد باقر الصدر (قدس سره)

برعاية مكتب سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في باكستان شهدت العاصمة الباكستانية إسلام آباد يوم الأربعاء ١٠/ شوال/ ١٤٤٦هـ- الموافق ٩/ ٤/ ٢٠٢٥م، انعقاد مؤتمرٍ علمائيٍ إحياءً للذكرى السنوية الخامسة والأربعين لإستشهاد المرجع الديني الفذّ السيد محمد باقر الصدر (قدس سره)، أحد أعمدة الفكر الإسلامي المعاصر ورموز النهضة العلمية والدينية في القرن العشرين، وصاحب الإبداعات العلمية في الفقه والأصول.

وجمع هذا المؤتمر كوكبة من أصحاب السماحة من كبار علماء الدين والشخصيات البارزة في الساحة الدينية الباكستانية، والعشرات من مدراء المدارس الدينية الكبيرة في البنجاب والسند وخيبر بختون خوا، فضلاً عن ائمة الجمعة والجماعة، وقد بلغ عدد المشاركين ٤٠٠ فاضل الى جانب حضور سعادة سفير جمهورية العراق في باكستان الأستاذ حامد عباس لفتة.

وقد عرض المتحدثون خلال كلماتهم جملة ملامح الشخصية الفذة للشهيد الصدر، وعبقريته العلمية النادرة، وشددوا على أن استشهاده لم يكن نهاية لمسيرته بل بداية لامتدادها في العقول والقلوب، كما أكدوا على أن الشهيد الصدر لم يكن فرداً عابراً في تاريخ الأمة والحوزة، بل نهجاً متكاملاً ومدرسة متجددة حية لا تموت، حاضرة بفكرها، نابضة بتلامذتها، مزدهرة بثمارها.

وقد أكد المتحدث على أن الشهيد الصدر (قدس سره) لا يزال حيّاً بيننا بفكره الإصلاحي العميق، وأن المرجعية الحالية المتمثلة بسماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) تمثل الامتداد الشرعي والروحي لذلك الخط الإحيائي الرسالي، مشيراً إلى أن ما نشهده اليوم من حيوية في الفكر الإسلامي الأصيل إنما هو بفضل تلك الجذور الراسخة التي غرسها الشهيد الصدر في عقول الأمة.

وعلى هامش المؤتمر تم افتتاح النسخة الثانية من معرض النجف الفوتوغرافي، كما تضمن المعرض عرضاً خاصاً لموسوعة السيد الشهيد الصدر (قده)، ولموسوعة فقه الخلاف.

استفتاءات

بسم الله الرحمن الرحيم

قضايا جنائية بين الشريعة والقانون الوضعي

الى مكتب سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

يرجى من سماحتكم الإجابة على هذه الاستفتاءات

س١/ هل يجوز شرعاً للقاضي الجنائي إصدار قرار غرضه الحجز على أموال المتهم الهارب بجناية لإجباره على تسليم نفسه الى المحكمة؟

بسمه تعالى: إذا ثبتت التهمة على الجاني بالبينة الشرعية وليس بمجرد رفع دعوى ضدّه فيمكن الضغط عليه بغير هذا الأسلوب، كمنعه من السفر وتبليغ المفارز الأمنية ومنعه من مزاولة عمله ونحو ذلك، أما مجرد رفع دعوى ضده فلا يكفي لاتخاذ هذه الإجراءات، لاحتمال كون الدعوى كيديه فيبَّلغ للحضور إلى المرافعة واعلامه بمضمون الدعوى ليحضّر أدلة براءته وليوكّل محامياً إن شاء.

س٢/ إذا كان المجنى عليه قد عفا عن الجاني عن جرح عمدي إرتكبه ضده، ثم سرى هذا الجرح في جسمه فقتله، فهل ينتقل حق القصاص منه الى ورثته؟

بسمه تعالى: إذا قصد المجني عليه ابراء ذمة الجاني من الجرح وما يترتب عليه من آثار فلا شيء على الجاني، وان عُلِم على ان عفوه كان عن الجرح خاصة فلا يسقط حق ذوي المجني عليه في الدية دون القصاص، لسقوط حق المجني عليه في سبب الوفاة وهو الجرح فكيف يجب ما يترتب عليه وهو القصاص، أما الدية فثبوتها لعمومات (لا يطلَّ دم أمرئ مسلم).

س٣/ إذا كان أحد أولياء الدم غائباً او صغيراً أو مجنوناً، هل يؤجل تنفيذ القصاص من الجاني حتى يعود الغائب أو يبلغ الصغير او يستفيق المجنون؟ وإذا كان للأولياء خيار القصاص فهل يضمنون حصة الغائب والصغير والمجنون من الدية؟

بسمه تعالى: للبالغ الحاضر الأخذ بالقصاص مع ضمان حق الصغير والغائب في الدية، لأن لكل واحد من أولياء الدم حق القصاص مع ضمان حق الباقين في الدية.

س٤/ تنتشر في هذه الأيام الأجهزة النقالة ذات الكامرة والكامرات المنزلية فإذا لم يكن بيد المجنى عليه بينة شرعية سوى هذه الكامرات وإرتكبت في داره جريمة الزنا وقدم للقضاء الشرعي واقعة الفاحشة المصورة فيديوياً بتفاصيلها، فهل يكون لهذا التسجيل الفيديو حجة شرعية لإثبات حد الزنا؟

بسمه تعالى: لعل للشارع المقدس غرضاً معيناً باشتراط أربعة شهود لإثبات وقوع الزنا والا لاكتفى بشاهدين مضافاً الى ان التقنيات الحديثة والذكاء الاصطناعي القادر على محاكاة الأشياء والافعال يمنع من حصول الاطمئنان بوقوع الحادث فلابد من الالتزام بالشهود الأربعة على نفس الفعل.

س٥/ سارق دخل البيت وسرق المتاع من الحرز كما أثبته جهاز الكامرة وليس مع المسروق بينة فهل القضاء الشرعي يرتب أثراً على هذا التصوير بالصوت والصورة لإثبات حد القطع على السارق أم يكون أثره لإثبات الغرم عليه؟

بسمه تعالى: هذا التسجيل كافٍ لإثبات الضمان عليه إذا حصل الاطمئنان به بحسب شهادة اهل الخبرة لما قلناه آنفاً واذا لم يقدّم المتهم ما يدفع التهمة عنه. اما الحد فلا يثبت بذلك.

س٦/ إذا كان اللوث[1] قرينة شرعية على وجود جريمة القتل ويعد سبباً للإخذ بالقسامة بشروطها لئلا يهدر دم مسلم:

(أ) فهل يعد حمل الفتاة غير المتزوجة قرينة شرعية لإثبات حد الزنا عليها من غير وجود بينة أو إقرار منها؟

بسمه تعالى: لا يعد الحمل دليلاً على الزنا لأنه يحصل بغير الإدخال.

---

(١) اللوث: هو أمارة يغلب معها الظن بصدق المدعي.

(ب) وإذا ولد الطفل من أم متزوجة وأثبت من خلال فحص الحامض النووي أن الوليد ليس من أبيه فهل يعد دليلاً لإقامة حد الزنا عليها أم أن الولد للفراش ويدرأ به الحد؟

بسمه تعالى: تجري قاعدة الولد للفراش، ولا ينتفي نسب الولد لأبيه إلا باللعان، وأما فحص الحمض النووي فلا ينفي الانتساب.

س٧/ في جرائم الحدود التي يكون فيها الحق لله كشرب الخمر مثلاً، هل يسوغ للحاكم إقامة الحد عليه من خلال رائحة الخمر من فمه أو من خلال نتيجة التحاليل المختبرية لدمه مثلاً؟

بسمه تعالى: لا يثبت الحد بمثل هذه العلامات لاحتمال أنه وضع الخمر في فمه ثم مجّه ولم يشربه، ولا يثبت بالتحاليل المختبرية لاحتمال ان هذا الأثر حصل بتناول كحول ليس على نحو الخمر.

س٨/ وجود المال المسروق من الحرز بيد السارق هل يعد كافياً لإقامة حد القطع عليه؟

بسمه تعالى: كلا، لاحتمال ان السارق غيره وقد ائتمن على المال المسروق من دون علمه بالسرقة ونحو ذلك.

س٩/ أقر زيد بقتله عمرو وقد تم تسجيل إقراره بالصوت والصورة، هل يكفي إقراره المصور لمطالبته بالقود أو الدية من قبل ولي الدم؟

بسمه تعالى: القتل يثبت بالإقرار والمهم ثبوت الإقرار بإصراره عليه أو بشهادة البينة على الإقرار الجدّي أما مجرد التسجيل الفيديوي فلا يكفي إذا أدعى خلافه، كما لو قال إن الكلام مبتور، أو قال إنني قلته على نحو الفرض والمزاح. ونحو ذلك، وغاية ما يثبت به اللوث فتجري فيه أحكامه.

س١٠/ امرأة مسلمة قذفها زوجها بالزنا وأقام عليها أربع شهادات ولكن المرأة لم ترد بشهادات مثلها وفق قواعد اللعان الشرعية بل التجأت الى الفحص الطبي DNA وأثبت التحليل أنها لم تزن وأن أولادها من زوجها وترافعا عند القضاء الشرعي، فهل القاضي يحكم عليها بالزنا لتخلفها عن رد شهادات اللعان أم تبرئ ساحتها من الزنا استنادا الى نتيجة الفحص للحمض النووي من مختبر رسمي في الدولة؟

بسمه تعالى: إنما يثبت اللعان عندما يدعي الزوج انه شاهدها تزني فعلاً وليس ان تمارس مقدماته لكنه لا يملك شهوداً غير نفسه كما هو نص الآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (النور: ٦-٧) فإذا شهد الشهادات الخمسة ولم تشهد هي لدفع الحد ثبت عليها الحد ولا عبرةً حينئذٍ بنتائج

فحص الحمض النووي، لأنه شاهدها بنفسه وأقام الشهادة على ذلك.

س١١/ يقر أهل القانون الوضعي ببطلان أي دليلٍ على جريمة مأخوذٍ من إجراء غير مشروع، مثلا الدخول عنوة الى بيت شخص والعثور على مادة مخدرة لا تكون هذه المادة دليلاً للإدانة كون ان الدخول غير مشروع قانوناً لأنه لم يكن بموجب أمر قضائي، فما هو رأي الشرع الحنيف في الدليل المستمد من إجراء غير مشروع قانوناً؟ للإيضاح أكثر لو توقف حفظ مصلحة شرعية معينة كحياة الناس مثلاً على تعذيب متهم ما للاعتراف بوجود جريمة إرهابية على وشك الوقوع فهل يعد فعل التعذيب مباحاً أم محظوراً في الشرع الحنيف؟

بسمه تعالى: لا أرى الماديين المتشدقين بحماية حقوق الإنسان يلتزمون بذلك فهم يمارسون أنواع التعذيب الجسدي والنفسي لانتزاع اعترافات المدعى عليهم قبل ثبوت التهمة عليه.

وعلى أي حال فإن الغاية لا تبرر الوسيلة فلا يجوز دخول الدار بدون إذن صاحبها للتأكد من فعلٍ معين كشرب الخمر أو الزنا، وعلى أي حال فإن هذه المقدمات لها حكمها والأفعال المراد إثباتها لها حكمها ومثبتاتها، نعم لما كانت الشهادة مشروطة بعدالة الشاهد فإن ارتكاب المحرم يقدح في صحة

الشهادة، وقد يأذن المرجع الجامع للشرائط ببعض الأفعال المحرمة عند التزاحم لأهمية ما يتوقف عليها فإن الأهم يقدَّم على المهم عند التزاحم.

س١٢/ إن الفقه القانوني الوضعي قد أجمع على بطلان الدليل المقدم لإثبات الجريمة إن كان مستمداً من إجراء غير قانوني، فإذا كان نفس هذا الدليل مستمداً من إجراء غير قانوني في دولة ولكنه متوافق مع الثوابت الشرعية فهل يعتد به الحاكم الشرعي؟

بسمه تعالى: يدخل في الجواب السابق.

س١٣/ قام أحد الأشخاص بقذف آخر من خلال الاتصال هل يجوز للمقذوف تسجيل مكالمته دون موافقته وتقديمه للقضاء الشرعي وهل يثبت حد القذف من خلال الصوت المسجل للقاذف؟

بسمه تعالى: عليه الالتزام بمراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيبدأ أولاً بالتنبيه ويعظه ويدعوه إلى ترك هذه التجاوزات.

س١٤/ اختلفت المذاهب الإسلامية الأربعة من مسألة نكول المدعى عليه عن اليمين الموجه اليه من قبل المدعي في الجنايات الموجبة للقود أو الموجبة للدية، فإذا نكل المتهم من

اليمين الموجه اليه من قبل المدعي فهل يكون لهذا النكول أثراً في إثبات القصاص عليه أو إثبات الدية في جرائم القصاص ما دون النفس؟ وإذا كانت الجريمة من جرائم قصاص النفس فهل لهذا النكول أثر في إثبات القود أو الدية عند الإمامية؟

بسمه تعالى: إذا نكل المدعى عليه عن اليمين فيوجّه الحلف إلى المدَّعي ويجب ملاحظة مضمون ما يحلف عليه لأن الحلف لا يكون على فعل الغير وإنما على فعله كنفي علمه بفعل الغير ونحو ذلك.

س١٥/ أقيم حد الرجم بحق زيد بناءً على شهادة أربعة شهداء زوراً بحقه، وبعد تنفيذ الحكم:

أ- تراجع أحدهم دون الثلاثة فإذا قام ولي الدم بقتله كم يلزم من فاضل الدية أن يدفع اليه؟

ب- تراجع شاهدان دون البقية، وقام ولي الدم بقتل واحد منهما من يلتزم بدفع فاضل الدية الى الشاهد المقتول، أو قام ولي الدم بقتلهما معاً كيف يكون إحتساب فاضل الدية ولمن تدفع؟

ج- تراجع الشهود الأربعة وقام ولي الدم بقتلهم جميعاً كم يلزم أن يدفع من الدية الى أوليائهم؟

بسمه تعالى: أ- يدفع لولي المقتول ثلاثة أرباع الدية، والظاهر ثبوتها في ذمة الثلاثة، فيدفع كل منهم ربع دية، ولا شيء على ولي المقتول، ويجلد كل من الثلاثة الآخرين ثمانين جلدة حد القذف.

ب- إذا قتل اثنين فيدفع لكل واحد من أولياء المقتولين نصف دية، ويأخذون من الشاهدين الآخرين النصف الآخر مناصفة بينهما.

ج - يدفع ولي المرجوم ثلاث ديات لأولياء القتلى الأربعة لكل منهم ثلاثة ارباع الدية.

س١٦/ هل يجوز تخدير موضع العضو المحدد للقطع أثناء تنفيذ القطع في جرائم الحدود أو أثناء تنفيذ القصاص؟

بسمه تعالى: مقتضى إطلاق النص الجواز، لكن في ذلك تفويتاً للمصلحة وغرض الشارع الذي ربما يستظهر من النص كقوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ (النور:٢).

س١٧/ لو أجري للسارق قطع اليد هل يجوز له أن يجري عملية إعادة العضو المقطوع منه بعد التنفيذ؟

بسمه تعالى: وردت بعض النصوص التي تجيز ذلك.

س١٨/ نشهد بين فترة وأخرى صدور قانون العفو العام، فهل يجوز للسلطة التشريعية العفو عن المجرمين الذين إرتكبوا جرائم الحدود أو جرائم القصاص؟

بسمه تعالى: يجوز للحاكم الشرعي العفو في حدود الموارد التي ذكرتها النصوص الشرعية.

س١٩/ أرتكب زيد جريمة القتل عمداً في لبنان وأقام عمرو شكوى جزائية بحق الجاني وقد حكمت المحكمة الجنائية على زيد عقوبة السجن لمدة (١٠) سنوات وبعد إستيفاء العقوبة رجع الجاني الى العراق هل يجوز شرعاً لأولياء الدم القصاص من الجاني أو مطالبته بالدية؟

بسمه تعالى: المفروض أن المشتكي هو ولي الدم وقد رضي بعقوبة المحكمة الجنائية بدلاً عن حقه إن كانت الشكوى كاشفة عن ذلك وقد استوفى حقه فلا يحق له المطالبة بشيء.

س٢٠/ تنتشر في البيوت اليوم كامرات المراقبة ذات التسجيل الفيديوي، فلو إدعى أولياء الدم أمام الحاكم الشرعي قيام زيد بقتل والدهم عمداً ولم يكن لهم شهود إثبات الا الشريط الفيديوي المأخوذ من كامرات المراقبة المنزلية فهل يمكن للحاكم الشرعي الاقتصاص من الجاني بناءً على هذا التسجيل. المصور بالصوت والصورة، أم أن هذا التسجيل موجب للوث بالتالي يرجع الى القسامة بشروطها؟

بسمه تعالى: هذا التسجيل يثبت اللوث فتجري عليه أحكامه، أما الاعتماد كلياً على التسجيل الصوري فغير صحيح لإمكان التزوير مع التقنيات الحديثة.

س٢١/ تنص المادة (٨) من قانون الاثبات العراقي المرقم (١٠٧) لسنة ١٩٧٩م" ليس للقاضي ان يحكم بعلمه الشخصي الذي حصل عليه خارج المحكمة ذلك فله أن يأخذ بما يحصل عليه ومع من العلم بالشؤون العامة المفروض إلمام الكافة بها، ولو أن القاضي رأى بأم عينه زيداً وهو يشرب الخمر أو شاهد عمرواً وهو يقتل زوجته وقد قدمّا اليه للمحاكمة ولم يحصل منهما إقراراً ولم تكن بينة على جريمتي شرب الخمر أو القتل الا علم القاضي بارتكابهما فهل يعد علمه الشخصي هذا كافياً لإقامة الحد على الشارب أو القاتل؟

بسمه تعالى: لا يصح للقاضي أن يحكم بعلمه الشخصي لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إنما أقضي بينكم بالبينات والأيمان)[1]، ولأنه سيكون مورداً للتهمة إذا حكم من دون بيّنه مدعياً علمه بالحدث.

وهذا كله في حقوق الناس، أما حق الله تعالى كحد شرب الخمر فقد يقال بجواز إقامته، باعتباره فرداً مسلماً مخاطباً بإقامة

(١) وسائل الشيعة (آل البيت): ج٢٧ /ص٢٣٢.

حدود الله تعالى وليس بعنوانه قاضياً، لكنني أرى إن إقامة الحدود من الوظائف المختصة بالفقيه الذي يتصدى للشؤون العامة للأمة وليس لآحاد المكلفين القيام بها.

س٢٢/ في بعض الحالات يكون القائم بالتحقيق من أجل الوصول الى هوية مرتكبي الجريمة أمام خيارين:

الأول: إستدراج المتهمين أو ترغيبهم من أجل الحصول على إقرار منهم بارتكاب الجريمة وهو أمر يمنعه القانون ويعد هذا الإقرار باطلاً.

الثاني: غلق التحقيق لعدم وجود أدلة ناهضة تكشف مرتكبي الجريمة، فهل يعد إستدراج المتهمين أو ترغيبهم كذباً لإرتكاب الجريمة تمهيداً للحصول على معلومات تكشف هوية الجناة، هل يعد هذا إجراءً متوافقاً مع أحكام الشريعة الإسلامية أم لا.

بسمه تعالى: لا يجوز انتزاع الاعتراف والاقرار تحت التعذيب والاكراه، وأي فعل يسلب إرادة المتهم واختياره، أو ينفي صفة الجدية والقصد عن إقراره.

س٢٣/ من المعلوم التنصت على المكالمات الشخصية محظور قانوناً وشرعاً لانتهاكها حرمة الأسرار الشخصية، ولكن لو أن قام زيد بقذف عمرو من خلال الإتصال الهاتفي فهل يجوز شرعاً للمقذوف تسجيل مكالمته لتقديمه للحاكم الشرعي دليلاً

على إثبات القذف بحقه وهل هذا الدليل الصوتي المسجل من خلال الهاتف يكفي لإقامة حد القذف؟

بسمه تعالى: لا يثبت الحد بمجرد التسجيل، لإمكان التزوير والتقطيع وتقليد الصوت، أو دعوى المتهم أنه لم يكن قاصداً وإن كلامه كان على نحو النقل عن غيره ونحو ذلك، فلابد من تأكيد صدور القذف عنه عالماً عامداً.

س٢٤/ هل يكون لإقرار المتهم بارتكابه جريمة القتل عمداً المسجل عبر الهاتف قيمة شرعية كافية لإقتصاص منه ولا سيما إذا كان تسجيل الاقرار منه من غير موافقته؟

بسمه تعالى: إذا أقرَّ بصحة صدور الاقرار الهاتفي عنه جاز الأخذ به، وإلا فلا، لإمكان التزوير والتقطيع واختفاء القرائن الدالة على القصد والاختيار ونحو ذلك، ولكنه يثبت اللوث به.

س٢٥/ إذا ذهب الزوجان الى إجراءات اللعان ولكن الزوج نكل عن تكرار الإيمان فهل يثبت عليه حد القذف؟ وإذا أكمل الزوج الإيمان المطلوب منه ولكن الزوجة لم تردها بالإيمان المشروط فهل يثبت عليها حد الزنا؟

بسمه تعالى: إذا لم يتم الزوج الشهادات الخمسة ثبت عليه حد القذف، وأما إذا أتمها وامتنعت عن تبرئة نفسها بالشهادات الخمسة فيثبت عليها الحد.

حكم الأكل في مآتم العزاء

سماحة المرجع الديني آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الوارف)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

ما رأي سماحتكم في حكم الأكل في مآتم العزاء التي تقام على الميت حيث يضطر صاحب العزاء إلى بذل أموال طائلة تثقل كاهله وأغلب الناس ذات دخل محدود؟

وما هي وصيتكم في مثل هذه الأمور؟

نفع الله بكم البلاد والعباد مع وافر الشكر والتقدير.

جمع من المؤمنين

بسمه تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

هذه عادة مخالفة لما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) وعن أهل بيته المعصومين (عليهم السلام) فإن السنة الشريفة دلت على العكس أي أن بعض المؤمنين يعدّون الطعام لذوي الميت مواساة لهم وتخفيفاً عن مصابهم الذي شغلوا به كما صنع النبي (صلى الله عليه وآله) مع عائلة

الشهيد جعفر الطيار (رضوان الله تعالى عليه) حيث أمر بإعداد الطعام لعائلة الشهيد الطيار.

فنهيب بجميع إخواننا المؤمنين أن يتجنبوا هذه العادة ولا يحملّوا ذوي الميت عبئاً إضافياً على مصابهم، وقد يكون من ذوي الميت قاصر فلا يجوز الصرف من تركة الميت التي تكون للقاصر حصة منها، وقد لا يرضى حتى بعض البالغين بالصرف على مثل هذه الولائم فيكون التصرف في ماله حراماً، مضافا الى ما يحصل من الإسرِاف في الطبخ بحيث يذهب كثير من الطعام الى حاوية النفايات، فليتورع المؤمنون عن الوقوع في هذه المعاصي، وإذا أراد ذوو الميت الاطعام كسباً للثواب فليعدوا وجبات ويوزعوها على العوائل المحتاجة ليقع البرّ في موضعه. والله المستعان.

وهو ولي التوفيق.

محمد اليعقوبي

٤/جمادي الأخرى/١٤٤٥هـ

٢٠٢٣/١٢/١٨م

استفتاء: كيفية أداء الحائض للحج والعمرة

سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

س/ إذا علمت الحائض وهي في الميقات أن حيضها يستمر الى حين انتهاء فترة السفر مع عدم انتظار الرفقة الى ما بعد طهرها واغتسالها فهل يجوز لها الإحرام؟ وعلى فرض جوازه هل يجوز لها الاستنابة للطواف وصلاته؟ وهل يجري نفس الحكم إذا علمت بذلك وهي في بلدها؟

بسمه تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

قلنا في رسالة مناسك الحج أنه ينبغي للمرأة أن تراجع الطبيبة وتستشيرها في تناول العلاج الذي يقطع عنها الدورة الشهرية لكيلا تنغص عليها أداء مناسكها فإن أحكام الحائض في الحج أو العمرة ليست يسيرة وقد لا تؤديها كما يجب.

ونجيب على الأسئلة بنقاط:

١- إذا علمت المرأة قبل سفرها بأن حالة الحيض ستستوعب كل الوقت المقرر لأداء المناسك وأن العلاج لا ينفع في

إيقافها فعليها عدم السفر لأداء العمرة المفردة لإمكان أدائها في وقت آخر مع القدرة على الإتيان بما يجب عليها، أما الحج فقد لا تستطيع تركه لعدم التمكن من الاتيان به في وقت آخر، لأن الشخص يدخل القرعة مرة واحدة بحسب القوانين المتبعة.

٢- وإذا علمت بذلك في الميقات جاز لها الإحرام لعدم إمكان التخلّف في المدينة وعودة القافلة للرجوع معهم، واحتمال جواز دخولها إلى مكة من غير إحرام إذا علمت بتعذر أداء المناسك بنفسها طيلة الفترة المقررة لا يمكن المصير إليه لإمكان الاستنابة فيقدّم الأهم وهو وجوب دخول مكة محرماً.

٣- فإن كانت في عمرة مفردة انتظرت النقاء مع الاستمرار بأخذ العلاج المناسب لتحقيقه إن لم يكن فيه ضرر معتد به عليها فاذا لم تطهر حتى تضيق وقت السفر فتستنيب للطواف والصلاة أما السعي فتؤديه بنفسها إن أمكن الوصول إلى المسعى من غير طريق المسجد الحرام على المُحدِث بالأكبر.

٤- وإن كانت في حجٍّ احرمت لحج التمتع رجاءً لعلها تطهر بالاستمرار بأخذ العلاج في وقت يسع أداء عمرة التمتع، فاذا تضيق وقت الخروج الى عرفة ولم تطهر عدلت بالنية الى حج الافراد وتبقى كل هذه المدة على إحرامها ولا تدخل المسجد الحرام إلى حين خروجها إلى عرفة والمشعر الحرام وتؤدي أعمال منى فكلها غير مشروطة بالطهارة ثم إن نقت من الدم بلطف الله تعالى ورحمته أدت طواف الحج وصلاته وبقية ما يجب عليها ثم أدت العمرة المفردة، وإن لم تطهر أستنابت.

محمد اليعقوبي

١٩/ رجب/١٤٤٥هـ

منح الطلبة درجات نجاح لا يستحقونها

سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يوجد قرار لدى وزارة التعليم العالي بأن المدّرس الذي لا تتحقق لديه نسبة نجاح تزيد عن ٣٠٪ يتعرض للمساءلة والتحقيق تحت مادة عنوانها ((انخفاض نسبة النجاح والانحراف في التصحيح)) فيحاول بعض الأساتذة إعطاء درجة النجاح إلى طلبة لا يستحقونها للتخلص من هذه المساءلة، فهل يجوز ذلك؟ أفتونا مأجورين.

بسمه تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إعطاء درجة النجاح لمن لا يستحقها فيه خيانة للأمانة التي تحملّها الأساتذة وفيها ظلم للآخرين الذين يستحقونها، بل لنفس الطالب لما في ذلك من التغرير به ومنحه شهادة علمية ليس هو أهلاً لها، مضافاً إلى أن فساد التعليم يعني هدم البنية التحتية الأساسية لتقدم البلاد وبناء حضارتها، ولا يجوز للأساتذة الكرام أن يكونوا جزءاً من هذا الفساد والتخريب، بل عليهم أن يضاعفوا جهودهم لتمكين الطلبة من عبور عتبة النجاح، من خلال طريقة التدريس ووضع الأسئلة المناسبة الواضحة والعدالة في التصحيح والرعاية الأبوية للطلبة وغير

ذلك، وقد أطلعت على قرار الوزارة وهو ناظر إلى ما يعود إلى التدريسّي من أسباب الفشل مما ذكرناه آنفاً.

ومن المعلوم أن النجاح هو نتيجة مسؤولية تضامنية تشترك فيها عدة عناصر، أحدها الأستاذ من خلال مسؤولياته المتعددة التي ذكرناها آنفا، فلا بد من التحقيق في العوامل الأخرى كجهد الطالب نفسه وإمكانياته، فلا يستطيع الأستاذ صنع معجزة لينجح الطالب إن لم يكن هو يريد ذلك على نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (النساء:٣٥) اما من لا يريد النجاح فماذا يصنع له الأستاذ.

وكذا ينبغي ملاحظة الأمور الأخرى المؤثرة، كالمنهج الدراسي المقرر وتوفر الأدوات التعليمية المساعدة، والظروف الموضوعية ونحو ذلك.

فالمرجو من عمادات الكليات ورئاسات الجامعات ومن ورائهم وزارة التعليم العالي أن يهيئوا كل الأسباب التي تؤدي لقطف ثمرة النجاح لأحبائنا الطلبة وأن يعالجوا مواطن الخلل كافّة سواء تعلقت بالأستاذة الأفاضل أو غيرهم والله ولي التوفيق.

محمد اليعقوبي

١٨/شعبان/١٤٤٥هـ

٢٠٢٤/٢/٢٩م

مسائل في الميراث

سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هل أن المبالغ التي تصل إلى ذوي المتوفى كالراتب التقاعدي أو المنحة التي تقدمها الدولة ونحو ذلك توزّع عليهم وفق القسام الشرعي للميراث؟ أفتونا جزاكم الله خيراً

بسمه تعالى

ما يوزّع على ورثة الميت وفق القسام الشرعي هو ما تركه الميت حين وفاته وتلحق به الدية التي يسلّمها الجاني إذا تعّرض الميت لجنايةٍ، أما المبالغ التي تصرف لذوي الميت بعد وفاته، كالراتب التقاعدي أو المنحة التي تقدمها الجهة التي كان يعمل فيها ونحو ذلك، فإنها ليست من الميراث، ولا تخضع لحساب القسام الشرعي، وإنما تعطى بحسب قرار الجهة المانحة، وبالنسب التي تقررها، وفق الله تعالى الجميع لما يحب ويرضى.

محمد اليعقوبي

٢٥/شعبان/١٤٤٥هـ

استفتاء: عن نصيحة المشي إلى كربلاء

الى / مكتب سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

تساءل جمع من المؤمنين عن وجه نصيحة[1] سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) الأخيرة بالاقتصار في المشي لزيارة الامام الحسين (عليه السلام) على المسافة من النجف الى كربلاء وقالوا إنه ينافي إطلاق الروايات الدالة على الحث على المشي الى زيارة الامام الحسين (عليه السلام) من دون التقييد بمسافة معينة، وقد اندفع بعضهم للنيل من سماحته، فهل من توضيح لهذا الأمر جزاكم الله خيراً.

جمع من المؤمنين

بسمه تعالى

لا يستطيع أحد أن ينكر فضل زيارة الامام الحسين (عليه السلام) مشياً على الأقدام وما ورد من الثواب على كل خطوة يقطعها الزائر، وإن ما صدر لم يكن نهياً ولا تشكيكاً في فضل المشي حتى يرد عليه بمثل هذه الروايات الشريفة وإنما كان نصيحةً، وقد ذكر سماحة المرجع أنها من منطلق الشفقة والمحبة والحرص، وإن من صفات قادة الأمة أن يكونوا كما وصف الله تعالى نبيه الكريم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:٢٨)، كما ينصح الأب أولاده بهذه الدواعي، وقد وصف النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه وعلياً (عليه السلام) بأنهما

(١) تقدم ص٥٩٤، ضمن خبر (الثناء على دور المفارز الطبية في خدمة زوار الأربعين).

أبوا هذه الأمة، فهذه النصيحة كالعنوان الثانوي الذي لا ينافي العنوان الأولي الوارد في الروايات، كما أن الإمام الحسين (عليه السلام) رخّص لأصحابه ليلة عاشوراء أن يتخذوا الليل جَمَلاً ويتفرقوا عنه فإن القوم لا يطلبون غيره، وكان ذلك شفقة منه ولا ينافي ما في نصرته من النعيم المقيم، ولما أصرّوا على نصرته شكرهم وأراهم منازلهم في الجنة.

وعلى سبيل المثال نذكر أنه عندما اجتاح وباء كورونا بلدان العالم أرادت إدارة العتبات المقدسة أن تغلقها لحماية الناس من العدوى وبعد اعتراضات بعض المؤثّرين عدلوا عن الغلق الى اتخاذ إجراءات وقائية، وليس في ذلك ما ينافي فضل زيارة المعصومين (عليهم السلام)، وكالنصيحة بتقليل وقت خطبتي صلاة الجمعة مراعاة لظروف الحاضرين في الحر الشديد ونحو ذلك من الإجراءات التي تتخذها القيادات الرشيدة لحماية الأمة من الأذى والضرر وكل ذلك يجب أن يكون ضمن الأطر العامة التي وضعها الشارع المقدس.

نسأله تعالى التوفيق والتسديد والعصمة من الزلل في القول والعمل.

مكتب سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

٢٨/ المحرم الحرام/ ١٤٤٦هـ

استفتاء: حول الضمان الاجتماعي

سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

اني موظف أعمل في شركة أهلية (قطاع خاص) منذ سنين طويلة، وبراتب شهري، دون إتفاق مسبق على ضمان أو تقاعد، أنا وزملائي في العمل تم تسجيلنا في دائرة العمل والضمان الاجتماعي حديثاً من قبل هذه الشركة، زملائي في العمل يطالبون الشركة بتسجيلهم في هذه الدائرة للسنين السابقة ومنذ بدء تعيينهم وبأثر رجعي قد يصل إلى عشرة سنوات، علماً أنه لم يتم الاتفاق بينهم وبين الشركة عند بداية تعيينهم على التسجيل في هذه الدائرة (دائرة العمل والضمان الاجتماعي) ولم يكن في حينها ثقافة تلم بهذا الموضوع نهائياً، فهل يجوز لي أن أطالب الشركة بهذا التسجيل مع زملائي للسنين السابقة؟ علماً أن التسجيل للسنين السابقة سيترتب عليه دفع مبالغ مالية عالية وغرامات كبيرة ومضاعفة ستقع على عاتق هذه الشركة.

بسمه تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يجوز للعمال في القطاع الخاص مطالبة رب العمل بتسجيلهم في الضمان الاجتماعي وفق ما يقتضيه قانونه، ويجب على رب العمل الاستجابة لمطلبهم، وإعلام العامل حين توقيع العقد بما يجب عليه

وعلى رب العمل، ولو استقطع رب العمل النسبة المقررة من راتب العمال فانه يكون ملزماً بضمانهم وفق القانون.

أما التسجيل بأثر رجعي، أي شمول الضمان لفترة ما قبل التعاقد مع العامل فهو جائز برضا الطرفين على أن لا يسبق تاريخ نفاذ القرار الرسمي بتسجيل العمال لدى الضمان، ويجب على العمال أن يغرموا لرب العمل ما يدفعه إلى الجهات المختصة للفترة التي لم يتعاقدوا فيها معه على شمولهم بالضمان، ولم يكن هناك قرار يلزم ربَّ العمل بضمان العمال.

وننّبه الطرفين إلى أن وظيفة الحكم الشرعي هو حل مشاكل الناس وخلافاتهم وهدايتهم الى ما يصلح حياتهم في الدنيا والآخرة، فلا يجوز توظيفه لأخذ شيء بالباطل بأن يتمسك أحد الطرفين ببعض الحكم ويترك الباقي ليغلب الآخر، وفقّنا الله تعالى وإياكم جميعاً لما يحب ويرضى.

محمد اليعقوبي

١/ ربيع الأول/ ١٤٤٦هـ

٥/ ٩/ ٢٠٢٤م

استفتاء: حول الإذن بصرف الحقوق الشرعية

سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دامت بركاته)..

هل تأذنون لنا بصرف ما تعلق بذممنا من الحقوق الشرعية على المحتاجين كلياً او جزئياً؟ جزاكم الله خيراً.

بسمه تعالى

لقد رخصّنا للمؤمنين بصرف ثلث ما بذممهم من الحقوق الشرعية على من يعرفون من المؤمنين المحتاجين في ضرورات المعيشة وتزويج المتعففين والمساعدة في العلاج الطبي والعمليات الجراحية التي يتعسر توفير متطلباتها على أن يسلمه إليهم مباشرة ومن دون وسيط وبعد التثبت من مصداقية الاحتياج، اما الثلثان الآخران فيرجع بهما المكلف الى وكلاء ومعتمدي المرجعية فقد يرون أن الأَوْلى إيصالها الى النجف الأشرف وجلب وَصل قبض بها، وقد يَرون أن الأرجح إعطاء الأذن للمكلف بصرفها في الموارد المقررة أعلاه، أو التبعيض في مبلغ الحق الشرعي بين هذا وذاك.

وفقكم الله تعالى لما يحب ويرضى.

محمد اليعقوبي

١٣/ ربيع الاول/ ١٤٤٦هـ

المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي يعطي الإذن[1] بصرف الحقوق الشرعية لسد الاحتياجات الضرورية للشعب اللبناني الشقيق وتقديم المعونات.. مواساة ونصرة لهم

بسمه تعالى

نظراً للظرف الحرج الذي يمرّ به الشعب اللبناني الشقيق والذي تتعرض مدنه إلى عدوان صهيوني همجي أدّى إلى استشهاد وجرح المئات من المؤمنين، ونزوح وتهجير الآلاف من المدنيين العزّل، فقد أعطى سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) الأذن لمن يريد صرف الحقوق الشرعية، لشراء الاحتياجات الضرورية لإخواننا في لبنان الشقيق، أو تقديم المعونات العينية، مواساةً ونصرةً لهم، ويكون إيصالها عبر مكتب سماحته في لبنان بإذن الله تعالى.

نسأل الله تعالى أن يُعزّ جنده ويربط على قلوبهم وينصرهم في كل ساحات المواجهة، وأن يردّ كيد الأعداء إلى نحورهم، كما نسأله جلّ وعلا الرحمة والرضوان للشهداء السعداء، والشفاء التام للجرحى والمصابين، إنه سميع الدعاء.

---

(١) بتاريخ ١٩/ ربيع الاول/ ١٤٤٦هـ - الموافق ٢٣-٩-٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

حول جعل مهر الزوجة حج بيت الله الحرام

إلى سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الوارف)

الموضوع: إشكال شرعي يؤدي إلى مخالفة الأحكام الدينية وضياع حقوق المواطنين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

وبعد... نرفع إلى مقامكم الشريف هذه المسألة الشرعية والقانونية المهمة، التي أدت إلى تضييع حقوق شريحة واسعة من الناس نتيجة التعامل غير الدقيق مع أحد الأحكام الشرعية المتعلقة بالمهر المؤخر في عقود الزواج.

تفاصيل الإشكال الشرعي: يتمثل الإشكال في أن بعض العقود الشرعية تتضمن تحديد المهر المؤخر بحج بيت الله الحرام، وعند رفع الأمر إلى القضاء للمطالبة بتنفيذ هذا الشرط، يتم الاستفسار من هيئة الحج والعمرة عن تكلفة الحج، فترد الهيئة بتحديد قيمة الحج وفقًا للأسعار الرسمية المعتمدة لحجاج القرعة.

منشأ المشكلة: إن الأسعار التي تعتمدها الهيئة لحجاج القرعة تشمل تكاليف السكن والنقل والطعام، في حين أن تأشيرة الحج تُمنح مجانًا لحجاج القرعة ولا تتاح بهذه الكيفية لعامة الناس، مما يجعل القيمة المعلنة من قبل الهيئة لا تعكس التكلفة الحقيقية للحج شرعًا.

الفارق بين التكلفة المدعومة والتكلفة الفعلية: التكلفة الشرعية للحج وفق العرف السائد في السوق تبلغ حاليًا (١٥،٠٠٠ دولار أمريكي). في المقابل، تحدد هيئة الحج التكلفة الرسمية المدعومة بحوالي (٤،٠٠٠ دولار أمريكي) فقط، مما يؤدي إلى إنقاص ما يقارب ٧٠٪ من الحقوق المالية للمستحقين.

الموقف الشرعي: نظراً لأن الحكم الشرعي يوجب احتساب قيمة الحج وفق السعر المتعارف في السوق بغض النظر عن الأسعار المدعومة، فإن اعتماد التقديرات الرسمية المنخفضة يمثل مخالفة صريحة للأحكام الشرعية ويؤدي إلى أكل حقوق الناس بغير وجه حق.

الرجاء والتماس المساعدة: نرجو من سماحتكم التفضل بالنظر في هذا الإشكال وإصدار توجيهاتكم المباركة لمعالجة هذه المسألة بما يحفظ الحقوق ويمنع الوقوع في مخالفة الأحكام الشرعية. كما نأمل من سماحتكم بيان الحكم الشرعي بوضوح للجهات المختصة لضمان التطبيق الصحيح لأحكام الشريعة.

نسأل الله أن يحفظكم ذخراً للإسلام والمسلمين، وأن يطيل في عمركم المبارك لخدمة الدين والمجتمع.

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام والتقدير.

التاريخ: ٨/ شعبان/ ١٤٤٦هـ

بسمه تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إذا اتفقا على شيء ككون الحج عبر القرعة مهما طال الزمن أو على أنها تكون هذه السنة مطلقاً وإن كان تجارياً وجب الوفاء بالشرط، وإلا فإذا كانت الزوجية مستمرة بينهما وقد اشترطت الزوجة الوفاء عند المطالبة فيتفقان على كيفية الأداء بالتقديم على القرعة الى أن يظهر الاسم أو الحج التجاري، وإذا افترقا وطالبته بالحج وجب عليه الوفاء بتهيئة مقعد لها في الحج الرسمي إن أمكن وإلا فليرتب لها حجاً تجارياً ضمن القوانين المرعية في الدولتين إذا كانت عازمة على الحج فعلاً، أما إذا لم تكن عازمة على الحج وتريد مبلغاً مالياً فتستحق الآن قيمة الحج الرسمي مع مصاريفه الواجبة كالهدي وغيره مع ضمان الفرق عندما تعزم على الحج في سنة آخرى لان ذمته اشتغلت بالحج لا بالقيمة.

وننصح بان يكون المهر محدداً بالمقدار المتعارف لأمثالها منعاً لهذه الإشكالات... والله ولي التوفيق.

محمد اليعقوبي

١١/ شعبان/ ١٤٤٦هـ

استفتاء: حول العملات الرقمية

سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

نحن مجموعة من الشباب لدينا نشاط تجاري ويكثر عندنا التعاملات والمداولة بالعملة الرقمية (البيتكوين) لاسيما بشرائها وبيعها عن طريق التعاملات بالعملات الرقمية.

ويوجد شك عندنا بجواز التعامل بها ونود أن نعرف رأي سماحتكم بهذه المسألة الابتلائية علما أنه توجد عملات رقمية أخرى يتم التعامل بها فلذا نرجو منكم بيان حكم هذه المسألة.. جزاكم الله خير الجزاء.

بسمه تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إذا لم تكن العملة مغطّاة قانونياً من قبل البنك المركزي ولم تتعهد الدولة بمقابلتها بالعملة المتداولة فلا نجيز التعامل بها.

محمد اليعقوبي

١٣/ شعبان/ ١٤٤٦هـ

قصائد

هذي العمامةُ خيمةُ الشعراء
بيضاءُ فوقَ السحنةِ البيضاءِ[1]

**

ما أطيبَ الكلماتِ يعقوبيَّةً
تجري لوجهِ محمدِ الوضَّاءِ

**

المرجعُ إنسانٌ، لكنْ كلَّما
حدَّقتُ فيهِ رأيتُ وجهَ سماءِ

**

رجلٌ تُبادلُهُ الحياةُ حِوارَها
فترى لديهِ طلاقةَ العلماءِ

**

وترى الثقافةَ غرفةً في رأسِهِ
مسكونةً بمآثرِ الآباءِ

**

(١) قصيدة ألقاها الأديب النجفي جناب الدكتور مهدي النهيري معزياً باستشهاد القائد السيد حسن نصر الله ومستذكراً أعلام أسرة آل اليعقوبي يوم الخميس ٢٩/ربيع الأول/١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٤/١٠/٣م.

أو ليسَ موسى كانَ أوَّلَ خطوةٍ
تُنجيهِ من دوامةِ الأخطاءِ

**

ومحمدٌ من قبلُ أدَّبَ روحّهُ
بشهي ما يُروى عن الادباءِ

**

يعقوبُ والدُ جدِّهِ ديوانُهُ
بيتٌ يشادُ بجنةٍ خضراءِ

**

من فرطِ ما شبكت به الأنهارِ
حَطّت فيهِ آمنةً طيورُ الماءِ

**

يا شيخُ تأذنُ لي أقولُ فإنَّني
لم أبصرنَّكَ من زمانٍ ناءِ

**

ودعتنيَ السنواتُ أن آتيْ إليكَ
ملفَّعاً بقصيدتي العصماءِ

**

لستُ الفرزدقَ كي أقولَ بحضرةِ
السجادِ ثمّ أعودَ للخلفاءِ

**

آتي إليكَ وفيَّ جرحٌ نازفٌ
هوَ فيكَ ينزفُ دونَ أيِّ مِراءِ

**

هوَ جرحُ نصرِ اللهِ، جرحُ الأمةِ
الكبرى، وجرحُ قوافلِ الشهداءِ

**

حسنُ الذي حَسُنَ الجهادُ بصوتِهِ
المنسابِ مثلَ الضوءِ في الأرجاءِ

**

حسنُ الذي لبنانُ لم يعثرْ على
شبهٍ لهُ بسلالةِ الأبناءِ

**

حَسَنُ الذي عن غزَّةٍ لم يتَّخذْ
سدّاً، وظلَّ شعارَ كُلِّ فدائي

**

حسنُ الجنوبيُّ العراقيُّ الفلسطينيُّ
نجلُ الطينةِ السمراءِ

**

حسنُ المعمَّمُ بالجلالةِ والمقدمُ

بالبسالةِ والبصيرُ الرائي

**

حسنُ الذي لليومِ لم يرَ حُلمَهُ
متحقّقاً إلا على الأشلاءِ

**

حسنُ الذي في القدسِ شدَّ مصيرَهُ
ليصيرَ من أبوابِهِ الحمراءِ

**

حسنُ الذي انهدمتْ عليهِ بيوتُنا
حزناً، وقد صارتْ بيوتَ عزاءِ

**

حسن الذي.. يا شيخُ هل أصفُ
البطولةَ في رحابِك يا ابنَ كلِّ مَضاءِ

**

أرثيهِ أم في المدحِ أغسلُ غضبتي
هذا الكمالُ يجلُّ دونَ رثاءِ

**

السيدُ العلويُّ ساعةَ أنْ يموتَ
يصيرُ سقفَ حقيقةٍ علياءِ

**

والثائرُ النبويُّ لو مرَّت بهِ
الدنيا، تمرُّ بثورةٍ شمَّاءِ

**

والحوزويُّ إلى المَقاتلِ لو مشى
معَهُ ستمشي أمةُ الفقراءِ

**

والزاهدُ المأهولُ بالتقوى إذا
كتبَ الحروبَ بأحرفٍ ودماءِ

**

فالبندقيةُ في يديهِ قصيدةٌ
صوفيةٌ تُلقى لدى الزهراءِ

**

والموتُ لا يعنيهِ، أصحابُ الحسينِ
توسَّلوا بالسيفِ والرمضاءِ

**

أن يُرفعوا فوقَ الرماحِ لكي يعودوا
مُحدِقينَ بموكبِ الحوراءِ

**

ها أنتَ يا حسنُ اقترحتَ الطفَّ
في لبنانَ تحميها من الأعداءِ

**

تحمي الطفولاتِ البريئةَ، حينَ
إسرائيلُ ألغتْها من الأسماءِ

**

يا سيدي.. أُنبيكَ عن شيعيَّةِ
الصاروخِ، أم يغنيكَ عن أنبائي

**

أنتَ أدَّخرتَ الغاضبينَ وأنتَ جيَّشْتَ
الجيوشَ بليلةٍ شنعاءِ

**

وضحكتَ يومَ رأيتَ تلَّ أبيبٍ انقلبتْ
بما أرسلتَ تلَّ هُراءِ

**

يا سيدي.. لبنانُ تبكي غيرَ أنَّ
جنودَكَ الباقينَ في الهيجاءِ

**

سيجدِّدونَ العهدَ حتى تَبدو
الأيامُ ضاحكةً لكلِّ بكاءِ..

شكر وتقدير من الشعب اللبناني الأبي[1]

عَلاَّمَـــةٌ كَالشّـــمْسِ أنَـــى يُوصَـــفُ؟ وَجْـهُ السَّـماحَةِ بِالفَقاهَـةِ يُعـرَفُ

هُـــوَ لائِـــقٌ بِالاجْتِهـــادِ وَمَرْجِـــعٌ مِنْ نَبعِه كَمْ مِـنْ ظَمِـيٍ يَرْشُـفُ!

رَمْزُ النّدَى، صَوْتُ الهُـدَى بَلَـغَ المـدَى بِكِتابِ رَبِّ الكَـوْنِ دَوْمـاً يَهتِـفُ

مُتَيمّنـــاً بِاسْـــمِ النَّبِـــيِّ مُحَمَّـــدٍ هُوَ خَيْرُ مَنْ في الخافِقَيْنِ وَأشـرَفُ

وَوَلاءُ أهْـــلِ البَيْـــتِ سِـــرّ بَهائِـــهِ مِنْ عِلْمِهِمْ في كُلِّ حُكْـمٍ يَغـرِفُ

فـــي خِدْمَـــةِ الإسْـــلامِ يَعْمَـــلُ جاهِـــداً وَالعُمْرَ في نَشرِ الفَضـيلَةِ يصْـرِفُ

الحُـــبُّ والإخـــلاص بُعَـــضُ خِصـــالِهِ ما شِئْتَ حَدّثْ كَمْ يَحِنُّ ويَعْطِفُ!

تَهْـــواهُ أفْئِـــدةٌ، وتَعْشِـــقُ وَصْـــلَهُ وَتُعيـــرُهُ أســـماعَها، تَتَثَقَّـــف

وَهْـوَ الـرَّؤُوفُ بِمَـنْ يَلُـوذُ بِحِجْـرِهِ للهِ رَأفَتُـــهُ مِـــنَ الأَبِ أَرْأَفُ

نَجْـــلُ اليَعاقِـــبِ تَوَّجَتْـــهُ عِمامَـــةٌ وَعَبـــاءَةٌ بِالمَكْرُمـــاتِ تُرَفْـــرِفُ

---

(١) أبيات نظمها فضيلة الاديب الدكتور عباس الفتوني الأستاذ في الجامعات اللبنانية للتعبير عن شكر الشعب اللبناني الشقيق لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) والعاملين معه على الموقف الإنساني النبيل وتقديم المساعدات النقدية والعينية للنازحين اللبنانيين داخل البلد وخارجه في سوريا والعراق بسبب العدوان الصهيوني الوحشي.

ابو إبراهيم: شمس المعالي[1]

أبيات جادت بها قريحة الاديب المخضرم عم سماحة المرجع الديني محمد اليعقوبي (دام ظله) الشيخ صادق نجل شيخ الخطباء الشيخ محمد علي اليعقوبي ووالد العلامة الشيخ حيدر اليعقوبي مستذكراً المسيرة العلمية والعملية الصالحة لسماحة المرجع منذ صغرة حيث واكبها العم الكريم بفخر واعتزاز وكان قد آوى سماحته فترة خلال ثمانينيات القرن الماضي أثناء تخّفيه من النظام الصدامي البائد.

أبا الشهم إبراهيم نِلتَ مراقيا ... من المجدِ لا ترقى لها ذروةُ النسرِ[2]

وخُضتَ بحورَ العِلم والفضلِ والندى ... لكي تنتقي من غُورها غُررَ الدِّرِ

وأشَرقتَ شمساً للمعالي مضيئةً ... لعليائها يعنو سَنى الشمس والبَدرِ

(١) نشرت في صحيفة الصادقين العدد: ٢٥٧ الصادر بتاريخ: ٢١/ذو الحجة/١٤٤٦هـ- الموافق: ٢٠٢٥/٠٦/١٨م.

(٢) النجم المعروف.

وفي مناسبة سابقة زاره الشيخ إبراهيم نجل سماحة المرجع مع بعض المتعلقين لتفقده فخاطبهم.

أهلاً بإبراهيم نجلِ محمدِ العالم الفذِّ الغيور الأمجدِ

وبصحبِه الصيدِ الأماجدِ مَنْ هُمُ ورِثوا المفاخرَ أصيدًا عن أصيدِ

متمنياً لهمُ الكرامةَ والعُلا من مشهدٍ يَسعون فيه لمشهدِ

صور مختارة لبعض احداث الكتاب

المؤتمر السنوي الثالث لأئمة المساجد في محافظات العراق الذي عقد تزامناً مع ذكرى المولد النبوي الشريف يوم الخميس ١٩/ ربيع الأول/ ١٤٤٥هـ- الموافق ٢٠٢٣/١٠/٥م.

المؤتمر العام لمجمع المبلغات الرساليات في العراق يوم السبت ٢٧/محرم الحرام/١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٤/٨/٣م والتفاصيل موجودة في كتاب بعنوان- أم سلمة قدوة الفضائل والولاء

الخطاب الفاطمي السنوي العشرون بفضل الله تعالى ألقاه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على حشود الزوار المعزّين في ساحة ثورة العشرين في النجف الأشرف يوم الخميس ٣/جمادي الآخرة/ ١٤٤٦هـ- الموافق ٢٠٢٤/١٢/٥م.

يا نبي الله الناصرة

عيسان

استقبال سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) سماحة آية الله السيد هادي المدرسي (دامت بركاته) في مكتبه في النجف الاشرف بتاريخ الاثنين ٢٩ المحرم الحرام ١٤٤٦هـ- ٥-٨-٢٠٢٤م

باكستان تحتضن مؤتمراً علمائياً مهيباً يخلّد سيرة الفقيه والمرجع المُجدد السيد محمد باقر الصدر (قدس سره).

إحياءً لذكرى شهادة السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تبرع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بقنينة من الدم لألفات النظر إلى قضية الأطفال المصابين بمرض سرطان الدم (اللوكيميا) وفقر الدم البحري (الثلاسيميا).

إقامة حفل بذكرى ميلاد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في إسطنبول

الفهرست

خطاب المرحلة (٧٢٦) البيان الختامي للزيارة الاربعينية عام ١٤٤٥هـ... ٥
خطاب المرحلة (٧٢٧) تيه الامة بسبب عصيانها القيادة الرّبانية..... ١١
خطاب المرحلة (٧٢٨) المواجهة مستمرة لحروب أعداء الإسلام ٢٥
خطاب المرحلة (٧٢٩) لا مكان للتفاهة في حياة الإنسان..... ٣١
خطاب المرحلة (٧٣٠) الفتح السلمي ٤٣
خطاب المرحلة (٧٣١) الله تعالى يتكفل بمعالجة تبعات العمل الرسالي ٥٥
خطاب المرحلة (٧٣٢) السيدة الزهراء (عليها السلام) تذكّر الأصحاب بنعمة النبي (صلى الله عليه وآله)..... ٦٥
خطاب المرحلة (٧٣٣) السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) تكشف سبَّب معاداة الحق..... ٧٥
خطاب المرحلة (٧٣٤) الغرض من بعثة الأنبياء هو صنع الإنسان الربّاني ٨٧
خطاب المرحلة (٧٣٥) بيت النبي وآله (عليهم السلام) أرفع البيوت وأفضلها.. ٩٧
خطاب المرحلة (٧٣٦) تأثّر الأئمة المعصومين (عليهم السلام) بمصاب السيدة الزهراء (عليها السلام)..... ١٠٧
خطاب المرحلة (٧٣٧) ليس لله تعالى مع أحد قرابة..... ١١١
خطاب المرحلة (٧٣٨) ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الانشراح: ٥-٦)..... ١٢١
خطاب المرحلة (٧٣٩) سورة الفجر والإمام الحسين (عليه السلام)..... ١٣١

خطاب المرحلة (٧٤٠) السيدة الزهراء (عليها السلام) أجلى مصاديق الكوثر المعطى لرسول الله (صلى الله عليه وآله).....١٤١
خطاب المرحلة (٧٤١) الفتح الأعظم يوم الظهور الميمون.....١٥١
خطاب المرحلة (٧٤٢) كيف تُفكّ أغلال الشياطين.....١٦١
خطاب المرحلة (٧٤٣) احذر خدع الشيطان من أول خطوة.....١٦٥
خطاب المرحلة (٧٤٤) معالم التكامل في التشريع الإسلامي للمواريث١٨١
خطاب المرحلة (٧٤٥) ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾(البقرة:١٢٥)١٩٥
خطاب المرحلة (٧٤٦) محافظة ذي قار مهد الحضارة الإنسانية ودورها المستقبلي.....٢٠٥
خطاب المرحلة (٧٤٧) أعملوا لما عند الله تعالى.....٢٠٩
خطاب المرحلة (٧٤٨) ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ (النساء:٧٩).....٢١٩
خطاب المرحلة (٧٤٩) وجوب مودة أهل البيت (عليهم السلام) على الأمة...٢٢٩
خطاب المرحلة (٧٥٠) أم سلمة قدوة الفضائل والولاء.....٢٤٧
خطاب المرحلة (٧٥١) مراعاة حقوق الأخوة المؤمنين شرط الولاية وثمرتها وشعارها.....٢٧٥
خطاب المرحلة (٧٥٢) مجاهدو الحشد الشعبي: بين شرف الانتماء وعظمة المسؤولية.....٢٨١

خطاب المرحلة (٧٥٣) ولاية أهل البيت (عليهم السلام) حصن الإسلام وأعظم أركانه ٢٨٨
خطاب المرحلة (٧٥٤) قصدنا كربلاء فهل قصدنا الإمام الحسين (عليه السلام) ٢٩١
خطاب المرحلة (٧٥٥) حقائق في الصراع بين الإسلام وأعدائه..... ٢٩٧
خطاب المرحلة (٧٥٦) الناس تتمنى يوم القيامة أن لو كانوا من شيعة علي (عليه السلام)..... ٣٠٧
خطاب المرحلة (٧٥٧) الشهيد السيد حسن نصر الله فخرٌ وعزةٌ ومدرسةٌ ٣٢٠
خطاب المرحلة (٧٥٨) الفوز والفلاح في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٢٣
خطاب المرحلة (٧٥٩) بشارة الكتب السماوية والأنبياء السابقين (صلوات الله تعالى عليهم أجمعين) بالنبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله)..... ٣٣٥
ملحق: أهمية الأسماء وآثارها الاجتماعية والنفسية وآدابها ٣٤٥
خطاب المرحلة (٧٦٠) التعري أبرز سمات المجتمع الجاهلي والمطرودين من الجنة ٣٤٩
خطاب المرحلة (٧٦١) الإعداد للعمل علامة على صدق الراغب فيه ٣٦٥
خطاب المرحلة (٧٦٢) السيدة الزهراء (عليها السلام): المثل الأعلى للعفاف. ٣٧٨
خطاب المرحلة (٧٦٣) السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) والوعد بالفتح..... ٣٨٥
خطاب المرحلة (٧٦٤) داء التكبر: سوء عاقبته وأسباب علاجه ٣٩٤

خطاب المرحلة (٧٦٥) دعوة كريمة إلى الإنفاق في سبيل الله تعالى من كل ما يتيسَّر ٤٠٧
خطاب المرحلة (٧٦٦) دعوة للاقتباس من نور كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) ٤٢٠
خطاب المرحلة (٧٦٧) أجعل همَّك التزود للآخرة ٤٢٧
خطاب المرحلة (٧٦٨) ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ ٤٤٠
خطاب المرحلة (٧٦٩) درس حسيني في الثبات على المبدأ ٤٥٥
خطاب المرحلة (٧٧٠) الصلوات الشعبانية للإمام السجاد (عليه السلام) وثيقة مهمة في العقائد والأخلاق والسياسة ٤٥٩
خطاب المرحلة (٧٧١) الحسد رأس الرذائل ٤٦٤
خطاب المرحلة (٧٧٢) لتعرف المرأة مكانتها العظيمة حتى لا تُخدَع ٤٧٦
خطاب المرحلة (٧٧٣) لماذا يكره أكثر الناس الحق؟ أمير المؤمنين (عليه السلام) مثالاً ٤٨٢
خطاب المرحلة (٧٧٤) تعدد المرجعيات حالة إيجابية ٥٠٠
خطاب المرحلة (٧٧٥) الطمَعَ يورَث الشقاء ٥٠٣
خطاب المرحلة (٧٧٦) نشر الكراهية والبغضاء في المجتمع من عمل الشيطان ٥١٤
خطاب المرحلة (٧٧٧) ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ ٥٢٦

خطاب المرحلة (٧٧٨ ولاية علي بن ابي طالب (عليه السلام) في القران الكريم..... ٥٤٠
خطاب المرحلة (٧٧٩) بيان: حول تعرّض المنشآت العسكرية والمدنية في جمهورية إيران الإسلامية للقصف الصهيوني..... ٥٥٦
خطاب المرحلة (٧٨٠) الغدير: أعظم أعياد الإسلام، ومسؤوليتنا عنه. ٥٥٩
خطاب المرحلة (٧٨١) رسالة الإمام الحسين (عليه السلام) العالمية ومسؤولية إيصالها ٥٦٨

مختارات من صحيفة الصادقين

أخبار

المرجع اليعقوبي يرعى المؤتمر التبليغي لطلبة دولة الهند الدارسين في الحوزة العلمية في النجف الاشرف ٥٧٥
صبر أهل غزة أحيا القضية الفلسطينية وهزم حضارة الغرب..... ٥٧٩
تبرع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بقنينة من الدم لألفات النظر إلى قضية الأطفال المصابين بمرض سرطان الدم.. ٥٨٢
المرجع اليعقوبي: يحث على اغتنام الأيام المتبقية من شهر رمضان لإقامة سنة الاعتكاف ٥٨٣
المرجع اليعقوبي يعزي بوفاة حجة الإسلام والمسلمين السيد إبراهيم رئيسي ورفاقه (رحمهم الله تعالى)..... ٥٨٦

سماحة المرجع الديني الشيخ اليعقوبي يؤكد على الاهتمام بالتبليغ الديني كماً ونوعاً.. ويدعو لتوسيع آفاق نشر مبادئ مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) لدى استقباله للزعيم الديني الشيخ الزكزاكي.....٥٨٧
خطاب الجمعة بين الواقع والطموح.....٥٩١
تبرع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بالدم من أجل حثّ المؤمنين على المواساة وإحياء الشعائر الحسينية في إطار الشريعة المقدسة ٥٩٣
الثناء على دور المفارز الطبية في خدمة زوار الأربعين ٥٩٤
مسؤولية العلماء والنخب الواعية في توجيه حركة الامة وتربيتها وتوعيتها.....٥٩٦
تصحيح القول المشهور في عمر عائشة حين تزوجها النبي (صلى الله عليه وآله)..٥٩٧
معهد القضاء الشرعي.....٦٠٠
صدر حديثاً كتاب (أم المؤمنين أم سلمة قدوة الفضائل والولاء) لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله).....٦٠١
إقامة حفل بذكرى ميلاد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في إسطنبول...٦٠٣
ممثلية سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في أفغانستان تنظم مؤتمراً علمياً تحت شعار: كريم أهل البيت (عليهم السلام) نموذج السلام والسخاء.....٦٠٥

رسالة شكر وامتنان رفعها علماء أفغانستان الى سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله).....٦٠٨
باكستان تحتضن مؤتمراً علمائياً مهيباً يخلّد سيرة الفقيه والمرجع المُجدد السيد محمد باقر الصدر (قدس سره).....٦١١

استفتاءات

قضايا جنائية بين الشريعة والقانون الوضعي.....٦١٣
حكم الأكل في مآتم العزاء.....٦٢٦
استفتاء: كيفية أداء الحائض للحج والعمرة.....٦٢٨
منح الطلبة درجات نجاح لا يستحقونها.....٦٣١
مسائل في الميراث.....٦٣٣
استفتاء: عن نصيحة المشي إلى كربلاء.....٦٣٤
استفتاء: حول الضمان الاجتماعي.....٦٣٦
استفتاء: حول الإذن بصرف الحقوق الشرعية.....٦٣٨
المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي يعطي الإذن بصرف الحقوق الشرعية لسد الاحتياجات الضرورية للشعب اللبناني الشقيق وتقديم المعونات.. مواساةً ونصرةً لهم.....٦٣٩
حول جعل مهر الزوجة حج بيت الله الحرام.....٦٤٠
استفتاء: حول العملات الرقمية.....٦٤٣

قـصـائـد

شكر وتقدير من الشعب اللبناني الأبّي..... ٦٥١
ابو إبراهيم: شمس المعالي..... ٦٥٢
وفي مناسبة سابقة زاره الشيخ إبراهيم نجل سماحة المرجع مـع بعـض المتعلقين لتفقده فخاطبهم..... ٦٥٣
صور مختارة لبعض احداث الكتاب..... ٦٥٥